

﴿ فهرس الجزء الاول من كتاب أمالي السيد المرتضى ﴾

(تم الفهرس)

الجزء الاول من كتاب

امالى السيد المرتضى

الشريف أبي القاسم على بن الطاهر أبى أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضى الله عنه

في التفسير والحديث والادب

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ سنة ١٩٠٧ م)

(على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي)



(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل)



(الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين)

قال السيد المرتضى علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم عليّ بن الطاهر ذى المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنهم وقدّس الله أرواحهم

المجلس الأول ١

[تأويل آية] .. قال الله تعالى (وإذا أردنا أنْ نُهلِكَ قَريَةً أمرْنا مُترَفِيها فَفَسَقُوا فيها) الآية .. في هذه الآية وجوه عدّة من التأويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه .. أولها ان الاهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فاذا كان مستحقاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً وانما يكون قبيحاً اذا كان ظلماً فتعلق الارادة به لا يقتضى تعلقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر الآية يقتضى ذلك واذا علمنا بالأدلة تنزيه القديم تعالى عن القبائح علمنا ان الارادة لم تتعلق إلاّ بالاهلاك الحسن .. وقوله تعالى (أمرنا مترفيها) المأمور به محذوف وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وان وقع بعده ويجرى هذا مجري قول القائل أمرته فعصى ودعوته فأبى والمراد إنى أمرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة والقبول .. ويمكن أن يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وانما موضعها أن يقال أيّ معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة باهلاك مستحق

بغير الفسق المذكور فى الآية فلا معنى لقوله تعالى اذا أردنا أمرنا لأن أمره بما يأمر به لايحسّن ارادته العقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك بمخالفة الأمر المذكور فى الآية فهذا هو الذي يأبونه لأنه يقتضى انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق ذلك العقاب ٠٠ والجواب عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذى حسّن قوله تعالى واذا أردنا أمرنا هو ان يكون الامر بالطاعة والايمان اعذاراً الى العصاة وانذاراً لهم وايجابا واثباتا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوه وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار الوعظ والوعيد والانذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية (وما كُنَّا مُعَذِّبِين حتى نبعَثَ رسُولا) ٠٠والوجه الثانى فى تأويل هذه الآية ان يكون قوله تعالى أمرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله تعالى واذا أردنا ويكون تقدير الكلام واذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها انا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها وتكون اذا على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر فى الآية للاستغناء عنه بما فى الكلام من الدلالة عليه ٠٠ونظير هذا قوله تعالى فى صفة الجنة (حتّى اذا جاؤها وفُتِحَتْ أبوابُها وقالَ لهم خَزَنَتُها سلامٌ عليكم طِبْتُم فادخُلوها خالدينَ وقالوا الحمد لله الذى صَدَقَنا وعْدَهُ وأوْرَثَنا الأرض نتبوَّأ من الجنّةِ حيثُ نشاء فنعم أجرُ العاملين) ولم يأت لإذا جواب فى طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد أيضاً لصحة هذا الجواب قول الهذلي .

حتّى اذا سلَكُوهُم في قُتَائِدَةٍ شلاًّ كما تَطرُدُ الجمّالةُ الشُّرُدَا[1]

فحذف جواب اذا ولم يأت به لأن هذا البيت هو آخر القصيدة ٠٠ والوجه الثالث ان يكون ذكر الارادة في الآية مجازاً واتساعا وتنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وانهم متى أُمروا فسقوا وخالفوا ويجرى ذكر الارادة ههنا مجرى قولهم اذا

(١) ــ قتائدة ــ ثنية أو عقبة أو كل ثنية قتائدة ــ وشلاً ــ طرداً ــ وشرداً ــ جمع شرود وشارد وهو النافر

أراد التاجر ان يفتقر أتته النوائب من كل وجهة وجاءه الخسران من كل جانب •• وقولهم اذا أراد العليل ان يموت خلّط في مأكله وتسرّع الى كل ماتتوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً ولاالعليل أيضاً لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب وحي واشارات واستعارات ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارات وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة بريّاً من البلاغة وكلام الله تعالى أفصح الكلام •• والوجه الرابع ان تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها اذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب أردنا اهلاكهم والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير ومما يمكن ان يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ﴾ والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلاة وقوله تعالى ﴿ واذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم الصلاةَ فلتقم طائفة منهم معك ﴾ وقيام الطائفة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصلاة لان إقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال أمّا قراءة من قرأ الآية بالتشديد فقال أمّرنا وقرأ من قرأها بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لايليق الا بان يكون ماتضمنته الآية هو الأمر الذى يستدعي به الى الفعل

[تأويل خبر] •• روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه : قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم : قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم مفسراً لهذا الحديث فى كتابه غريب الحديث الاجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المتلمس

وَمَا كُنْتُ الاَّ مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ ... بِكَفٍّ لَهُ أُخْرَى فأَصْبَحَ أَجْذَمَا(١)

وقد خطّأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبا عبيد في تأويله هذا الخبر •• وقال الاجذم

(١) المتلمس هو عدى بن عبد المسيح وهو صاحب الصحيفة المشهورة التى يضرب بها المثل ورفيق طرفة الى عامل البحرين وقصتهما مشهورة وهذا البيت من قصيدة له تعد في

وان كان مقطوع اليد فان هـذا المعنى لايليق بهذا الموضـع قال لأن العقوبات من الله لاتكون الا وفقا للذنوب وبحسبها واليد لامدخل لها في نسيان القرآن فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى (الذينَ يأكُلونَ الرّبا لايقومونَ الاّ كما يقومُ الذى يتخبّطهُ الشيطانُ من المسّ) وزعم ان تأويل الآية أن الربا اذا أكلوه ثقل في بطونهم وربا فى أجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان تعثّراً وتخبّلاً واستشهد أيضاً بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله رأيت ليلة أسرى بى قوما تقرض شفاههم وكلما قـرضت وفّيَت فقلت ياجـبريل من هؤلاء فقال لي جـبريل هؤلاء خطباء أمتك تقرض شفاههم لانهـم يقولون مالا يفعلون ٠٠ قال والاجذم في الخـبر انما هو المجذوم وانما جاز ان يسمى المجذوم أجذم لأن الجذام يقطّع أعضاءه ويشذّبها والجذم القطع ٠٠[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وقد أخطأ الرجلان جميعاً وذهبا عن الصواب ذهابا بعيـداً وان كان غلط ابن قتيبة أفحش وأقبح لأنه علّل غلطه فأخرجه الى أغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ماأورداه ٠٠ أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب فى كلامها وإنما أراد عليه الصلاة والسلام بقوله يحشر أجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليـد من الأعضاء الشريفة التى لايتمّ كثير من التصرف ولايوصل الى كثير من المنافع الا بها ففاقدها يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التى كان يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسى القرآن ومضيعه بعد حفظه لأنه يفقد ما كان لابساً له من الجمال ومستحقاً له

جيد شعر العرب وبعده

يداه أصابت هذه حتف هـذه	فلم تجد الأخرى عليها مقدما
فلما استقادَ الكفَّ بالكفّ لم يجد	له دَرَكا فى أن تبينا فأحجما
فأطرقَ إطراقَ الشجاع ولو رأى	مساغاً لناباه الشجاعُ لصمما
لذى الحلم قبل اليوم ماتقرعُ العصا	وما عُلّم الانسانُ الا ليعلما

وقوله لناباه جعله بالالف وتلك طريقة لهم في الزام المثنى الالف في حالاته الثلاث

من الثواب وهذه عادة للعرب فى كلامهـم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان أجدع وقد بقي بعده أجذم وقال الفرزدق يرثى مالك بن مسمع

تَضَعْضَعَ طَوْدَاوَائِلٍ بَعْدَ مالِكٍ   وَأَصْبَحَ مِنْها مَعْطِسُ العِزِّ أَجْدَعَا

وانما أراد المعـنى الذي ذكرناه وللعـرب ملاحن فى كلامها واشارات الى الأغراض وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويتسرع الي الفطنة لها من تعاطي تفسير كلامهم وتأويل خطابهم كان ظالماً نفسه متعديا طوره ونعود الى الكلام على ماذكره الرجلان •• أما أبو عبيد فان خطأه من حيث لم يفطن للغرض من الخبر فضلّ عن وجهه والافالاجذم هو الاقطع لامحالة كما قال الا انه لايليق بهذا الموضع فاذاحمل عليه لم يفد شيئاً فان كانت شبهته التي أوقعتـه فى ذلك ظنه ان ذلك يكون على سبيل العـقوبة على نسيان القرآن فليس كما ظن لأن الجذم أولا ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجذم أولياءه والصالحين من عباده ويقطع أعضاءهم بالامراض وقد يبتدأ خلق من هو ناقص الاعضاء فليس بلازم فى الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان يستحق ناسى القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن بأسره فرضاً واجباً وحتما لازما لان العقوبة لاتستحق بترك ماليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك •• وأما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه فى الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظنّ ان العقوبة لاتكون الا فى محلّ الذنب وهذا القول يوجب عليه أن لايجلد ظهر الزانى وتختص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان يجب أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم ان اللسان أقوى حظاً فى باب الكلام من الشفة فلم لم يخص بالعقوبة وحلّت بالشفاه دونه •• ثم غلطه في تأويل الآية التي أوردها أقبح من كل ماتقدم لانه توهـم أنما تضمنته الآية من تخبط آكل الربا وتعثره فى القيام انما هو في الدنيا من حيث يثقل مايأكله فى معدته فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورةً خلاف ذلك ونجد كثيراً من آكلى الربا أخف نهوضاً وأسرع قياماوتصرفا من غيرهم ممن لم يأكل الربا قط والمعنى في الآية هو ماذكره المفسرون من ان ماوصفهم الله به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار

والزال والتخبُّل على سبيل العقوبة لهـم وليكون ذلك أيضاً أمارة لمن يعاقبهـم من الملائكة والخزنة على الفرق بين الوليّ والعدوّ ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان الأجذم هو المجـذوم ٠٠ ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه الى الجذم الذي هو القطع يوجب عليه أن يكون كل داء يقطع الجسـد ويفرق الأوصال كالجدرى والأكلة وغيرهما يسمى جذاماً ويسمى من كان عليه أجذم وهذا باطل ٠٠ وأما قول الشاعر حيث يقول

وحَرَّقَ قيسٌ عليَّ البلادَ حتّى إذا اضطرَمَتْ أجْذَما

فليس هو من هذا الباب بل هو من الاجذام الذى هو الاسراع فكأنه قال لما اضطرمت أسرع عنى وتباعد منى [١] والاجذام بالذال المعجمة والدال غير المعجمة جمعا الاسراع ٠٠ وأما قول عنترة فى وصف الذباب

هَزِجاً يحُكُّ ذِراعَهُ بذِرَاعِهِ قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأجذَمِ

فهو من هذا الباب لأن الأجذم من صفة المكب لا من صـفة الزناد فكأنه قال قدح المكب الأجذم وهو من أحسن التشبيه وأوقعه

[مسألة] [٢] كان بعض المشايخ المتقدمين يقول ليس بممتنع أن يمكن الله تعالى من الظلم من يعلم من حاله انه يرد القيامة غير مستحق لشيء من الأعواض أو لما يوازى القدر المستحق عليه منها فاذا أراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض ويقول ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لأن العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضل بمثله ولا يجرى في ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما يتفضل به لأن الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى بين

(١) ويروى البيت (حتى اذا اضطرمت أحجما) أي نكص وتأخر وحاصل المعنى على الروايتين واحد

(٢) ما ذكر في هـذه المسألة مبني على القول بالعدل ووجوب الأصلح على الله تعالى وهي مقالة للمعتزلة ومنهم المؤلف وأهل السنة يخالفونهم فيها فلا تغتر بما تراه هنا وكن منه على حذر

عباده وبين الظلم فلا يجوز أن يتعلق إلاّ بأمر واجب والتفضل لفاعله أن لا يفعله فتؤول الحال الى تعذر الانتصاف •• وقالوا من يعلم الله انه يرد القيامة ولا أعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجيزون أن يمكن من الظلم من يكون فى الحال غير مستحق للعوض أو غير مستحق للقدر الذى يوازى الظلم من العوض بعد أن يكون المعلوم من حاله انه يرد القيامة وقد يستحق من الأعواض ما يوازى ما عليه منها •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وهذا القول يعنى تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو فى الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التى أبطلنا بها قول من أجاز الانتصاف بالتفضل لأنا نعلم ان تبقية المكلف لا تجب وللقديم تعالى أن لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما علقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن لأن الله تعالى يعلم انه يبقيه فيستحق أعواضاً لأن عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فأجيزوا أيضاً أن يرد القيامة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله انه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا علم الله بأنه يتفضل لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب قيل لهم وعلم الله بأنه يبقى من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية عن أن تكون غير واجبة فاستوى الأمران والصحيح أن يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له فى الحال ليستقيم الكلام ويطرد •

مجلس آخر ٢

[تأويل آية] •• قال الله تعالى ﴿ يسألونك عن الروحِ قُلِ الروحُ من أمر ربى وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلا ﴾ •• وقد ظن قوم من غفلة الملحدة وجها لهم أن الجواب عما سئل عنه فى هذه الآية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى ﴿ وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلا ﴾ تبكيت وتقريع لم يقعا موقعهما وانما هو على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب •• وفى هذه الآية وجوه من التأويل تبطل ما ظنوه وتدل

على ماجهلوه •• أولها انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعى لهم الى الصلاح فى الدين وان الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا فساداً وعناداً إذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لأنا قد نعلم فى كثير من الأحوال فيمن يسألنا عن الشيء ان العدول عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره •• وقد قيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمداً عن الروح فان أجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد فى كتبنا ذاك فأمره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون عَلماً ودلالة على صدقه وتكذيباً لليهود الرادين عليه وهذا جواب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائى •• وثانيها أن القوم انما سألوه عن الروح وهل هي محدثة مخلوقة أو ليست كذلك فأجابهم بأنها من أمر ربي وهو جوابهم عما سألوه بعينه لأنه لا فرق بين أن يقول فى الجواب انها محدثة مخلوقة وبين قوله انها من أمر ربى لانه انما أراد انها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التى سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد أو عيسى أو جبرائيل عليهما السلام وقد سمي الله جبرائيل روحاً وعيسى أيضاً بذلك مسمى في القرآن •• وثالثها انهم سألوه عن الروح الذى هو القرآن وقد سمى الله القرآن روحاً فى مواضع من الكتاب فاذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لأنه قال لهم الروح الذى هو القرآن من أمر ربي ومما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليجعله دلالة له وعَلماً على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل فى إمكانهم وهذا الجواب للحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية (ولئن شِئنَا لَنَذْهَبنَّ بالذى أوحَينَا اليكَ ثم لا تَجِدُ لَكَ عَلَينَا وَكِيلا) فكأنه تعالى قال ان القرآن من أمرى وفعلي ومما أنزلته عَلماً على نبوة رسولي صلى الله عليه وسلم ولو شئت لرفعته وأزلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله

[فصل] •• قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانى فى قوله تعالى (والأرضَ مَدَدْناهَا وَأَلْقينَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتنَا فِيهَا مِنْ كلِّ شيءٍ مَوْزُون) قال انما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين •• أحدهما ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن لأنَّ سائر المكيلات اذا صارت طعاماً دخلت فى باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الوزن أعمّ من الكيل •• والوجه الآخر ان فى الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب

مساواة الشيء بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت فى الكيل وخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول أبي مسلم •• ووجه الآية وماشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه أبو مسلم وانما أراد الله تعالى بالموزون المقدّر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصاً عنها ولا زائداً عليها زيادة مضرة أو داخلة فى باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون وأفعاله موزونة مقدرة وانما يراد ما أشرنا اليه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين فى القرآن على أحد التأويلين وانها التعديل والمواساة بين الثواب والعقاب •• قال الشاعر هو ذوالرمة

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ ... رَخِيمُ الحَوَاشِي لاهُرَاءٌ وَلاَ نَزْرُ

ـ الهراء ـ الكثير ـ والنزر ـ القليل وكأنه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجرى مجرى أن يقول هو موزون •• وقال مالك[1] بن أسماء بن خارجة الفزارى

وَحَدِيثٌ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نًا وَخَيْرُ الحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

(١) •• قال ابن قتيبة بعد أن ذكر نسبه وكان مالك شاعراً غزلاً ظريفاً وهو القائل فذكر البيتين وذكر بعدهما قوله

حبذا يومنا بتلّ بَوَنّا ... حيث نُسقى شرابنا ونُغنى

من شراب كأنه دمُ جوفٍ ... يترك الكهل كالفتى مُرجحنا

أيما دارتِ الزجاجة دُرنا ... يحسب الجاهلون أنا جُننا

ومررنا بنسوة عطرات ... وسماع وقرقف فنزلنا

ـ وبَوَنّا ـ من قرى الكوفة •• ويقال ان عمر بن أبي ربيعة مرّ بمالك هذا فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده فقال عمر ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التى تذكرها فيه قال مثل ماذا قال مثل قولك

أشهدتِني أم كنتِ غائبةً ... عن ليلتي بحديثة القَسْب

•• ومثل قولك

وهذاالوجه الذى ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى في الآية وأليق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم ٠٠ فأما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن أحياناً فلم يرد اللحن فى الاعراب الذي هو ضد الصواب وانما أراد به الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه على معنى قوله تعالى ﴿ولتعرفنهم فى لحن القول﴾ ٠٠ وقول الشاعر

وَلَقدْ وَحيتُ لَكُمْ لكيما تفطنُوا ⁂ وَلَحنْتُ لَحنًا لَيسَ بِالمُرْتَابِ

وقد قيل ان اللحن الذى عنى به فى البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ماروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته أي أفطن لها وأغوص عليها ٠٠ ومما يشهد لما ذكرناه ماأخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى قال حدثنا أحمد بن عبد الله العسكرى قال حدثنا العنزي قال حدثنا على بن اسماعيل اليزيدى قال أخبرنا اسحاق بن ابراهيم قال تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها أتلحنين وأنت شريفة وفى بيت قيس قالت أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الانصارية قال وما هو قالت قال

منْطقٌ صائبٌ وَتلحنُ أحْيا ⁂ ناً وَخيرُ الحديثِ ما كانَ لحنَا

فقال لها الحجاج انما عنى أخوك اللحن فى القول اذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن فى العربية فأصلحى لسانك ٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه قد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال ان اللحن مستحسن من النساء الغرائر وليس بمستحسن منهم كل الصواب والتشبه بفحول الرجال واستشهد بأبيات مالك بعينها وظن انه

حبذا يومنا بتل بونّا ⁂ حيث نسقى شرابنا ونغنى

فقال مالك هي قرى البلد التى أنا فيه وهي مثل ما تذكره أنت في شعرك من أرض بلادك قال مثل ماذا قال مثل قولك

ما على الربع بالبليين لو بيـ ⁂ ـين رجع السلام أولو أجابا

فأمسك ابن أبي ربيعة ولم يجب بشيء

أراد باللحن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الأخبار أبيات الفزاري واعتذر بها من لحن أصيب في كتابه * وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثني يحيي بن علي المنجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزاري ويفسره علي انه أراد اللحن في الاعراب وانما أراد وصفها بالظرف والفطنة وانها تورّي عما قصدت له وتتنكب التصريح فقال له قد فطنت لذلك بعدُ قلت فغيره من كتابك فقال كيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطئه [قال المرتضي] رضي الله عنه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أن رجلا من بني العنبر حصل أسيراً في بكر بن وائل فسألهم رسولاً الى قومه فقالوا لا ترسل الا بحضرتنا لأنهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا أن ينذرهم فجيء بعبد أسود فقال له أتعقل فقال نعم اني لعاقل فقال ما أراك عاقلا وأشار بيده الى الليل فقال ماهذا قال الليل قال أراك عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال لا أدري ولكنه كثير فقال أيما أكثر النجوم أم التراب فقال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد أدبى [1] وشكت النساء وآمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد طال ركوبها وان يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معكم حيساً واسألوا أخي الحارث عن خبري فلما أدّى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جُنّ الأعور والله مانعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد أدبى العرفج يريد ان الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر [2] وقوله الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان [3] وهو الجبل

(١) ـ العرفج ـ ضرب من النبات ـ وأدبى ـ خرج منه مثل الدبى وهو أصغر الجراد

(٢) ـ الشكاء ـ جمع شكوة وهو وعاء من جلد يجعل للماء واللبن

(٣) ـ الصمان ـ والصمانة كل أرض صلبة ذات حجارة الى جنب رمل والصمان موضع بعالج

الأصهب وقوله أكلت معكم حيساً يريد اخلاطاً من الناس قد غزوكم لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه

[تأويل خبر] •• روى أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه غريب الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلباباً أو تجفافاً •• قال أبو عبيد وقد تأول بعض الناس هذا الخبر على انه أراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى فى سائر الناس من الغنى والفقر ولا تمييز بينهما قال والصحيح انه أراد به الفقر في يوم القيامة وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكأنه أراد من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى والزلفى عنده •• قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله أبو عبيد ولم يرد الا الفقر فى الدنيا ومعنى الخبر ان من أحبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن أحوال الدنيا وأعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف أو الجلباب لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب أو التجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا التأويل ماروى عنه عليه والسلام انه رأى قوماً على بابه فقال ياقنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال مالي لاأرى فيهم سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى ويبس الشفاه من الظما وعمش العيون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة والوجهان فى الخبر جميعاً حسنان وان كان الوجه الذى قاله ابن قتيبة أحسن وأنصع •• ويمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث تشهد لصحته اللغة وهو ان أحد وجوه معنى لفظة الفقر أن يحز أنف البعير حتى يخلص الى العظم أو قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقراً اذا فعل به ذلك وبعير مفقور وبه فقرة وكل شئ حززته وأثرت فيه فقد فقّرته تفقيراً ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحمل القول على أن يكون عليه السلام أراد من أحبنا فليزمّ نفسه وليخطمها وليقدها الى الطاعات وليصرفها عما تميل طباعها اليه من الشهوات وليذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما أريد بها كما يفعل ذلك بالبعير الصعب وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر ولا يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان

له شاهد فى اللغة وكلام العرب لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منها منفرداً وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه وأكثر ما يلزمه ماذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام

[فصل] .. قال الشريف المرتضى رضى الله عنه وممن كان من مشهوري الشعراء ومتقدميهم على مذهب أهل العدل[١] ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته أبو الحارث وذو الرمة لقبٌ لقّب به لبيت قاله وهو في صفة الوتد

* أشعثُ باقي رُمَّةِ التقليدِ *[٢]

ـ والرمة ـ القطعة البالية من الحبل يقال حبل أرمام اذا كان ضعيفاً بالياً وقيل انه انما لقب بذى الرمة لأنه كان وهو غلام يتفزع[٣] فجاءته أمه بمن كتب له كتاباً وعلقته عليه برمة من حبل فسمى ذا الرمة ويشهد بمذهبه فى العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى قال حدثنا ابن دريد قال أخبرنا أبو عثمان الاشناندانى عن

---

(١) ـ أهل العدل لقب المعتزلة لقبوا به أنفسهم لقولهم بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى وانه يعاقب المسيء على اساءته ويثيب المحسن على احسانه ولا بد وانما سموا المعتزلة لأن رئيسهم واصل بن عطاء كان يحضر حلقة الحسن البصري فسأله يوماً عن مرتكب الكبيرة هل يكون مؤمناً أو لا فقال انه مؤمن وأمره فى كبيرته مفوض الى ربه ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه فلم يعجب ذلك واصل فقعد الى سارية من سوارى المسجد يقرر ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وانه مخلد فى النار فقال الناس قد اعتزل واصل فقيل لمن وافقه على رأيه معتزلة

(٢) الذي فى غيره من كتب الأدب وانما قيل له ذا الرمة لقوله

لم يبق منها أبد الأبيد غيرُ ثلاثٍ ماثلاتٍ سودِ
وغير مشجوج القفا موتود فيه بقايا رمة التقليد

(٣) أي يفزع فى نومه

التوزى عن أبي عبيدة قال اختصم رؤبةُ وذو الرمة عند بلال بن أبي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر أفحوصاً ولا تقرمص سبع قرموصاً الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ما قدّر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك قال رؤبة أفبقدرته أكلها هذا كذب على الذئب ثانٍ فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح فى قوله بالعدل(١) واحتجاجه عليه وبصيرته فيه فأما ـ العيايل ـ فجمع عَيِّل وهو ذو العيال ـ والضرائك ـ جمع ضريك وهو الفقير • • وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي عن أبى العيناء عن الأصمعي عن اسحاق بن سويد قال أنشدنى ذو الرمة

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا ... فَعُولَانِ بِالأَلْبَابِ مَا تفعَلُ الخَمْرُ

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت وانما قلت وعينان فعولان فوصفتهما بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه • • أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني أحمد بن خالد النحاس قال حدثني محمد بن القاسم أبو العيناء قال حدثنى الأصمعي قال لما أنشد ذو الرمة قوله

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا ... فَعُولَيْنِ بِالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الخَمْرُ

وهو يريد كونا فكانتا فعولين حيث كانتا قال له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما(٢) فقل

---

(١) لأن المعتزلة يقولون ان الله لا يريد الشر وان ما يقع فى الكون من الشرور فانما يقع على خلاف ارادته وليس لقول ذى الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك معنًى الا ان هذا شر والشر لا يكون مراداً لله تعالى

(٢) ـ قلت عظيما ـ انما قال له ذلك لأنه لما نصب فعولين جعله معمولا لكانتا فاقتضى ان كون العينين فعولان بالألباب كما تفعل الخمر بأمر الله تعالى وهو شر لا يصلح أن تتعلق به ارادة الله تعالى على مذهب عمرو بن عبيد وكان عمرو بن عبيد هذا شيخ المعتزلة في عصره ولسانهم وكان آية فى الذكاء والحفظ وكان متقشفاً زاهداً

فعولان بالالباب فقال ذوالرمة ما أبالي قلت هذا أم سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال سبحان الله لو غنيت ماظننت كنت جاهلا •• وممن روي انه كان على مذهب أهل العدل من شعراء الطبقة الاولى أعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله

إستأثَرَ اللهُ بالوَفاءِ وَبالعَدْ لِ وَوَلَّى المَلامَةَ الرَّجُلا

وممن قيل انه على مذهب الجبر [١] من المشهورين أيضاً لبيد بن ربيعة العامري واستدل بقوله

إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَالعَجَلْ

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ البَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلْ

وان كان لاطريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك •• أما قوله وباذن الله ريثي والعجل فيحتمل ان يكون بعلمه كما يتأول عليه قوله تعالى ﴿وما هم بضارّين به من أحد الا باذن الله﴾ أي بعلمه وان قيل في هذه الآية أنه أراد بتخليته وتمكينه وان كان لاشاهد لذلك في اللغة أمكن مثله في قول لبيد ••وأما قوله من هداه اهتدى ومن شاء أضلّ فيحتمل ان يكون مصروفا الى بعض الوجوه التي يتأوّل عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه

[مسئلة] •• اعلم ان أصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله بقوله ﴿لا تدركه الأبصارُ وهوَ يُدرِكُ الأبصارَ وهُوَ اللَّطيفُ الخبيرُ﴾ وبينوا انه تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون

يضرب به المثل في ذلك فيقال أزهد من عمرو بن عبيد وفيه يقول القائل

كلكم طالبُ صيد غير عمرو بن عُبَيد

(١) يريد بالجبر مذهب أهل السنة وانما سموا مجبرة لأنهم لما جعلوا أفعال العبد مخلوقة لله تعالى وليس لقدرة العبد دخل في إيجاد أفعاله فقد جعلوا العبد مجبوراً على مايصدر عنه من الافعال وأما المعتزلة فقالوا ان أفعال العبد من قدرته فكان مختاراً عندهم

ثبوت الرؤية له في وقت من الاوقات نقص وذم •• قال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بانه لايرى وقد شاركه في نفي الرؤية ماليس بممدح كالمعدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم لم يتمدّح تعالى بنفي الرؤية فقط وانما تمدّح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدحه بمجموع الامرين وليس يشاركه فى هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات أصناف •• منها مالا يرى ولا يرى كالارادات والاعتقادات •• ومنها ما يُرى ولا يَرى كالألوان •• ومنها مايرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها ما يَري ولا يُري فثبت المدح لله تعالي بتضمن الآية •• فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان تكون صفة لاتقتضي المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن أن يتمدّح متمدح بأنه شئ عالم أو موجود قادر فاذا كان لامدحة فى وصف الذات بانها شئ وموجود وان انضمت الي صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لاتقتضى مدحا فكذلك لامدحة فى نفى الرؤية عما تثبت له من حيث كانت بانفرادها لاتقتضي مدحا. فأجاب أصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع فى الصفة ان تكون لاتقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم فان نفى السنة والنوم ههنا انما يكون مدحاً اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لايقتضى مدحاً لمشاركته ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالنفى والوجود وبين ماذكروا بالشئ من حيث لاتأثير لهاتين الصفتين فى المدح •• واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات ماتكاد تفتقر الي شرط في كونها مدحاً •• وصفات النفى اذا كانت مدحاً فلا بدّ فيها من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفى أعمّ من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات أشدّ اختصاصاً ألا تري ان ماليس بعالم من الذوات وليس بموجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون الا غير متناه والثانى لا بد أن يكون متناهياً فلما اشتملت صفات النفى الممدوح وغير الممدوح احتاجت الي شرط يخصها وأنت اذا اعتبرت سائر صفات النفى التي يتمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط ألا تري ان من ليس بجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حياً ذاكراً لانه قد يكون الحي لاعالماً ولاجاهلا لسهو يلحقه وذهول

يعتريه ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحاً اذا كان أيضاً موجوداً حياً ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحاً اذا كان قادراً على الظلم وله دواع اليه ولا بد فى الشرط الذي يحتاج اليه فى صفات النفى حتى يكون مدحاً من ان يكون أيضاً إثباتا أو جاريا مجري الاثبات ولا يكون نفياً لانه ان كان نفياً لم يتخصص وساوى فيه الممدوح ماليس بممدوح ٠ مثال ذلك أنا اذا مدحنا غيرنا بانه لايظلم وشرطنا فى هذه المدحة انه لم يدعه داع الي الظلم لم تحصل المدحة لانه قد يشاركه فى نفى الظلم ونفى الدواعي اليه ماليس بممدوح فلا بدّ من شرط يجرى مجرى الاثبات وهو ان نقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب دواعيه فاذا صحت هـذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة فى الآية انما تتعلق بنفى الادراك عن القديم تعالي لكن بشرط ان يكون مدركا ونجعل كل واحد من الصفتين تقتضى المدح مجتمعاً مع أن كل واحدة لاتقتضيه على سبيل الانفراد وليس بمنكران يقتضى الشئ غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى فاذا لم يوجد لم يحصل مقتضاه ونفى السنة والنوم والظلم عن الله تعالي انما كان مدحاً بشروط معروفة على نحو ماذكرناه وهذا التلخيص فى هذا الموضع أولى وأحسم للشبه مما تقدم ذكره

(مجلس آخر ٢)

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل فقال ما تقولون فى قوله تبارك وتعالى حكاية عن موسى ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ٠٠ وقال تعالى في موضع آخر ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ والثعبان الحية العظيمة الخلقة والجان الصغير من الحيّات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في حال واحدة بصفة ماعظم خلقه من الحيّات وبصفة ماصغر منها وبأي شئ تزيلون التناقض عن هذا الكلام (الجواب) أول مانقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التى أخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوّة وقبل مصير موسى الي فرعون والحال التي صار

العصا عليها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدلّ على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسئلة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب على هـذا السؤال إما لظنهم ان القصة واحدة أو لاعتقادهم ان العصا الواحدة لايجوز ان تنقلب في حالين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان أو على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ماظنّ لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه أحسن ماتكلف به الجواب لاجله لان الاولين لايكونان الا عن غلط أو عن غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة من تأويلها ٠٠ أحدهما انه تعالى انما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبّهها في الآية الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهـذا أبهر في باب الاعجاز وأبلـغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتـين ٠٠ وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات الثعبان واذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغـيره في بعض وجوهه فيشبّهون المرأة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم أن في الظباء والبقر من الصفات مالا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون آخر ٠٠ والجواب الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجان في الآية الاخرى الحية وانما أراد أحد الجن فكأنه تعالى أخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقـة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كأحـد الجنّ في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ويمكن ان يكون في الآية تأويل آخر اسـتخرجناه ان لم يزد على الوجهين الاوّلين لم ينقص عنهما والوجـه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذى تُوُهِّمَ زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حيـة صارت أولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان ولم تصر كذلك ضربة واحدة

فتتفق الآيتان على هذا التأويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الاولى تتضمن ذكر الثعبان اخباراً عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانيسة تتضمن ذكر الحال التي ولى موسى فيها هاربا وهى حال انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كانت بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان .. فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ماذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هى ثعبان مبين وهذا يقتضي أنها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل .. قلنا ليس تفيد الآية ماظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التى صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجرى هذا مجرى قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ مع تباعد مابين كونه نطفة وكونه خصيماً مبيناً وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من أعلا الحائط فاذا هو في الأرض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زماناً وانه لم يصل اليها الا علي تدريج وكذلك الهابط من الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد

[آية أخرى] .. قال الله تعالى ﴿ وإذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُم وأَشْهَدَهُم على أنفسهمْ ألستُ بِرَبِّكُمْ قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يومَ القيامةِ انَّا كُنَّا عَنْ هذا غافلين أوْ تقولوا إنما أشْرَكَ آباؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .. وقدظن [1] بعض من لا بصيرة له ولافطنة عنده ان

(١) اعلم ان للمفسرين فى هذه الآية قولين أحدهما ان ذلك الاخراج والاشهاد حقيقة واليه ذهب كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس قالوا ان الله استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم علي بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به واحتجوا لذلك بأحاديث كثيرة وردت من طرق متعددة يقوى بعضها بعضاً منها ماروى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال صلي الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالي خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته الحديث وروى علي عن ابن عباس في قوله تعالي واذ أخذ ربك الآية قال

تأويل هذه الآية ان الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر فقررهم بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع ان العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأن الله تعالى قال واذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم

ان الله تعالي خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله ربنا ثم أعادهم فى صلبه حتي يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم الى يوم القيامة أما المعتزلة وأصحاب المعقولات من المفسرين فانهم جعلوا ذلك على سبيل التمثيل وقالوا انه تعالى أخرج الاولاد وهم الذرية من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى أرحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشراً سويا وخلقا كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فى عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته فكأنه قررهم وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا واعترفنا بوحدانيتك قالوا وباب التمثيل واسع فى كلام الله ورسوله وكلام العرب وفى القرآن الكريم (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين •• وقال الشاعر

امتلأ الحوض وقال قطني ... مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وطعنوا فيما ذهب اليه الفريق الأول بما بسطه المؤلف هنا وكل ما طعنوا به يمكن الجواب عنه •• أما قولهم ان المذكور في القرآن ان الله أخذ من بني آدم من ظهورهم لا من آدم ولا من ظهره وما روى أصحاب القول الأول يدل على انه أخذ من آدم كما فى الرواية التي سبق نقلها •• فالجواب عنه ان الله انما أخرج من صلب كل رجل ذريته الا انهم لما كانوا جميعاً من صلب آدم صح أن يقال انه أخذهم من صلب آدم ومثل هذا الاستعمال سائغ لا مجال للطعن فيه •• وأما قولهم انهم حين أخرجوا فان كانوا عقلاء مستوفين لشرائط التكليف لزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم وان لم يكونوا عقلاء لم يكن للاشهاد معنى •• فالجواب عنه أن نختار انهم كانوا عقلاء ولا يلزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم الآن فان النفس انما تذكر حين ملابستها للبدن ما كان وقع لها حين ملابسته

ولم يقل من ظهره وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشؤا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضى ان الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه وانها تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويله فأما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من أن تكون من ظهر آدم فخوطبت وقررت أن تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف أو لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف فان كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لأن العاقل لا ينسي ما يجري هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسي مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر أحواله وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير لأنه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون

فأما ما وقع لها عند تجردها عن البدن والانقطاع عنه فلا تذكره ومثل هذا يقع لأصحاب الرياضات فقد يتفق لبعضهم وقت تجرد فيه نفوسهم عن أبدانهم ويصدر عنهم حينئذ من الاقوال والافعال شيء كثير فاذا عادت نفوسهم اليهم لم يذكروا شيئاً مما كان منهم ولهذا أسباب ليس هذا محل بسطها انما الغرض أن نبين ان النفس انما تذكر عند ملابسة البدن ما يقع لها في مثل ذلك الحال واذا جاز أن تفارق النفس البدن زمناً طفيفاً ثم لا تذكر عند العود الي البدن ما كان منها عند المفارقة فكيف لها أن تذكر ما كان لها قبل أن يخلق البدن بآلاف من السنين .. هذا أقوى ما احتجوا به على ابطال قول الفريق الاول .. ثم اعلم بعد هذا ان ماذهب اليه الفريق الثانى لا يبطل قول الفريق الأول ولا هو مستنكر فى ذاته والتمثيل غير منكر في كلام أي كلام كان من كلام الخالق أو البشر وكما أمكن حمل الآية على التمثيل يمكن حمل الاحاديث فانها غير صريحة فى ان الاخراج حقيقة وانما دعواهم ان المعنى الحقيقي غير ممكن ارادته ودعوى ان ذلك باطل شرعا وعقلا مما ننكره ونأباه وليس فيه الا تغليب الرأى والوهم على ظاهر الكتاب والسنة كما هي عادة المتكلمين

والاغماء من أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم لأن سائر ما عددناه مما ينفى العلوم يجرى مجرى الموت في هذا وليس لهم أن يقولوا اذا جاز فى العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه فى حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقول ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية وذلك أن الله تعالى أخبرنا بأنه انما قررهم وأشهدهم لئلا يدّعوا يوم القيامة الغفلة وسقوط الحجة عنهم فيه فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة وزوالها وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم وصار ذلك عبثاً قبيحاً * فان قيل قد أبطلتم قول مخالفيكم فما تأويلها الصحيح عندكم * قلنا فى الآية وجهان . أحدهما أن يكون تعالى انما عنى بها جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلغهم وأكمل عقولهم وقررهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته فأقروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وانما أتى من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن عاقلا كاملا وليس الأمر كما ظن لأنه سمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم وان دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال تعالى ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وذرّيّاتهم ﴾ ولفظ الصالح لا يطلق الا على من كان كاملا عاقلا فان استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم . والجواب الثاني انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل فى أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا فى مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذى أراده الله تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى

(شاهدين على أنفسهم بالكفر) ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنهم وانما ذلك لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك .. وما روى عن بعض الحكماء من قوله سل الارض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حِوَاراً أجابتك اعتباراً وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة فى النظم والنثر يغني عن ذكر جميعها القدر الذى ذكرناه منها

(تأويل خبر) .. قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال أراد يستغن به واحتج بقولهم تغنيت تغنياً وتغانيت تغانياً وأنشد بيت الأعشى

وَكُنتُ امرَأً زَمَنًا بِالعِرَاقِ عفِيفَ المُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنْ

.. وقول الآخر

كِلاَنَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنَحْنُ اذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

واحتج أيضاً بقول ابن مسعود من قرأ سورة آل عمران فهو غني أى مستغن وبالحديث الآخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها فى آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث آخر روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن ان أحداً أُعطي أفضل مما أعطى لانه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل من ملكه . واحتج أيضاً بخبر رفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد بيته فاذا مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن .. قال أبو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدل على ان التغني بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال ـ والمثال ـ هو الفراش قال الشاعر

بِكُلِّ طُوَالِ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يَرَى بِسُرَى اللَّيْلِ المِثَالَ المُمَهَّدَا

يعنى الفراش .. قال أبو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقرآن ليس منه عليه الصلاة والسلام .. وذكر عن غير أبى عبيد جواب آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام أراد من لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرجع فيه واحتج

صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال أتيت سعداً وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من أنت فأخبرته فقال مرحباً بابن أخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منا فقوله فابكوا أو تباكوا دليل على ان التغنى هو الترجيع والتحنين ٠٠ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يأذن الله لشئ من أهل الارض الالأصوات المؤذنين والصوت الحسن فى القرآن ومعنى قوله يأذن يستمع له يقال أذنت للشئ آذن أذنا اذا استمعت له ٠٠ قال الشاعر

صُمٌّ اذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ ... وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

٠٠ وقال عدي بن زيد العبادي

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ ... إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ

والاذن هو السماع وانما حسّن تكرير المعنى اختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله

* وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ *

فأما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات ثلاث دد على مثال دم ودداً على مثال فتى وددن على مثال حزن ٠٠ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا من دد ولا الدد منّيه * فان قيل كيف يحمل لا يأذن الله لشئ كاذنه لكذا وكذا على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل شئ مسموع فأى معنى للاختصاص * قلنا ليس المراد ههنا بالاستماع مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكأنه عليه الصلاة والسلام قال ان الله لا يتقبل أو يثيب على شئ من أهل الأرض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا أسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه وانما يريد نفى القبول لا الادراك والبيت الذى أنشدناه يشهد بذلك لانه قال * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا * ونحن لعلم انهم يستمعون الذكر بالخير والشر معاً من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه ٠ وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الانبارى وجهاً ثالثاً فى الخبر قال أراد عليه الصلاة والسلام من لم يتلذذ بالقرآن ويستحله ويستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به

وسمى ذلك تغنياً من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغنى بالغناء وذكر ان ذلك نظير قولهم العمائم تيجان العرب والحباء حيطان العرب والشمس حمامات العرب .. وأنشد بيت النابغة

بُكَاء حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً   مُفَجَّعَةٍ عَلَى فَنَنٍ تُغَنِّى (١)

فشبه صوتها لما أطرب اطراب الغناء بالغناء وجعلوا العمائم لما قامت مقام التيجان تيجاناً وكذلك القول فى الحباء والشمس . وجواب أبي عبيد أحسن الأجوبة وأسلمها وجواب أبي بكر أبعدها لأن التلذذ لا يكون الا فى المشتهيات * وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهم معانيه من الأفعال الشاقة فكيف يكون ملذاً مشتهىً . فان عاد الى أن يقول قد تستحلى التلاوة من الصوت الحزين * قلنا هذا رجوع الى الجواب الثانى الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما يخالفه ويمكن أن يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام من لم يتغنّ من غَنِيَ الرجل بالمكان اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كأن لم تغن بالأمس وكأن لم يغنوا فيها أي لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر الايادى

وَلَقَدْ غَنَوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ   فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ (٢)

(١) الهديل ــ ذكر الحمام وقيل انه طائر كان على عهد نوح عليه السلام صاده جارح من الطير فما من حمامة الا وهي تبكي عليه الى اليوم وهذا من خرافات العرب فى الزمن الأول وقد ضمن بعض شعراء الاسلام أشعارهم هذه الحكاية كقول أبي العلاء يرثى رجلا

يا بنات الهديل أسعدن أوعد ... ن قليل العزاء بالاسعاد
إيه لله دركن فأنتن ... اللواتي تحسن حفظ الوداد
ما نسيتن هالكا في الأوان الـ ... ـخال أودي من قبل هلك إياد

والمقصود حكاية المشهور لا أنهم يعتقدون ذلك ــ والمفجعة ــ المؤلمة بفقد ما يعز عليها ــ والفنن ــ الغصن وجمعه أفنان

(٢) هو له من أبيات يشكو بها من موت لداته وتأخر وفاته أولها

وبيت الاعشى الذى أنشده أبو عبيد

وَكُنْتُ امرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ ... عَفِيفَ الْمُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنْ

بطول المقام أشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك فكان الاعشى أراد انني كنت ملازماً لوطنى مقيماً بين أهلي لا أسافر للانتجاع والطلب ويجرى قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الانصاري

أَوْلَادُ جفْنَةَ حوْلَ قبْرِ أَبِيهِمْ ... قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الجوَادِ المُفْضِلِ

أراد بقوله حول قبر أبيهم انهم ملوك لاينتجعون ولا يفارقون محالهم وأوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن فلا يتجاوزه الى غيره ولا يتعداه الى سواه ويتخذه مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا* فان قيل أليس يتعدى القرآن الى السنة والاجماع وسائر أدلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديه* قلنا ليس فى ذلك تعد للقرآن لان القرآن دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من أدلة الشرع فمن اعتمد بعضها فى شئ من الاحكام لا يكون متجاوزاً للقرآن وأما قوله عليه الصلاة والسلام ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على أخلاقنا واستشهد ببيت النابغة

اذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا ... فَإِنِي لسْتُ منكَ وَلَسْتَ مِنّي

ومن الحوادث لا أبا لك انني ... ضُربتْ عليَّ الأرض بالاسداد

لا أهتـدي فيها لموضع تلعة ... بين العذيب وبين أرض مراد

كان كف فى آخر عمره فهو يقول ذلك

ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد اياد

أهل الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذي الشرفات من سنداد

نزلوا بأنقرة يسيل عليهـم ... ماء الفرات يجيء من أطواد

أرض تخيرها لطيب مقيلهـا ... كعب بن مامة وابن أم دؤاد

جرت الرياح على محل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد

فأرى النعيم وكل ما يلهي به ... يوماً يصير الى بلى ونفـاد

•• وقيل انه أراد ليس منا أى على ديننا وهذا الوجه لايليق الا بجوابنا وهو بعده بجواب أبي عبيد أليق لانه محال ان يخرج عن دين النبي وملته من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع فيه أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحيلها

[مسئلة] •• إعلم ان أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ماظنه أصحاب الرؤية فى قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) على وجوه معروفة لأنهم بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أحد محتملاته ودلوا على ان النظر ينقسم الى أقسام كثيرة •• منها تقليب الحدقة الصحيحة فى جهة المرئي طلباً لرؤيته •• ومنها النظر الذي هو الانتظار •• ومنها النظر الذى هو التعطف والمرحمه •• ومنها النظر الذى هو الفكر والتأمل وقالوا اذاً لم يكن فى أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق واحتجنا جميعا الى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية وتأولها بعضهم على الانتظار للثواب وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئى فى الحقيقة وهذا كلام مشروح في مواضعه وقد بينا مايرد عليه ومايجاب به عن الشبهة المعترضة فى مواضع كثيرة •• وههنا وجه غريب فى الآية حكى عن بعض المتأخرين لايفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر أوالى تقدير محذوف ولايحتاج الي منازعتهم فى أن النظر يحتمل الرؤية أولا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها الى انه أراد نعمة ربها لان الآلاء النعم وفي واحدها أربع لغات ألاً مثل قفاً وألى مثل رمي وإلى مثل معي وإلي مثل حني قال أعشى بكر بن وائل

أَبْيَضُ لاَيَرْهَبُ الهُزَالَ وَلاَ ... يَقْطَعُ رُحْماً وَلاَ يَخُونُ إِلي

أراد أنه لايخون نعمة وأراد تعالى الى ربها فأسقط التنوين للاضافة * فان قيل فأي فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على انه أراد به الى ثواب ربها ناظرة بمعنى رائية لنعمه وثوابه * قلنا ذلك الوجه يفتقر الي محذوف لانه اذا جعل الي حرفا

ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقــدير محذوف وفى الجواب الذى ذكرناه لايفتقر الى تقدير محــذوف لان الى فيه اسم يتعلق به الرؤية ولايحتاج الى تقدير غيره [1] والله أعلم بالصواب

اعلم أن مما وقع فيــه الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة رؤية البارى جلّ شأنه في الآخرة فأثبت الأولون جواز ذلك ووقوعه ونفى المعتزلة الأمرين واعتلوا لما ذهبوا اليه من عدم جواز رؤيته تعالى بأن الرؤية تعتمد كون المرئي فى جهة وكونه مقابلا للرائى وكونه غير مفرط البعد عنه ولا مفرط القرب منه فان اختل شرط من ذلك لم يمكن وقوع الرؤية . قالوا وكل هذه الشروط لايمكن اعتبارها فى حقه سبحانه وتعالى فلا تكون رؤيته جائزة لأن مايتوقف على محال فوجوده محال: وبناء على القاعدة المعروفة بين المتكلمين من ان النقــل اذا عارضه العقل وجب تأويله حتى يوافق العقل عمدوا الى تأويل النصوص القرآنية المصرحة بوقوع رؤيته تعالى لجماعة من المؤمنين فى الآخرة لئلا تصادم العقل فتأولوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بما ذكره المصنف وتأولوا قوله تعالى لموسى (لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه فسوف ترانى) بأنه علق الرؤية على استقرار الجبل حين تحركه واستقرار الجبل حين تحركه محال فما علق عليه كذلك والحق الذي يجب المصير اليه أن رؤية الباري جل شأنه جائزة والآيات القرآنية التي وردت بوقوعها في الآخرة ان كان فيها بعض اجمال يسوّغ التأويل فقد ورد فى الأحاديث الصحيحة الصريحة مالا يمكن الطعن فيه ولا صرفه عن ظاهره ومن ذلك الحديث الذي رواه أحمد وعشرون صحابياً ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فكان هذا بياناً لمجمل الآيات ثم ان كون الرؤية مشروطة بما تقــدم من الشروط فانما ذاك فى رؤية الحوادث وكون ذلك مشروطاً فى رؤيته تعالى غير معلوم وقياس الغائب على الشاهد مع اختلاف ما بينهما غير جائز والوقوف عند ظواهر الشريعة واجب ما أمكن والتسرع في التأويل لمجرد التوهم غير حميد والله الهادي

مجلس آخر ٤

[تأويل آية] .. ان قال قائل ماتأويل قوله تعالى (وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ على الذينَ لايَعْقِلُونَ) فظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان انما كان لهم فعله باذنه وأمره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن هنا على الارادة اقتضى أن من لم يقع منه الايمان لم يرده الله منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم ثم جعل الرجس الذى هو العـذاب على الذين لايعـقلون ومن كان فاقداً عقله لايكون مكلفاً فكيف يستحق العذاب وهو بالضـد من الخبر المروي عن النبي صـلى الله عليه وسلم انه قال أكثر أهل الجنة البله .. الجواب يقال له فى قوله تعالى الا باذن الله وجوه .. منها ان يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لايقع إلا بعد ان يأذن الله فيه ويأمر به ولا يكون معناه ماظنه السائل من انه لايكون للفاعل فعله الا باذنه ويجري هذا مجرى قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ومعلوم ان معني قوله ليس لها في هذه الآية هو ماذكرناه وان كان الاشبه في هذه الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالاذن العلم .. ومنها أن يكون الاذن هو التوفيق والتيسـير والتسهيل ولا شبهة في ان الله يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل اليه .. ومنها أن يكون الاذن العلم من قولهم أذنت لكذا وكذا اذا سمعته وعلمته وأذنت فلانا بكذا اذا أعلمته فتكون فائدة الآية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات فانه ممن لايخفى عليه الخفيات .. وقد أنكر بعض من لابصيرة له أن يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن العلم وزعم ان الذى هو العلم الاذَنُ بالتحريك واستشهد بقول الشاعر

* إِنَّ هَمِّي في سَمَاعٍ وَأَذَنْ *

وليس الامر على ماتوهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصـدر والاذن هو اسم الفعل فيجري مجرى الحذر والحذر في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مَثَلٍ ومِثْلٍ وشَبَهٍ وشِبْهٍ ونظائر ذلك كثيرة .. ومنها أن يكون الاذن العلم ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعو

الى فعله ويكون معنى الاية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله لها بمايبعثها على الايمان وما يدعوها الي فعله ٠٠ فاما ظن السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لايحتمل الارادة في اللغــة ولو احتملها أيضاً لم يجب ماتوهمــه لانه اذا قال ان الايمان لايقع إلا وأنا مريد له لم ينتف أن يكون مريداً لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا دلالته شيء من ذلك ٠٠ وأما قوله تعالي ويجعل الرجس علي الذين لايعقلون فلم يعن بذلك الناقصي العقول وانما أراد الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ماوجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم والاعتراف بنبوة رســله والانقياد الى طاعتهم ووصفهم تعالى بانهــم لايعقلون تشبيها كما قال تعالى صم بكم عمي وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الامور أو لم يعلم ماهو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل ٠٠ فاما الحديث الذى أورده السائل شاهداً له فقد قيل انه عليه السلام لم يرد بالبله ذوى الغفلة والنقص والجنون وانما أراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلهاً عن ذلك من حيث لايستعملونه ولا يعتادونه لامن حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشيء هو الذى لايعرض له ولا يقصد اليه فاذا كان المتنزه عن الشر معرضاً عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر

وَلَقَدْ لَهَوْتُ بِطِفْلَةٍ مَيَّالَةٍ بلهاءَ تُطْلِعُنِي علي أَسْرَارِهَا

أراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كانت فطنة لغيرها ٠٠ وقال أبو النجم العجلي

مِنْ كُلِّ عَجْزَاءَ سقوطِ البرْقُعِ بَلْهاءَ لَمْ تَحْفَظْ وَلَمْ تُضَيِّعِ

أراد بالبلهاء ماذكرناه ٠٠ فأما قوله سقوط البرقع فاراد انها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنه وادلالاً بجماله وقوله لم تحفظ أراد ان استقامة طرائقها تغــني عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة الى مسدّد وموقف وقوله لم تضيع أراد انها لم تهمل في أغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتشقى ومثل قوله سقوط البرقع ٠٠ قول الشاعر

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلَتْ وُجُوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا

٠٠ ومثله أيضاً

بِهَا شَرَقٌ مِنْ زَعفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ ... أَطَارَتْ مِنَ الحُسْنِ الرِّدَاءَ المُحَبَّرَا

أي رمت بها عنها ثقة بالجمال والكمال ٠٠ ومثله وهو مليح

لَهَوْنَا بِمَنْجُولِ البَرَاقِعِ حِقْبَةً ... فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزَّنَا بِالوَصَاوِصِ

أراد بمنجول البراقع اللائى يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء والعين النجلاء ثم قال ما بال دهر أحوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص هي النقب الصغار للبراقع ٠٠ ومما يشهد للمعنى الاول الذى هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة

بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ اذَا عَرَضُوا لَهُ ... بِبَعْضِ الأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيفَ يُجِيبُ

ويروى بنفسى وأهلي

وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ البَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ ... بِهِ سَكْتَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ

٠٠ ومثله

أُحِبُّ اللَّوَاتي في صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ ... وَفِيهِنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحُ

مُسِرَّاتُ حُبٍّ مُظْهِرَاتُ عَدَاوَةً ... تَرَاهُنَّ كَالمَرْضَى وَهُنَّ صِحَاحُ

٠٠ ومثله

يَكْتَبِينَ اليَنْجُوجَ في كُبَدِ المَشْـ ... ـتي وَبُلْهٌ أَحْلَامُهُنَّ وِسَامُ

٠٠أما قوله ـ يكتبين ـ فمأخوذ من لفظ الكبا وهو العود أراد يتبخرن به والينجوج هو العود وفيه ست لغات ٠ يَنجوج ٠ وأَنجوج ٠ ويلنجوج ٠ وأَلنجوج ٠ وبلنجج ٠ وأَلنجج ٠٠ فاما كبد المشتى فهو ضيقه وشدته ٠٠ ومنه قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ في كَبَدٍ ﴾ وقد روى فى كبّة المشتى والمعنى متقارب لان الكبّة هي الصدمة مأخوذ من كبة الخيل وأما الوسام فهي الحسان من الوسامة وهي الحسن ٠٠ ويمكن ان يكون فى البله جواب آخر وهو ان يحمل على معني البله الذى هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معني

الخبر ان أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلها فى الدنيا فعندنا ان الله ينعّم الاطفال فى الجنة والمجانين والبهائم وانما لم نجعلهم بلهاً فى الجنة وان كان مايصل اليهم من النعيم على سبيل العوض أو التفضل لايفتقر الى كمال العقل لان الخبر وردبأن الاطفال والبهائم اذا دخلوا الجنة لم يدخلوها الا وهم على أفضل الحالات وأكملها ولهذا صرفنا البله عنهم في الجنة ورددناه الي أحوال الدنيا والا فالعقل لايمنع من ذلك كمنعه إياه فى باب الثواب والعقاب

[تأويل آية أخرى] •• قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة ﴿ ذٰلكَ يومٌ مجموعٌ لَهُ النّاسُ وذلكَ يومٌ مَشْهُودٌ وَما نُؤَخّرُهُ الا لأَجَلٍ معدُودٍ يومَ يأتى لاتكلّمُ نفسٌ إلا باذْنه ﴾ *وقال في موضع آخر ﴿هَذَا يومُ لايَنْطِقُونَ ولايُؤْذَنُ لهمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ *وفى موضع آخر ﴿وأقبل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلون﴾ وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف لان بعضها ينبيءُ عن أن النطق لايقع منهم فى ذلك اليوم ولايؤذن لهم فيه و بعضها ينبيءُ عن خلافه •• وقد قال قوم من المفسرين فى تأويل هذه الآيات إن يوم القيامة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان يمنع النطق فى بعضه ويؤذن لهم فى بعض آخر وهذا الجواب يضعّف لان الاشارة الى يوم القيامة بطوله فكيف تجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب ان يكون قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك[1] •• والجواب السديد عن هذا أن يقال انما أراد الله تعالي نفى النطق المسموع المقبول الذى ينتفعون به ويكون

---

(١) اعلم ان اليوم فى لغة العرب قد يستعمل مراداً به بياض النهار من حين طلوع الشمس الى غروبها وذلك اذا أضيف الي فعل له امتداد كقولك صمت يوماً فان الصوم وهو الامساك ممتد فيراد باليوم بياض النهار وقد يراد به مطلق الوقت أي ساعة كان من ليل أونهار كما تقول جئتك يوم السبت وزرتك يوم قدم زيد فهاهنا المراد باليوم مطلق الوقت ولا يصح ارادة المعنى الأول وفي الآية المضاف الى اليوم النطق منفياً وهو فعل غير ممتد فيكون المراد باليوم مطلق الوقت قل أو كثر فلا تكون هذه الآية منافية لما حكى الله عنهم من قولهم ﴿ ربنا أمتنا اثنين وأحييتنا اثنين ﴾ وقولهم ﴿ ربنا أخرجنا منها ﴾ الى غير ذلك مما أخبر الله عنهم من قولهم وهذا الجواب لا يحتاج الى تكلف تقدير لا ينطقون في بعضه حتى يكون خلاف الظاهر كما توهم المصنف

لهم في مثله عذر أو حجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله ويجرى هـذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئاً وان كان الذى وصف بالخرس عن الحجة والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير الا انه من حيث لم يكن فيـه حجة ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذى حكيناه عليـه ومثل هذا قول الشاعر

أَعْمى إِذَا ما جَارَتي خَرَجتْ　　حتَّى يُوَارِى جَارَتي الخِدْرُ
وَيَصَمُّ عَمَّـا كَانَ بَيْنَهُـمَا　　سَمْعِي وَما بِي غَـيْرُهُ وَقْـرُ

•• وقال الآخر

لَقَدْ طَالَ كِتْمَانِيكَ حَتَّى كَأَنَّني　　بِرَدِّ جَوَابِ السَّائِلِي عَنْكَ أَعْجَمُ

وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف لان التساؤل والتلاؤم لاحجة فيه •• وأما قوله تعالى ولا يُؤْذَنُ لهم فيعتذرُونَ فقد قيل [١] انهم غير مأمورين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويجاب بحمل الاذن على الامر وانما لم يؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لاتكليف فيها والعباد ملجؤن عند مشاهدة أحوالهم الى الاعتراف والاقرار •• وأحسن من هذا التأويل ان يحمل يؤذن على معنى انه لايستمع لهم ولا يقبل عذرهم والعـلة فى امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها

[تأويل خبر] •• روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتسبوا الدهر فان الدهر هو

---

(١) هذا الاستشكال ساقط لا محل له ومنشأ توهم المتوهم انه ظن لرفع يعتذرون المقرون بالفاء مع كونه بعد النفى انه منقطع عما قبله وان المعنى وهم يعتذرون ولم يؤذن لهم بالاعتذار وليس كما توهم وانما هو مرتبط بما قبله والمعنى ولا يؤذن لهم بالاعتذار مما كان منهم حتى يعتذروا وهو عطف على يؤذن وانما رفع لأنه رأس آية فرق بينه و بين ماقبله من رؤس الآى والرفع والنصب جائزان فى مثل هـذا كما فى قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) قرئ بالرفع والنصب جميعاً

الله •• وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر ان المراد به لاتسبوا الدهر فانه لافعل له وان الله مصرّفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرّف والمدبر وقال هو الدهر •• وفى هذا الخبر وجه آخر هو أحسن من ذلك الذي ذكرناه وهو ان الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ماينزل بهم من أفعال الله كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلّت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه فى كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لاتسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون أنه الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لها •• وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر أفعال الله وقد حكى الله سبحانه عنهم قولهم ماهي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر •• وقال لبيد

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ... نَظَرَ الدَّهْرُ الَيْهِمْ فَابْتَهَلْ

أى دعا عليهم •• وقال عمرو بن قميئة

كأَنِى وَقَدْ جَاوَزْتُ تسعينَ حَجَّةً ... خَلَعْتُ بها عنّي عِذَارَ لجَامي

عَلَى الرَّاحتَين مرَّةً وَعلَى العَصَا ... أَنُوءُ ثلاثًا بعدَهُنَّ قيَامى

رَمَتْني بنَاتُ الدَّهْرِ من حيثُ لا أَرَى ... فَكَيفَ بمَنْ يُرْمى وَلَيْسَ برَامى

فَلوْ أَنَّها نبلٌ إِذًا لاتقيْتها ... وَلكنني أُرْمى بغَيْرِ سِهامِ

إِذَا مارَآني النَّاسُ قَالُوا أَلم تَكُنْ ... جليدًا حديدَ الطَّرْفِ غيرَ كَهَامِ

وَأَفنى وَما أُفني منَ الدَّهْرِ لَيْلَةً ... وَلَمْ يغْنِ ما أَفْنيتُ سِلكَ نِظَامِ

وَيُهْلِكُني تأْميلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... وَتأْميلُ عامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ

•• وقال الأصمعي ذم أعرابى رجلا فقال هو أكثر ذنوبا من الدهر وأنشد الفراء

حَنَتْني حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حتّي ... كأَني خَاتِلٌ أَدْنو لِصَيْدِ

قَصيرُ الخَطوِ يَحسبُ مَن رَآنى ... وَلَستُ مُقيَّدًا أَني بِقيدِ

•• وقال كثير

وَكُنتُ كَذِي رِجلَينِ رِجلٍ صَحِيحَةٍ ... وَرِجلٍ رَمي فيها الزَّمَّانُ فَشَلَّتِ

•• وقال آخر

فاستأثرَ الدَّهرُ الغداةَ بِهِم ... وَالدَّهرُ يَرميني وَمَا أَرمي

يَادَهرُ قدْ أَكثرتَ فَجعَتَنَا ... بِسَرَاتنا وَوَقَرتَ في العَظمِ

قوله ــ وقرت فى العظم ــ أراد به اتخذت فيه وقراً أو وقيرة والوقر هى الحفيرة العظيمة تكون فى الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب أيضاً كذلك والوقيرة أيضاً الحفيرة إلا أنهادون الاوليين فى الكبر وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم لسبوا أفعال الله التى لايشاركه فيها غيره الى الدهر فحسن وجه التأويل الذي ذكرناه

[مسئلة] •• إعلم ان المنافع التى عرض الله تعالي الاحياء لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب •• فاما المنفعة على سبيل التفضّل فهى الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها أن يفعلها وله أن لايفعلها •• وأما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها •• وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل •• فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكأن التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ماعداه لانه لاسبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حياً له شهوة والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح أنه لاسبيل الي النفع بمنفعة العوض والثواب إلا بعد تقدم التفضل •• فاما المنفعة بالثواب فهي الاصل للمنفعة بالعوض لان الآلام وما جرى مجرى الآلام مما يستحق به العوض متي لم يكن فيها اعتبار يفضى الي الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العبث ولهذا نقول ان الله تبارك وتعالى لو لم يكلف أحداً من المكلفين ما كان يحسن منه أن يبتدئ بالآلام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلاث •• ومنهم

من عرض لاثنين ومنهم من عرّض لواحدة والمكلف المعرض للثواب لابد أن يكون منفوعا بالتفضل من الوجه الذى قلناه لانه اذا خلق حيًّا وجعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منفوعا بالعوض لانه لايمتنع أن يخلو المكلف منا من ألم يبتدؤه الله به فلا يكون معرّضاً للعوض فمتى عرّض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا على تعريضه لاثنين من المنافع ومجوزاً تكامل الثلاث له ٠٠ فاما من ليس بمكلف فمقطوع فى تعريضه على إحدى المنافع وهى التفضل من حيث خلق حياً ومكن من كثير من المنافع ومشكوك فى تعريضه للعوض من الوجه الذى بينا وكما قطعنا على أحد المنافع فيه فنحن قاطعون أيضاً على نفى التعريض للثواب عنه لفقد مايوصل اليه وهو التكليف ولا بد فى كل حيّ محدث أن يكون معرّضاً لاحدى هذه المنافع أو لجميعها وإنما أوجبنا ذلك من جهة حكمة القديم تعالى لامن جهة أنه يستحيل فى نفسه وانما قلنا ليس بمستحيل لان كونه حياً وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضاً للنفع فاما اذا فعل تعريضاً للضرر أو لوجه من الوجوه فانه لايكون منفعة ولا نعمة وأوجبناه من جهة حكمة القديم لانه اذا جعل الحيّ بهذه الصفات فلا يخلو من أن يكون أراد بها نفعه أوضره أو لم يرد بها شيئاً فان كان الاول فهو الذي أوجبناه وان كان الثانى أو الثالث فالقديم تعالى منزه عنهما لان الثانى يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه وقد يشارك القديم تعالى فى النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح ان يشاركوه فى النفع بالثواب لان الصفة التى يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي كون الفعل شاقا عليه لايكون إلا من قبله تعالي وليس لاحد أن يظن فيمن يهدي الى الدين والرشاد الى الايمان وما يستحق به الثواب أنه معرض للثواب وذلك أن المكلف قد يكون معرّضاً للثواب ويصح أن يستحقه من دون كل هداية وإرشاد يقع منا ولولا الصفة التى جعله الله عليها لم يصح ان يستحقه فبان الفضل بين الامرين على ان أحدنا وإن نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله تعالى ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعماً ألا ترى

أنه لو لم يخلق الحياة والشهوة لم يكن مايوصل اليهما مما ذكرنا منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملذوذ لم يكن سبيل لنا الى النفع والانعام فبان بهذه الجملة ماقصدناه

مجلس آخر ٥

[إن سأل سائل] .. فقال ماتأويل قوله تعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتوريثهم لعمهم (كذلكَ وأوْرَثناها قوماً آخرينَ فما بكَتْ عليهمُ السماء والأرضُ وماكانوا مُنظَرين) وكيف يجوز أن ينفي البكاء عنهما وهو لا يجوز فى الحقيقة عليهما .. والجواب يقال له فى هذه الآية وجوه أربعة من التأويل .. أوّلها انه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف فى قوله واسئل القرية وفى قوله حتى تضع الحرب أوزارها أراد أهل القرية وأصحاب الحرب ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم يريد السخاء سخاء حاتم .. وقال الحطيئة

وَشَرُّ المَنَايا ميِّتٌ وَسطَ أهلِهِ ... كَهُلْكِ الفتَى قدْ أسلَمَ الحيَّ حاضِرُهْ

أراد شر المنايا منية ميت .. وقال الآخر

قَليلٌ عَيبُهُ وَالعَيبُ جَمٌّ ... وَلـكنَّ الغنَى رَبٌّ غفُورُ

أراد غنى رب غفور .. وقال ذو الرمة

هُمُ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أذِلَّةٌ ... سَوَاسِيَةٌ أحْرَارُهَا وَعَبيدُهَا

أراد أهل مجلس .. وأما قولهـ صهب السبال ـ فانما أراد به الاعداء والعربُ تصف الاعداء بذلك وان لم يكونوا صهب الأسبلة .. وقوله ـ سواسية ـ يريد انهم مستوون مشتبهون ولا يقال هذا الا في الذم .. وثانيها انه أراد تعالى المبالغة فى وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لأن العرب اذا أخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت كسفت الشمس لفقده وأظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة في عظم الأمر وشمول ضرره .. قال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز

الشَّمْسُ طَالعَةٌ لَيْستْ بكَاسفةٍ   تبْكي عليكَ نُجُومَ اللَّيلِ وَالقمرَا

•• وقال يزيد بن مفرّغ الحميرى

الرّيحُ تبْكي شجوَهَا   وَالبَرْقُ يَلمعُ في الغَمَامَهْ

•• وهذا صليعهم في وصف كل امرئ جلّ خطبه وعظم موقعه فيصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهاراً لفقد الشمس وضوئها •• قال النابغة

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالعَةٌ   لاَ النُّورُ نُورٌ وَلاَ الإِظْلاَمُ إِظْلاَمُ

•• وقال طرفة

ان تُنَوِّلْهُ فَقَدْ تَمْنَعُهُ   وَتُرِيهِ النجمَ يجْرِي بالظُّهُرْ

•• ومن هذا قولهم لأرينك الكواكب بالنهار ومعناه أوردعليك مايظلم لهفى عينك النهار فتظنه ليلا ذا كواكب •• وأما بيت جرير فقد قيل فى انتصاب القمر والنجوم وجوه ثلاثة •• أحدها انه أرادالشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن عظم الرزء قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب •• والوجه الثانى أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب فى قولهم لا أكلمك الأبد والدهر وطوال المدد وماجري مجرى ذلك فكأنه أخبر بان الشمس تبكيه ماطلعت النجوم وظهر القمر •• والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثى فبكتهن أى غلبتهن بالبكاء كما يقال باكانى عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته أي غلبته وفضلت عليه •• وثالثها أن يكون معنى الآية الاخبار عن انه لا أحد أخذ بثارهم ولا انتصر لهم لأن العرب كانت لا تبكى على قتيل الا بعد الأخذ بثاره وقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل فكني تعالي بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والأخذ بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن •• ورابعها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم فى الأرض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا التأويل ماروي عن ابن عباس في قوله تعالى ما بكت عليهم السماء والارض قيل له أو يبكيان على أحد قال نعم مصلاه فى الأرض ومصعد عمله في السماء •• وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن مؤمن الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا

مات بكيا عليه ومعنى البكاء ههنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده

•• قال ابن مقبل

لعمرُ أبيكَ لقدْ شاقني　　مكانٌ حزنتُ لهُ أوْ حزنْ

••وقال مزاحم العقيلي

بكتْ دارُهُمْ منْ أجلهمْ فتهلّتْ　　دُمُوعي فايَّ الجازعينَ ألُومُ

أمُستَعبرًا يبْكى من الهونِ والبلا　　وَآخرَ يبكي شجوَهُ ويَئيمُ

فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقامٌ صالح في الأرض ولا عمل كريم يرفع الي السماء جاز أن يقال فما بكت عليهم السماء والارض •• ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون البكا فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الآية أن السماء لم تسق قبورهم ولم تجُدْ عليهم بالقطر على مذهب العرب المشهور في ذلك لأنهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من أعزائهم ويستنبتون لمواضع حفرهم الزهر والرياض ••قال النابغة

فمَا زَالَ قبرٌ بينَ تُبْنَي وَجَاسمٍ　　عليهِ منَ الوَسمى طَلٌّ وَوَابلُ [1]

فينْبتَ حَوْذَانًا وَعَوفًا منوّرًا　　سأُتبعهُ منْ خيْرِ ما قَالَ قائلُ

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسئلة الله لهم الرضوان والفعل الذي أضيف الي السماء وان كان لا يجوز اضافته الي الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان

(١) ــ تبنى ــ بضم أوله وسكون ثانيه مقصور بلدة بحوران من أعمال دمشق وقال ابن حبيب تُبنى قرية من أرض الثنية لغسان قال ذلك في تفسير قول كثير

أكاريسَ حلّت منهم مربخ َراهط　　فأكناف تُبنى مرجها فتلالها

كأن القيان الغر وسط بيوتهم　　نعاجٌ بجوٌ من رُماحَ حلالها

ــ وجاسم ــ موضع آخر بالشام دفن بين هذين الموضعين أحد آل جفنة فرثاه النابغة ــ وطل ــ يروى بدله جود ــ والوسمي ــ مطر الربيع الاول ويقال للمطر الثاني الولي لأنه يليه

يقدر لها فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل مثل هذا •• قال الشاعر

يَالَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا   مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه لكنه أراد حاملا رمحاً ومثل هذا يقدر فى الآية فيقال انه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم وان الأرض لم تعشب عليها وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه

[تأويل خبر] •• روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحب الأعمال الى الله عز وجل أدومها وان قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفى وصفه تعالى بالملل وجوه أربعة * أولها انه أراد نفى الملل عنه وانه لا يمل أبداً فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) •• وقال الشاعر

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تُنَاهِي   اذَا مَاشِبْتَ أَوْ شَابَ الغُرَابُ

أراد انك لا تحكم أبداً •• فان قيل ومن أين قلتم انما علقه به لا يقع حتى حكمتم بأنه أراد نفى الملل على سبيل التأبيد •• قلنا معلوم ان الملل لا يشتمل البشر في جميع آرابهم وأوطارهم وانهم لا يعرون من حرص ورغبة وأمل وطمع فلهذا جاز أن يعلق ماعلم تعالى أنه لا يكون بمللهم •• والوجه الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين مللا وان لم يكونا في الحقيقة كذلك على مذهب العرب فى تسمية الشئ باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه •• قال عدي بن زيد العبادي

ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ   وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرِّجَالِ

•• وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

سَائِلْ بِنَا حُجْرَ ابْنَ أُمِّ قَطَامِ اذْ   ظَلَّتْ بِهِ السُّمْرُ الذَّوَابِلُ تَلْعَبُ[1]

(١) حجر بن أم قطام هو حجر بن عمرو الكندي أبو امرئ القيس الشاعر وكان حجر هذا ملك على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً فامتنعوا منه فسار

فنسب اللعب الى الدهر والقنا تشبيهاً •• وقال ذو الرمة

وَأَبيضُ مَوْشيٌّ القَميصِ نَصبتُهُ ... على خَصْرِ مِقلاَةٍ سَفيهٍ جدِيلُها

فسمى اضطراب زمامها وشـدة تحركه سفهاً لأن السفه فى الاصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط •• وأما قوله ـ وأبيض موشي القميص ـ فانما عنى سيفه وقميصه جفنه والمقلاة الناقة التي لا يعيش لها ولد * والوجه الثالث أن يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله ففعلهم ملل على الحقيقة وسمى فعله مللا وليس بملل على الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظتين في الصورة وان اختلفتا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم •• وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها) •• ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي

أَلاَ لاَيَجْهَلنْ أَحـدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهلينَا

وانمـا أراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفتخر بالجهل ولا يتمدح به •• والوجه الرابع أن يكون الراوي وهِمَ وغلط من الفتح الى الضم وان يكون قوله يُمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان أحدهما انه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا من عبادته وتعرضوا

اليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى فسموا عبيد العصى وأسر منهم جماعة فيهم عَبيد بن الأبرص الأسدى فقام بين يدى الملك •• فقال

يا عـين فابكي ما بني ... أسد همُ أهل الندامه

أهل القباب الحمر والـ ... ـنعم المؤبل والمدامـه

في كل واد بين يـثـ ... ـرب والقصور الى اليمامه

تطريب عان أو صيـا ... ح محرق وزقاء هامه

أنت المليك عليهـم ... وهم العبيد الى القيامه

فرحمهم الملك وعفا عنهم وسرحهم الى بلادهم ثم انهم أغاروا عليه فى غرة منه فقتلوه واستولوا على أمواله فقال عبيد عدة قصائد يفتخر بذلك

عن طاعته لان الملة هي مشتوي الخبز يقال ملّ الرجل الخبزة وغيرها يملها اذا اشتواها في الملة وقيل ان الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد. والمعنى الثاني أن يكون أراد انه لا يسرع الي عقابكم بل يحلم عنكم رفقاً وحتى تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم المحارم وتتابعكم في المآثم .. وروي انه قيل للفرزدق هل حسدت أحداً على شيء من الشعر فقال لا لم أحسد على شيء منه إلا ليلى الأخيلية في قولها

وَمُخَرَّقٍ عنهُ القَميصُ تَخَالُهُ ... بَينَ البيُوتِ منَ الحياء سَقيماَ

حتّي اذَا رُفعَ اللّويُّ رَأَيتَهُ ... تَحْتَ اللّويّ على الخميسِ زَعيماَ[1]

لاَ تقرَبَنَّ الدّهرَ آلَ مُطَرِّفٍ ... لاَ ظَالِماً أبدًا وَلاَ مَظلوماَ

.. قال على أنّي قد قلت

وَرَكْبٍ كأَنَّ الرّيحَ تَطلُبُ عندَهم ... لهَا تِرَةً من جَذْبهَا بالعصائبِ

سَرَوْا يَخْبطُونَ اللّيلَ وَهيَ تَلفُّهُمْ ... إلي شُعَبِ الاكوارِ من كلّ جانبِ

اذَا أبْصَرُوا نارًا يَقولونَ ليتَها ... وَقدْ خَصِرَتْ أيْدِيهمْ نارَ غَالبِ[2]

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلى بل هي أجزل ألفاظاً وأشد أسراً الا أن أبيات ليلى أطبع وأنصع .. وقد كان الفرزدق مشهوراً بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والافراط في استحسان مستحسنه.. وروي ان الكميت بن زيد الاسدي رحمه الله لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته التي أولها

---

(١) ــ اللوى ــ اللواء سمى بذلك لأنه يلوى به يقال ألوى الرجل بثوبه اذا أشاح به ــ والخميس ــ الجيش لأن له خمسة أركان مقدمة ومؤخرة وقلب وجناحان ــ والزعيم ــ الكفيل بالأمر القائم به

(٢) ــ خصرت ــ أصابها الخصر وهو شدة البرد ــ وغالب ــ أبو الفرزدق.. يقول انهم يتمنون اذا أبصروا ناراً أن تكون نار غالب لانهم يرون عندها من القرى مالا يرون عند نار أخرى

أتصرمُ الحبلَ حبلَ البينِ لم أمْ تصلُ ... فكيفَ والشيبُ في فودَيكَ مشتعلُ

والأبيات

لمّا عبَاتَ لقوسِ المجدِ أسهُمهَا ... حيثُ الجدودُ على الأحساب تتّصلُ

أحرزتَ من عشرِها تسعاً وواحدةً ... فلاَ العمى لكَ من رامٍ ولاَ الشللُ

الشمسُ إيّاكَ إلاّ أنّها امرأةٌ ... والبدرُ إيّاكِ إلاّ أنّهُ رجلُ

حسده الفرزدق فقال له أنت خطيب وانما سلّم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر ولما بهره من حسن الابيات وأفرط بها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها الي معنى الخطابة •• وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه به من أدل دليل على حسن نقده وقوة بصيرته فيه وان كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل أيضاً على انصافه فيه وأنه مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى والاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر وفضل الى أن يعموا عن محاسن غيرهم ويستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير •• ولابيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول •• أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال سليمان للفرزدق أنشدني فأنشده الابيات التي تقدم ذكرها فاسودّ وجه سليمان وغاظه فعله وكان يظن أنه ينشده مديحاً له فلما رأى نصيب ذلك قال ألا أنشدك فانشده

أقولُ لركبٍ قافلينَ لقيتهُمْ ... قفا ذاتِ أوشالٍ ومولاكَ قاربُ

قفوا خبّروني عن سليمانَ إنّني ... لمعروفهِ من أهلِ ودّانَ طالبُ

فعاجوا فأثنوا بالذي أنتَ أهلهُ ... ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ

فقال له سليمان أنت أشعر أهل جلدتك •• وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب لما سأله عنه سليمان •• وروي أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان

أحسنت ووصله ولم يصل الفرزدق نخرج الفرزدق وهو يقول

وَخيرُ الشّعْرِ أَكرَمُهُ رِجَالاً وَشَرُّ الشّعْرِ ماقَالَ العَبيدُ

ولا شبهة في ان أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على أبيات نُصَيب وان كان نصيب قد أغرب وأبدع في قوله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب * الا ان أبيات نصيب وقعت موقعهـا ووردت في حال تليق بها وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها على غير وجهها فلهذا قدمت أبيات نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الذروة العلياء والغـاية القصوى شريف الآباء كريم البيت له ولآبائه مآثر لاتدفع ولا تجحد والفرزدق لقبٌ لقب به وليس باسمه وانما لقب به لجهامة وجهه وغلظه لأن الفرزدقة هي القطعة الضخمة من العجين وقيل انها الخبزة الغليظة التي تتخذ منها النساء الفتوت •• واسمه همام بن غالب وكنيته أبو فراس وقيـل إنه كان يكنى في شبابه بأبي مكية [1] وهي أغرب كناه •• وكان شيعيا مائلا الي بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليـه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين على انه لم يكن في خلال فسـقه منسلخاً من الدين جملة ولا مهملا أمره أصلا •• ومما يشهد بذلك ما أخبرنا به على بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيي الصولي عن أبي حفص الغلاّس عن عبـد الله ابن سوّار عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت أحادثه فسمعت صوت حديد يتقعقع فتأملت الامر فاذا هو مقيد الرجلين فسألت عن السبب

(١) كنى بذلك ببنت له اسمها مكية وكانت كأبيها حاضرة الجواب خبيثـة اللسان فيقال ان رجـلا قرع باب الفرزدق يسأل عنه وكان مقطوع اليد فخرجت اليـه مكية فسألها عن أبيها فقالت انه خرج في بعض حاجه ثم قالت مالي أرى يدك مقطوعة فقال قطعها الحرورية فقالت بل قطعت في اللصوصية فانصرف الرجل خجلا ثم جاء الفرزدق فأخبر بذلك فقال أشهد انها بنتي حقاً ثم أنشأ يقول

حام اذا ما كنت ذا حميه بدارمي بنه صبيه صمحمح يكنى أبامكيه

وكانت مكية هذه من زنجية

في ذلك فقال اني آليتُ على نفسي اني لا أنزع القيد من رجلي حتي أحفظ القرآن •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال أخبرنا ابن أبي الدنيا قال أخبرنا الرّياشي عن الأصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال والله اللهُ أحب اليَّ من عينيّ هاتين أفتراه يعذبني بعدها •• وروى انه تعلق باستار الكعبة فعاهد الله علي ترك الهجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما •• وقال

أَلَمْ تَرَنِي عاهدتُ رَبِي وإنَّني ... لبينَ رِتَاجٍ قائماً ومَقامِ

على حلفةٍ لاأَشتمُ الدَّهرَ مُسلماً ... وَلاَخارجاً مِنْ فيَّ زُورُ كَلامِ

أَطعتُكَ ياإبليسُ تسعينَ حجةً ... فلمَّا قضى عمري وَتمَّ تمامي

فَزِعتُ إلي رَبي وأيقنتُ أنَّني ... مُلاقٍ لأيَّامِ الحُتُوفِ حمامي

•• وروى الصولي عن الحسين بن الفيّاض عن إدريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان أوثقنا بالله فقال له رجل ألك هذا الرّجاء والمذهب وأنت تقذف المحصنات وتفعل ماتفعل فقال أترونى لو أذنبت ذنباًالي أبويَّ أكانا يقذفاني في تنور وتطيب أنفسهما بذلك فقلنا لا بل كانا يرحمانك قال فأنا والله برحمة ربي أوثق مني برحمتهما ••وأخبرنا أبوعبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد الورّاق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطفاوى قال حدثني أبي عن جدى قال شهدت الحسن البصرى في جنازة النوار امرأة الفرزدق وكان الفرزدق حاضراً فقال له الحسن وهو عند القبر ياأبا فراس ماأعددت لهذا المضجع قال شهادة أن لاإله الا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فاين الطنب •• وفي رواية أخرى أنه قال نعم ماأعددت ثم قال الفرزدق في الحال

أَخَافُ وَرَاءَ القَبْرِ إنْ لمْ يُعافني ... أَشدَّ منَ المَوْتِ التهاباًوَأَضيقا

إِذَا جاءَني يَوْمَ القيامةِ قائدٌ ... عَنيفٌ وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الفرَزْدقَا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى … إلي النار مغلول القلادة أزرقا

يقاد إلي نار الجحيم مسربلا … سرابيل قطران لباساً محرقا

.. قال فرأيت الحسن يدخل بعضه في بعض ثم قال حسبك .. ويقال ان رجلا رأى الفرزدق بعد موته في منامه فقال مافعل الله بك فقال عفا عني بتلك الابيات .. وأما مايدل علي تشيعه وميله الى بني هاشم فما أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمرو ابن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدى بن سابق قال حدثنا أبولبيد قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال ياعم اني قد قلت قصيدة أريد أعرضها عليك فقال له قل .. فانشده

* طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب *

فقال له الفرزدق فالي من طربت ثكلتك أمك فقال

* ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب *

ولم تلهني دار ولا رسم منزل … ولم يتطربني بنان مخضب

فقال له إلام طربت فقال

ولا أنا ممن يزجر الطير همه … أصاح غراب أم تعرض ثعلب

[قال المرتضى رضى الله عنه] .. تقف علي الطير ثم تبتدئ بهمه ليعلم الغرض

ولا السانحات البارحات عشية … أمر سليم القرن أم مر أعضب (١)

ولكن إلي أهل الفضائل والنهى … وخير بني حواء والخير يطلب

.. قال الفرزدق هؤلاء بنو دارم .. فقال الكميت

---

(١) ـ السانحات ـ جمع سانحة ـ والبارحات ـ جمع بارحة والسانح من الطير ما مر من مياسرك الى ميامنك والبارح بعكسه والعرب كانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح .. ومن أمثالهم من لي بالسانح بعد البارح أى بالمبارك بعد المشؤم

إلى النَّفَرِ البيضِ الَّذينَ بِحُبِّهِمْ ... الى اللهِ فيما نَابَني أتقَرَّبُ

فقال الفرزدق هؤلاء بنو هاشم فقال الكميت

بَني هَاشمٍ رَهطِ النَّبيِّ فانَّني ... بِهِمْ وَلَهُمْ أرْضَى مِرَارًا وَأغضَبُ

فقال له الفرزدق والله لوجزتهم الي سواهم لذهب قولك باطلا . ومما يشهد أيضاً بذلك ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني .. قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا جدي يحيي ابن الحسن العلويّ قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من أهل الادب أن علي بن الحسين عليه السلام حج فاستجهر الناس جماله وتشوّفوا له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق

هَذَا ابْنُ خَيرِ عِبادِ اللهِ كُلِّهِمِ ... هَذَا التَّقِيُّ النَّقيُّ الطَّاهِرُ العلَمُ

هَذَا الذّي تَعْرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَهُ ... وَالبيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

اذَا رأتْهُ قُرَيْشٌ قالَ قَائِلُها ... الي مَكارِمِ هذَا يَنْتهي الكَرَمُ

يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ اذَا ماجاءَ يَستَلِمُ

يُغْضي حياءً وَيُغضَى مِنْ مَهابَتِهِ ... فَما يُكَلَّمُ إلاَّ حينَ يَبْتَسِمُ

أيُّ القَبائِلِ لَيستْ في رِقابِهِمُ ... لأوَّلِيَّةِ هـذَا أوْلَهُ نِعَمُ

مَنْ يَشكُرِ اللهَ يَشكُرْ أوَّلِيَّةَ ذَا ... فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هذَا نَالَهُ الأُمَمُ

.. وفي رواية الغلابي أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك أو الوليد وهو حدث السن فاراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينظر خلوةً فاقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء وهو من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً بين عينيه سجادة كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحَّى الناس له عنه حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال له رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لاأعرفه لئلا يرغب فيه أهل

الشام فقال الفـرزدق وكان هناك حاضراً لكنى أعرفه وذكر الأبيات وهى أكثر مما رويناه لكنا تركناها لانها معروفة . . قال فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة فبلغ ذلك عليّ بن الحسين عليه السلام فبعث الي الفرزدق باثني عشر ألف درهم وقال اعذرنا ياأبا فراس فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر منها لوصلناك به فردّها الفرزدق وقال ياابن رسول الله ماقلت الذى قلت الا غضباً لله ولرسوله وما كنت لارزأ عليه شيئاً وردّها اليه فردها عليه وأقسم عليـه فى قبولها وقال له قد رأي الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن أهل بيت اذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيـه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو فى الحبس . . ومما هجاه به

أَتَحْبِسُنِي بَيْنَ المدِينَةِ وَالَّتي ... اليهَا رقَابُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيبُها

يُقَلِّبُ رَأْساً لَمْ يكنْ رَأْسَ سَيِّدٍ ... وَعَيْناً لَهُ حَوْلَاءَ بَادٍ عُيُوبُها

مجلس آخر ٦

[ان سأل سائل] . . فقال ماعندكم فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ وظاهر هذه الآية يقتضي أنه تعالى ماشاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا بخلاف ماتذهبون اليه . . ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من أن يكون عـنى إنه للاختلاف خلقهم أو للرحمة ولا يجوز ان يعنى الرحمة لأن الكناية عن الرحمة لاتكون بلفظة ذلك ولو أرادها لقال ولتلك خلقهـم فلما قال ولذلك خلقهـم كان رجوعه الي الاختلاف أولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها لان الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله تعالى الا من رحم دالا على الرحمة فكذلك قوله مختلفين دالا على الاختلاف على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة وذلك لايجوز على الله تعالى ومتى ماتُعُدِّيَ بها ماذكرناه لم يعن بها الا العفو وإسقاط الضرر وماجرى

مجراها عن مستحقه وهذا مما لايجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لأنه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين ٠٠ الجواب يقال له أما قوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى بها المشيئة التي ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار وانما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وانه لايغالب ولا يعصى مقهوراً من حيث كان قادراً على العباد واكراههم على ماأراد منهم ٠٠ فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف [1] بدليل العقل وشهادة اللفظ ٠٠ فاما دليل العقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز أن يكون شائياً له ومخبرا بخلق العباد عليه ٠٠ وأما شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على أقرب المذكورين اليها أولى فى لسان العرب ٠٠ فاما ماطعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة لاتكون الا مؤنثة فباطل لان تأنيث الرحمة غير حقيقي واذا كنى عنها بلفظة التذكير كانت الكناية على المعني لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرني كلمتك يريدون سرني كلامك وقال تعالى (هذا رحمة من ربي) ولم يقل هذه وانما أراد هذا فضل من ربي ٠٠ وقالت الخنساء

فَذَلِكِ ياهِنْدُ الرَّزِيَّةُ فاعْلَمي وَنِيرانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهاَ

أرادت الرزء ٠٠ وقال امرؤ القيس

---

(١) ــ قلت ــ بل الصواب أن يعود على الاختلاف لا لأن رجوع اسم الاشارة على الرحمة غير ممكن بل لأن السياق يدل على خلافه فان الله جل شأنه ذكر صنفين من خلقه أحدهما أهل اختلاف وباطل والآخر أهل حق ثم عقب ذلك بقوله ولذلك خلقهم فعمّ بقوله ذلك صفة الصنفين فأخبر عن كل فريق منهما انه ميسر لما خلق له ومعني قوله ولذلك خلقهم على هذا انه على علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم انه يكون فيهم المؤمن والكافر والشقي والسعيد خلقهم فاللام فى قوله ولذلك بمعنى على وبهذا يندفع كل اشكال يرد هنا

بَرَهْرَهَةٍ رَوْدَةٍ رَخصةٍ ... كَخُرْعُوبَةِ ٱلبانَةِ المنفَطِرْ [١]

فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن •• وقال الآخر

هَنِيئًا لسَعْدٍ ما ٱقتضى بعدَ وَقْعتي ... بناقةِ سَعْدٍ وَالعَشِيَّةُ بَارِدُ

فذكَّر الوصف لانه ذهب الى العشيّ •• وقال الآخر

قَامَتْ تُبَكّيهِ على قَبْرِهِ ... مَنْ لِيَ مِنْ بَعْدِكَ يا عَامِرُ

تَرَكْتَنى في الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ ... قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه أراد شخصاً ذا غربة ••وقال زياد الاعجم

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاحَةَ ضُمِّنَا ... قبرًا بمَرْوَ على الطَّرِيقِ الوَاضِحِ

•• فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا •• قال الفراء لأنه ذهب الى ان السماحة والشجاعة مصدران والعرب يقولون قصارة الثوب يعجبني لان تأنيث المصادر يرجع الى الفعل وهو مذكر •• وقال الفرزدق

تَجُوبُ بِنَا الفَلاَةَ الى سَعِيدٍ ... إِذَامَا الشَّاةُ في الأَرْطَاةِ قَالاَ

فذكر الوصف لأنه أراد التيس •• فأما الارطاة واحدة الارطى وهو شجر ينبت في الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحر وتأوى اليه •• قال الشماخ

إِذَا الأَرْطَا تَوَسَّدَ أَبْرِدَيهِ ... خُدُودُ جَوَازِىءِ بالرَّمْلِ عِينِ

•• وقوله قالا من القيلولة لا من القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل أيضاً على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير في موضعه لأن الفعل مذكّر ويجوز أيضاً أن يكون قوله ولذلك خلقهم كناية عن

---

(١) ــ البرهرهة ــ الناعمة البيضاء من النعمة ــ والرودة ــ اللينة من قولهم ريح رود أي لينة ــ والرخصة ــ الغضة الناعمة ــ والخرعوبة ــ والخرعوب الغصن لسنته أو الغصن السامق الناعم الحديث النبات

اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه أمة واحدة [1] ولا محالة ان لهذا خلقهم ويطابق هـذه الآية قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ) .. وقال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ان معناه انه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة فيكونوا فى وصول جميعهم الى النعيم أمة واحدة وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) في انه أراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التأويل أيضاً يمكن ان ترجع لفظة ذلك الي ادخالهم أجمعين الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الي نعيمها .. فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات .. وذكر أبو مسلم محمد بن بحر فى قوله مختلفين وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم فى الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضاً وقولك اختلفوا وسواء قولك قتل بعضهم بعضاً واقتتلوا .. ومنه قولهم لاأفعل كذا مااختلف العصران والجديدان أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنه فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من أحسن الي غيره وأنعم عليه يوصف بأنه رحيم به وان لم تعلم منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لايعهدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان على من لارقة عنده أكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا أن من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا أنعم وصف بذلك فوجب أن يكون معناها ماذكرناه على أنه لايمتنع أن يكون معنى الرحمة فى الاصل ماذكرتم ثم انتقل بالتعارف الي ماذكرناه كنظائره وقد وصف الله القرآن بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتأتى فى القرآن ماظنوه وانما وصفت رقة القلب بانها رحمة لانها مما

---

(١) ـ قلت ـ هذا الجواب لا يتمشى الا على مذهب المعتزلة الذين يجوزون على الباري جل شأنه أن يقع فى ملكه ما لايريد .. أما على مذهب أهل السنة فلا يصح لأنه لو خلقهم للاجتماع علي الايمان لم يفترقوا فيه .

بجاوره الرحمة التى هي النعمة فى الاكثر وتوجد عنده خلّ محل وصف الشهوة بانها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم وصنوف الاحسان ألا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط عنه ضرراً ولم يتجاوز له عن زلة وانما سمى العفو عن الضرر وما جري مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر تجرى مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى الآية وبطلان ماضمنه السائل سؤاله ٠٠ فان قيل اذا كانت الرحمة هى النعمة وعندكم أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين فاي معني لاستثناء من رحم من جملة المختلفين ان كانت النعمة هي الرحمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة ٠٠ قلنا لاشبهة فى ان نعم الله شاملة للخلق أجمعين غير ان في نعمه أيضاً مايختص بها بعض العباد إما لاستحقاق أو لسبب يقتضي الاختصاص فاذا حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة به لاتكون الا مستحقة فمن استحق الثواب بأعماله وصل الى هذه النعمة ومن لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة فى الآية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة لانه تعالى انما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه تعالى أن لهم توفيقاً وان في الافعال مايختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لايمنع من شمول نعم أخر كما أن شمول تلك النعم لايمنع من اختصاص هذه

[تأويل خبر] ٠٠ روى أبومسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ماشئت وفى هذا الخبر وجوه من التأويل ثلاثة ٠٠ أحدها أن يكون معناه اذا علمت أن العمل لله وأنت لاتستحي من الناظرين اليك ولا تتخوفهم أن ينسبوك فيه الى الرياء صنعت ماشئت لان فكرك فيهم ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بحدود حقوقه واذا اطرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك ٠٠ والوجه الثانى ان من لم يستحي من المعاير والمخازى والفضائح صنع ماشاء والظاهر ظاهر أمر والمعني معنى تغليظ وانكار مثل

قوله تعالى (اعملوا ماشئتم) وقوله عز وجل (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وهذا نهاية التغليظ والزجر والاخبار عن كبر الذنب واطراح الحياء ويجري مجرى قولهم بعد أن فعل فلان كذا فليفعل مايشاء وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ماشاء والمعني المبالغة في التعظيم لما ارتكبه وقبح مااقترفه •• والوجه الثالث أن يكون معني الخبر اذا لم تفعل ماتستحي منه فافعل ماشئت فكأن المعنى اذا لم تفعل قبيحاً فافعل ماشئت لانه لاضرب من ضروب القبائح الا والحياء يصاحبه ومن شأن فاعله اذا قرّع به أن يستحي منه فمتى جانب الانسان مايستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبائح وما عدا القبيح من الافعال فهو حسن ويجري هذا مجرى خبر عن نبينا عليه الصلاة والسلام فيما أظنه أن رجلا جاءه فاسترشده الي خصلة يكون فيها جماع الخير فقال عليه الصلاة والسلام أشترط عليك أن لاتكذبني ولن أسألك ماوراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كل ماهم بقبيح يفكر ويقول أرأيت لو سألني عنه النبي ماكنت قائلا له لانني ان صدقته افتضحت وان كذبته نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه لسائر القبائح وهكذا معني الخبر الذى تأوّلناه لان في اجتناب مايستحي منه اجتنابالسائر القبائح

[تأويل خبر آخر] •• روى محمد بن الحنفية عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال[1] كان قد كثر على مارية القبطية أم ابراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي عليه الصلاة والسلام خذ هذا السيف وانطلق به فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله أكون فى أمرك كالسكة المحماة أمضى لما أمرتني أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب فقال النبي عليه الصلاة والسلام بل الشاهد يرى مالا يرى الغائب فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما أقبلت نحوه علم انى أريده فأتى نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فاذا انه أجبُّ أمسح

(١) ــ قلت ــ في النفس من هذا الحديث أشياء وفى عبارته ركة وفى سياقه اضطراب ولم يتيسر لنا حين النظر فيه الكشف عنه والوقوف على حقيقته وأغلب الظن انه موضوع لا أصل له

ماله مما للرجال قليل ولا كثير فغمدتُ السيف ورجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال الحمد لله الذى يصرف عنا الرجس أهل البيت ٠٠[قال المرتضى] رضى الله عنه في هذا الخبر أحكام وغريب ونحن نبدأ بأحكامه ثم نتلوه بغريبه ٠٠فأول مافيه أن لقائل ان يقول كيف يجوز أن يأمر الرسول بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا مايجرى مجراها ٠٠والجواب عن ذلك ان القبطي جاز أن يكون من أهل العهد الذين أخذ عليهم أن تجري عليهم أحكام المسلمين وأن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية فخالف وأقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض العهد من أهل الكفر مؤذن بالمحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل ٠٠فأما قوله ــ بل الشاهد يرى مالايرى الغائب ــ فانما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لأنه لا معنى فى هذا الموضع لرؤية البصر فكأنه عليه الصلاة والسلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الرأي والتدبير ما لا يصح للغائب ولولم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وانما جاز منه عليه الصلاة والسلام أن يخير بين قتله والكف عنه ويفوّض الي أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق التى لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا اقامتها لأن ناقض العهد ممّن الى الامام القائم بأمر المسلمين اذا قدرعليه قبل التوبة أن يقتله وان يمن عليه ٠٠ ومما فيه أيضاً من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام لايقتضى الوجوب لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولااستفهامه وفى حسنها ووقعها موقعها دلالة على أنه لا يقتضى ذلك ٠٠ومما فيه أيضاً من الاحكام دلالته على أنه لا بأس بالنظر الى عورة الرجل عند الامر ينزل ولا يوجد من النظر اليها بدّ إمّا لحد يقام أو لعقوبة تسقط لان العلم بأنه أمسح أجب لم يكن الا عن تأمل ونظر وانما جاز النظر والتأمل لتبيين هل هو ممن يكون منه ما قرف به أم لا والواجب على الامام فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه مجبوب أن يأمر بالنظر اليه وتبيين أمره وبمثله أمر النبي عليه الصلاة والسلام فى قتل مقاتلة بني قريظة لأنه أمر أن ينظروا الى مُؤتزر كلّ من أشكل عليهم أمره فمن وجدوه قد أنبت قتلوه ولولاجواز النظر الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعاً عليها ولم يتأمل أمرها حتى

التأمل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة وقد سأله عمن وجد مع امرأته رجلا أيقتله فقال لا حتى يأتي بأربعة شهداء ولو لم يكن للشهداء اذا حضروا تعمد النظر الى عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ولم تقم شهادة الزنا لأن من شرطها مشاهدة العضو فى العضو كالميل فى المكحلة ٠٠ فان قيل كيف جاز لأمير المؤمنين الكف عن القتل ومن أى جهة آثره لما وجده أجب وأي تأثير لكونه أجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد ٠٠ قلنا انه عليه الصلاة والسلام لما فوض اليه الامر فى القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال وان وجده أجب لان كونه بهذه الصفة لا يخرجه عن نقض العهد وانما آثر الكف الذى كان اليه ومفوضاً الى رأيه لازالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ولأنه أشفق من أن يقتله فيحقق الظن ويلحق بذلك العار فرأى عليه السلام ان الكف أولى لما ذكرناه ٠٠ وأما غريب الحديث فقوله شغر برجله يريد رفعها وأصله فى الوصف اذا رفع رجله للبول فأما نكاح الشغار فبالكسر وقد قيل الشغار بالفتح وهو أن يزوج الرجل من هو وليها من بنت أو أخت غيره على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر وكان أحد العرب فى الجاهلية يقول للآخر شاغرني أي زوّجني حتى أزوجك وأظنه مأخوذاً من الشغر الذى هو رفع الرجل لان النكاح فيه معنى الشغر فسمي هذا العقد شغارا و مشاغرة لافضائه في كل واحد من المتزوجين الى معني الشغر وصار اسما لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح لان الزانيين يتسافحان الماء أي يسكبانه والماء هو النطفة ٠٠ ويمكن أن يكون أيضاً الماء الذى يغتسلان به فكني بذلك عن الزنا ثم صار اسما له وعلماً عليه ٠٠ ومن الشغر الذى هو رفع الرجل قول زياد لابنة معاوية وكانت عند ابنه وافتخرت يوما عليه وتطاولت فشكاها الى أبيه زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول لها أشغراً ونخراً ٠٠ وأما قول الفرزدق

شَغَّارَةٌ تَقِذُ الفَصِيلَ بِرِجْلِهَا ... فَطَّارَةٌ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ

٠٠ فانه من غريب شعره وفسره قال ـ شغارة ـ انها ترفع رجلها بالبول وقوله ـ تقذ الفصيل برجلها ـ أي تركله وتدفعه عن الدنو الي الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب أو أراد بتقذه أي تبالغ فى إيلامه وضربه ومنه الموقوذة فاما قوله ـ فطارة لقوادم الابكار ـ فالفطر

هو الحلب بثلاث أصابع والقوادم هي الاخلاف وانما خص الابكار بذلك لان صغر أخلافها يمنع من حلبها ضباً ــ والضب ــ هو الحلب بالاصابع الاربع كلها فكأنه لا يمكن فيها لقصر أخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعييره نساء جرير بأنهن راعيات وذلك مما تعير به العرب النساء ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت

كَمْ عَمَّةٍ لكَ ياجَرِيرُ وَخَالَةٍ فدْعاءَ قَدْ حَلَبَتْ عليّ عِشَارِى

كُنَّا نُحَاذِرُ أَنْ تَضِيعَ لِقَاحُنَا وَلَهاً إِذَا سَمِعَتْ دُعَاءَ يَسَارِ

ثم تلا ذلك بقوله شغارة •• [قال المرتضى رحمة الله عليه] وعندي أن قوله شغارة كناية عن رفع رجلها للزنا وهو أشبه أن يكون مراده في هذا الموضع ألا ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار ــ ويسار ــ اسم راع فكأنه قد وصفها بالوله الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ مااستحفظته من اللقاح فالأشبه أن يكون قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ماأشرنا اليه •• فاما قولهم ذهبوا شغر بغر فليس من هذا في شيء وانما يراد به انهم ذهبوا مفرّقين مشتتين ومثله ذهبوا عباديد وشعاليل وشعارير وأيادى سبأ كل ذلك بمعنى واحد •• وأما قوله ــ فاذا انه أجب ــ فيعني به المقطوع الذكر لأن الجب هو القطع ومنه بعير أجب اذا كان مقطوع السنام وقد ظن بعض من تأول هذا الخبر أن الامسح ههنا هو قليل لحم الالية كالارصع والأرسح والازلّ وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى له في هذا الخبر وانما أراد تأكيد الوصف له بانه أجب والمبالغة فيه لان قوله أمسح يفيد انه مصطلم الذكر ويزيد على معنى أجب زيادة ظاهرة •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني القاسم بن الحسن الورّاق قال حدثنا سليمان بن داود الطوسي قال حدثنا سوّار بن عبد الله القاضي عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد في الليل فتذاكرنا أحوال القمر فقلت العرب تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما أنت ابن ليلة قال رضاع سُخَيْلَة حل أهلها برُمَيْلَة •• قيل له فما أنت ابن ليلتين قال حديث أمتين بكذب ومين •• قيل له ماأنت ابن ثلاث قال قليل اللبّاث • وقيل أيضاً حديث فتيات غير جدٍّ مؤتلفات •• قيل له فما أنت ابن أربع قال عتمة أمّ رُبَع وقيل عتمة أم الرُّبَع غير جائع ولا مرضَع •• قيل له فما أنت ابن

خمس قال عشاء خلفات قُعْسٍ ويقال حديث وأنس ويقال سر ومس٠٠ قيل له فما أنت ابن ست قال سروبت ويقال تحدث وبت ٠٠ قيل فما أنت ابن سبع قال دلجة ضبع وقيل هدىً لأنس ذى الجمع وقيل حديث جمع وقيل يضفر فى النسع وقيل يلتقط فيّ الجزع ٠٠ قيل فما أنت ابن ثمان قال قمرٌ أضحيان ٠٠ قيل فما أنت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يضفر فيّ الجزع وقيل يلتقط فى الجزع وقيل الودَع وقيل عشية أهل جمع ٠٠ قيل فما أنت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل مخنق الفجر وقيل أؤدّيك الى الفجر وقيل أبادر الفجر ٠٠ قيل فما أنت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاءً وأرى بكرة وقيل وأغيب بسحرةٍ ٠٠ قيل فما أنت ابن اثنتي عشرة قال مؤنق للبشر للبدو والحضر ٠٠ قيل فما أنت ابن ثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى له الناظر ٠٠ قيل له فما أنت ابن أربع عشرة قال مقتبل الشباب أضيء مدجنات السحاب وقيل مضيء للسحاب ٠٠ قيل فما أنت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب ٠٠ قيل فما أنت ابن ست عشرة قال ناقص الخلق بالغرب والشرق ٠٠ قيل فما أنت ابن سبع عشرة قال أمكنت المقتفر القفرة ٠٠ قيل فما أنت ابن ثمانى عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء ٠٠ قيل فما أنت ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع بيّن الخشوع ٠٠ قيل فما أنت ابن عشرين قال أطلع بسحرة وأضيء بالبُهرة وقيل أهجّر بالبهرة ٠٠ قيل فما أنت ابن احدي وعشرين قال كالقبس يرى بالغلس ٠٠ قيل فما أنت ابن اثنين وعشرين قال لا أطلع الا ريث ما أرى ٠٠ قيل فما أنت ابن ثلاث وعشرين قال أطلع فى قتمة ولا أجلو الظلمة ٠٠ قيل فما أنت ابن أربع وعشرين قال لاقمر ولا هلال ٠٠ قيل فما أنت ابن خمس وعشرين قال دنا الأجل وانقطع الأمل ٠٠ قيل فما أنت ابن ست وعشرين قال دنا مادنا فلا يرى منى الا شفا ٠٠ قيل فما أنت ابن سبع وعشرين قال أطلع بكراً ولا أرى ظهراً ٠٠ قيل فما أنت ابن ثمان وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ٠٠ قيل فما أنت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا يرانى الا البصير ٠٠ قيل فما أنت ابن ثلاثين قال هلال مستبين ٠٠ قال الأصمعي ثم قلت للرشيد يقال انه لايحفظ هذا الحديث من الرجال الا عاقل وقال خذه عليّ قلت هات فاعاده حتى بلغ الى قيل له ماأنت ابن ثمان قال قمر

أضحيان •• قوله اما رضاع سخيله أراد تصغير سخله والمعني ان القمر يبقى بقدر ماينزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويرتحلون فبقاؤه في الأفق بمقدار هذا الزمان •• وقوله حل أهلها برميله فأظن ان المعنى فيه الاخبار عن قلة اللباث وسرعة الانتقال لأن الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لأنهم كانوا يختارون فى منازلهم جلد الأرض وهضبها والأماكن التي لاتستولى السيول عليها فخص الرميلة لهذا المعنى •• وقوله حديث أمتين بكذب ومين يريد أن بقاؤه قليل بمقدار ماتلتقي الأمة الأمة فتكذب لها حديثاً ثم يفترقان •• وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات يريد انه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحادثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات •• وقوله عتمة أم الربع يقال عتمت إبله اذا تأخرت عن العشاء •• وقوله أم ربع يعني الناقة وهو تأخير حلبها يريد أن بقاءه بمقدار ماتحلب ناقة لها ولد ولدته فى أول الربيع وهو أول النتاج والولد فى هذا الوقت يسمى رُبَعاً اذا كان ذكراً فان كان أنثى قيل رُبَعة فان كان في آخر النتاج قيل هبع للذكر وللانثى هبعة •• وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات اللواتى قد استبان حملهن واحدها خلفة وهى واحدة المخاض ولا واحد للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات لانها لاتعشى الى أن يغيب القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن •• وقوله سروبت يريد انه لايبقى الا بقدر مايبيت الانسان ثم يسير •• وقوله قمر أضحيان أي ضاح وبارز ويقال قمرٌ أضحيانٌ بالتنوين فيهما جميعاً وقمر أضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة أضحيانة اذا كانت نقية البياض •• وقوله منقطع الشسع أراد أنه يبقى بقدر مايبقى شسع من قدّ يمشى به حتى ينقطع •• وقوله يلتقط فيّ الجزع أي انه مضيء أبلج لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذور مفصلة بجزع ماضاع منها شيء لضيائه وبقائه •• وقوله أضيء بالبهرة يعنى لصفائه وسط الليل لأن بهرة الشيء وسطه •• وقوله أمكنت المقتفر القفرة فالمقتفر الذى يتبع الآثار وقفرته موضعه الذى يقصده

مجلس آخر ٧

[إن سأل سائل] عن قوله تعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى

وَأَضَلُّ سَبِيلاً) فقال كيف يجوز أن يكونوا فى الآخرة عمياً وقد تظاهر الخبر عن الرسول بان الخلق يحشرون كما بدؤا سالمين من الآفات والعاهات قال الله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) وقال الله تعالى (وكما بدأكم تعودون) وقال جل وعز (فبصرك اليوم حديد) •• الجواب يقال فى هذه الآية أربعة أوجه •• أحدها أن يكون العمي الاول انما هو عن تأمل الآيات والنظر فى الدلالات والعبر التى أراها الله تعالى المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمي الثاني هو عن الايمان بالآخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب •• وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى (ربكم الذى يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) الي قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ثم قال بعد ذلك (ومن كان فى هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) يعنى في هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الآخرة أعمى أي هو عما غيّب عنه من أمر الآخرة أعمى ويكون قوله فى هذه كناية عن النعم لاعن الدنيا •• ويقال از ابن عباس سأله سائل عن هذه الآية فقال له اتل ماقبلهافنبهه على التأويل الذى ذكرناه •• والجواب الثاني من كان في هذه يعنى الدنيا أعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما أوجب الله عليه المعرفة به فهو فى الآخرة أعمى عن الجنة والثواب بمعني أنه لايهتدى الى طريقهما ولا يوصل اليهما أو عن الحجة اذا سئل وأوقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون يوم القيامة منقطع الحجة مفقود المعاذير •• والجواب الثالث أن يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثانى بمعنى المبالغة فى الاخبار عن عظم مايناله هؤلاء الكفار الجهال بالله من الخوف والغم والحزن الذي أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله (لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) ومن عادة العرب ان تسمى من اشتد همه وقوى حزنه أعمى سخين العين ويصفون المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ماأُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بما كانوا يَعْمَلُونَ) •• والجواب الرابع أن يكون العمي الأول عن الايمان والثانى هو الآفة في العين على سبيل العقوبة كما قال الله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ ومن يجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما أنها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظيراً لقوله تعالى ﴿ وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ ويتأول قوله ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾ على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله فى الدنيا يكون عارفاً به في الآخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الأمر وزيد أبصر بكذا من عمرو ولا يريدون ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ أي كنت غافلا عما أنت الآن عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء بان أعلمناك وجعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فأما الخبر الذي يدعي رؤيته فهو خبر واحد ولا حجة في مثله واذا عرّف لفظه ربما أمكن تأوله على ما يطابق هذا الجواب ومن ذهب الى الأجوبة الأول يجعل العمى الأول والثاني معاً غير الآفة فى العين فان عورض بقوله تعالى ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ تؤله بالعمى عن الثواب أو عن الحجة وقال فى قوله لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ان معناه انني كنت بصيراً فى اعتقادى وظنى من حيث كنت أرجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز أن يراد بالعمى الأول والثاني جميعاً الآفة في العين لانه يؤدي الى ان كل من كان مكفوف البصر فى الدنيا من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون كذلك في الآخرة وهذا باطل وبمثله يبطل أن يراد بلفظة أعمى الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان ويبطله أيضاً أن العمى الذى هو الخلقة لا يُتعجب منه بلفظة افعل وانما يقال ما أشد عماه ولا يجوز أن يراد بالعمى الأول عمى العين والثانى العمي عن الثواب أو الجنة أو الحجة لانا نعلم ان فيمن عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل اليه ولا يجوز أن يراد بالأول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لانا نعلم ان الجهال بالله تعالى المعرضين فى الدنيا عن معرفته لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك فضلا أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق

بعد الذى أبطلناه الا ما دخل فى الأجوبة وعلى الأجوبة الثلاثة الأول اذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لأن عمي القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة أفعل وان لم يجر ذلك فى عمى الجارحة •• ولمن أجاب بالجواب الرابع أن لا يجعل قوله تعالى فهو فى الآخرة أعمى لفظة تعجب بل يجعله إخباراً عن عماه من غير تعجب وان عطف عليه بقوله وأضل سبيلا ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وهو أضل سبيلا •• فان قيل ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة افعل •• قلنا قد قال النحويون فى ذلك ان الالوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظة التعجب وانما يعدل فيها الى أشد وأظهر وماجرى مجراها •• قالوا لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما أسوده ولا أعوره كما لا يقال ما أيداه وما أرجله بل يقال ما أشد سواده كما يقال ما أشد يده ورجله •• واعتلوا بعلة أخرى قالوا ان الفعل من الألوان والعيوب على افعلّ وافعالّ نحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ألا ترى أنه لا يدخل فى انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة أحرف •• فان قيل لهم فقد قالوا عورت عينه وحولت قالوا هذا منقول من افعلّ وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت فى اسودّ واحمرّ ولولا أنه منقول لاعتلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب •• وحكى عن الفراء فى ذلك جوابان • أحدهما ان أفعل فى التعجب فيه زيادة على وصف قبله اذا قال القائل أفضل وأجمل فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ولم يقولوا ما أبيض زيداً لئلا يسقط التزيد ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه يخالف لفظه لفظه كما خالف أفضل وأجمل فاضلا وجميلا فلما فاتهم فى أبيض وأحمر علم التزيد أدخلوا عليه ما يبين الزيادة فيه وقالوا ما أظهر حمرة زيد وما أشد سواد عمرو لأن أظهر يزيد على ظاهر وأشد يزيد على شديد •• والجواب الآخر أن التعجب مبنىّ على زيادة يصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي فقالوا ما أعلم زيداً ليدلّوا على زيادة علمه لأنهم فى قولهم عالم وعليمٌ لم يبلغوا فى التناهي مبلغ اعلم ولم يقولوا ما أبيض زيداً لأن البياض لا تأتي

منه زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب بأشد وما جرى مجراها وهذا الجواب ليس بسديد لأن الالوان قد تأتى فيها الزيادة بعد نقص وقد تدخل فيها المفاضلة ألا ترى ان ما حله قليل من أجزاء البياض يكون أنقص حالا في البياض مما حله لكثير من الأجزاء .. والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب وان كان ماقدمناه عن البصريين هو المعتمد .. وقد أنشد بعضهم معترضا على ماذكرناه قول الشاعر

يَالَيْتَني مِثْلُكِ في ٱلبَيَاضِ   أَبيضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي ابَاضِ (١)

.. وأنشدوا أيضاً قول الشاعر

أَمَّا المُلوكُ فأَنْتَ اليَوْمَ أَلأَمُهُمْ   لُؤْمَاً وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالَ طَبَّاخِ

فأما البيت الأول فان أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ النادر لا يطعن في المعمول عليه والمتفق على صحته ويجوز أيضاً أن يقال في البيت الثانى مثل ذلك وقد قيل فى البيت الثانى ان أبيض فيه ليس هو للمفاضلة وانما هو افعل الذي مؤنثه فعلاء كقولهم أبيض وبيضاء ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجهاً وشريفهم خلقاً فكان الشاعر قال ومبيضهم فلما أضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا أحسن من حمله على الشذوذ .. ويمكن فيه وجه آخر وهو ان أبيض فى البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولو انه أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة افعل والذي جوز تعجبه بهذه اللفظة ماذكرناه .. فأما قول المتنبي

أَبْعِدْ بَعِدْتَ بَيَاضاً لاَ بَيَاضَ لَهُ   لأَنْتَ أَسْوَدُ في عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

فقد قيل فيه ان قوله لأنت أسود فى عيني كلام تام ثم قال من الظلم أي من جملة الظلم

---

(١) ــ أنشد ــ اللغويون البيت بلفظ

جارية فى درعها الفضفاض   أبيض من أخت بني اباض .

ــ ودرع فضفاض ــ واسعة وجارية فضفاض ممتلئة

كما يقال حر من أحرار ولؤم من لئام أي من جملتهم •• قال الشاعر

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَاكِرُهُ

كأنه قال وأبيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف لأبيض وليس يتصل به كاتصال من بافضل في قولك هو أفضل من زيد ولفظة من في بيت المتنبي مرفوعة الموضع فانها وصف لأسود واذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع بأسود كما يقال زيد خير منك فنك في موضع نصب بخير كأنه قال قد خارك بخيرك أي فضلك في الخير وهذا التأويل يمكن أن يقال فى قول الشاعر * ابيضُ من أختِ بَني أباضِ * ويحمل على انه أراد من جملتها ومن قومه ولم يرد التعجب وتأويله على هذا الوجه أولى من حمله على الشذوذ فاما قول المتنبي * أبعد بعدت بياضاً لابياض له * فالمعنى الظاهر للناس فيه انه أراد لاضياء له ولا نور ولا اشراق من حيث كان حلوله محزنا مؤذنا بتقضي الأجل وهذا لعمري معنى ظاهر الا أنه يمكن فيه معنى آخر وهو ان يريد انك بياض لالون بعده لأن البياض آخر الألوان فى الشعر فجعل قوله لابياض له بمنزلة لالون بعده وانما سوّغ ذلك له أن البياض هو الآتي بعد السواد فلما نفى أن يكون للشيب بياض كان نفيا لان يكون بعده لون •• وقد اختلف القراء فى فتح الميم وكسرها من قوله تعالى ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى ﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الميمين وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائى بكسر الميم فيهما جميعاً وفى رواية حفص لايكسرهما وكسر أبو عمرو الاولى وفتح الأخيرة ولكل وجه • أما من ترك امالة الجميع فان قوله حسن لان كثيراً من العرب لايميلون هذه الفتحة •• وأما من أمال الجميع فوجه قوله انه ينحو بالالف نحو الياء ليعلم أنها تنقلب الى الياء •• وأما قراءة أبي عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه قوله انه جعل الثانية افعل من كذا مثل أفضل من فلان فاذا جعلها كذلك لم تقع الألف فى آخر الكلمة لان آخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من أفعل الذى هو لتفضيل الجار والمجرور جميعا

وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى ﴿فانه يعلم السر وأخفى﴾ المعنى وأخفى من السر فكذلك قوله تعالى ﴿وأضل سبيلا﴾ فكما أن هذا لايكون الاعلى أفعل من كذا فكذلك المعطوف عليه

[تأويل خبر] ٠٠ روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تَقِيء الارض أفلاذ كبدها مثل الأُصطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في مثل هـذا قتلت ويجيء القاطع الرحم فيقول فى مثل هذا قطعت رَحِمي ويجيء السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدى ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً ٠٠ معني ـ تقيء ـ أي تخرج مافيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة ٠٠ وقوله تقيء تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجا واظهاراً وكذلك تسمية مافى الارض من الكنوز كبداً تشبيهاً بالكبد التى فى بطن البعير وغيره وللعرب فى هذا مذهب معروف ٠٠ قال مرّة بن محكان[1] السعدى فى قِدْرٍ نصبها للاضياف

لها أَزِيزٌ يُزِيل اللحمَ إزْمِلُهُ ... عَنِ العِظَامِ اذَامَا اسْتُحْمِشَتْ غَضَبَا

تَرْمي الصَّلَاةَ بِنَبلٍ غيرِ طَائِشَةٍ ... وفقاً إذَا آنَسَتْ منْ تَحْتِها لَهبَا

فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة ٠٠ فأما ـ الازيز ـ فهو الغليان والعرب تقول لجوفه أزيز مثل أزيز المرجل ـ والازمل ـ الصوت ـ واستحمشت ـ أي غضبت يقال حمشه

(١) ـ محكان ـ بفتح أوله واسكان ثانيه من الماحكة وهي الملاحاة ورجل محكان عسر الخلق لجوج فان كان محكان اسـمه فهو من قبيل تسميتهم بسارق وظالم وان كان لقباً له فلعله انما لقب به لسوء كان في أخلاقه : وكان يقال لمرة أبو الاضياف لمحبته لهم واكرامه اياهم وفى هذه القصيدة يقول لزوجته

وقلت لما غدوا أوصى قعيدتنا ... غذي بنيك فلن تلقيهم حُقُبا

ادعي أباهم ولم أقرف بأمهـم ... وقد هجمت ولم أعرف لهم نسبا

أنا ابن محكان أخوالي بنو مطر ... أُنمي اليهم وكانوا معشراً نجبـا

وقتـله صاحب شرطة مصعب بن الزبير ولا عقب له ـ وصلاة ـ فى بيتي الأصل جمع صال وهو المستدفئ بالنار ـ ونبلها ـ كناية عما يتطاير من القدر من الماء لشدة الغليان

أي أغضبه •• وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة

سألتني بأناسٍ هلكوا ... شرب الدهرُ عليهم وأكل

فوصف الدهر بالاكل والشرب تشبيها واستعارة•• وقال قوم معني البيت شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا •• واختلف أهل اللغة في الافلاذ•• فقال يعقوب بن السكيت الفلذ لايكون الا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال اعطى فلذاً من الكبد وفلذة من الكبد•• قال أعشى باهلة

تكفيه حزّةُ فلذٍ إن ألمّ بها ... من الشواء ويروى شربهُ الغمرُ

الغمر القدح الصغير••قال يعقوب ولايقال اعطي حزّة من السنام ولا من اللحم وانما الحزة في الكبد خاصة فاذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا أعطى حِذية من لحم وهي القطعة الصغيرة وفلقةً من سنام •• وقال الطوسى عن أبي عبيد عن الاصمعي قال يقال اعطى حذية من لحم وحزة من لحم اذا كانت مقطوعة طولا فاذا كانت مجتمعة قلت اعطى بضعة من لحم وهَبْرة من لحم وذرّة من لحم •• ومثل هذا الحديث قوله (وأخرجت الأرض أثقالها) معناه أخرجت مافيها من الكنوز•• وقال قوم عنى به الموتى وأنها أخرجت موتاها فسمي الله تعالي الموتى أثقالا تشبيها بالحمل الذى يكون في البطن لأن الحمل يسمى ثقلاقال تعالي (فلما أثقلت)•• والعرب تقول ان للسيد الشجاع ثقلا على الأرض فاذا مات سقط عنها بموته ثقل •• قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً

أبعدَا بنِ عمرو من آلِ الشّريــد حلّتْ بهِ الأرضُ أثقالَها

معناه انه لما مات حلّ عنها بموته ثقل لسودده وشرفه •• وقال قوم معنى حلت زينت موتاها به وهو مأخوذ من الحلية •• وقال الشمردل اليربوعي يرثى أخاه

وحلّتْ بهِ أثقالَها الأرضُ وانتهى ... لمثواهُ منها وهوَ عفٌّ شمائلُهْ

•• وروى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال قال زهير بن أبي سلمي المزني بيتاً ثم أكدى ومر به النابغة الذبياني فقال له ياأبا أمامة أجز قال ماذا قال

تزالُ الأرضُ إمّامتّ خفاً ... وتحيا ما حييتَ بها ثقيلاً

نَزَلَتْ بمُستقرّ العزّ منها . . . .

فما ذا قال فأكدى والله النابغة أيضاً وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوه أجزيابني فقال ماذا فانشده البيت الأول ومن البيت الثاني قوله بمستقر العز منها . . فقال كعب

* فتمنعُ جانبيها أنْ يزُولاَ *

فقال زهير أنت والله ابني وانما خص الكبد من بين مايشتمل عليه البطن لانه من أطايب الجزور . . والعرب تقول أطايب الجزور السنام والملحاء والكبد . . [قال المرتضى] رضي الله عنه واني لأستحسن قول الخنساء وقد قيل لها مامدحت أخاك حتى هجوت أباك . . فقالت

جارَى أباهُ فأقبلاَ وهُمَا يتعاوَرانِ مُلاَءَةَ الحضْرِ
حتّى إذَا نَزَتِ القُلوبُ وَقَدْ لُزَّتْ هُنالكَ العذْرُ بالعذْرِ (١)
وَعلا هتافُ الناسِ أيُّهُما قال المُجيبُ هُناكَ لاأدْري
برَزَتْ صَحيفةُ وَجهِ وَالدِهِ وَمَضَى على غُلَوَائهِ يجْرِي
أوْلَى فأوْلَى أنْ يُساوِيَهُ لوْلاَ جلاَلُ السّنّ وَالكِبرْ
وَهُما وَقدْ برَزَا كأنّهُما صقْرانِ قدْ حطَّا إلى وَكْرِ

ويقال انه قيل لأبي عبيدة ليس هذه الابيات فى مجموع شعر الخنساء فقال أبو عبيدة العامة أسقط من أن يجاد عليها بمثل ذلك . . ولعمرى انها قد بلغت فى مدح أخيها من غير إزراء على أبيها النهاية لانها جعلت تَقَدُّمَ أبيها له عن قدرة منه على المساواة وعن غير تقصير منه وأنه أفرج له عن السبق معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه . . وكأنّ الخنساء نظرت في هذا المعنى الى قول زهير

فشَجَّ بِها الأماعِزَ فهْيَ تهْوِي هُوِيّ الدّلوِ أسلَمَها الرّشاءُ

(١) ـ قولها ـ نزت القلوب أى طمحت وتاقت الى معرفة السابق من نزا ينزو اذا وثب . وقولها ـ لزت العذر بالعذر ـ أي قرنت العذر بالعذر

فَلَيسَ لَحاقُهُ كَلِحَاقِ إِلفٍ ... وَلاَ كَنَجائِها منهُ نَجاء

يُقَدِّمُهُ إذَا اختَلَفتْ عَلَيهِ ... تَمامُ السِّنِّ مِنهُ وَالذَّكاء

ويشبه أن يكون الكميت أخذ من الخنساء قوله فى مخلد بن يزيد بن المهلب

ما إنْ أرَى كأَبيكَ أدرَكَ شأْوَهُ ... أحَدٌ وَمِثْلكَ طالباً لَمْ يَلْحَقِ

يَتَحاذَيانِ لهُ فَضِيلَةُ سِنِّهِ ... وَتَلَوْتَ بعدُ مُصَلِّياً لَمْ تَسبُقِ

إنْ تَنزِعا وَلهُ فَضِيلَةُ سِنِّهِ ... فَبِمِثلِ شأْوِ أبيكَ لَمْ يُتَعَلَّقِ

وَلئِنْ لَحِقتَ بِهِ علي ما قدْ مَضى ... مِنْ بُعْدِ غايتِهِ فَاحِجْ وَأَخْلِقِ

ويشبه هذا المعنى . . قول المؤمل بن أُميل الكوفى المحاربي يمدح المهدى في حياة المنصور

لَئِنْ فُتَّ الملوكَ وَقَدْ تَوافَوا ... اليْكَ مِنَ السُّهُولَةِ وَالوُعُورِ

لَقَدْ فَاتَ الملوكَ أَبُوكَ حَتَّى ... بَقُوا مِنْ بَيْنِ كَابٍ أَوْ حَسيرِ

وَجِئْتَ وَرَاءَهُ تَجْرِي حَثِيثاً ... وَمَا بِكَ حَيْثُ تَجْرِي مِنْ فُتُورِ

وقالَ النَّاسُ ما مِنْ ذَيْنِ إلاَّ ... بِمَنْزِلَةِ الخَلِيقِ مِنَ الجَدِيرِ

فإِنْ سَبَقَ الكَبيرُ فأَهلُ سَبْقٍ ... لهُ فَضْلُ الكَبيرِ علي الصَّغيرِ

وإنْ بَلَغَ الصَّغيرُ مَدَا كَبِيرٍ ... فَقَدْ خُلِقَ الصَّغِيرُ مِنَ الكَبيرِ

. . ومن هذا المعنى قول الشاعر

جِيادٌ جَرَتْ في حَلْبةٍ فَتَفاضَلَتْ ... على قَدَرِ الأَسْنانِ وَالعِرْقُ واحِدُ

ومما له بهذا المعنى بعض الشبه وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبر . . قول زهير

هوَ الجَوَادُ فإِنْ يَلْحَقْ بِشأْوِهِما ... علي تَكالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقا

أوْ يَسبِقَاهُ علي ما كانَ مِنْ مَهَلٍ ... فَمِثْلُ ما قَدَّما مِنْ صالِحٍ سَبَقا

•• وروى انه عرضت على جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي جارية شاعرة فاراد أن يبلوها فقال لها قولي فى معنى بيتى زهير اللذين ذكرناهما فقالت

بَلَغتَ أو كِدتَ يحيا أو لَحقتَ بهِ ... فنلتُما خالدًا في شأوِ مُستبِقِ
لـكن مَضى وتَلى يحيي فأنتَ لهُ ... تالٍ تَعلَّلتَ دُونَ الرَّكضِ بالعنَقِ

ومن أحسنِ ماقيـل فى المساواة والمقاربة وهو داخـل فى هـذا المعنى مناسب له

•• قول عباد بن شبل

إذَا اخترْتَ مِنْ قوم خيارَ خيارِهِمْ ... فكُلُّ بَني عبْدِ المُدانِ خيارُ
جرَوْا بعِنانٍ واحدٍ فَضْلَ بَيْنهِمْ ... بأنْ قِيلَ قدْ فاتَ العِذارَ عِذارُ

•• وقول الكميت

مُصَلٍّ أباهُ لهُ سابقٌ ... بأنْ قيلَ فاتَ العِذارُ العِذارا

ومثله قول العتابى وهو مليح جداً

كما تَقاذَفُ جُرْدٌ في أعِنَّتِها ... سَبْقًا بآذانِها مرًّا وبالعُذُرِ

•• وأول من سبق الى هذا زهير فى قوله يصف مطايرةَ البازى للقطاة ومقاربته لها

دُونَ السَّماءِ وفوْقَ الأرْضِ قدْرُهُما ... عِندَ الذُّنابى فلاَ فوْتٌ ولاَ دَرَكُ

•• وقد لحظ أبو نواس هذا المعنى فى قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لأبيه فى المجد والسودد

ثُمَّ جرَى الفضْلُ فانثنى قدَماً ... دُونَ مَداهُ مِنْ غيْرِ تَرْهيقِ
فقِيلَ راشا سَهماً يُرادُ بهِ الـغاية والنَّصْلُ سابقُ الفُوقِ [1]

ويشا كل ذلك قول البحترى فى ابن أبى سعيد الثغرى

(١) ــ راش ــ السهم ألزق عليه الريش ــ والنصل ــ حديدة السهم ــ والفوق ــ موضع الوتر من السهم •• يقول ان أباه سابقٌ عليه من غير قصور منه

جَدٌّ كَجَدِّ أَبِي سَعيدٍ إِنَّهُ ... تَرَكَ السِّماكَ كأَنهُ لَم يُشْرِفِ
قاسَمْتَهُ أَخلاقَهُ وهِيَ الرَّدَا ... لِلمُعتَدِي وهِيَ النَّدَا لِلمُعْتَفِي
وإذَا جرَى مِنْ غايةٍ وجَرَيتَ مِنْ ... أُخرى التقَى شأْواكُما في المَنْصَفِ

ويشبهه أيضاً قوله

وإذَا رأيتَ شَمائِلَ ابنيْ صاعِدٍ ... أَدَّتْ إليكَ شَمائِلَ ابنيْ مَخْلَدِ
كالفَرْقَدَينِ إذَا تأَمَّلَ ناظِرٌ ... لمْ يَعلُ موْضِعُ فَرْقَدٍ عنْ فَرْقَدِ

فاما قول الخنساء ـ يتعاوران ملاءة الحضر ـ فهي تعنى بالملاءة الغبار فان عدي بن الرقاع كأنه نظر اليها فى قوله يصف حماراً وأتانا

يَتَعاوَرانِ مِنَ الغُبارِ مُلاءَةً ... بيضاءَ مُحْدَثَةً هُما نَسَجاها
تُطْوَى إذَا وَطِئا مَكاناً جاسياً ... وإذَا السَّنابِكُ أُسْهِلَتْ نَشَراها

وهذا المعنى وان كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد فى استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من أجلها بالمعنى أحق منها •• وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال من قصيدة

يُثيرانِ مِنْ نَسْجِ التُّرابِ عليهِما ... قَميصينِ أَسْمالاً ويَرْتَدِيانِ

—✻—✻—✻—✻—

﴿ مجلس آخر ٨ ﴾

[ان سأل سائل] •• عن قوله تعالى ﴿وَجاؤُا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعانُ على ما تَصِفُونَ﴾ فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لا من صفات الاجسام وأي معنى لوصفه الصبر بانه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب على فقد ابنه يوسف لا يكون الا جميلا ولم ارتفع

الصبر وما المقتضي لرفعه ٠٠ الجواب يقال له أما كذب فمعناه مكذوب فيه وعليه فمثل قولهم هذا ماء سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله أيضاً قولهم ماء غور ورجل صوم وامرأة نوح ٠٠قال الشاعر

تَظَلُّ جيادُهُمْ نَوْحاً عليهمْ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفُونا

أراد بقوله نوحا أي نائحة عليهم ٠٠ومثله مالفلان معقول يريدون عقلا وماله على هذا الأمر مجلود يريدون جلداً ٠٠ قال الشاعر

حتّى إذا لَمْ يَترُكوا لِعِظامِهِ لَحماً ولا لِفُؤادِهِ مَعْقولا

وأنشد أبو العباس لثعلب

قد والذي سَمَكَ السَّماء بقدرةٍ بَلَغَ العَزاءُ وأَدْرَكَ المَجلودُ

٠٠ وقال الفراء وغيره يجوز في النحو بدم كذباً بالنصب على المصدر لأنّ جاؤا فيه معنى كذبوا كذباً كما قال تعالى (والعاديات ضبحاً) فنصب ضبحاً على المصدر لأن العاديات بمعنى الضابحات وانما كان دماً مكذوباً فيه لأن اخوة يوسف عليه السلام ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف بدمها وجاؤا أباهم بالقميص وادعوا أكل الذئب له فقال لهم يعقوب عليه السلام يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ولم يخرق قميصه قالوا بل قتله اللصوص قال فكيف قد قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه أحوج منهم الى قتله ٠٠وقد قيل انه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قدّ قميصه من دبر وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيراً وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه أبوه على ان الذئب لو أكله لخرق قميصه ٠٠ وأما وصف الصبر بأنه جميل فلأن الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد به وجه الله وفعل للوجه الذي وجب فلما كان في هذا الموضع واقعاً على الوجه المحمود صح وصفه بذلك وقد قيل انه أراد صبراً لاشكوى فيه ولاجزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى والجزع له وأما ارتفاع قوله فصبر جميل فقد قيل ان المعنى وشأني صبرٌ جميل أوالذي أعتقده صبر جميل ٠٠ وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل ٠٠وأنشدوا

شَكا إليَّ جَملي طولَ السُّرَى　　يا جَملي ليسَ إليَّ المُشتكا

صبرٌ جميلٌ فكلانا مُبتلى

معناه فليكن منك صبر جميل •• وقد روي ان في قراءة أُبيّ فصبراً جميلاً بالنصب وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبرى يا نفس صبراً جميلاً •• قال ذو الرمة

ألاَ إنَّما مَيٌّ فصبراً بَليَّةٌ　　وقد يُبتلى الحرُّ الكريمُ فيَصبرُ

•• وقال الآخر

أبَى اللهُ أنْ يُبقى لحيٍّ بَشاشةً　　فصبراً على ماشاءهُ اللهُ لي صبرا

[تأويل خبر] في الحديث ان قيس بن عاصم •• قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد أهل الوبر فقلت يارسول الله ما المال الذى ليست عليّ فيه تبعة من طالب ولا ضيف فقال عليه الصلاة والسلام نعم المال أربعون والكثر ستون وويل لأصحاب المئين الا من أعطي الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فأكل وأطعم القانع والمُعتر ••وفي رواية أخرى الا من أعطى من رِسلها وأطرق فحلها وأفقر ظهرها ومنح غزيرتها وأطعم القانع والمعتر فقلت يارسول الله ما أكرم هذه الاخلاق وأحسنها انه لا يحَل بالوادى الذي فيه إبلي من كثرتها فقال كيف تصنع في العطيمة قلت أعطى البكر وأعطي الناب قال فكيف تصنع في المنحة قلت اني لأمنح المائة قال كيف تُعطي الطروقة قلت يغدوا الناس بابلهم فلا يورّع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بداله حتى يكون هو الذى يرده وفي الرواية الأخرى قال فكيف تصنع في الاطراق قال يغدوا الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير فيذهب به قال فكيف تصنع في الإفقار قلت اني لأُفقرُ الناقة المدرّة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع فى المنيحة قلت انى لأمنح فى السنة المائة قال فمالك أحب اليك أم مال مواليك قلت لا بل مالى قال فان مالكَ ما أكلتَ فأفنيتَ وأعطيتَ فأمضيتَ •• وفى الرواية الأخرى ولبستَ فأبليتَ وسائره لمواليك قلت لا جرم والله لئن رجعت لأُقلنّ عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بنيّ خذوا عنى فانكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني لا تنوحوا عليّ فان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يَنُحْ عليه أحد وقد سمعته ينهى عن النياحة وكفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وسوّدوا أكابركم فانكم اذا سوّدتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفةٌ واذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس وزهدوا فيكم وأصلحوا عيشكم فان فيه غنًى عن طلب الى الناس وإياكم والمسئلة فانها آخر كسب المرء واذا دفنتموني فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية فلا آمنُ سفيهاً منهم أن يأتي أمراً يدخل عليكم عيباً في أبيكم •• فاما قوله صلى الله عليه وسلم ـ الكثرستون ـ فمعناه الكثير تقول العرب نسأل الله الكثر ونعوذ به من القلّ أي نسأله الكثير ونعوذ به من القليل •• قال الشاعر

فإنَّ الكُثْرَ أعياني قديماً ولمْ أُقترْ لَدُنْ أني غُلامُ

•• وقال آخر

وقدْ يقْصرُ القلُّ الفتى دُونَ همّهِ وقدْ كانَ لولاَ القلُّ طلاَّعَ أنجُدِ

ـ والكريمةـ يعني بها كرائم ماله ـ وأمنح الغزيرةـ أي أعطيهامن يحلبها ويردّها ومن ذلك الحديث والعارية مُؤدّاة والمنحة مردودة والدين مقضيّ والزعيم غارم فالمنحة الناقة أو الشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه ـ والزعيم ـ الكفيل ويقال له أيضاً القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى ﴿ وأنا به زعيم ﴾ •• قال الشاعر

فلستُ بآمرٍ فيها بسلمٍ ولكنّي على نفسي زعيمُ

•• وقال آخر

قلتُ كفّى لكِ رهْنٌ بالرِّضا فازْعُمي ياهندُ قالتْ قدْ وجبْ

معناه اكفلي ويروى فاقبلي من القبيل الذي هو الكفيل أيضاً •• وقال الفراء القانع هو الذي يأتيك فيسألك فان أعطيته قبل ـ والمعترـ الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك عن السؤال فكأنه يعرض في المسئلة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة اذا رضي وقنع قُنُوعاً اذا سأل •• فأما قوله ـ لاجرم ـ فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا في قوله تعالى ﴿ لاجرم أن لهم النار ﴾ أنّ لا ردٌّ على الكفار ثم ابتدأ فقال جرم ان لهم النار

بمعنى كسب قولهم ان لهم النار .. وقال الشاعر

نَصَبْنا رَأْسَهُ في رَأْسِ جِذْعٍ   بما جَرَمَتْ يَدَاهُ وما اعتَدَيْنا

أي بما كسبت .. وقال آخرون معني جرم حقاً وتأول الآية بمعنى حقق قولهم أن لهم النار .. وأنشدوا

ولقدْ طَعَنْتُ أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً   جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعدَهاأنْ تغضبا

أراد حققت فزارةُ .. وروى الفــراء فزارة بالنصب على معنى أكسبت الطعنة فزارة الغضب .. وقال الفراء لاجرم فى الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب فى معنى حقاً وجاءت فيه بجواب الأيمان فقالوا لاجرم لأقومنّ كما قالوا والله لأقومن وفيها لغات يقال لا جَرَم ولاجُرْمَ بضم الجيم وتسكين الراء ولا جَرَ بحذف الميم ولا ذا جرم [1] .. قال الشاعر

إنَّ كِلاَباًوالذِى لاَذَا جَرَمْ   لأَهدُرَنَّ اليومَ هَدْراً في النَّعَم

(١)ـ قلت وفى أن بعد لا جرم وجهان .. الفتح وهو الغالب نحو لاجرم أن الله يعلم فالفتح عند سيبويه على أن جرم فعل ماض معناه وجب وأن وصلتها فاعل أى وجب أن الله يعلم ولا صلة زائدة للتوكيد ورده الفراء بان لا لاتزاد في أول الكلام وعلله فى المغني بأن زيادة الشئ تفيد اطراحه وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به وجوابه ما أجاب به الفارسى عن القول بزيادة لا في لا أقسم من أن القرآن كالسورة الواحدة .. وقال المرادى وجرم عند سيبويه بمعنى حقّ ولا ردّ لما قبلها والوقف على لا وأن وما بعدها فى موضع الفاعل والفتح عند الفراء على أن لا جرم مركبة من حرف واسم بمنزلة لا رجل في التركيب ومعناهما بعد التركيب لابد أو لا محالة ومن أو في بعــدهما مقدرة أى لا بد من أن الله يعلم أو لامحالة في أن الله يعلم ونقل عن الفراء أن لا جرم بمنزلة حقاً وأصل جرم من الجرم بمعنى الكسب .. والكسر على ما حكاه الفراء عن العرب من أن بعضهم ينزلها منزلة اليمين فيقول لا جرم لآتينك ولا جرم لقد أحسنت ولا جرم إنك ذاهب بكسر إنْ

هَذر المغنّي ذِي الشقّاشقِ اللّهِمْ

والناب ــ الناقة الهرمة وجمعها نيب ومثلها الشارف •• قال الشاعر

لاَ أَفتأُ الدّهرَ أَبكيهمْ بأَرْبعةٍ ما اجترَّتِ النّيبُ أَوحنّتْ إلي بَلَدِ

ويقال للبعير أيضاً اذا كبر عودٌ وللأنثى عودةٌ •• قال الشاعر

عَوْدٌ على عوْدٍ منَ القِدَم الأُوَلْ يَموتُ بالتَّرْكِ ويَحْيى بالعَمَلْ

وهذا من أبيات المعاني ومعناه بعيرٌ عود على طريق متقادم وسمى الطريق بأنه عود لتقادمه تشبيها بالبعير •• وقوله ــ يموت بالترك ويحيي بالعمل ــ أراد أنه اذا سُلك وطُرق ظهرت أعلامه وظهرت طرقه واهتدى سالكه لسلوكه ولم يضل عن قصده فكان هذا كالحياة له واذا لم يسلك طمست آثاره وانمحت معالمه فلم يهتدفيه راكب لقصد وكان ذلك كالموت له فأما ــ الخماشات ــ فهي الجنايات والجراحات •• قال ذو الرمة يذكر الحمار والأُتن

رَبَاعٍ لها مُذْ أَوْرَقَ العُودُ عندَهُ خُمَاشاتُ ذَحْلٍ مايُرَادُ امتثالُها

يريد بقوله مايراد امتثالها أي مايراد اقتصاصها يقال أمثلنى من هـذا الرجـل واقدنى واقصني بمعنى واحد •• فأما قوله ــ لا يورع ــ أي لا يحبس ولا يمنع ويقال ورعت الرجل توريعاً اذا منعته وكففته والورع هو الرجل المتحرج المانع نفسه مما تدعوه اليه يقال وَرِعَ ورَعاً ورعةً •• قال لبيد

أَكُلَّ يوْمٍ هامَتِي مُقَزَّعَه لا يمْنَعُ الفِتْيانَ مِنْ حُسْنِ الرِّعَه

ويقال ما ورّع أن فعل كذا وكذا أي ما كذّب فأما الورع بالفتح فهو الجبان وأما ــ الطروقة ــ فهي التي قد حان لها أن تطرق وهي الحِقّة وقوله في الرواية الأخرى ــ الامن أعطى من رسلها ــ فالرسل اللبن ــ والافقار ــ هو أن يركبها الناس ويحملهم على ظهورها مأخوذ من فَقَار الظهر ــ والاطراق ــ للفحول هو أن يبذلها لمن يُنزيها على اناث ابله وذكر الاطراق في هذه الرواية أحب الي من الطروقة لأنه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكرَ والضرعَ والمائة فلا معنى لاعادة ذكر الطروقة وقوله في الجواب ــ تغدو الناس

فلايورع رجل عن جمل يخطه فيمسكه ما بدا له ثم يرده لا يحتمل غير الاطراق ولا يليق بمعنى الطروقة •• وكان قيس بن عاصم شريفاً في قومه حليما ويكنّي أبا علي وكان الأحنف بن قيس يقول انما تعلمت الحلم [١] من قيس بن عاصم أوتى بقاتل ابنه فقال رعبتم الفتى وأقبل عليه وقال يا بني نقصت عددك وأوهنت ركنك وفتّت في عضدك وأشمت عدوك وأسأت بقومك خلوا سبيله وما حلّ حُبوته ولا تغير وجهه •• وقال ابن الاعرابي قيل لقيس بماذا سدت قومك فقال بثلاث بذل الندى وكف الأذى ونصر الولي •• وذكر المدائنى قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فما بغى قوم قط إلا قلوا وذلوا •• وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهي اخوته أن ينصروه وقيس بن عاصم هو الذى حفز الحوفزان بن شريك الشيباني بطعنة فى يوم جدود [٢]

---

(١) قلت وبالأحنف هذا يضرب المثل فيقال أحلم من الأحنف وسئل هل رأيت أحلم منك قال نعم وتعلمت منه الحلم قيل ومن هو قال قيس بن عاصم المنقرى حضرته يوماً وهو محتب يحدثنا إذجاؤا بابن له قتيل وابن عم له كتيف فقالوا ان هذا قتل ابنك هذا فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته حتى اذا فرغ من الحديث التفت اليهم فقال أين ابني فلان فجاءه فقال يابني قم الي ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وأنشأ يقول

إنى امرؤ لا يعترى خلقى ... دلس يفنده ولا أفنُ
من مِنقرٍ من بيت مكرُمةٍ ... والغصن ينبت حوله الغصن
خُطباء حين يقوم قائلهم ... بيضُ الوجوه مصاقع لسنُ
لا يفطُنون لعيب جارِهمُ ... وهمُ لحسنِ جوارِه فطُنُ

وهو شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات مظفر فى غزواته أدرك الجاهلية والاسلام فساد فيهما وله وفادة على النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) قوله يوم جدود جدود بالفتح موضع فى أرض بني تميم وكان من حديث ذلك اليوم ان الحارث بن شريك كانت بينه وبين بني يربوع موادعة ثم هم بالغدر بهم فجمع

فسمي الحارث الحوفزان •• وقال سوّار بن حيان المنقري في ذلك

وَنحنُ حفزْنا الحَوْفزَانَ بطَعنةٍ　　سقتهُ نجيعاً من دَمِ الجوفِ أشكَلا

وحُمْرَانَ قَسْراً أنزَلتْهُ رِماحُنا　　يُعالِجُ غُلاًّ في ذِراعيهِ مثقَلا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم

جزَا اللهُ يَرْبوعاً بأسوَإِ سَعْيِها　　إذا ذُكرَتْ في النّائباتِ أُمورُها

ويومَ جَدُودٍ قد فضحتمْ ذِمارَكُمْ　　وسالمتُمُ والخيلُ تدْمي نُحورُها

ستَحطِمُ سَعْدٌ والرّبابُ أُنوفَكمْ　　كما حزّ في أنفِ القَضيبِ جَريرُها

ـ القضيب ـ الناقة المقتضبة الصعبة •• وفي قيس يقول عبدة بن الطبّيب [1]

بني شيبان وبني ذهل واللهازم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس واخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد الحر فما شعر الحوفزان الا بالأهتم بن سمي بن سنان بن خالد ابن منقر واسم الأهتم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان الى فرسه فركبه وقال للأهتم من أنت فانتسب وقال هـذه منقر فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان في أيديهم وتبعهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهتم حمران وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعي الزبد وقيس على مهر فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح في أسته فحفز به الفرس فجاء فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر ابن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات

[١] قوله يقول عبدة بن الطبيب •• قلت سبب هذه الأبيات ان عبدة وقيساً كان بينهما لحاء فهجره قيس بن عاصم ثم حمل عبدة دما في قومه ثم خرج يسأل فيما تحمّله فجمع

عليكَ سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ... ورحمتُهُ ما شاء أنْ يترحَّما

سلامُ امرىءٍ جلّلتهُ منكَ نعمةً ... إذا زارَ عن شحطٍ بلادَكَ سلَّما

فما كانَ قيسٌ هلكُهُ هلكَ واحدٍ ... ولكنَّهُ بُنيانُ قومٍ تهدَّما

[قال المرتضى رضى الله عنه] ..ذاكرني بعد الأصدقاء بقول أبي دهبل الجمحي وهو يعني ناقته

وأبرزْتُها مِنْ بَطنِ مكّةَ عندَما ... أصاتَ المُنادِي بالصّلاةِ فأعتَما (١)

وسألني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم اليه وأجعل الكناية فيه كأنها كناية عن امرأة لا عن ناقة فقلت فى الحال

فطيّبَ ريّاها المَقامُ وضوّأتْ ... بإشراقِها بينَ الحَطيمِ وزمزَما

ابلا ومرّ به قيس بن عاصم وهو يسأل فى تمام الدية وقال فيم يسأل عبدة فأخبر فساق اليه الدية كاملة من ماله وقال قولوا له ليستنفع بما صار اليه وليسق هذه الى القوم فقال عبدة أما والله لولا أن يكون صلحي إياه بعقب هذا الفعل عاراً عليّ لصالحته ولكنى أنصرف الى قومي ثم أعود فأصالحه ومضى بالابل ثم عاد فوجد قيساً قد مات فوقف على قبره وأنشد الأبيات

(١) قوله وأبرزتها من بطن مكة الخ هو من أبيات حسان أولها

ألا عَلِقَ القلب المتيم كلثما ... لجاجاً ولم يلزم من الحب ملزَما

خرجتُ بها من بطن مكة بعدما ... أصات المنادي بالصلاة وأعتما

فما نام من راعٍ ولا ارتدّ سامرٌ ... من الحي حتي جاوزت بى يلملما

ومرّت ببطن البيت تهوي كأنما ... تبادرُ بالإدلاج نهباً مقسَّما

أجازت على البزواء والليل كاسرٌ ... جناحين بالبزواء ورداً وأدهما

الخ الأبيات فقال له موسى بن يعقوب ما كنت الا على الريح فقال يا ابن أخي ان عمك كان اذا هم فعل وهى الحاجة

فيارَبِّ إنْ لقّيتَ وَجهاً تحيّةً فحيِّ وُجوهاً بالمدينةِ سُهّما

تجافينَ عن مسِّ الدّهان وطالَما عَصَمْنَ عن الحنّاء كفّاً ومعصما

وكمْ منْ جَليدٍ لا يُخامِرُهُ الهوَى شَنَنَّ عليهِ الوَجْدَ حتّى تَتيّما

أهانَ لهنّ النفسَ وهيَ كريمةٌ وألقى اليهنّ الحديثَ المُكتّما

تسفّهتَ لمّا أنْ وَقفتَ بدارِها وعُوجِلتَ دُونَ الحلمِ أنْ تتحلّما

فعُجْتَ تقرّي دارساً متنكّراً وتسأَلُ مصرُوفاً عن النُّطقِ أعْجما

ويومَ وَقفنا للوَداعِ وكلّنا يعدُّ مُطيعَ الشّوقِ مَنْ كانَ أحزَما

نُصِرْتُ بقلبٍ لا يُعَنَّفُ في الهوَى وعينٍ متى استمطَرْتُها قطرَتْ دَما

وكان أبو دهبل من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد واسمه وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى بن غالب وكان اسم جمح تيماواسم أخيه زيداً وهما ابنا عمرو بن هصيص واستبقا الى غاية فمضى تيم عن الغاية فقيل جمح تيمٌ فسمى جُمح ووقف عليها زيد فقيل سهم زيدٌ فسمى سهماً .. فأما كنيته فهي مشتقة من الدهبلة وهى المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة اذا مشى ثقيلا .. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لأبي عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر أبي دهبل الجمحي فقال قوله

يا عَمْرُ حُمّ فِراقُكُمْ عُمَرا وعزَمْتِ منّا النّأيَ والهَجْرا

يا عَمْرُ شيخَكِ وهوَ ذُو شرَفٍ يَرْعى الزّمامَ ويُكرِمُ الصِّهْرا

واللهِ ما أحبَبْتُ حبَّكُمُ لا ثَيِّباً خُلِقَتْ ولا بِكْرا

إنْ كانَ هذا السِّحرُ منكِ فَلا تَرْعي عليَّ وجدّدي السِّحْرا

إحدَى بنى أَوَدٍ كَلِفتُ بها ... حَمَلَتْ بلاَ تِرَةٍ لنا وِترا

وتَرَى لها دَلاًّ إذَا نَطقتْ ... تَرَكَتْ بناتِ فؤَاده صُعْرا

كتساقطِ الرُّطبِ الجنيِّ من الـ ... أقناءِ لا نَـثْرًا ولا نَزْرا

ومقالةٍ فيكُمْ عَرَكْتُ لها ... جَنْبي أُريدُ بها لكِ العُذْرا

ومُرِيدُ سِرِّكُمُ عَدَلتُ بهِ ... عمَّا يُحاولُ معْدِلاً وَعْرَا

قالتْ يُقيمُ لنا لِنَجْزِيَهُ ... يوماً فخيَّمَ عِندَها شهْرا

ما إنْ أُقيمُ لِحاجةٍ عَرَضَتْ ... إلا لأُبلي فيكُمُ عُذْرا

وإذا هَمَمْتُ برِحلةٍ جَزِعَتْ ... وإذا أَقَمْنا لمْ تُفِدْ نِقْرا (١)

إني لأَرْضَى ما رَضِيتِ بهِ ... وأَرَى لِحُسْنِ حَدِيثِكُمْ شُكْرا

وروى أبو عمرو الشيبانى لأبى دهبل

يا ليتَ مَنْ يمنعُ المعرُوفَ يمنعُهُ ... حتي تَذُوقَ رِجالٌ غِبَّ ما صَنَعوا

وليتَ رِزْقَ رِجالٍ مِثلُ نائلِهمْ ... قوتٌ كقوتٍ ووُسعٌ كالذِي وَسِعُوا

ويروى .. ضيق كضيق ووسع كالذى اتسعوا

وليتَ لِلنّاسِ خَطًّا في وُجوهِهِمُ ... تبينُ أخلاقُهمْ فيهِ إذا اجتمَعوا

وليتَ ذا الفُحْشِ لاقَى فاحِشاً أَبَدًا ... ووافَقَ الحِلْمُ أهلَ الحِلْمِ فاتدَعُوا

ولأبى دهبل فى قتل الحسين بن على عليه السلام

تَبيتُ النَّشاوَى منْ أُميةَ نُوَّما ... وبالطَّفِّ قتلَى ما ينامُ حَميمُها

وما ضيَّعَ الإسلامَ إلاَّ عِصابةٌ ... تأمَّرَ نَوْكاها ودَامَ نَعيمُها

(١) النقر بالكسر مانقر ونقب من الخشب والحجر ونحوهما كالنواة .. والمعنى لم تفد شيئاً

وصارَتْ قناةُ الدِّينِ في كَفِّ ظالِمٍ ... إذا مالَ منها جانبٌ لا يُقيمُها

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال روى أبو عمرو الشيباني لأبي دهبل قال ويقال انها للمجنون

أأتركُ ليلى ليسَ بيني وبينَها ... سوَى ليلةٍ إني إذًا لَصبورُ

هَبُوني امرأً منكم أضلَّ بعيرَهُ ... لهُ ذِمَّةٌ إنَّ الذِّمامَ كبيرُ

وللصاحبُ المتروكُ أعظمُ حُرْمةً ... علي صاحبٍ من أنْ يضلَّ بعيرُ

عفَى اللهُ عَنْ ليلى الغَداةَ فإنَّها ... إذا وَلِيَتْ حُكماً عليَّ تجورُ

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهبل وقد رواه أبو تمام في الحماسة له

أقولُ والرَّكبُ قدْ مالَتْ عمائمُهمْ ... وقدْ سقَى القومَ كأْسَ النَّشْوَةِ السَّهَرُ

يا ليْتَ أني بأثوابي وراحلتي ... عبدٌ لأهلكِ طُولَ الدَّهرِ مؤتجَرُ

إنْ كانَ ذا قدَرٌ يُعطيكِ نافلةً ... منّا ويحْرِمُنا ما أنصفَ القدَرُ

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال مثل قول أبي دهبل

ولوْ ترَكونا لاهدَى اللهُ أمرَهُمْ ... فلمْ يلْحِموا قولاً منَ الشَّرِّ ينْسِجُ (١)

(١) قوله ولو تركونا لاهدى الله أمرهم الخ هو من أبيات حسان قالها أبو دهبل فى امرأة من قومه يقال لها عمرة كانت امرأة جزلة يجتمع الرجال عندها لانشاد الشعر والمحادثة وكان أبو دهبل لايفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها وكانت هي أيضاً محبة له وكان أبو دهبل من أشراف بني جمح وزعمت بنو جمح أنه تزوّجها بعد وزعم غيرهم انه لم يصل اليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام وكانت عمرة تتقدم عليه فى حفظ مابينهما وكتمانه فضمن ذلك لها فجاء نسوة كنّ يتحدثن اليها فذكرن لها شيئاً من أمر أبي دهبل وقلن قد علق امرأة قالت وما ذاك قلن ذكر أنه عاشق لك وانك عاشقة له فرفعت مجلسها ومجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجاباً بينهم وبينها وكتبت الى أبي دهبل تعذله وتخبره

لأوشكَ صرفُ الدَّهرِ تفريقَ بيننا ... وهل يستقيمُ الدَّهرُ والدَّهرُ أعوجُ

قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمني موته

لمّا رآني أرعشتْ أطرافي ... استعجلَ الدّهرَ وفيهِ كافي

يخترمُ الإلفَ عن الألاّفِ

•• قال ومثله

بما بلغها من سوء صنيعه فعند ذلك يقول

تطاول هذا الليل ما يتبلَّجُ ... وأعيت غواشي عبرتي ما تفرّجُ

وبتُّ كئيباً ما أنام كأنما ... خلالَ ضلوعي جمرة تتوهجُ

فطوراً أمنّي النفسَ من عمرةَ المنى ... وطوراً اذا مالجَّ بي الحزنُ أنشجُ

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن الى أن يوصل الحبل أحوجُ

رأوا غرّةً فاستقبلوها بالبهمْ ... فراحوا على ما لا نحب وأدلجوا

وكانوا أناساً كنت آمنُ غيبهمْ ... فلم ينههم حلم ولم يتحرّجوا

همُ منعونا ما نحبُّ وأوقدوا ... علينا وشبوا نار صرمٍ تأججُ

ولو تركونا لا هدى الله سعيهم ... ولم يلحموا قولاً من الشر ينسجُ

لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا ... وهل يستقيم الدهر والدهر أعوجُ

عسى كربةٌ أمسيت فيها مقيمةٌ ... يكون لنا منها نجاة ومخرجُ

فيكبتَ أعداءه ويجذل آلفٌ ... له كبد من لوعة الحب تنضجُ

وقلت لعبّاد وجاء كتابُها ... لهذا وربي كانت العينُ تخلجُ

وخططتُ في ظهر الحصير كأنني ... أسيرٌ يخافُ القتل ولهانُ مُلفَجُ

فلما التقينا لجلجت في حديثها ... ومن آية الصرم الحديث الملجلجُ

واني لمحجوبٌ عشية زرتها ... وكنتُ اذا ما زرتها لا أعرّجُ

وأعيي عليٌّ القولُ والقولُ واسعٌ ... وفي القول مستنٌّ كثيرٌ ومخرجُ

عَدِمْتُ ابنَ عَمٍّ لا يَزَالُ كأَنَّهُ ... وإنْ لمْ تَرَاهُ مُنْطَوٍ لي على وِتْرِ (١)

يُعِينُ عليَّ الدَّهرَ والدَّهرُ مُكْتَفٍ ... وإنْ أَستعِنْهُ لا يُعِنِّي على الدَّهرِ

[قال المرتضى رضى الله عنه] •• ومثل الجميع قول أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إلى كمْ يكونُ العتبُ في كُلِّ ساعةٍ ... وكمْ لا تمَلِّينَ القَطيعةَ والهَجرا

رُوَيدَكِ إنَّ الدَّهرَ فيهِ كِفايَةٌ ... لِتفريقِ ذاتِ البيْنِ فانتظِري الدَّهرا

﴿ مجلس آخر ٩ ﴾

[إن سأل سائل] ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذى حسّن اعادة النفى لكونه عابداً مايعبدون وكونهم عابدين مايعبد وذكر ذلك مرة واحدة يغنى •• وماوجه التكرار في سورة الرحمن لقوله تعالى ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ •• الجواب يقال له قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرون وجهاً وهو أن قال القرآن لم ينزل دفعة واحدة وانما كان نزوله شيئاً بعد شيء والأمر في ذلك ظاهر فكأن المشركين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له استلم بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم ﴿لا أعبد ما تعبدون ولا أنا عابد ماعبدتم﴾ ثم غبروا مدة من الزمان وجاؤه فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولا لنفعل مثل ذلك بالهك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم ﴿ولا أنا عابدٌ ماعبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾

---

(١) قوله وان لم تراه الخ ان قال قائل لِمَ لَمْ يحذف الألف من تراه للجازم •• فجوابه انها ثبتت ضرورة أوهي اشباع والحرف الأصلي حذف للجازم وقيل هي أصلية بناء على قول من يجزم المعتل بحذفه الحركة المقدرة ويقر حرف العلة على حاله ومثل البيت قوله

هَجَوْتَ زَبَّانَ ثم جئت معتذراً ... مِنْ هَجْوِ زَبَّانَ لمْ تهجُو ولم تَدَعِ

أي ان كنتم لا تعبــدون إلهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابداً ٠٠ وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال انه يقتضى شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد قال واذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته مايعبدون مطلقاً غير مشروط فكذلك ماعطفه عليه وهذا الطعن غير صحيح لانه لايمتنع اثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة ٠٠ وعن هذا السؤال ثلاثة اجوبة كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة ٠٠ اولها ماحكي عن ابي العباس ثعلب انه قال انما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى وتلخيص الكلام قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضاً واختص الفعلان منه ومنهم بالحال ٠٠ وقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون فاختلف المعاني وحسن التكرار في اختلافها ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يؤمن ٠٠ وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد والمستهزؤن هم العاصي بن وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث وعديّ بن قيس ٠٠ والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد كقول المجيب مؤكداً بلى بلى والممتنع مؤكداً لا لا ٠٠ ومثله قول الله تعالى ﴿ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ﴾ ٠٠ وأنشد الفراء

وكائنْ وكمْ عِندِي لهمْ مِنْ صَنيعةٍ أَيادِيَ ثنُّوها عليَّ وأوْجَبوا

٠٠ وأنشد أيضاً

كَمْ نِعمةٍ كانتْ لكُمْ كَمْ كَمْ وكَمْ

٠٠ وأنشد أيضاً

نَعَقَ الغُرَابُ ببيْنِ لُبْنَي غُدْوَةً كم كم وكم لِفِرَاقِ لُبنَى يَنْعقُ

٠٠ وقال آخر

أَرَدْتُ لنفسيَ بعضَ الأمورِ ... فأَوْلي لِنفسيَ أوْلي لَهـا

٠٠والجواب الثالث وهو أغربها انى لاأعبـد الأصنام التي تعبـدونها ولا أنتم عابدون ما أعبد أي أنتم غير عابدين الله الذي أنا عابده اذ أشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه أو معـه وانما يكون عابداً له من أخلص له العبادة دون غيره وأفرده بها وقوله ولا أنا عابدٌ ما عبدتم أي لست أعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم فى موضع المصدر كما قال تعـالى ﴿ والأرض وما طحاها ونفس وما سواها ﴾ أراد طحيَه إياهـا وتسويته لها وقوله تعالى ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ يريد بفرحكم ومرحكم ٠٠ قال الشاعر

يا رَبْعَ سَلاَّمَةَ بالمُنحَنَى ... بخَيْفِ سَلعٍ جادَكَ الوَابلُ

إنْ تُمسِ وَحْشاً فبماقدْتُرَى ... وأنتَ مَعْمورٌ بهِ آهلُ

أراد فبرؤيتك معموراً آهلا٠٠ومعنى قوله ولا أنتم عابدون أى لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه فلم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني ٠٠ وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للكفار لا أعبد آلهتكم ومن تدعونه من دون الله ولا أنتم عابدون الهي وان زعمتم انكم عابدون إلهي فأنتم كاذبون إذ كنتم من غير الجهة التى أمركم بها تعبدونه فأنا لاأعبد مثل عبادتكم ولا أنتم مادمتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتى

٠٠فان قيل أما اختلاف المعبودين فلاشبهة فيه فما الوجه فى اختلاف العبادة ٠٠قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئاً وهم يشركون فاختلفت عباداتهما ولأنه أيضاً كان يتقرب الي معبوده بالأفعال الشرعية التى تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الأفعال ويتقربون بأفعال غيرها يعتقدون جهلا أنها عبادة وقربة

٠٠ فان قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ وظاهر هذا الكلام يقتضى اباحتهم المقام على أديانهم ٠٠قلنا فى هذا ثلاثة أجوبة ٠٠أولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهره اباحة فهو وعيد ومبالغة فى النهي والزجر كما قال تعالي ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ ٠٠ وثانيها انه أراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ٠٠

وثالثها انه أراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء .. قال الشاعر

إذَا ما لقُونا لقَيناهمُ ودِنّاهمُ مثلَ مايقرِضونا

.. فأما التكرار فى سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها ووبخ علي التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن اليك بأن خولتك الأموال ألم أحسن اليك بأن خلّصتك من المكاره ألم أحسن اليك بأن فعلت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم.. قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً

وهمّامُ بنُ مُرّةَ قدْ تَرَكْنا عليهِ القشْعَمانِ منَ النُّسورِ [1]

على أنْ ليسَ عِدْلاً منْ كُلَيبٍ إذا طُرِدَ اليتيمُ عنِ الجزُورِ

على أنْ ليسَ عِدْلاً منْ كُلَيبٍ إذا ما ضِيمَ جيرانُ المجيرِ

علي أنْ ليسَ عِدْلاً منْ كُلَيبٍ إذا خرَجَتْ مُخبَّأَةُ الخدُورِ

على أنْ ليسَ عِدْلاً منْ كُلَيبٍ إذا رَجفَ العِضاهُ منَ الدَّبُورِ

على أنْ ليسَ عدْلاً منْ كليبٍ إذا ما أُعلِنَتْ نجْوى الأُمورِ

علي أنْ ليسَ عدْلاً منْ كليبٍ إذا خِيفَ المخوفُ منَ الثُّغُورِ

على أنْ ليسَ عدْلاً منْ كليبٍ غَداةَ بلابِلِ الأَمْرِ الكَبيرِ

على أنْ ليسَ عدْلاً منْ كليبٍ إذا ما خامَ جارُ المُستجيرُ

.. وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحُمَيّر

---

(١)ــ قلت القشعمان مرفوع بالابتداء وخبره قوله عليه مقدماً والجملة فى موضع النصب على الحال وتقديره وعليه فحذف الواو لأن الهاء فى عليــه تربط الكلام بأوله ويروى عليه القشعمين بالنصب ووجهه أن يكون منصوباً بقوله تركنا

لنعمَ الفتى يا توبُ كُنتَ ولم تكُنْ　　لتُسبَقَ يوماً كُنتَ فيهِ تُحاوِلُ
ونعمَ الفتى يا توبُ كُنتَ إذا التقتْ　　صُدُورُ الأعالي واُستَشالَ الأسافِلُ
ونِعمَ الفتى يا توبُ كُنتَ لخائفٍ　　أتاكَ لِكَيْ يُحْمي ونِعمَ المُحامِلُ
ونعمَ الفتى يا توبُ جارًا وصاحِباً　　ونعمَ الفتى يا توبُ حينَ تُناضِلُ
لعَمرِي لأَنتَ المَرْءُ أبكي لِفقدِهِ　　بجَدٍّ ولوْ لامتْ عليهِ العوَاذِلُ
لَعَمْرِي لأنتَ المَرْءُ أبكِي لِفقْدِهِ　　ويَكْثُرُ تَسهيدِي لهُ لاَ أُواثِلُ
لعَمْرِي لأنتَ المَرْءُ أبكي لفقدِهِ　　ولوْ لامَ فيهِ ناقِصُ العقْلِ جاهِلُ
لعمرِي لأنتَ المرْءُ أبكي لفقدِهِ　　إذا كَثُرَتْ بالمُلْحمينَ البَلابِلُ
أَبَا لكَ ذَمَّ النّاسِ يا توبُ كُلّما　　ذُكِرتَ أُمورٌ مُحكَماتٌ كوامِلُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا توبُ إنَّما　　لَقيتَ حِمامَ الموْتِ والموتُ عاجِلُ
ولا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا توبُ إنَّها　　كذاكَ المَنايا عاجِلاتٌ وآجِلُ
ولا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا توبُ والتقتْ　　عليكَ الغَوادِي المُدْجِناتُ الهَواطِلُ

فخرجت في هذه الابيات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعانى التى عددتها على نحو ما ذكرناه ٠٠ وقال الحارث بن عبادٍ وكان قاضي العرب

قرِّبا مَرْبَطَ النَّعامةِ منّي　　لَقِحتْ حَرْبُ وائلٍ عنْ حِيالِ

ثم كرر قوله قرِّبا مربط النعامة في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذى ذكرناه ٠٠ وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترثي زوجها

وحدَّثني أَصحابُهُ أَنَّ مالِكاً　　أقامَ ونادَى صَحْبُهُ برَحيلِ
وحدَّثني أَصحابُهُ أَنَّ مالِكاً　　ضَرُوبٌ بنَصلِ السَّيفِ غيرُ نَكُولِ

وحدَّثني أصحابُهُ أَنَّ مالكاً خفيفٌ على الحدثان غيرُ ثقيل

وحدَّثني أصحابُهُ أَنَّ مالكاً جوادٌ بما في الرحل غيرُ بخيلِ

وحدَّثني أصحابُهُ أَنَّ مالكاً صرومٌ كماضي الشفرتين صقيلِ

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار فى سورة المرسلات بقوله عز وجل ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ •• فان قيل اذا كان الذي حسن التكرار فى سورة الرحمن ما عدده من الآيات ومن نعمه فقد عدد فى جملة ذلك ماليس بنعمة وهو قوله ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ وقوله ﴿ هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ •• فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ وليس هذا من الآلاء والنعم •• قلنا الوجه في ذلك أن فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من أكبر النعم لأن فى ذلك زجراً عن مايستحق به العقاب وبعثاً على مايستحق به الثواب فانما أشار تعالى بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها الى نعمة بوصفها والانذار بعقابها وهذا مما لاشبهة فى كونه نعمة.

[قال المرتضى رضى الله عنه] •• وكما أنه في الجاهلية وقبل الاسلام وفى ابتدائه قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله عنهم فى كتابه وضرب لهم الأمثال وكرر عليهم البينات والاعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعائره والدخول فى جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنهم عن الاسلام عن المظاهرة وألجأهم خوف القتل الى المساترة وبلية هؤلاء على الاسلام وأهله أعظم وأغلظ لأنهم يدغلون في الدين ويموهون على المستضعفين بجاش رابط ورأي جامع فعل من قد أمن الوحشة ووثق بالأنسة بما يظهره من لباس الدين الذى هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار •• كما حكى ان عبد الكريم بن أبي العوجا قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره للقتل وأيقن

بمفارقة الحياة لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة ‥ والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبدالملك ٠ والحمادون حماد الراوية ٠ وحماد بن الزبرقان ٠ وحماد عجرد ٠ وعبد الله بن المقفع ٠ وعبد الكريم بن أبي العوجا ٠ وبشار بن برد ٠ ومطيع بن إياس ٠ ويحيى بن زياد الحارثي ٠ وصالح بن عبد القدوس الازدي ٠ وعلي بن خايل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكره وهم وإن كان عددهم كثيراً فقد أقلهم الله وأذلهم وأرذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه اللائحة على عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف ونحن نذكر من أخبار كل واحد ممن ذكرناه وتهمته في دينه نبذة ونومئ فيها الى جملة كافية والذى دعانا الى التشاغل بذلك وان كانت عنايتنا بغيره أقوى مسئلة من نرى اجابته ونؤثر موافقته فتكلفناه له من أجله مع انه غير خال من فائدة ينفع علمها ويتأدب بروايتها وحفظها ‥ أما الوليد فكان مشهوراً بالإلحاد متظاهراً بالعناد غير محتشم في اطراح الدين أحداً ولا مراقب فيه بشراً وفي الحديث انه وُلِدَ لأخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي عليه الصلاة والسلام سميتموه بأسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو شرٌّ على هذه الأمة من فرعون على قومه قال الأوزاعي فسألت الزهرى عنه فقال ان استخلف الوليد بن يزيد وإلاّ هو الوليد بن عبد الملك ‥ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثني محمد بن يزيد النحوى قال كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف فقال بعض الحجبة لقد رأيت المجوسي البنّاء فوق الكعبة وهو يقدّر مواضع أركان القبة فلم تمس تلك الليلة حتى وافى الخبر بقتل الوليد ‥ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني عبد الله بن يحيي العسكرى عن أبي اسحاق الطلحي قال أخبرني أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل عن أبي العالية قال أخبرني بعض أهل العلم قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب بالناقص لما ولى لشدت الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد الا أخبر به فقام ثور بن يزيد فقال اشهد لسمعته وهو يقول

إسقياني وابنَ حَرْبٍ　　وأَسْتُرَانا بإِزَارِ

وأترُكا مَنْ طَلَبَ الجنَّـــةَ يَسْعَى في خَسارِ
سا سُوسُ النّاسَ حتّي يَرْكَبوا دِينَ الحمارِ

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني ابن خالد النخّاس قال حدثنا محمـد بن مكحول قال نشر الوليد بن يزيد يوماً المصحف وكان خطه كأنه أصابع وجعل يرميه بالسهام ويقول

يُذَكِّرُني الحِسابَ ولَسْتُ أُدْرِي أحقًّا ما يقولُ مِنَ الحِسابِ
فقُلْ للهِ يَمْنَعُني طَعامي وقُلْ للهِ يَمْنَعُني شَرابي

[قال الشريف المرتضى رضى الله عنه] •• ويله من هذه الجراءة على الله ويلاً طويلا وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته وما أولاه اللعين بأليم العذاب وشديد العقاب لولا ماتم به المحنة وينتظم به التكليف من تأخير المستحق من الثواب والعقاب وتبعيدهما من أحوال الطاعات والمعاصي •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقاً وانه افتتح المصحف يوماً فرأى فيـه (واستفتحوا وخاب كل جبارٍ عنيدٍ) فاتخذ المصحف غرضاً ورماه حتى مزقه بالنبل وهو يقول

أتُوعِدُ كُلَّ جَبّارٍ عَنيدٍ فها أنا ذاكَ جَبّارٌ عَنيدُ
فإنْ لاقيتَ رَبَّكَ يومَ حَشْرٍ فقُلْ يارَبِّ خَرَّقَني الوَليدُ

وأما حماد الراوية فكان منسلخاً من الدين وزارياً على أهله مدمناً لشرب الخمور وارتكاب الفجور •• وقال أبو عمـرو الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحفص بن أبي وَدّة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وحماد عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وحمّاد بن الزبرقان ووالبة بن الحبّاب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعث وأبان اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضاً وكل منهم متّهم في دينه •• وعمل يونس بن أبي فروة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الاسلام

بزعمه وصار به الى ملك الروم فأخذ منه مالاً .. وقال أحمد بن يحيى النحوى قال رجل يهجو حمّاد الراوية

نِعْمَ الفتى لو كانَ يَعرِفُ رَبَّهُ ويُقيمُ وَقتَ صلاتهِ حَمّادُ
بَسَطَتْ مَشافِرَهُ الشَّمولُ فأَنفُهُ مثلُ القَدُومِ يَسنُّها الحَدّادُ
وابيَضَّ من شُربِ المُدامةِ وجهُهُ فبَياضُهُ يومَ الحِسابِ سَوادُ
لا يُعجِبَنَّكَ بَزُّهُ ولِسانُهُ إنَّ المَجُوسَ يُرَى لها أَسبادُ

وكان حماد مشهوراً بالكذب فى الرواية وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه فى أشعارهم حتى ان كثيراً من الرواة قالوا قد أفسد الشعر لأنه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته[1] فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم

(١) قوله يدخل في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته الخ فمن ذلك ان المهدي سأل المفضل الضبى عن سبب افتتاح زهير قصيدته

دع ذا وعدّ القول فى هرم خير البُداة وسيد الحُضر

ولم يتقدم له قبل ذلك قول فما الذي أمر نفسه بتركه فقال له المفضل إني توهمته كان مفكراً فى شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا أي دع ما انت فيه من الفكر وعد القول في هرم فامسك عنه ودعى حماداً فسأله فقال ليس هكذا قال زهير وأنشده

لمن الديار بقنة الحِجر أقوين مذ حِجج ومذ دهر
قفر بمندفع النحائت من ضفوى ألات الضال والسدر

دع ذا الخ فاستحلفه المهدي فأقر أنه هو الذى ادخلها فى شعر زهير فأمر المهدي ان من اراد شعراً محدثاً فليأخذه من حماد ومن اراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل .. وقال له الوليد بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية فقال بأني اروي لكل شاعر تعرفه او سمعت به ثم اروى لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع به ثم لا أنشد شعراً لقديم ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث فقال ان هذا لعلم

وهذا الفعل منه وان لم يكن دالاً على الالحاد فهو فسقٌ وتهاون بالكذب فى الرواية .. وأما حماد بن الزبرقان فهذه طريقته فى التخرم والتهتك .. أخبرنا أبو الحسن علىّ ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الاشناندانى قال دعا حماد بن الزبرقان أبا الغول النهشلى الى منزله وكانا يتقارضان فانتهره أبو الغول فلم يزل المفضل به حتي أجابه وانطلق معه فلما رجع الى المفضل قال ما صنعت أنت وحماد قال اصطلحنا على أن لا آمره بالصلاة ولا يدعونى الى شرب الخمر .. ثم أنشد المفضل قوله

* لنعم الفتى لو كان يعرف ربه *

وذكر الأبيات التي تقدمت فى الرواية الأخرى منسوبة الى هجا حماد الراوية .. فأما حماد عجرد فشهرته فى الضلالة كشهرة الحمّادين وكان يرمي مع ذلك بالثنوية .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني علىّ بن عبد الله الفارسى قال أخبرني أبي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علىّ بن عبد الله بن سعدٍ قال حدثني السرّى عن الصباح الكوفى قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي ياأبا علىّ أما إني قد أوجعت صاحبكم و بلغت منه يعنى حماد عجرد فقلت بماذا ياأبا معاذ فقال بقولى فيه

يا ابنَ نهيا رأسٌ علىّ ثقيلُ ... واحتمالُ الرأسين خطبٌ جليلُ

فادعُ غيرِى إلي عبادةِ ربيـــنِ فإنى بواحدٍ مشغولُ

فقلت لن أدعه فى عماه ثم قلت له قد بلغ حماد هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال ماذا يقول قلت يقول

فادعُ غيرِي إلي عبادةِ ربيـــنِ فإني عن واحدٍ مشغولُ

وأبيك كبير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثيراً ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام فامتحنه فأنشده حتى ضجر فوكل به من سمع منه ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين فأمر له بمائة ألف درهم واسم أبيه ميسرة

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ثم قال اني لأحتشمك فلا تنشد أحداً هذين البيتين وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي •• وأخبرنا المرزباني قال أخبرني عليّ بن هارون عن عمه يحيي بن عليّ عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال بشار بلغني ان رجلا كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارئ فقال حماد علام تجتمعون فوالله لما أقول أحسن مما يقول فقتله الناس على هذا •• وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال كان حماد عجرد يعيّر بشاراً بالقبح لأنه كان عظيم الجسد مجدوراً طويلا جاحظ العينين قد تغشاهما لحمٌ أحمرُ فلما قال حماد فيه

وٱللهِ ما الخنزيرُ في نَتْنِه   بِرُبْعِهِ في النَّتْنِ أو خُمْسِهِ

بَلْ رِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِهِ   ومَسُّهُ أَلْيَنُ مِنْ مَسِّهِ

ووَجْهُهُ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ   ونَفْسُهُ أَفْضَلُ مِنْ نَفْسِهِ

وعُودُهُ أَكْرَمُ مِنْ عُودِهِ   وجِنْسُهُ أَكْرَمُ مِنْ جِنْسِهِ

فقال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما فى صدره قيل وكيف ذاك قال ما أراد لزنديق الا قول الله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) فأخرج الجحود بها مخرج هجائي وهذا خبثٌ من بشار وتغلغل شديد •• وأول من جعل نفي الالحاد تأكيداً للوصف به وأخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق فى حماد عجرد فقال

لَوْ أَنَّ ماني ودَيْصاناً وعُصْبَتَهُمْ   جاؤا إليكَ لَمَا قُلْنَاكَ زِنْدِيقُ

أَنْتَ العِبادَةُ والتَّوحيدُ مُذْ خُلِقا   وذَا التَّزَنْدُقُ نَيْرَنْجٌ مَخَارِيقُ

•• فأما ابن المقفّع [1] فان جعفر بن سليمان روى عن المهدى انه قال ماوجدت كتاب

---

(١) اسم ابن المقفع روزبة قبل الاسلام وعبد الله بعده والمقفع اسمه المبارك ولقب بالمقفع لأن الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتقفعت يده ورجلٌ متقفع اليدين أي متشنجهما وقيل هو المقفع بكسر الفاء لعمله القفعة بفتح القاف وسكون الفاء والقفعة شيء يشبه الزنبيل بلا عروة وتعمل من خوص ليست بالكبيرة •• وقال الليث القفعة تخذ من خوص مستديرة يجتنى فيها الرطب ونحوه

زندقة قط إلاّ وأصله ابن المقفّع •• روى ابن شبّة قال حدثني من سمع ابن المقفّع وقد مرّ ببيت نار للمجوس بعد ان أسلم فلمحه وتمثّل

يا بيتَ عاتكةَ الذى أَتَعزَّلُ   حذَرَ العِدَي وبكَ الفؤادُ موَكَّلُ
إني لأَمْنَحكَ الصدُودَ وإنّني   قسماً اليكَ معَ الصدُودِ لأَميَلُ

وروى أحمد بن يحيي ثعلب قال قال ابن المقفّع يرثي يحيي بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه يرثى بها ابن أبي العوجا

رُزِئنا أَبا عَمْرو ولا حيَّ مِثلُهُ   فللّه رَيبُ الحادثات بمَنْ وَقَعْ
فإِنْ تكُ قدْ فارقتَنا وتركتَنا   ذَوي خَلَّةٍ ما في انسدادٍ لها طَمَعْ
لقدْ جرَّ نَفعاً فَقدُنا لكَ أنّنا   أَمِنّا على كُلّ الرّزايا من الجزَعْ

قال ثعلب البيت الأخير يدل على مذهبهم فى أن الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير •• وأخبرنى علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه قال حدثنا خالد بن خداش قال كان الخليل بن أحمد يحب أن يرى عبد الله بن المقفّع وكان ابن المقفّع يحب ذلك فجمعهما عبّاد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهنّ فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله قال ما رأيت مثله وعلمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفّع كيف رأيت الخليل قال ما رأيت مثله وعقله أكثر من علمه قال المغيرة فصدقا أدّى عقل الخليل الخليل الى ان مات أزهدَ الناس وجهْلُ ابن المقفّع أدّاه الى ان كتب أماناً لعبد الله بن علىّ فقال فيه ومتى غدر أمير المؤمنين بعمّه عبد الله فنساؤه طوالقُ ودوابه حُبسٌ وعبيده أحرارٌ والمسلمون فى حِلٍّ من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدًّا وخاصةً أمر البيعة •• وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو أمير البصرة من قبلِهِ بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيّد الكلام فصيح العبارة له حكم وأمثال مستفادة •• من ذلك ما روي من ان يحيي بن زياد الحارثى

كتب اليه يلتمس معاقدة الإخاء والاجتماع على المودّة والصفاء فأخّرجوا به فكتب اليه كتاباً آخر يسترثيه فكتب اليه عبد الله ان الإخاء رقٌّ فكرهت ان أملكك رقي قبل ان أعرف حسن كنهك ٠٠ وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لا يكاد يخطئك ٠٠ وكان يقول اذا نزل بك أمر مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع ٠٠ ودعاه عيسى ابن علي للغداء فقال أعز الله الأمير لست يومي للكرام أكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار ٠٠ وكتب الى بعض اخوانه أما بعد فتعلّم العلم ممن هو أعلم به منك وعلمه من أنت أعلم به منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت ٠٠ وقال لبعض الكتاب إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فان ذلك هو العيّ الأكبر ٠٠ وقال لآخر عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة ٠٠ وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها ٠٠ وقال لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منعه ولا تعد ما لا تريد إنجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه ٠٠ وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم ينسبونك الى قلة الوفاء فلا تشعرن قلبك استبطاءه فانه لم يشعر أحد قلبه إلّا ظهر على لسانه ان كان سخيفاً وعلى وجهه ان كان حليما ٠٠ وكان يقول ان مما سخا بنفس العالم عن الدنيا علمه بان الأرزاق لم يقسم فيها على قدر الأخطار ٠٠ وأما ابن أبي العوجا فقد ذكر ما روى من اعترافه بدسه في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث مكذوبة وروى انه رأى عدلاً قد كتب عليه آية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال قد رأينا مصحفاً سرق ٠٠ ولبشار فيه

قُلْ لعَبْدِ الكَريمِ يا ابنَ أبي العَوْ ... جاءِ بعتَ الإسلامَ بالكُفْرِ مُوقا

لا تُصَلّي ولا تَصومُ فإنْ صُمْـ ... ـتَ فبَعْضَ النَّهارِ صوماً دَقيقا

لا تُبالي إذا أَصَبْتَ من الخَمْـ ... ـرِ عَتيقاً ألّا تكُونَ عَتيقا

لَيتَ شِعري غداةَ حُلِّيتَ في الجُنْـــدِ حَنيفاً حُلِّيتُ أمْ زِنديقا

فأما بشار بن برد فروى المازني قال قال رجـل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى انه ثنوى فقال بشار انهذا اللحم يدفععني شرهذه الظلمة ٠٠قال المبرد ويروى ان بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ويصوِّب رأى ابليس فى الامتناع عن السجود وروى له

الأرضُ مُظلِمةٌ والنّارُ مُشرقةٌ والنّارُ مَعبودةٌ مُذْ كانتِ النّارُ

وروى بعض أصحابه قال كنا اذا حضرت الصــلاة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل حول ثوبه تراباً لننظر هل يصلي فنعود والتراب بحاله ولم يقم الى الصــلاة ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني على بن عبد الله الفارسى قال أخبرني أبي قال حدثني ابن مهرويه عن أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء مذهبه بميله الي الالحاد فكان يقول لا أعرف الا ماعاينت أو عاينه معاين فكان الكلام يطول بيننا فقال ماأظن الأمر ياأبا مخلد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طُبِعتُ على ما فيَّ غيرَ مُخيَّرٍ هوَايَ ولوخُيِّرتُ كُنتُ المُهذَّبا

أُريدُ فلاأُعطَى وأُعطَى ولمْ أُرِدْ وغُيِّبَ عنّي أنْ أنالَ المُغيَّبا

وأُصرَفُ عنْ قصدِي وعِلمي مُبصِرٌ وأُمسِي وما أُعقِبتُ إلاَّ التَّعجُّبا

قال الجاحظ كان بشار صديقاً لواصــل بن عطاء الغزّال قبل أن يظهر مذاهبه المكروهة وكان بشار مدح واصــل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال

تَكلَّفَ القومُ والأقوامُ قدحفَلوا وحَبَّروا خُطَباً ناهيكَ مِن خُطَبِ

فقامَ مُرتَجِلاً تَغلي بَداهتُهُ كمِرجَلِ القَينِ لمّا حُفَّ باللَّهَبِ

وجانَبَ الرّاءَ لمْ يَشعُرْ بهِ أحَدٌ قَبلَ التَّصفُّحِ والإغراقِ في الطَّلَبِ

•• ومثل ذلك قول بعضهم في واصل

ويجعلُ البرَّ قمحاً في تكلُّمه وجانبَ الرَّاءِ حتى احتالَ للشَّعَرِ
ولم يقلْ مطراً والقولُ يُعجلُهُ فعاذَ بالغيثِ إشفاقاً من المَطَرِ

فلما أظهر بشار مذاهبه هتف به واصل فقام بذكره وتكفيره وقعد فقال بشار فيه

ما لي أُشايعُ غزَّالاً له عُنُقٌ كنقنقِ الدَّوِّ إن ولَّى وإنْ مَثَلا
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالي وبالُكمُ تُكَفِّرُونَ رجالاً أَكفرُوا رَجُلا

فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عند ذلك أما لهذا الأعمى الملحد أما لهذا المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست اليه من يبعج بطنه في جوف منزله على مضجعه أو في يوم حفلة ثم كان لا يتولى ذلك إلاّ عقيلي أو سدوسي[1] فعدل واصل بن عطاء من الضرير الى الأعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى أبي معاذ ومن الفراش الى المضجع ••وزاد قوم فقالوا ومن أرسلت الى دسست ومن يبقر الى يبعج ومن داره الى منزله ومن المغيرية الى الغالية والأول أشبه بان يكون مقصوداً وما ذكر ثانياً فقد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الراء •• فأما قوله لا يتولى ذلك الا عقيلي فلأن بشاراً كان مولى لهم وذكره بني سدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم فأما لقب بشّار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة أقوال • أحدها انه لقّب بذلك لبيت قاله وهو

قالَ ريمٌ مُرَعَّثٌ فاترُ الطَّرْفِ والنَّظَرْ

---

(١) وسئل عثمان البرى كيف كان يصنع واصل في العدد وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب فقال مالي فيه قول الا ماقال صفوان

ملقنٌ ملهم فيما يحاوله جم خواطره جواب آفاق

لَسْتَ واللهِ نائلي قُلْتُ أو يَغلِبَ القَدَرْ

• والقول الثاني انه كان لبشّار ثوبٌ له جيبان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان اذا أراد لبسه يضمه عليه ضمًّا من غير ان يدخل رأسه فيه فشبه استرسال الجيبين وتدليهما بالرّعاث وهي القرطة فقيل المرعّث ••وقال أبو عبيدة انما سمي المرعّث لانه كان يلبس في صباه رعاثا وهذا هو القول الثالث •• وكان بشار مقدما فى الشعر جداً حتى ان كثيراً من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه من المجوّدين•• وأخبرنا المرزبانى عن محمد بن يحيي الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن اليشكرى قال قيل لأبى حاتم من أشعر الناس قال الذى يقول

وَلها مَبْسَمٌ كَثَغرِ الأَقاحي وحَديثٌ كالوَشْيِ وَشْيِ البُرُودِ
نَزَلَتْ في السَّوادِ مِنْ حَبَّةِ القلـبِ ونالَتْ زِيادَةَ المُستَزِيدِ
عِنْدَها الصَّبْرُ عَنْ لِقايَ وعِنْدِي زَفَراتٌ يأْكُلْنَ صَبْرَ الجَليدِ

يعنى بشاراً قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار

بَني اميَّةَ هُبُّوا طالَ نَوْمُكُمُ إنَّ الخَليفةَ يَعقوبُ بنُ داوُدِ
ضاعَتْ خِلافَتُكُمْ ياقَومِ فالتَمِسوا خَليفةَ اللهِ بَيْنَ النَّاى والعُود

فبلغ المهدى ذلك فوجد عليه وكان سبب قتله

مجلس آخر ١٠

فأما مطيع بن إياس الكناني فأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى عن على بن هارون عن عمه يحيي بن على عن أبي أيوب المدنى عن أحمد بن ابراهيم الكاتب قال أخبرني أبي قال رأيت بنتاً لمطيع بن إياس قد أُتي بها فى أول أيام الرشيد فأقرّت بالزندقة وقراءتها وتابت وقالت هذا شيء علمنيه أبى فقبل الرشيد توبتها وردّها الى أهلها••وقال محمد بن داود الجراح فى أخبار مطيع بن إياس انه كان يرمى بالزندقة •• روى انه

لما حضرته الوفاه أحاط به أهل بيته فأقبلوا يقولون له قل يامطيع لاإله إلاالله فلا يقول حتى صارت نفسه في ثغرة نحره تنفس ثم أهوى الى الكلام فقالوا له قل لاإله الا الله فتكلم كلاما ضعيفاً فتسمّعوا له فاذا هو يقول

لَهفَ نفسي على الزّمانِ وفي أيّ زَمَانٍ دَهتني الأزمانُ
حينَ جاءَ الرّبيعُ واستقبلَ الصيّـفُ وطابَ الطِّلاءُ والرّيحانُ

قال المرزباني وهذا الحديث يرويه الهيثم بن عدي ليحي بن زياد •• فأما يحي بن زياد فهو يحي بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبـد المدان بن الديان الحارثي الكوفى وزياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ويكني يحي أبا الفضـل وكان يعرف بالزنديق وكانوا اذا وصفوا إنسانا بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق يعنون يحي لانه كان ظريفاً وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله

تيهُ مُغَنٍّ وظُرْفُ زِنديقِ

قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق لايدع شيئاً ولا يمتنع عما يدعي اليه فنسبه الي الظرف لمساعدته على كل شيءٍ وقلة خلافه •• وروى انه قيل ليحي بن زياد وهو يجود بنفسه قل لاإله إلا الله فقال

لمْ يبقَ إلاَّ القِرطُ والخلاخلُ

ثم أغمى عليه فلما أفاق أعيد عليه القول فقال

وبازِلٌ تَغلي بهِ المَراجلُ

وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن إياس يرثي يحي بن زياد وكانا جميعاً مرميين بالخروج عن الملة

يا أهلُ بكُّوا لقلبيَ القرِحِ ولِلدُّموعِ الهوامِلِ السفُحِ
راحوا بيحْيى إلى مُغيَّبهِ في القبرِ بينَ التُّرابِ والصفُحِ
راحُوا بيحْيي ولوتُساعِدُني الْـ أقدارُ لمْ يبتكِرْ ولمْ يرُحِ

يا خيرَ مَنْ يحسنُ البُكاء لهُ الـــيومَ ومَنْ كانَ أمسِ للمدَحِ

قدْ ظَفِرَ الحزْنُ بالسُّرُورِ وقدْ أُدِيلَ مَكْرُوهُنا مِنَ الفَرَحِ

ولمطيع يرثيه

أُنظرْ إلى الموتِ كيفَ بادَهَهُ والموتُ مقدَامةٌ على البُهَمِ

لوقدْ تدَبَّرْتَ ماصنعْتَ بهِ قَرَعْتَ سِنّاً عليهِ منْ ندَمِ

فاذهَبْ بمَنْ شئْتَ إذْ ذَهبْتَ بهِ ما بَعْدَ يَحْيى لِلرُّزْءِ منْ أَلَمِ

وأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهراً بمذاهب الثنوية ويقال ان أبا الهذيل العلاّف ناظره فقطعه ثم قال له على أي شيء تعزم ياصالح فقال أستخير الله وأقول بالأثنين فقال أبو الهذيل فأيهما استخرت لاأمالك ٠٠ وروى ان أبا الهذيل ناظره في مسئلة مشهورة في الامتزاج الذي ادّعوه بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة فانقطع وأنشأ يقول

أبا الهُذَيلَ هَدَاكَ اللهُ يا رَجلُ فأَنتَ حَقّاً لعمري مُعْضِلٌ جَدِلُ

وروى انه رُؤى يصلى صلاة تامة الركوع والسجود فقيل له ماهذا ومذهبك معروف قال سنّة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد ٠٠ ويقال انه لما أراد المهدى قتله على الزندقة رمي اليه بكتاب قال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح أو تعرفه أنت ياأمير المؤمنين اذا قرأته قال لا قال أفتقتلنى على مالا تعرف قال فانى أعرفه قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقرؤه ولست بزنديق ٠٠ وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال ذكر بعض الرواة ان صالحاً لما نوظر فيما قذف به من الزندقة بحضرة المهدى قال له المهدى ألست القائل فى حفظك ما أنت عليه

رَبَّ سِرٍّ كتمْتُهُ فكأَنى أخرَسٌ أو ثنى لِساني خَبَلُ

ولو أنّي أبدَيْتُ لِلنّاسِ عِلْمى لمْ يَكُنْ لي في غيرِ حَبْسي أكلُ

قال صالح فاني أتوب وأرجع فقال له هيهات ألست القائل

والشيخُ لا يترُكُ عاداتهِ حتّى يُوارَى في ثرَى رَمسهِ
إذا ارعوَى عاودَهُ جهلُهُ كذِي الضنَّا عادَ إلى نُكسهِ

ثم قدّم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو فى الحبس

خرجنا منَ الدُّنيا ونحنُ منَ اُهلها فلسنا منَ الأَحياء فيها ولا الموتي
إذا دَخلَ السجّانُ يوماً لحاجةٍ عجبنا وقلنا جاء هذا منَ الدُّنيا
ونفرَحُ بالرُّؤيا فجلُّ حديثنا إذا نحنُ أصبحنا الحديثُ عنِ الرُّؤيا
فان حسُنت لم تأتِ عجلَى وأبطأَت وإن قبُحت لم تحتبس وأتت عجلَى
طوَى دُوننا الأَخبارَ سجنٌ ممنَّعٌ لهُ حارسٌ تَهدَى العيونُ ولا يهدَى
قُبرنا ولم نُدفن ونحنُ بمعزِلٍ عنَ النّاسِ لا نُخشَى فنغشَى ولا نغشَى
الا أحدٌ يأوي لأَهلِ محلّةٍ مقيمينَ في الدُّنيا وقد فارقوا الدُّنيا

[قال المرتضى رضى الله عنه] •• وأظن ان ابن الجهم لحظ قول صالح فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس

بيتٌ يجدِّدُ للكريمِ كرامةً ويُزَارُ فيهِ ولا يَزُورُ ويُحمَدُ

وأما على بن الخليل فقد ذكر محمد بن داود قال كان على بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيبانى ويكنى أبا الحسن وهو كوفيٌّ متهمٌ بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة وبها الرشيد فمدحه ومدح الفضل بن الربيع •• روى انه لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة والخضاب معه قصيدة فأشار بها فأمر الرشيد بأخذها منه فقال ياأمير المؤمنين أنا أحسن قراءة لها من غيرى فأذن لى في قراءتها ففعل فقال اني شيخ كبير ولا آمن الاضطراب اذا قمت فان رأيت أن تأذن لي فى الجلوس فعلت فقال له اجلس فجلس ثم أنشأ يقول

يا خيرَ مَنْ وَخَدَتْ بأَرْحُلِهِ ... نُجُبُ الرِّكابِ بِمَهْمَهٍ جِلْسِ
تَطْوِي السَّباسِبَ في أَزِمَّتِها ... طَيَّ التِّجارِ عَمائِمَ البِرْسِ
لَمّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طالِعَةً ... سَجَدَتْ لِوَجْهِكَ طَلْعَةُ الشَّمْسِ
خَيْرُ الخَلائِقِ أَنْتَ كُلِّهِمُ ... في يَوْمِكَ الماضي وفي أَمْسِ
وكَذاكَ لا تَنْفَكُّ خَيْرَهُمُ ... تُمْسي وتُصْبِحُ فَوْقَ ما تُمْسي
مِنْ عُصْبَةٍ طابَتْ أَرُومَتُها ... أَهْلِ العَفافِ ومُنْتَهى القُدْسِ
فَوْقَ النُّجومِ فُرُوعُ نَبْعَتِهِمْ ... ومَعَ الحَضيضِ مَنابِتُ الغَرْسِ
إِنّي رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَزَعٍ (١) ... كانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تُرْسِي
ما ذاكَ إِلاَّ أَنَّني رَجُلٌ ... أَصْبُو إِلى بَقَرٍ مِنَ الإِنْسِ
بَقَرٌ أَوانِسُ لا قُرُونَ لَها ... يَقْتُلْنَ بالتَّطْويلِ والحَبْسِ
وأُجاذِبُ الفِتْيانَ بَيْنَهُمُ ... صَهْباءَ مِثْلَ مُجاجَةِ الوَرْسِ
لِلْماءِ في حافاتِها حَبَبٌ ... نَظْمٌ كَطَيِّ صَحائِفِ الفُرْسِ
واللهُ يَعْلَمُ في بَرِيَّتِهِ ... ما إِنْ أَضَعْتُ إِقامَةَ الخَمْسِ

(١) قوله اني رحلت اليك الخ فى غير الاصل

اني اليك لجأت من هرب ... قد كان شردني ومن لبس
واخترت حكمك لا أجاوزه ... حتى أوسّد في ثرى رمسي
لما استخرت الله فى مهل ... يممت نحوك رحلة العنس
كم قد قطعت اليك مدّرعا ... ليلا بهيم اللون كالنقس
ان هاجنى من هاجس جزعٌ ... كان التوكل عنده ترسي

وفى سائر الرواية اختلاف يسير

فقال له هارون من أنت قال علي بن الخليل الذي يقال انه زنديق قال أنت آمن وكتب الى حمدويه ألاّ يعرض له •• ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر مما ذكرنا وانما اعتمدنا من كان بهذه الثلاثة أشهر وأمره فيها أظهر وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل •• واذا كنا قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة والمنقادين بالجهالة حسب سؤلنا فنحن نتبعها بشيء من أخبار أهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومستحسن ألفاظهم ليعلم الفرق بين من ربحت بيعته وبين من خسرت صفقته فقد سئلنا أيضاً ذلك •• أعلم ان أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وخطبه وأنها تتضمن من ذلك مالا مزيد عليه ولا غاية وراءه ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ماأسهب المتكلمون من بعدُ في تصنيفه وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول •• وروى عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك مالا يكاد يحاط به كثرة ومن أحب الوقوف عليه وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدّم على مانريد ذكره شيئاً مما روي عنهم في هـذا الباب •• فمن ذلك مارُوى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يصف الله تعالى •• بمضادّته بين الاشياء علم ان لاضدله وبمقارنته بين الامور علم ان لاقرين له ضادّ النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين متباعداتها مفرّق بين متدانياتها •• وروى عنه عليه السلام انه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرّفني به قيل وكيف عرّفك قال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس •• وقيل له عليه السلام كيف يحاسب الله الخلق قال كما يرزقهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه •• وسأله رجل فقال أين كان ربك قبل أن يخلق السماء والارض فقال أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان •• وروى عن أبي عبيد الله الصادق عليه السلام انه سأله محمد الحلبي فقال له هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه أبصار الناظرين ولا تحيط به اسماع السامعين •• وروى صفوان بن يحيى قال دخل أبو قرّة المحدث على أبي الحسن الرّضا عليه السلام فسأله عن أشياء من

الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال أبوقرّة إنارويتا أن الله قسم الكلام والرؤية فقسم لموسي عليه السلام الكلام ولمحمد صلى الله عليه وسلم الرؤية فقال الرضا عليه السلام فمن المبلّغ عن الله الى الثقلين الجنّ والانس انه لاتدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء أليس محمد نبياً صادقا قال بلى قال وكيف يجيء رجل الى الخلق جميعاً فيخبرهم انه جاء من عند الله يدعوهم اليه بأمره ويقول لاتدركه الابصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء ثم يقول سأراه بعيني وأحيط به علماً ألا تستحيون ماقدرت الزنادقة ان ترميه بهـذا أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر •• قال أبو قرّة فانه يقول ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى •• قال عليه السـلام مابعد هـذه الآية يدل على مارأى حيث يقول ماكذب الفؤاد مارأى يقول ماكذب فؤاد محمد مارأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وآيات الله غـير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علماً فاذا رأته الابصار فقد أحاط به العلم فقال أبو قرّة فأكذّب بالرؤية فقال الرضا عليه السلام إنّ القرآن كذّبها وما أجمع عليه المسلمون انه لايحاط به علماً ولا تدركه الابصار وليس كمثله شيء •• وأتى أعرابي أبا جعفر محمد بن على عليه السلام فقال أرأيت ربك حين عبدته فقال لم أكن لأعبد شيئاً لم أره فقال كيف رأيته فقال لم تره الابصار بالمشاهدة والعيان بل رأته القلوب بحقائق الايمان لايدرك بالحواس ولايقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لايجور فى أقضيته هو الله الذى لااله الا هو فقال الاعرابي الله أعلم حيث يجعل رسالاته •• وروى ان شيخاً حضر صفّين مع أمير المؤمنين عليـه السلام فقال أخبرنا ياأمير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء من الله تعالى وقدر قال له نعم ياأخا أهل الشام والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطئاً ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي عند الله أحتسب عناي ياأمير المؤمنين وما أظن ان لي أجراً فى سعي اذا كان الله قضاه عليّ وقدّره فقال له عليه السلام ان الله قـد أعظم لكم الأجر على مسـيركم وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ولم تكونوا فى شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي

كيف ذاك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلام ويحك ياأخا أهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما وقدراً حاكما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والأمر من الله والنهي ولما كان المحسن أولى بثواب الاحسان من المسيء والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يكلف عسيراً ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتب لعباده عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار •• قال الشامي فما القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهما قال الأمر من الله بذلك والحكم ثم تلا (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) فقام الشامي فرحا مسروراً لما سمع هذا المقال وقال فرّجت عنى فرّج الله عنك ياأمير المؤمنين وجعل يقول

أنتَ الإمامُ الّذِي نَرجُو بطاعَتِهِ	يوْمَ الحِسابِ مِنَ الرَّحمنِ غُفرانا
أوْضَحتَ مِنْ أمْرِنا ما كانَ مُلْتَبِساً	جَزاكَ رَبُّكَ بالإِحسانِ إحسانا

وروى ان أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله فسلمت عليه وقمت من عنده ورأيت ابنه موسى في دهليزه قاعداً فى مكتبه وهو صغير السن فقلت له أين يُحدِثُ الرجل عندكم اذا أراد ذلك فنظر اليَّ ثم قال يتجنب شطوط الانهار ومسقط الثمار وأفناء الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء قال فلما سمعت هذا القول نبل فى عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك ممن المعصية فنظر اليَّ ثم قال اجلس حتى أخبرك فجلست فقال ان المعصية لابد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعاً فان كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله • وان كانت منهما فهو شريكه والقويّ أولى بانصاف عبده الضعيف • وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي

وله حق العقاب والثواب ووجبت الجنــة والنــار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم •• وقد نظم هذا المعنى شعراً فقيل

لم تَخلُ أفعالُنا اللاَّتي نُذَمُّ بها ... إحدَى ثلاثَ خلاَلٍ حين نأتيها

إمَّا تفرَّدَ بارينا بصنعتها ... فيسقطُ اللَّومُ عنَّا حين نُنشيها

أو كانَ يَشركُنا فيها فيَلحقهُ ... ما سوفَ يَلحقُنا من لائمٍ فيها

أولمْ يكُنْ لإلٰهي في جنايتها ... ذَنبٌ فما الذَّنبُ إلاَّ ذَنبُ جانيها

وأحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار من أهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم أمه خــيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال ان أم سلمة كانت تأخــذ الحسن اذا بكي فتسكته بثديها فكان يدرّ عليه فيقال ان الحكمة التي أوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة فمن تصريحه بالعدل ماروى عن أبي الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهــه ثم تلا (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) ••وقال داود بن أبى هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء[1] الله وقدر الا المعاصى •• وكان الحسن بارع الفصاحة بليغ المواعظ

(١) ـ قوله ســمعت الحسن يقول من زعم أن المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه الى قوله سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر الا المعــاصي ••أقول هذا مذهب المعتزلة وطوائف أخر من المتكلمين والواجب فى هذا الباب الرجوع الى مافى كتاب الله وسنة رسوله ونبذ ماسواهما وعــدم الخوض فى هذا الباب قال تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحاج آدم وموسى فحج آدم موسى قال له موسى أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهــم من الجنة هذا لفظ الموطأ وفى الصحيحين من وجه آخر عن أبى هريرة مرفوعا أحتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة وفى رواية أنت

كثير العلم وجميع كلامه من الوعظ وذم الدنيا أوجله مأخوذ لفظاً ومعنىً أو معنىً دون لفظ من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو في ذلك القدوة والغاية ٠٠ فمن ذلك قوله عليه السلام شيئان أحدهما مأخوذ من الآخر أحدهما أكثر شيء في الدنيا والآخر أقل شيء في الدنيا العبر والاعتبار ٠٠ وقوله عليه السلام مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متي ازددت من أحدهما قرباً ازددت من الآخر بعداً ٠٠ وقوله شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره ٠٠ وقوله في وصف الدنيا ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن فرّط فيها ندم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن ٠٠ ومن قول له في كلام يا أيها الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى استذمت اليك بل متي غرتك أبمضاجع آبائك من الثرى أم بمنازل أمهاتك من البلا كم مرضت بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك [قال المرتضى رضى الله عنه] ٠٠ وهذا باب إن

آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك الى الارض فقال له آدم أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته وفي رواية للصحيحين اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده وفي أخرى اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء قال نعم قال افتلومني على أمر قدر قبل ان أخلق وفي الحديث الذي في آخره هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ٠٠ قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وفي رواية كله وفي أخرى حلوه ومره وقال ابن القيم والمخاصمون في القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا والثاني من ينكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله قال عوف من كذب بالقضاء فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر أقداراً وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الارزاق بقدر وقسم البلاء بقدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهي

ولجناه اغترفنا من ثبج بحرز اخر أو شؤبوب غمام ماطر وكل قول في هذا الباب لقائل
اذا أضيف اليه أو قورِيس به كان كاضافة القطرة الي الغمرة أو الحصاة الي الحرة فانما
أشرنا اليه اشارة وأومأنا اليه ايماء ٠٠ ثم نعود الى ما كنا فيه ٠٠ روى ان اعرابياً سمع
كلام الحسن البصرى فقال المؤمن فصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ ٠٠ وروى ان
الحسن تلا يوما (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال)ثم قال ان قوما غدوا
فى المطارف العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون
للبلاء وهم منه فى عافية حتى اذا أخافوا من فوقهم من أهل العفة وظلموا من تحتهم من
أهل الذمة أهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم ألم ترهم قد
جددوا الثياب وأخلقوا الدين تبكي يمين أحدهم على شماله ويأكل من غير ماله طعامه غصب
وخدمته سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد ورطب بعد يابس حتى اذا أخذته
الكظة تجشأ من البشم ثم قال ياجارية هاتي حاطوما يعنى هاضوما يهضم الطعام يا أحمق
لا والله لن تهضم الا دينك أين جارك أين يتيمك أين مسكينك أين ما أوصاك الله به
٠٠ وذكر يوما الحجاج فقال أتانا أعيمش أخيفش له جميمة يرجلها وأخرج الينا بنانا
قصاراً والله ماعرق فيها عنان فى سبيل الله فقال بايعوني فبايعناه ثم رقى هذه الاعواد
ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يأمرنا بالمعروف ويجتنبه وينهانا عن المنكر ويرتكبه
٠٠ وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة فاقدعوها فانكم ان
تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها سريعة الدثور قال عيسى بن
عمر فحدثت بذلك أبا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته ٠٠ وكان يقول فى بعض كلامه
مايشاء ان ترى أحدهم أبيض بضاً يملخ فى الباطل ملخاً ينفض مذرويه يقول هاأنا ذا
فاعرفونى قال ــ والبض ــ هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على مايظنه قوم
لأنه قد تكون الرخاصة مع الأدمة وأما قوله ــ يملخ ــ فان الملخ هو التثني والتكسر
يقال ملخ الفرس اذا لعب ٠٠ قال رؤبة يصف

مُفْتَرِم التَّجليح مَلاَّخ المَلَقْ

ــ والمذروان ــ فرعا الاليتين •• قال عنترة

أَحَوْلِي تَنفُضُ اُستُكَ مِذْرَوَيْهَا لِتَقتُلَنِي فَهَا أَنَا ذَا عُمَارَا

•• هذا قول أبو عبيد وقال ابن قتيبة [١] راداً عليه ليس المذروان فرعى الاليتين حَسْبُ بل هما الجانبان من كل شيء تقول العرب جاء فلان يضرب أصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما منكباه •• وذكر انه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنّع الشيب مذرويه يريد جانبي رأسه وهما فرداه وانما سميا بذلك لانهما يذريان أي يشيبان والذري الشيب قال وهذا أصل الحرف ثم استعير للمنكبين والاليتين والطرفين من كل شيء •• قال أمية بن أبي عائذ الهذلي يذكر قوما

على عَجْسِ هتّاقةِ المِذْرَوَينِ زَوْراءَ مَضجعَةٌ في الشِّمالِ

أراد قوسا ينبض طرفاها •• قال فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكر الحسن بانه يحرك اليته ولا من شأنه أن يبذخ وينبه على نفسه ويقول هاأنا ذا فاعرفوني ان يحرك أليته وانما أراد أنه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرح المختال وربما قالوا جاءنا ينفض مذرويه اذا تهدد وتوعد لأنه اذا تكلم وحرك رأسه نفض قرون فوديه وهما مذرواه •• قال رضي الله عنه ليس الذى ذكره أبو عبيد بعيد لان من شأن المختال الذى يزهي بنفسه أن يهتز ويتثني فتتحرك أعطافه وأعضاه ومذرواه من جملة مايهتز ويتحرك لأنهما بارزان

---

(١) ــ قلت قال ابن سيدة عن الجرمازى رانفة كل شيء ناحيته والمذرى طرف الألية وهما المذروان وقيل المذروان أطراف الأليتين وليس لهما واحد وقال أبو عبيدة وهو أجود القولين لانه لو كان لهما واحد فقيل مذرى لقيل فى التثنية مذريان وأنشد

أَحَوْلِي تَنفُضُ آستكَ مِذْرَوَيْهَا لتقتلنى فها أنا ذا عُمَارَا

مَتَى مانَلتقِي فَرْدَيْن تَرْجُفْ روانِفُ أليتيكَ وتُستطارا

قلت قوله لقيل مذريان علة ذلك ان المقصور اذا كان على أربعة أحرف يثني بالياء على كل حال نحو مقلى ومقليان وشذ فى تثنية أليةٍ أليان ومثلها خصية وخصيان وقيل هما تثنية ألي وخصي المذكرين وذكرت خصية استطرادا فليتنبه لذلك

من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز وانما خص المذروين بالذكر مع ان غيرهما يتحرك أيضاً على طريق التقبيح لهذا المختال والتهجين لفعله وقول ابن قتيبة ليس من شأن من يبذخ ان يحرك اليته ليس بشيء لان الأغلب من شأن المختال البذاخ الاهتزاز وتحريك الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شأن كل متوعد ان يحرك رأسه وينفض مذرويه فاذا قال ان ذلك فى الاغلب والاكثر فهذا مثله ٠٠ وكان الحسن يقول ياابن آدم جمعاً جمعاً سرطاً سرطاً جمعا فى وعاء وشدًّا فى وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل مات فافضي والله الى الآخرة فطال حسابه ٠٠ وكان يقول مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون العلل أسير جوع صريع شبع ان من تؤلمه البقة وتقتله الشرقة لبادى الضعف فريسة الحتف ٠٠ وكان يقول ماأطال أحد الامل الا أساء العمل وماأساء العمل الاذل ٠٠ وكتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان طول البقا الى فنا فخذ من فنائك الذى لايبقى لبقائك الذى لايفنى والسلام ٠٠ وكان يقول اذا رأيت رجلا ينافس فى الدنيا فنافسه فى الآخرة ٠٠ وسأله رجل ماحالك فقال له بأشد حال ماحال من أمسى وأصبح ينتظر الموت ولايدري مايفعل الله به ٠٠ وكان يقول ياابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فاملل ماشئت فأكثر أو أقلل ٠٠ وفى خبر آخر وكل بك ملكان كريمان ريقك مدادهما ولسانك قلمهما ٠٠ روى أبو بكر الهذلى قال لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل واسطا وبعث الى الشعبى والى الحسن البصرى فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد أخذ الله ميثاقه وانتجبه لخلافته وقد أخذ بنوا صينا وأعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة أيدينا فوجب علينا السمع والطاعة له وانه بعثنى الى عراقكم غير سائل إياه الا انه لايزال يبعث الينا فى القوم نقتلهم وفى الضياع نقبضها أو فى الدور نهدمها فنوليه من ذلك ماولاه الله فما تريان فتأمل الشعبى فقال قولا فيه بعض اللين وأما الحسن فانه قال له ياعمر انى أنهاك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد وما يمنعك يزيد من الله إنه يوشك أن ينزل اليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لايوسعه عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصراً لدين الله فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطانه تذلونهم به فانه لاطاعة لمخلوق في

معصية الخالق عز وجل •• وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن أكرمنا عليه ••وروى أبو بكر بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به فقال عظني فقال أوُليت قط فقال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فأته الى من وليته •• وعن ثابت البناني قل قال رجل للحسن آخذ عطاي أم أدعه حتي آخذه من حسناتهم يوم القيامة فقال له قم ويحك خذ عطاءك فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة •• وولد للحسن غلام فهناه بعض أصحابه فقال الحسن نحمد الله على هبته ونستزيده من نعمه ولا مرحبا عن ان كنت غنياً أذهلني وان كنت فقيراً أتعبني لأرضى بسعي له سعياً ولا بكدّى له في الحياة كداً أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وأنا في حال لا يصل اليّ من همه حزن ولا من فرحه سرور ••وكان الحسن يقول لولم يكن من شؤم الشراب الا انه جاءالى أحب خلق الله الى الله فأفسده فكان ينبغي للعاقل ان يتركه يعني العقل ••وعزي جاراً له يهوديا فقال جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ماجازى به أحداً من أهل ملتك وهذا تخلص منه مليح لأنه لم يدع له بالثواب الذى لايستحقه الكفار وأراد بالجزاء العوض الذى يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب•• وكان يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة••وقال في قوله تعالى﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ قال العلم ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ قال الجنة ••وخرج الحسن في جنازة معهانوائح فقال له رجل ماترى ياأبا سعيد هذا وهمّ الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك •• وذكرت عنده الدنيا فقال

أَحلامُ نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ ... إنَّ اللبيبَ بمثلها لا يُخدَعُ

وكان يتمثل

اليومَ عندكَ دلُّها وحديثُها ... وغدًا لغيرِكَ كفُّها والمعصَمُ

وعن أبي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من قصر واسط نادى في الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف أهل الشام

على نفسه أن يقتلوه فرجع وهو يقول قد نظرنا ياأخبث الاخبثين وأفسق الافسقين أما أهل السماء فمقتوك وأما أهل الارض فغروك ثم قال أبى الله تعالى للميثاق الذى أخذه على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم انصرف فبلغ الحجاج ذلك فقال ياأهل الشام وهم حوله آلله أيقوم عُبيد من عبيد أهل البصرة ويتكلم فيّ بما يتكلم ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير قالوا ومن ذاك أصلحك الله اسقنا دمه فقال عليّ به وأمر بالنطع والسيف فأحضر ووجّه اليه فلما دنى الحسن من الباب حرك شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج ههنا وأجلسه قريباً من فرشه وقال له ما تقول في عليّ وعثمان قال أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال فرعون لموسى مابال القرون الأولى قال علمها عند ربى في كتاب لايضل ربى ولا ينسى علم عليّ وعثمان عند الله فقال له الحجاج أنت سيد العلماء ياأبا سعيد ثم دعا بغالية فغلّف بها لحيته فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب فقال ياأبا سعيد لقد دعاك لغير هذا الذي فعل بك ولقد أحضر السيف والنطع فلما أقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشئ فما قلت قال قلت ياعدّتى عند كربتي وياصاحبي عند شدتي ووليّ نعمتى ويا إلهي وإله آبائى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ارزقنى مودته واصرف عني أذاه ومعرّته ففعل ربي عز وجل ذلك •• وكان الحسن يقول مازال النفاق مقموعاً حتى عُمّم هذا عمامة وقلد سيفاً •• وروى أبو بكر الهذلى ان رجلا قال للحسن يا أبا سعيد ان الشيعة تزعم انك تبغض علياً فأكب يبكى طويلا ثم رفع رأسه فقال لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهماً من مرامي الله عز وجل على عدوه ربّانى هذه الأمة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من النبى صلى الله عليه وسلم قريبة لم يكن بالنُوَمة عن أمر الله ولا بالغافل عن حق الله ولا بالسروقة من مال الله أعطى القرآن عزائمه فيماله وعليه فأشرف منها على رياضٍ مؤنقة واعلام بينة ذلك عليّ بن أبي طالب يالكع •• وكان الحسن اذا أراد أن يحدث فى زمن بنى أمية عن أمير المؤمنين قال قال أبو زينب •• وشهد الحسن جنازة فقال ان أمراً هذا أوله لينبغى أن يحذر منه وان أمراً هذا آخره لينبغي أن يزهد فيه •• وعن حميد الطويل قال خطب رجل الى الحسن ابنته وكنت السفير بينهما فرضيته وأراد أن يزوجه فأثنيت

عليه ذات يوم وقلت وأزيدك يا أبا سعيد فان له خمسين ألفاً قال أقلت له خمسون ألفاً ما اجتمعت من حلال قلت يا أبا سعيد انه والله ما علمته إلاّ ورعاً مسلماً فقال اذا كان جمعها من حلال فقد ضن بها على حق لا يجرى بيني وبينه صهر أبداً •• وقيل لعليّ ابن الحسين عليه السلام قال الحسن البصرى ليس العجب ممن هلك كيف هلك وانما العجب ممن نجى كيف نجى فقال عليه السلام أنا أقول ليس العجب ممن نجى كيف نجى انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله •• وأتي عليه السلام يوماً الحسن البصرى وهو يقص عند الحِجر فقال أترضى ياحسن نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فللّه فى أرضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الناس عن الطواف

مجلس آخر ١١

وممن تظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزّال ويكنّى أبا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم وقيل مولى بني هاشم وروى انه لم يكن غزّالا وانما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس فى الغزالين وقيل انه كان يكثر الجلوس فى الغزالين عند رضيع له يعرف بأبي عبد الله الغزّال (١) وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء ليصرف صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب أبو مسلمة حفص بن سليمان بالخلاّل وهو وزير أبي العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين وكان يجلس عندهم فسمي خلالا ومثله أبو عليّ الحرمازى مولى لبنى هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل فى بنى الحرماز وابراهيم بن يزيد الخوزى وليس بخوزي ولكنه كان ينزل بمكة بشعب الخوز وأبو سعيد المقبرى لانه نزل المقابر •• وكان واصل ألثغ فى الراء قبيح اللثغة فكان يخلص من كلامه الراء

(١) قلت وأبو عبد الله هذا مولى لقطن الهلالي ومثل ذلك أبو مالك السدي اشتهر بالسدي لأنه كان يبيع الخُمُر فى سدة المسجد

يعـدل عنها فى سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فى أخبار بشار بن برد ..
وذكر أبو الحسن البردعي المتكلم أن انساناً سأل عمرو بن عبيد أو غيره عن شئ في
القدر بحضرة واصل بن عطاء فتكلم السائل بشئ أغضب عمراً فأجابه عمرو بجواب لم
يرضه واصل فقال له واصل إياك وأجوبة الغضب فانها مندمة والشيطان يكون معها وله
فى تضاعيفها همزة وقد أوجب الله جل وعز على نبيه أن يستعيذ من همزات الشيطان
وأن يكونوا معه بقوله أعوذ بك من همزات الشياطين الى خاتم الآية وقلما شاهدتُ
أحداً تثبت فى جوابه وما ينطق به لسانه فيلحقه اللوم .. قال البردعي أنظار الى واصل
كيف كلم عمراً فأخرج الراء من كلامه فقال موضع والشـيطان يحضرها يكون معها
وقد أوجب الله تعالى على نبيه ولم يقل أمره وقال وأن يكونوا معه بدلا من أن يحضروه ثم
قال الى خاتم الآية ولم يقل الى آخر الآية ..[قال المرتضي رضى الله عنه] ومما لم يذكره
البردعى انه عدل عن افتتاح الآية من أجل الراء أيضاً لأن أولها وقل رب أعوذ بك
من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها واجباً من ابتدائها لا سيما
وفى ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به .. وقيـل إن رجلا قال له
كيف تقول أسرج الفرس قال ألبد الجواد .. وقال له آخر كيف تقول ركب فرسه وجر
رمحه قال استوى على جواده وسحب عامله .. وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلا
كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ومولده سنة ثمانين ومات سـنة
احدى وثلاثين ومائة .. وكان واصل ممن لقى أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
وصحبه وأخذ عنه وقال قوم انه لقى أباه محمداً عليه السـلام وذلك غلط لأن محمداً توفى
سنة ثمانين أو احدى وثمانين وواصل ولد فى سنة ثمانين .. وواصل هو أول من أظهر
المنزلة بين المنزلتين لأن الناس كانوا فى أسماء أهل الكبائر من أهل الصلاة على أقوال
كانت الخوارج تسـميهم بالكفر والشرك .. والمرجئة تسـميهم بالايمان وكان الحسن
وأصحابه يسمونهم بالنفاق فأظهر واصل القول بأنهم فساق غـير مؤمنين ولا كفار ولا
منافقين .. وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلامذته فجمع بينه وبين واصل
ليناظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما اتفقوا على الاجتماع ذكر أن واصلا

أقبل ومعه جماعة من أصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الي واصل وكان في عنقه طول واعوجاج قال أرى عُنقاً لايفلح صاحبها فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يابن أخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذي بين الصنعة والصانع فقال له عمـرو بن عبيد ياأبا حذيفة قد وعظت فأحسنت ولن أعود الي مثل الذي كان مني وجلس واصل في الحلقة وسئل أن يكلم عمراً فقال واصل لعمرو لم قلت من أتى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم النفاق فقال عمرو لقول الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسـقون) فكان كل فاسق منافقاً اذ كانت ألف المعـرفة ولامها موجودتين في الفاسق فقال له واصل أليس قد وجدت الله تعالى يقول (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة استحق اسم ظالم كما استحق اسم فاسق فألاّ كفرت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى (والكافرون هم الظالمون) فعرف بألف ولام التعريف اللتين في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) كما قال في القاذف (وأولئك هم الفاسقون) فسميته منافقاً لقوله تعالى (ان المنافقون هم الفاسـقون) فأمسك عمـرو ثم قال له واصل ياأبا عثمان أيّ ما أولى أن تستعمل في أسماء المحدثين من أمتنا ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة أو ما اختلفوا فيـه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليـه أولى فقال له واصل ألست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسـقاً ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه لأن الخوارج تسميه مشركا فاسقاً والشـيعة تسميه كافر نعمة فاسقاً ٠٠[قال المرتضي رضى الله عنه] يعني بالشيعة الزيدية ٠٠ والحسن يسميه منافقاً فاسقاً والمرجئة تسميه مؤمناً فاسقاً فاجتمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه فالواجب أن يسمى بالاسم الذى اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقاً ولا يقال فيه أنه مؤمنٌ ولا منافقٌ ولا مشركٌ ولا كافرٌ فهذا أشـبه بأهل الدين فقال له عمرو ابن عبيد مابيني وبين الحق عـداوة والقول قولك فليشهد عليّ من حضر أني تارك

للمذهب الذي كنت أذهب اليه من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة قائل بقول أبي حذيفة في ذلك وأني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب فاستحسن الناس هذا من عمرو ٠٠ وقيل إن اسم الاعتزال انما اختص بهذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن أبي الحسن في تسمية مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق وحكي غير ذلك ٠٠ وقيل ان قتادة بعد موت الحسن البصري كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو ابن عبيد جميعاً رئيسين متقدمين في أصحاب الحسن فجرت بينهما نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن فكان قتادة اذا جلس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول مافعل المعتزلة فسموا بذلك ٠٠[قال المرتضي رضى الله عنه] أما ما ألزمه واصل بن عطاء لعمرو بن عبيد أولا فسديدٌ لازم وأما ما كلمه به ثانياً فغير واجب ولا لازم لأن الاجماع وان لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق وغير ذلك من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمي بذلك لدليل غير الاجماع ووجود الاجماع في الشيء وان كان دليلا على صحته فليس فقده دليلاً على فساده ٠٠ وواصل انما ألزم عمراً أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على التسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطلٌ ولو لزم ماذكره للزمه أن يقول قد اتفق أهل الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في العقاب أو نقول انهم اجتمعوا على استحقاقه العقاب ولم يجمعوا على فعل المستحق به فيجب القول بما اتفقوا عليه ونفي ما اختلفوا فيه فاذا قيل استحقاقه للخلود أو فعل المستحق به من العقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليل غير الاجماع ٠٠ قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه وبطل على كل حال أن يكون الاختلاف في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها يطول على أن المقدمة التي قدمها لاتشبه ماألزم عليها لأن الاجماع أولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف في الموضع الذي كلم عليه واصل عمراً في مكانين لأن الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الأسماء فلا تعارض بينهما ٠٠ وله أن يأخذ بالاجماع في موضعه ويعوّل فيما الاختلاف

فيه على دلالة غير الاجماع لأن فقد الاجماع من القول لايوجب بطلانه •• وحكي أن واصلا كان يقول أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلّموا قال الله تعالى (ياموسى إني أنا الله) فعرّفه نفسه ثم قال (اخلع نعليك) فبعد ان عرّفه نفسه أمره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى (والعصر إن الانسان لفى خسر إلاّ الذين آمنوا) يعني صدقوا (وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتوصوا بالصبر) علموا وعملوا وعلموا •• وروى المبرد قال حدثت أن واصل بن عطاء أقبل فى رفقة فاحسوا بالخوارج وكانوا قد أشرفوا على العطب فقال واصل لأهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم فقالوا شأنك قال الخوارج له ماأنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويقيموا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلمونا أحكامه فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فأبلغونا مأمننا فساروا بأجمعهم حتى بلغوا الأمن •• وحكي أن محمداً وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة •• وحكى أبو القاسم البلخي أن عبد الله قال لابنه محمد كل خصالك محمودة إلاّ قولك بالقدر قال ياأبت فهو شيء أقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبتك عليه أبداً •• [قال المرتضى رضي الله عنه] قال أبو القاسم يقول ان كنت أقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبني على شيء لا أقدر عليه •• فأما عمرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه من سبي كابل من سبي عبدالرحمن بن سَمُرَة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان عبيد شرطياً وكان عمرو متزهداً فكانا اذا اجتازا معاً على الناس قالوا هذا شر الناس أبو خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابراهيم وأنا تارخ •• قال عليّ بن الجعد هو عبيد بن باب وكان بوابا للحكم بن أيوب قال وكان باب مكارياً له دكان معروف يقال له دكان باب وكان فارسياً وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشدته وفحش فيه •• وذكر أبو الحسين

الخيّاط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً سنة ثمانين قال ومات عمرو بن عبيد فى سـنة مائة وأربع وأربعين وهو ابن أربع وستين سـنة •• روى أن عمراً استأذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالباب رجل قال إنى عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبّة يمانية مخففة فقال ويلك ياربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قميصاً أبيض فأتاه به فألقاه عليـه ثم قال رد من خلفى فغط الجبة وذرو عليّ قال الربيع ولم أكن أرى أحداً يوقره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد فدخل عليـه رجل آدمٌ مربوع الكدنة بين عينيه أثر السجود حسن الأدب حسن اللسان كأنه لم يزل مع الملوك فى توقيره للخليفة وإعظامه إياه قال فسـلم عليه فاجتذبه المنصور ليجلس معه فأبا وطرح نفسـه بين يديه فسائله وأحفى به فلما أراد عمرو القيام قل له عظ ياأبا عثمان وأوجز قال له ان مافى يدك لست بوارثه عن أحد وانما هو شئ صار اليك وقد كان فى يد غـيرك قبلك ولو دام لك لبقى في يد الأول والسـلام •• وروى الأصمعي قال قال مطر الوراق لعـمرو بن عبيد إني لأرحمك مما تقول الناس فيك فقال عمـرو أتسمعنى أقول فيهم شيئاً قال لا قال فاياهم فارحم •• وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لا تأخـذ مني فتقضي ديناً ان كان وتصل رحمك فقال له عمرو أما دين فليس عليّ وأما صلة رحمي فلا يجب عليّ وليس عندي قال فما يمنعك أن تأخذ مني قال يمنعنى انه لم يأخذ أحد من أحد شيئاً إلاّ ذلّ له وأنا والله أكره أن أذل لك •• ويقال إن ابن لهيعة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس اليه وقال له ياأبا عثمان ماتقول فى قوله تعالى (وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فقال ذلك فى محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فأما العدل بينهن فى القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مطيق لذلك وقـد كلفه بقوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل) فيما تطيقون (فتذروها كالمعلّقة) بمنزلة من ليست أيماً ولا ذات زوج وقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق •• ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان أباك كان أصلك وان ابنك كان فرعك وان امرأ ذهب أصـله وفرعه لحري أن لايطول بقاؤه •• وقيل ان عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال

صَحِبْنَكَ قبلَ الرُّوحِ إِذْ أَنا نُطفةٌ ... تُصانُ فما يَبْدُو لِعَينٍ مَصُونُها

أرَى المَرْءَ دَيناً لِلمَنايا وما لَها ... مِطالٌ إذَا حَلَّتْ بِنَفْسٍ دُيونُها

فما ذا بقاءُ الفَرْعِ مِنْ بعدِ أصلِهِ ... سَتَلْقَى الذي لاقَى الأُصولَ غُصونُها

وأول من سبق الي هذا المعنى امرؤ القيس فى قوله

فَبَعْضَ اللَّوْمِ عاذِلَتِي فإنِّي ... سَتُغْنِيني التَّجارِبُ وانْتِسابي

إلى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجتْ عُرُوقِي ... وهذَا المَوْتُ يَسلِبُنِي شَبابي

وأخذ ذلك لبيد فى قوله

فإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفسُكَ فانتَسِبْ ... لَعَلَّكَ تَهدِيكَ القُرُونُ الأَوائِلُ

فإِنْ لمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنانَ والِدًا ... ودُونَ مَعَدٍّ فلْتَزَعْكَ العَواذِلُ

وأخذه أيضاً فى قوله

تَوَدُّ ابْنَتايَ أنْ يَعيشَ أبُوهُما ... وهَلْ أنا إلاَّ مِنْ رَبِيعةَ أَوْ مُضَرْ

ونظر اليه محمود الوارق وابراهيم بن العباس الصولى .. فأما محمود ففى قوله

إذا ما انتَسَبْتَ إلى آدمٍ ... فلَمْ يَكُ بينَكُما مِنْ أبِ

وجازَتْ سِنُوكَ بِكَ الأَرْبعينَ ... وصِرْتَ الى الجانِبِ الأَجْنَبِ

ودَبَّ البَياضُ خِلالَ السَّوادِ ... فأصبَحْتَ في شَبَهِ الأشهَبِ

وكيفَ تُؤَمِّلُ طُولَ الحَياةِ ... إذا كانَ حِلْمُكَ لَمْ يَعزُبِ

وأما ابراهيم ففى قوله

نَعَى نفسى إِليَّ أبى ... وخَبَّرَ أينَ مُنْقَلَبي

بمَوْعِظَةٍ رآها فى ... أبيهِ كما رأيتُ أبي

وكأن أبا نواس لحظ هذا المعنى فى قوله

وما الناسُ إلاّ هالكٌ وابنُ هالكٍ وذُو نسبٍ في الهالكينَ عريقِ
اذا امتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشّفتْ لهُ عنْ عدُوٍّ في ثيابِ صديقِ

مجلس آخر ١٢

قال روى أن عمرو بن عبيد دخل على معاوية بن عمر الغلابي وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعبدك فى حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ووضع عنك فى هذه الحالة عمل الجوارح ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك مايجب له عليك .. وروي أن قوماً اجتمعوا الى عمرو بن عبيد فتذاكروا السخاء فأكثروا فى وصفه وعمرو ساكت فسألوه ماعنده فقال ماأصبتم صفته ان السخي من جاد بماله تبرعاً وكف عن أموال الناس تورعاً .. وذكر اسحاق بن المفضل الهاشمىإنى لعلى باب المنصور يوماً والى جنبي عمارة بن حمزة إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم دفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت اليّ عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا منها بأحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أبو عثمان عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد اليه فاتكأه يده ثم قال له أجب أمير المؤمنين جعلت فداك فمر متوكئاً عليه فالتفت الى عمارة فقلت ان الرجل الذى استحمقته قد أُدخل وتركنا فقال كثيراً ما يكون ذلك فأطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكي عليه والربيع يقول يا غلام حمار أبي عثمان فما برح حتى أتى بالحمار فأقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ملو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل به أكثر وأعجب قال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ماهو إلاّ أن سمع الخليفة بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس فَفُرِش لُبُوداً ثم انتقل اليه والمهدي معه عليه سواده وسيفه ثم أذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى أتكأه فخذه

وتحفى به ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة ثم قال يا أبا عثمان عظنا فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (والفجر وليالٍ عشر والشفع والوتر والليل اذا يسرِ) ومر فيها الى آخرها وقال ان ربك ياأباجعفر لبالمرصاد قال فبكا المنصور بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات الا تلك الساعة ثم قال زدني فقال ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم أن هذا الأمر الذي صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك وأني أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكا أشد من بكائه الأول حتي رجف جنباه •• وفي رواية أخرى انه لما انتهي الى آخر السورة قال ياأميرالمؤمنين ان ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله فان من وراء بابك نيراناً تأجج من الجور مايعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله فقال ياأباعثمان إنا لنكتب اليهم في الطوامير نأمرهم بالعمل بالكتاب فان لم يفعلوا فما عسى أن نصنع فقال له مثل أذن الفأرة يجزيك من الطوامير ألله أتكتب اليهم فى حاجة نفسك فينفذونها وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذونها والله لولم ترض من عمالك إلا رضى الله اذاً لتقرب اليك من لانية له فيه •• [قال المرتضى] رضى الله عنه رجعنا الى نسق الحديث فقال له سليمان ابن مجالد رفقاً بأمير المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم فقال له بذلك ضاع الأمر وانتشر لا أبا لك وما ذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله •• وفى رواية أخرى ان سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له من أنت فقال أبو جعفر أو لا تعرفه ياأبا عثمان قال لا ولا أبالي أن لا أعرفه فقال له هذا أخوك سليمان بن مجالد فقال هذا أخو الشيطان ويلك يابن مجالد خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحته ياأمير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلّماً لشهواتهم فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميتٌ وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث وحدك ولن يغنى عنك هؤلاء من ربك شيئاً فقال له المنصور ياأبا عثمان أعنى بأصحابك أستعن بهم فقال له اظهر الحق يتبعك أهله قال بلغنى أن محمد بن عبد الله بن الحسن كتب اليك كتاباً قال قد جاءنى كتاب يشبه أن يكون كتابه قال فبما ذا أجبته

قل أو لست قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف الينا و إني لا أراه قال أجل ولكن تحلف ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك تقيّة لأحلفن لك تقيّة قل له أنت الصادق البار وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك فقال لا حاجة لي فيها فقال المنصور والله لتأخذنها قال والله لا أخذتها فقال له المهدى يحلف أمير المؤمنين وتحلف فترك المهدي وأقبل على المنصور فقال من هذا الفتى فقال هذا ابني محمـد وهو المهدى وهو ولي العهد فقال والله لقد سميته اسماً مااستحقه بعمل وألبسته لبوساً ما هو من لبوس الأبرار ولقد مهدت له أمراً امتع مايكون به أشغل ما تكون عنه ثم التفت الي المهدى فقال نعم يابن أخي اذا حلف أبوك حلف عمك لان أباك أقدر على الكفارة من عمك قال المنصور ياأباعثمان هل من حاجة قال نعم قال ماهي قال ألا تبعث اليّ حتى آتيك [1] قال اذاً لا نلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم ودعـه ونهض فلما ولى اتبعـه بصره وأنشأ يقول

كُلُّكُمْ طالِبُ صيدْ كُلُّكُمْ يَمْشي رُوَيدْ

غيْرَ عَمْرِو بنِ عُبيدْ

وروى أن هشام بن الحكم قـدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيهـا وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو أليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لأنظر بهـما في ملكوت السـموات والأرض فاعتبر قال وجعل لك فماً قال نعم قال ولم قال لأذوق الطعوم وأجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل لك قلباً قال نعم قال ولم قال لتؤدي اليه الحواس ماأدركته فيميز بينها قال فأنت لم يرض لك ربك

---

(١) وروى من غير هذا الوجه فقال له ترفع هذا الطيلسان عني فرفع وكان أمر المنصور أن يطرح عليه عند دخوله فقال له لا تدع إتياننا قال نعم لا يضمني واياك بلد الا أتيتك وان بدت لى حاجة اليك سألتك ولا تدعني حتى آتيك قال اذا لاتأتينا أبداً فلما ولوا للخروج اتبعهم المنصور بصره ثم قال

كلكم يمشي رويد كلكم حابل صيد غير عمرو بن عبيد

تعالى ان خالق لك خمس حواس حتى جعل لها اماماً ترجع اليه يرضى لهـذا الخلق الذين حشى بهم العالم أن لا يجعل لهم اماماً يرجعون اليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر في مسألتك وعرفه ثم دار هشام في حلق البصرة فما أمسى حتى اختلفوا ٠٠ وروي أبو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان أخبرني عن صاحبك يعني الحسن يزعم أن علياً عليه السلام قال إني وددت أني كنت آكل الحشف بالمدينة ولم أشهد مشهدي هذا يعني يوم صفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هـذا لانه ظن ان أمير المؤمنين شك ولكنه يقول ودّ انه كان يأكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة قال فقوله في عبد الله بن العباس يفتينا في القملة والقميلة وطار بأموالنا في ليلة فقال له فكيف تقول هـذا وابن عباس لم يفارق علياً حتى قتل وشهد صلح الحسن عليه السلام وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة عليّ الى الأموال وهو يفرّغ بيت مال الكوفة في كل خمس ويرشه وقالوا انه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة هـذا باطل ٠٠ قال الجاحظ نازع رجـل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمـرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهـم أو قدرته فيهم أو أردته منهم أو شئته لهم أو ليس بعد هذا الأمر الاّ الاقرار بالعـدل والسكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى ٠٠ قال خلاد الأرقط حدثني زميل عمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة التي مات فيها يقول اللهم ان كنت تعلم انه لم يعرض لي أمران قط أحدهما لك فيه رضاً والآخر لي فيه هوى الاّ قدمت رضاك على هواي فاغفر لي [1] ٠٠ ومر أبو جعفر المنصور على

---

(١) وقال اسماعيل بن مسلمة أخو القعنبي رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام فقال لي يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال في النار ثم رأيته في الليـلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له في الثالثة فعمرو بن عبيد فقال في النار كم أقول لك

قبره بمرّان وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة (١) وأنشأ يقول

صلّى الإلهُ عليكَ من مُتوسّدٍ قبرًا مررتُ بهِ على مرّانِ

قبرًا تضمّنَ مؤمنًا متخشعًا عبَدَ الإلهَ ودانَ بالفرقانِ

وإذا الرجالُ تنازعوا في شبهةٍ فصلَ الخطابَ بحكمةٍ وبيانِ

فلوَ أنّ هذا الدهرَ أبقى صالحًا أبقا لنا عمرًا أبا عثمانِ

فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول العبدى ٠٠وقال أبو القاسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة ٠٠ وقال أبو الحسن الخياط ولد سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل انه توفي فى أول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان سنّه مائة سنة ٠٠ قال البرذعي لحق أبا الهذيل فى آخر عمره خرَفٌ إلاّ أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف بصره قبل وفاته ٠٠ وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء ٠٠ وقيل ان أبا الهذيل فى حدثته بلغه ان رجلا يهودياً قدم البصرة وقطع جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودى حتى أكلمه فقال له عمه يابنيّ كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لابد من أن تمضي بي اليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فاذا اعترفوا له بها قال نحن على مااتفقنا عليه الى أن نجتمع على ماتدّعونه فتقدمت اليه فقلت أسألك أم تسألني فقال بل أسألك فقلت ذاك اليك فقال لي أتعترف بأن موسى نبي صادق أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت له ان كان موسى الذي تسألني عنه هو الذى بشر بنبيي وشهد بنبوته وصدّقه فهو نبي صادق وان كان غير من وصفت فذلك شيطان لا أعترف بنبوته فورد عليه مالم يكن في حسابه ثم قال لي أتقول ان التوراة حق فقلت هذه المسألة تجري مجرى الأولى ان كانت هذه التوراة التى تسألنى عنها هي التي تتضمن

(١) قوله على طريق البصرة وقيل بين مكة والمدينة وهو بفتح الميم

البشارة بنبي عليه الصلاة والسلام فتلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقرّ بها فبُهت وأفحم ولم يدر ما يقول ثم قال لي أريد أن أقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت أنه يقول شيئاً من الخير فتقدمت اليه فسارّني وقال أمك كذا وكذا وأم من علمك ولا يكني وقدّر أني أثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا عليّ فأقبلت على من كان في المجلس فقلت أعزكم الله ألستم قد وقفتم على مسألته إياي وعلى جوابي له فقالوا نعم قلت أفليس عليه أن يرد جوابي أيضاً قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارّني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وانما ظن أني أثب عليه فيدعي أننا واثبناه وشغبنا عليه وقد عرّفتكم شأنه بعد الانقطاع فانصروني فأخذته الأيدي من كل جهة فخرج هارباً من البصرة •• وعن أبي العيناء قال قال أبو الهذيل ما معنى الخسف فقلت أن تنقلب الأرض أعلاها أسفلها فقال إن لا يكن هذا اليوم بالأرض فانه لبا لباس •• وقال أبو الهذيل قال لي المعذّل بن غيلان العبدي وكان من سادات عبد القيس وكان يجتمع اليه أهل النظر يا أبا الهذيل ان في نفسي شيئاً من قول القوم في الاستطاعة فبين لي ما يذهب بالرّيب عني فقال خبرني عن قول الله عزوجل (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) هل يخلو من أن يكون أكذبهم لأنهم مستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا معكم فأكذبهم الله تعالى على هذا الوجه أو يكون على وجه آخر يقول انهم لكاذبون أي ان أعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون ولا يكون الخروج وعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا لعقل للآية معنى ثالثاً غير الوجهين الذين ذكرناهما •• حكى سليمان الرّقي ان أبا الهذيل لما ورد سُرَّ من رأى نزل في غرفة الى أن يطلب له داراً تصلح له قال فمررت به فقلت له يا أبا الهذيل أتنزل في مثل هذا المنزل فأنشدني

يَقولونَ زَينُ المَرْءِ يا مَيُّ رَحلُهُ   أَلاَ إِنَّ زَينَ الرَّحلِ يامَيُّ راكِبُه

وعن أبي مجالد قال رأيت رجلا وقد سأل أبا الهذيل وهو في الورّاقين بقصر وضّاح

فقال له من جمع بين الزانيين فقال له يابن أخي أما بالبصرة فانهم يقولون القوادون ولا أحسب أهل بغداد يخالفونهم على هذا القول فما تقول أنت قال فخجل الرجل وسكت •• وقال أبو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الحركة ولم يسمه وزعم قوم انه الأصم خبّرني عن قول الله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائةَ جلدة) وذكر القاذف فقال فاجلدوه ثمانين جلدة فأيهما أكثر فقال حد الزاني قلت بكم قال بعشرين قلت فحدثني عن الجلد أهو يد الجلاد قال لا قلت أفهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا قلت أفهو الانفراج الذى بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت أفثم شيء غير هذا يقال هو الجلد قال لا قلت فانما تقول أن لاشيء أكثر من لاشيء بعشرين فانقطع •• وقال أبو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص أجنحتها وحطها الى الأرض يحرث عليها فقلت فالماء قال نور الله قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الأرض قال بهمن الملك قلت فما فى الدنيا شر من المجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه •• ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال أبو الهذيل من هذا الفتى الذى قد رفعه الأمير لنوّفيه بمعرفته حقه قال رجل من أهل النجوم قال من أهل صناعة الحساب أم الأحكام قال الأحكام قال ذلك عملٌ يبطل أفنسأله قال سل فأخذ أبو الهذيل تفاحة من بين يديه وقال آكل هذه التفاحة أم لا قال تأكلها فوضعها أبو الهذيل وقال لست آكلها قال فتعيدها الى يدك وأعيد النظر فوضعها وأخذ غيرها فقال له الحسن لم أخذت غيرها قال لئلا تقول لى لا تأكلها فآكلها خلافاً عليه فيقول قد أصبت فى المسألة الأولى (١) •• وقال النعمان المنّاني يوماً لأبي الهذيل دُلَّ على

(١) وحكى انه لقى صالح بن عبد القدوس وقد مات له وَلد وهو شديد الجزع عليه فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عليه وجهاً اذا كان الانسان عندك كالزرع

حدوث العالم بغير الحركة والسكون فقال له أبو الهذيل مثلك مثل رجل قال لخصمه احضر معي الى القاضي ولا تحضر بيننا ** وذكر محمد بن الجهم صاحب الفرّاء قال رأيت أبا الهذيل وقد جاء الى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن هرون بن راهيون أن يكتب له كتاباً في حاجة الى حفصويه صاحب الجيش ونهض أبو الهذيل فأملى عليّ سهل بن هرون

إنَّ الضَّميرَ إذا سألتكَ حاجةً ... لأبي الهُذَيلَ خلافُ ما أُبدي

فإذا أتاكَ لحاجةٍ فامدُدْ لهُ ... حبلَ الرَّجاءِ بمُخْلَفَ الوَعْدِ

وألِنْ لهُ كَنفاً ليحسنَ ظنُّهُ ... في غيرِ منْفعةٍ ولا رِفْدِ

حتَّى إذا طالَتْ شقاوةُ جدِّهِ ... ورجا الغنى فأجبهُ بالرَّدِّ

وان استطعتَ لهُ المَضرَّةَ فاجتهدْ ... فيما يَضُرُّ بأبلغِ الجهْدِ

وانظُرْ كلامي فيه فأْزم بهِ ... خلفَ الثُّريَّا منكَ في البُعْدِ

وكذاكَ فافعلْ غيرَ محتشمٍ ... إنْ جئتُ أسألُ في أبي الهذيِ

[قال المرتضى رضى الله عنه] ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا أبو العيناء قال كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي أريد الخروج الى فلان العامل وأحببت أن تكون معي اليه وسيلة وقد سألت مَن صديقه فقيل لي أبو عثمان الجاحظ وهو صديقك فأحب أن تأخذ لي كتابه اليه بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقال لي في أي شيء جاء أبو عبد الله فقلت مسلماً

قال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال له كتاب الشكوك ماهو ياصالح قال هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان فقال له أبو الهذيل فشك أنت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات وشك أيضاً في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه

وقاضياً لحق وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة فاني في غد أوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه الي بالكتاب فقلت لابني وجه هذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لى ان أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن تفضه وتنظر ما فيه ففعل فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا أعرفه وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك وان رددته لم أذمك فلما قرأت الكتاب مضيت من فوري الى الجاحظ فقال ياأبا عبد الله قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب فقلت أو ليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتنى به فقلت لا والله ما رأيت رجلا أعلم بطبعك وما جلت عليه من هذا الرجل أعني صاحب الحاجة أعلمت انه لما قرا الكتاب قال اعطأم الجاحظ عشرة آلاف وأم من يسأله فقلت ماهذا أتشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن أشكره •• وفي رواية أخرى ان أبا العيناء سلم الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه مختومٌ فقال طينه فهو من طنه •• [قال المرتضي] رضى الله عنه وأظن ان أبا العيناء تنبه على فض الكتاب وقراءته بخبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعي وذلك انهما وفدا على عمرو بن هند ونادماه واحتظيا به ثم أفضى الأمر الى ان هجاه كل واحد منهما (١) وعرض به بالشعر

(١) قوله أفضى الأمر الى ان هجاه كل واحد منهما أما طرفة فهجاه بأبياته المشهورة

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تخورُ

•• ومنها أيضاً

قسمت الدهر في زمن رخي كذاك الحكم يقصد أو يجور

وسبب علمه بهجو طرفة بن العبد إياه انه نظر يوماً الى كشح عبد عمرو بن مرثد فقال لقد أبصر طرفة حسن كشحك وتمثل

ولا خير فيه غير أن له غنى وان له كشحاً اذا قام أهضما

وهو من أبيات هجا بها طرفة عبد عمرو فغضب وقال لقد قال للملك أقبح من هذا قال عمرو وما الذي قال فندم عبد عمرو لأن طرفة كان ابن عمه وأبى أن يسمعه فقال أسمعنيه وطرفة آمن فأنشده القصيدة

المشهور فخرق عليهما وهم بقتلهما ثم أشفق من ذلك وأراد قتلهما بيد غيره وكان على طرفة أحنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتاباً الى البحرين وقال لهما إني قد كتبت لكما بصلة فاشخصا لتقبضها فخرجا من عنده والكتابان في أيديهما فمرّا بشيخ جالس على ظهر الطريق متكشفاً يتبرز ومعه كسرة خبز يأكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال أحدهما لصاحبه ما رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالته فقال وما ترى من عجب ادخل طيباً واخرج خبيثاً واقتل عدواً وان أعجب مني لمن يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فأوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه فاتيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ ياغلام قال نعم ففض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه فاذا فيه اذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً فأقبل على طرفة فقال له تعلمن والله لقد كتب فيك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرأه عليك فقال كلا ما كان ليجسر على قومي بمثل هذا ولم يلتفت الى قول المتلمس فألقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال

قَذَفتُ بِها بالثِّنْي مِنْ جَنْبِ كافِرٍ … كَذَلِكَ أَقنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلِّلِ

رَضِيتُ لها بالماءِ لَمَّا رأيتُها … يَجُولُ بها التَّيارُ في كُلِّ جَدْوَلِ

وأما المتلمس فذكر ابن السكيت في شرح ديوان طرفة انه هجاه بقصيدة منها

ألك السدير وبا … رق ولك الخورنق

وروى أبو الفرج الأصبهاني من طريقه عن ابن السكيت انه هجاه بأبيات منها

قولا لعمرو بن هند غير متئب … ياأخنس الأنف والأضراسُ كالعدس

مَلِك النهار وأنت الليل مومسة … ماء الرجال على فخذيك كالقرس

لو كنت كلب قنيص كنت ذا جدد … تكون إربته في آخر المرس

أراد بالقرس القريس وهو الجامد والقنيص القانص والقنيص أيضاً الصيد والاربة العقدة والمرس الحبل أي هو أخس الكلاب فقلادته أخس القلائد .. وقال ابن الكلبي هذا الشعر لعبد عمرو بن عمار يهجو به الأبيرد الغساني وبسببه قتل عبد عمرو

ـ كافر ـ نهر بالحيرة ـ وأقنو ـ اقتني ـ والقط ـ الكتاب ـ واتيار ـ معظم الماء وكثرته .. وقال المتلمس أيضاً

مَنْ مُبلغُ الشُّعَرَاء عن أَخَوَيهِمْ نبأً فتصدُقُهُمْ بذاكَ الأنفسُ
أَوْدَى الذي عاقَ الصَّحيفةَ منهما ونجا حِذارَ حِبائهِ المتلمّسُ
أَلقى صحيفتَهُ ونجَّتْ كورَهُ وَجناءُ مُجمَرَةُ المَناسمِ عرمسُ
عَيرانةٌ طبخَ الهواجرُ لحمَها فكأنَّ نقبتَها أَديمٌ أملسُ
أطُرَيفةَ بنَ العبدِ إنَّكَ حائنٌ أبساحةِ الملكِ الهُمامِ تمرّسُ
أَلقِ الصَّحيفةَ لا أَبالكَ إنَّهُ يُخشى عليكَ منَ الحِباءِ النِّقرسُ

ـ النقرس ـ هنا الداهية الدهياء ومضى طرفة بكتابه الى البحرين فأمر به المعلى ابن حنش العبدي فقتل .. فقال المتلمس

عَصانا فما لاقى رَشادًا وإنّما تبيّنُ في أمرِ الغويِّ عواقبُه
فأَصبحَ محمولاً على ظهرِ آلةٍ تمجُّ نجيعَ الجوفِ منهُ ترائبُه
فإلاّ تجلّلها يُعالوكَ فوقَها وكيفَ توقّي ظهرَ ما أنتَ راكبُه

ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمراً وبلغه أن عمراً يقول لان وجده بالعراق ليقتلنه .. فقال

آليتَ حبَّ العِراقِ الدَّهرَ أطعمُهُ والحَبُّ يأكُلُهُ في القريةِ السُّوسُ (١)

---

(١) قال البغدادي والبيت من شواهد سيبويه على أن نصب حب على نزع الخافض أي على حب العراق والبيت بالخطاب لعمرو بن هند يقول له حلفت لا تتركني بالعراق ولا تطعمني من حبه والحال أن الحب لا يبقى ان أبقيته بل يسرع اليه الفساد ويأكله السوس فالبخل به قبيح وهذا على طريق الاستهزاء والسخرية وبعده

لم تدرِ بصرى بما آليت من قسم ولا دمشق اذا ديس الكراديس

وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورثوه أشعارهم

وَهَبَ القصائدلي النَّوَابِغُ إذْ مَضَوْا وأَبو يَزِيدَ وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ

وأَخو بني قيسٍ وهُنَّ قتلنهُ ومُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذَاكَ الأَوَّلُ

يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني شيبان ويعني بأبي يزيد المخبل السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ القيس وأخو بني قيس طرفة ومعنى قوله ــ وهن قتلنه ــ يعني القصائد التي هجا بها عمرو بن هند •• ويقال ان صاحب هذه القصة هو النعمان بن المنذر وذلك أشبه بقول طرفة

أَبَا مُنْذِرٍ كانتْ غُرُورًا صَحيفتي ولمْ أُعطِكم بالطَّوعِ مالي ولاعِرْضي

أَبا مُنْذِرٍ أفنيتَ فاستَبْقِ بَعضنا حَنَانَيكَ بعضُ الشرِّ أهوَنُ منْ بَعْضِ

وأبو المنذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفة المتلمس في النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله فيشبه أن تكون القصة مع النعمان

مجلس آخر ١٣

وكان أبو سهل بشر بن المعتمر من وجوه أهل الكلام ويقال ان جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه •• وقال أبو القاسم البلخي انه من أهل بغداد وقيل من أهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان أبرص •• حكى انه كان يوماً في مجلسه وعنده أصحابه ومعه مجبر يسألهم ويقول أنتم تحمدون الله على إيمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم فكأنه يجب أن يحمد على مالم يفعل وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون له انما ذم من أحب أن يحمد على مالم يفعل ممن لم يعن عليه ولم يدع اليه وهو يشغب عليهم إذ أقبل ثمامة بن أشرس فقال بشر للمجبر قد سألت القوم وأجابوك وهــذا أبو معن فاسأله عن المسئلة

وبصرى مدينة بالشام يقول لاتدرى كثرة الطعام الذى ببصرى وبدمشق والكراديس أكداس الطعام ومن هنا يعلم أن الخطاب لعمرو لا للنعمان كما يأتي

فقال له هل يجب عليك أن تحمد الله على الايمان قال بل هو يحمدني عليه لانه أمرني به ففعلته وأنا أحمده على الأمر به والتقوية عليه والدعاء اليه فانقطع المجبر فقال بشر شبعت فهات ٠٠ قال الجاحظ وكان بشر يقع في أبي الهذيل وينسبه الى النفاق فقال وهو يصف أبا الهذيل لأن يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب اليه من أن يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولأن يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية أحب اليه من أن يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولأن يكون نبيل المنظر سخيف المخبر أحب اليه من أن يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق أشد عجباً منه بالاخلاص ولباطلٌ مقبول أحب اليه من حق مدفوع ٠٠ ولبشر أشعار كثيرة يحتج فيها على أصحاب المقالات وذكر الجاحظ انه لم ير أحداً أقوى على المخمس والمزدوج مما قوى عليه بشر وانه كان في ذلك أكثر وأقدر من أبان اللاحقي وهو القائل

إنْ كُنتَ تَعلَمُ ما أقو ... لُ وما تقولُ فانتَ عالِمْ
أو كُنتَ تَجهَلُ ذَا وذَا ... كَ فكُنْ لأهْلِ العِلْمِ لازِمْ
أهلُ الرِّياسةِ مَنْ يُنازِعُهُمْ رِياسَتَهُمْ فظالِمْ
سَهِرَتْ عُيونُهُمُ وأنـ ... ـتَ عنِ الّذي قاسَوهُ حالِمْ
لا تَطلُبَنَّ رِياسَةً ... بالجَهلِ أنتَ لها مُخاصِمْ
لَوْلاَ مَقامُهُمُ رَأَيـ ... ـتَ الدِّينَ مُضْطَرِبَ الدَّعائِمْ

فأما أبو اسحق ابراهيم بن سيار النظّام فانه كان مقدماً في العلم بالكلام حسن الخاطر شديد التدقيق والغوص على المعاني وإنما أدّاه الى المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله ٠٠ وقيل انه مولى الزياديين من ولد العبيد وان الرق جرى على أحد آبائه ٠٠ وقيل لنظّام ما الاختصار فقال الذي اختصاره فساد ٠٠ وقال لرجل أتعرف فلاناً المجوسي فقال نعم ذاك الذي حلق وسط رأسه كما يفعل اليهودي فقال النظّام لا مجوسياً عرفت ولا يهوديا وصفت ٠٠ قال الجاحظ وذكر النظّام عبد

الوهاب الثقفي فقال هو أحلى من أمن بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب بعد جدب وغنا بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم

وللنظّام شعر كثير صالح فمنه

يا تاركي جسدًا بغير فؤادِ ... أسرفت في الهجران والإبعادِ
إن كان يمنعك الزيارة أعينٌ ... فادخل عليّ بعلّة العوّادِ
كيما أراك وتلك أعظم نعمةٍ ... ملكت يداك بها منيع قيادي
إنّ العيون على القلوب إذا جنت ... كانت بليّتها على الأجسادِ

وله

توهّمه طرفي فآلم خدّهُ ... فصار مكان الوهم من نظري أثرُ
وصافحه قلبي فآلم كفّهُ ... فمن صفح قلبي في أنامله عقرُ
ومرّ بقلبي خاطرًا فجرحتهُ ... ولم أر جسمًا قطّ يجرحه الفكرُ
يمرّ فمن لينٍ وحسن تعطّفٍ ... يقال به سكرٌ وليس به سكرُ

ويقال ان أبا العتاهية قال أنشدت النظام شعراً

إذا همّ النديم له بلحظٍ ... تمشّت في محاسنه الكلومُ

فقال ينبغي أن ينادم هذا أعمى [قال المرتضى رضي الله عنه] وأبيات النظام تتضمن معنى بيت أبي العتاهية ولسنا ندري أيهما أخذ من صاحبه والنظّام يكرر هذا المعنى كثيراً في شعره فمن ذلك قوله

رقّ فلو بزّت سرابيله ... علّقه الجوّ من اللطف
يجرحه اللحظ بتكراره ... ويشتكي الإيماء بالطرف

وحكى ان أبا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يوماً ليمتحنه وفي يده قدح زجاج يابني صف لي هذه الزجاجة فقال أبمدح أم بذم فقال

بمدح قال نعم تريك القذى وتفيك الأذى ولا تستر ماورى قال فذمها قال سريع كسرها بطيء جبرها قال فصف هذه النخلة وأومأ إلى نخلة في داره فقال أبمدح أم بذم قال بمدح قال حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك أحوج ٠٠[قال المرتضى] رضى الله عنه وهذه بلاغة من النظّام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذماً أو مدحاً بأقصى مايقال فيه ٠٠ وشبيه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور فى هجائه البقلة التى امتحن بهجائها واختبر بذمها فقال فيها أبلغ مايقال فى مثلها وذلك أن عمارة وأنساً وقيساً والربيع بني زياد العبسيين [١] وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون بنو أم البنين وعليهم أبو عامر بن مالك جعفر بن كلاب وهو ملاعب الأسنّة وكان العامريون ثلاثين رجلا وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذؤابة وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر الجلوس عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبة على أبي براء وأجرى عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فافتخروا يوماً بحضرته فكان العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع اذا خلى بالنعمان طعن فيهم وذكر معائبهم ففعل ذلك مراراً لعداوته لبني جعفر لانهم كانوا أسروه فصد النعمان عنهم حتى

(١) قوله العبسيين هم اخوة وأبوهم زياد العبسي وكل واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشاً وأمهم فاطمة بنت الخرشب الانمارية إحدى المنجبات وهي التى سئلت أي بنيك أفضل فقالت الربيع بل عمارة بل قيس بل أنس ثم قالت ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها ٠ وسئلت عنهم أيضاً فقالت فى عمارة لاينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف وقالت فى الربيع لا تعد مآثره ولا يخشى فى الجهل بوادره وقالت فى أنس اذا عزم أمضى واذا سئل أرضى واذا قدر أغضى وكان لكل واحد منهم لقب فكان عمارة يقال له الوهاب وكان الربيع يقال له الكامل وقيس يقال له الجواد وأنس يقال له أنس الحفاظ وكان عمارة آلى على نفسه أن لايسمع صوت أسير ينادي فى الليل إلاّ افتكّه

نزع القبة عن أبي براء وقطع النزل ودخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاء وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضاباً وهموا بالانصراف ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاها فاذا أمسى انصرف بها فأتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع فقال لهم ما كنتم تناجون فكتموه وقالوا له اليك عنا فقال خبروني فلعل لكم عندي فرجاً فزجروه فقال والله لا أحفظ لكم متاعاً ولا أسرح لكم بعيراً أو تخبروني وكانت أم لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا له خالك غلبنا على الملك وأصد عنا[1] وجهه فقال هل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعد الملك فأزجر به زجراً ممضاً مؤلماً لا يلتفت اليه النعمان بعده أبداً فقالوا له وهل عندك ذلك قال نعم قالوا فانا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده وقال هذه البقلة التربة التفلة الرذلة التي لا تذكي ناراً ولا تؤهل داراً ولا تستر جاراً عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع أقصر البقول فرعاً وأخبثها مرعاً وأشدها قلعاً فخرباً لجارها وجدعاً فلقوا بي أخا بني عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس فقالوا له نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء انما تكلم بما جرى على لسانه وان رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلا يكدم واسطته حتى أصبح فلما أصبحوا قالوا أنت والله صاحبه فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع الى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخى إزاره وانتعل نعلا واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا أرادت الهجاء فمثل بين يديه ثم قال

---

(١) قوله وأصد عنا .. قال الزجاج في كتاب فعلت وأفعلت في باب الصاد صدني الرجل عن الأمر واصدني والمعنى واحد

يا رُبَّ هَيجا هي خيرٌ من دَعَهْ | إذْ لا تَزالُ هامَتي مُقزَّعه
نحنُ بني أُمِّ البَنينَ الأربَعهْ | ونحنُ خيرُ عامرِ بنِ صعصَعه
المُطعمونَ الجفْنةَ المُدعدَعهْ | والضاربونَ الهامَ تحتَ الخَيضَعه
مَهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكُلْ مَعَهْ | إنَّ استَهُ من بَرَصٍ مُلَمَّعه
وإنهُ يُدخلُ فيها إصبَعَه | يُدخِلُها حتى يُواري أشجَعه

كأنهُ يَطلُبُ شيئاً ضَيَّعه

فلما فرغ لبيد التفت النعمان الي الربيع يرمقه شزراً وقال كذلك أنت فقال كذب والله ابن الحمق الاثيم فقال النعمان أفٍّ لهذا الطعام لقد خبثت عليَّ طعامي فقال الربيع أبيت اللعن أما إني قد فعلت بأمه لا يكنى وكانت في حجره فقال لبيد أنت لهذا الكلام أهل أما إنها من نسوة غير فعل وأنت المرء قال هذا في يتيمته .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وجدت في رواية أخرى أما انها من نسوة فُعُل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبيح وصدقه عليها تهجيناً له ولقومه فأمر الملك بهم جميعاً فأخرجوا وأعاد على أبي براء القبة وانصرف الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وأمره بالانصراف الى أهله فكتب اليه إني قد تخوفت أن يكون قد وقع في صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث اليَّ من يجردني ليعلم من حضرك من الناس إني لست كما قال فأرسل اليه انك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً ولا قادراً على رد ما زلّت به الألسن فالحق بأهلك ثم كتب اليه النعمان في جملة أبيات جواباً عن أبيات كتبها اليه الربيع (١) مشهورة

---

(١) قوله ثم كتب اليه النعمان في جملة أبيات جواباً عن أبيات كتبها اليه الربيع مشهورة أبيات الربيع هي

لئن رحلت جمالي إن لي سعة | ما مثلها سعة عرضاً ولا طولا
بحيث لو وزنت لخم بأجمعها | لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا

قدْ قيلَ ذلكَ إنْ حقّاً وإنْ كذِبا فما اعتذارُكَ منْ شيْءٍ إذا قيلا

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دايد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وأخبرنا به أيضاً المرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال أخبرنا محمد بن زياد بن زبّان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكائي وكان قد أدرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم نأت بجميع الخبر على وجهه بل أسقطنا منه مالم نحتج اليه وأوردنا ماأوردنا منه بألفاظه .. [قال المرتضي رضى الله عنه] أما قوله ـ نحن بني أم البنين الأربعه ـ فانه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً .. وأم البنين هى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ولدت منه عامر بن مالك ملاعب الأسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو أبو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له .. وربيعة بن مالك أبا لبيد وهو ربيع المقترين .. ومعاوية بن مالك معوّد الحكام وانما سمى معوّد الحكام بقوله

أُعَوِّدُ مِثلَها الحُكَّامَ بَعدِي إذَا ما الحَقُّ في الأَشياءِ نابا

وولدت عبيدة الوضّاح فهؤلاء خمسة وقال لبيد أربعة لأن الشعر لم يمكنه من ذلك[1]

ترعى الروائم أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحاً وغاسولا

فابرق بأرضك يا نعمان متكئاً مع النطاسي يوماً وابن نوفيلا

وأبيات النعمان هي

شرد برحلك عنى حيث شئت ولا تكثر عليّ ودع عنك الأقاويلا

فقد ذكرت به والركب حامله ورداً يعلل أهل الشام والنيلا

فما انتفاؤك عنه بعد ما جزعت هوج المطيّ به أبراق شمليلا

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من شئ اذا قيلا

فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة وانشر بها الطرْفَ إن عرضاً وإن طولا

(١) قوله إن لبيد انما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر هذا قول الفراء وهو

.. وأما ــ الجفنة المدعدعة ــ فهي المملوأة .. وأما ــ الخيضعة ــ فان الأصمعي يذكر أن لبيداً قال تحت الخضعة يعني الجلبة فسوّنه الرواة .. وقيل أن الخيضعة أصوات وقع السيوف والخيضعة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس والخيضعة الغبار والقول يحتمل كل ذلك .. وأما ــ أبيت اللعن ــ فان أبا حاتم قال سألت الأصمعي عنه فقال معناه أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه .. وأما ــ الأشاجع ــ فهي العروق والعصب الذي على ظهر الكف وقد روى أكل يوم هامتي مقزّعه ــ والقزع ــ تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه يقال كبش أقزع ونعجة قزعاء

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لأبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما رأى أحرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحاق القاضي .. فأما الجاحظ فانه كان اذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله الى آخره أي كتاب كان .. وأما الفتح بن خاقان فانه كان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب للنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه الى أن يأخذ مجلسه .. وأما اسمعيل بن اسحاق فإني ما دخلت عليه قط إلاّ وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه .. قال البلخي تفرد

قول فارغ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر لم يقل إلاّ أربعة وهم خمسة على جهة الغلط وانما قال ذلك لان أباه كان مات وبقي أعمامه وهم أربعة وهو مسبوق بالسهيلي فانه قال وانما قال الأربعة لان أباه كان قد مات قبل ذلك لا كما قال بعض الناس وهو قول يعزى الى الفراء انه قال انما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي فيقال له لا يجوز للشاعر أن يلحن لاقامة وزن الشعر فكيف بان يكذب لاقامة الوزن وأعجب من هذا انه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ وقال أراد جنة واحدة وجاء بلفظ التثنية لتتفق رؤس الآي أو كلاماً هذا معناه فصمّي صمام ما أشنع هذا الكلام وأبعده عن العلم وفهم القرآن وأقل هيبة قائله من أن يتبوّء مقعده من النار

الجـاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل العبد على الحقيقة وكان يقول في سائر الأفعال انها تنسب الى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً وانمـا وجبت بارادتهم وليس بجـائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنـده بين معاند وبين عارف وقد اسـتغرقه حبه لمذهبـه وشغفه به وإلفه وعصبيته فهو لا يشـعر بما عنده من المعـرفة بخلافه (١) •• وكان الجـاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد للعداوة التي كانت بين أحمد ومحمد فلما قبض على محمد الزيات هرب الجاحظ فقيـل له لم هربت فقال خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور يريد ما صُنع بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات •• وروى انه أتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن أبي دؤاد قال والله ما علمتك إلاّ متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة معدناً للمساوي وما قصرت باستصلاحي لك ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لأن يكون لك الأمر عليّ خيرٌ من أن يكون لي عليك ولأن أُسيء وتحسن أحسـن في الأحدوثة عنك من أن أُحسن وتسيء ولأن تعفو عني في حال قدرتك أجمـل بك من الانتقام مني فقال ابن أبي دؤاد قبحك الله فوالله ما علمتك إلاّ كثير تزويق اللسان وقـد جعلت بيانك امام قلبك ثم اضطغنت فيـه النفاق والكفر ياغلام صر به الى الحمام وأمط عنه الأذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وأُدخل الحمام وحُمل اليه تخت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم أتاه فصدره في مجلسه ثم أقبل عليه وقال هات الآن حديثك يا أبا عثمان •• وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من تأمن فانك حذرٌ ممن تخاف •• وقال الجاحظ قلت لأبي يعقوب

---

(١) وروى عن أبي عمرو انه جرى ذكر الجاحظ في مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى فقال أمسكوا عن ذكر الجاحظ فانه غـير ثقة •• قال الأزهري وكان الجاحظ روى عن الثقات ما ليس من كلامهم وكان قد أُوتي بسـطة في لسانه وبياناً في خطابه ومجالا واسعاً في فنونه غير ان أهل العلم والمعرفة ذموه وعن الصدق دفعوه ••

الخزيمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت فلم قال لا أدري والله ٠٠ وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى ٠٠ وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة ٠٠ وقال سوار بن أبي شراعة كنت عند الجاحظ فرآني أكتب خطاً ردياً في ورق رديّ متقارب السطور فقال لي ما أحسبك تحب ورثتك فقلت وكيف ذاك قال لاني أراك تسيء بهم فيما تخلّفه ٠٠ وذكر أبو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه أنت والله أحوج الى هوان من كريم الى إكرام ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر ٠٠ وقال المبرد قال لي الجاحظ يوماً أتعرف مثل قول اسمعيل بن القاسم

ولاَ خيرَ فيمَنْ لا يُوَطِّنُ نفسَهُ على نائباتِ الدّهرِ حينَ تنوبُ

فقلت نعم قول كثير ومنه أخذ

فقلتُ لها يا عزُّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنتْ يوماً لها النّفسُ ذلَّتِ

وروى يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجماز يهجوه

نَسَبُ الجمَّازِ مقْــصورٌ اليهِ مُنْتَهاهُ
تَتَنَهي الأَحسابُ بالنّـــاس ولاَ يعدُو قفاهُ
يَتحاجى مَنْ أبو الـــجَمّازِ فيهِ كاتباهُ
ليسَ يَدْري مَنْ أبو الــجمّازِ إلاَّ مَنْ يَراهُ

أخبرنا المرزباني قال أخبرنا علي بن هرون قال أنشدني وكيع قال أنشدني أبو العيناء قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب

زُرتُ فتاةً من بني هلاَلِ فاستَعْجلَتْ إليَّ بالسُّؤالِ
ما لي أراكَ قانيَ السِّبالِ كأنَّما كرَعتَ في جرْيالِ

ما يبتغي مثلك من أمثالي ... تنح قدّامي ومن حيالي

•• [قال المرتضي رضى الله عنه] قوله كأنما كرعت فى جريال مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ للينه وضعف كلامه •• وذكر أبو العيناء قال حدثني ابراهيم بن رياح قال أنشدني الجاحظ يمدحني

بدا بي حين أثرى بإخوانه ... ففلّل عنهم شباة العدم

وذكّره الحزم ريب الزما ... ن فبادر بالعرف قبل الندم

قال ابراهيم فذاكرت بها أحمد بن أبي دؤاد فقال قد أنشدنيهما يمدحني بهما ثم لقيت محمد بن الجهم فقال قد أنشدنيهما يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا أعرف شعراً يفضل قول أبي نواس

ودار ندامى عطّلوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جرّ الزقاق على الثرى ... وأضغاث ريحان جني ويابس

حبست بها صحبي فجدّدت عهدهم ... وإني على أمثال تلك لحابس

ولم أدر من هم غير ما شهدت به ... بشرقيّ ساباط الديار البسابس

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ... ويوماً له يوم الترحّل خامس

تدار علينا الراح في عسجدية ... حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها ... مهى تدّريها بالقسيّ الفوارس

فللخمر ما زرّت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس

قال الجاحظ فأنشدتها أبا شعيب القلال فقال يا أبا عثمان لو نقر هذا الشعر لطن قلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت •• أخذ أبو نواس قوله

ولم أدر من هم غير ما شهدت به ... بشرقيّ ساباط الديار البسابس

من أبي خراش الهذلي

ولمْ أذرِ مَنْ أَلقى عليهِ رِدَاءهُ سوى أنَّهُ قد سُلَّ عن ماجدٍ مَحْضِ

ويقال ان أبا خراش أوّل من مدح من لا يعرفه وذاك ان خراش بن أبي خراش أُسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة بن مرة ونجّاه فلما تفرغوا له قال أفلت منّي ويقال بل رآه في الأسر رجل من بني عمه فألقى عليه رداءه ليجيره به وقال له النجاء ويلك فقال أبو خراش في ذلك

حَمِدْتُ إلهي بَعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجا خِراشٌ وبَعضُ الشَّرِّ أهونُ من بَعْضِ

فأقسمُ لا أَنسى قَتيلاً رُزِئْتُهُ بجانبِ قُوسى ما مَشيتُ على الأرضِ

على أنَّها تَعفو الكُلومُ وإنَّما نُوَكَّلُ بالأدنى وإنْ جلَّ ما يَمضي

ولمْ أذرِ مَنْ أَلقى عليهِ رِدَاءهُ سوى أنَّهُ قد سُلَّ عنْ ماجدٍ مَحْضِ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم بن شهاب قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البرذعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ في أول ماقدمت من بلدي وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستأذنت عليه فخرج اليّ خارج من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت عنه .. وذكر يموت بن المزرّع قال وجّه المتوكل في السنة التي قُتل فيها أن يحمل اليه الجاحظ من البصرة وقد سأله الفتح ذلك فوجده لا فضل فيه فقال لمن أراد حمله ما يصنع بامرىء ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل .. وذكر المبرد قال سمعت الجاحظ يقول أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ماعلمت ومن جانبي الأيمن مُنقرس فلو مر بي الذباب لألمتُ وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها وأشد ماعليّ ست وتسعون .. وقال يوماً لمتطبب يشكو اليه علته قد اصطلحت الاضداد على جسدي ان أكلت بارداً أخذ برجلي وان أكلت حاراً أخذ برأسي وتوفي في سنة خمس وخمسين ومائتين

مجلس آخر ١٤

[تأويل آية] ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله هم المتقون﴾ سأل سائل فقال كيف ينفى كون تولية الوجوه الى الجهات من البر وانما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبّر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسمٌ محضٌ وعن أى شئ كنّى بالهاء فى قوله تعالى ﴿وآتى المال على حبه﴾ وما المخصوص بانها كناية عنه وقد تقدمت أشياء كثيرة وعلى أي شئ ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرون وهم معطوفون على الموفين وكيف وحد الكناية في موضع وجمعها فى آخر فقال من آمن وآتى المال وأقام الصلاة ثم قال والموفون والصابرين يقال له فيما •• ذكرته أوّلاً جوابان • أحدهما انه أراد تعالى ليس الصلاة هي البر كله ولكنه عدد مافي الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات بصلاتكم فقد أحرزتم البر بأسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره • والجواب الثانى أن النصارى لما توجهوا الى المشرق واليهود الى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا فى الصلاة اليهما انهما بر وطاعة خلافاً على الرسول عليه الصلاة والسلام أكذبهم الله فى ذلك وبيّن أن ذلك ليس من البر إذ كان منسوخاً بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التى تلزم الأسود والأبيض والعربي والعجمي وأن البر هو ماتضمنته الآية •• فأما إخباره بمن ففيه وجوه ثلاثة • أولها أن يكون البر ههنا البار أوذا البر وجعل أحدهما فى مكان الآخر والتقدير ولكن البار من آمن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ﴿أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً﴾ يريد غائراً ومثل قول الشاعر

تَرْتَعُ مارَتَعَتْ حتي إذَا اذَّكَرَتْ ... فإنما هيَ إقبالٌ وإدْبارُ

أراد انها مقبلة مدبرة •• ومثله

تَظَلُّ جيادُهُمْ نَوحاً عليهمْ ... مقلَّدَةً أعِنّتها صُفُونا

أراد نائحة عليهم •• ومثله قول الشاعر

هَرِيقي مِنْ دُموعِهِمُ سِجاماً   ضِباعُ وجاوَبي نوْحاً قِياما

• والوجه الثاني أن العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) وقول العرب انما البر الذى يصل الرحم ويفعل كذا وكذا وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر

لَعَمْرُكَ ماالفِتْيانُ أنْ تَنبُتَ اللِّحَي   ولـكِنما الفِتْيانُ كُلُّ فتى نَدِ

فجعل أن تنبت وهو مصدر خبراً عن الفتيان • والوجه الثالث أن يكون المعنى ولكن البر بر من آمن فحذف البر الثاني وأقام الأول مقامه كقوله تعالى (وأشربوا فى قلوبهم العجل) أراد حب العجل •• قال الشاعر

وكيفَ تُوَاصِلُ مَنْ أصبحتْ   خِلاَلَتُهُ كأَبي مَرْحَبِ

أراد كخلالة أبي مرحب •• وقال النابغة

وقدْ خفتُ حتّى ماتَزيدُ مَخافتى   على وَعَلٍ في ذِي المَطارَةِ عاقِلِ

أراد على مخافة وعل وتقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق أي أهل الطريق •• وحكى عن بعضهم أطيب الناس الزبد أي أطيب ما يأكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صياحي زيداً أي صياح زيد •• وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج) أى ليس على من أكل مع الأعمى حرج وفى قوله تعالى (رابعهم كلبهم) وذكروا أنه كان راعياً تبعهم •• فأما ما كنى بالهاء فى قوله تعالى (وآتى المال على حبه ذوي القربي) ففيه وجوه أربعة • أولها أن تكون الهاء راجعة على المال الذى تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى المال على حب المال وأضيف الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل اشتريت طعامي كاشتراء طعامك والمعنى كاشترائك طعامك • والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعة الى من آمن بالله فيكون المصدر مضافاً الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه • والوجه الثالث أن ترجع الهاء الى الايتاء الذي دل عليه آتى والمعنى وأعطي المال على حب الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي

هُمُ المُلوكُ وأبناءُ المُلوكِ لَهُم والآخِذُونَ بهِ والسَّاسةُ الأُوَلُ

فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله وأبناء الملوك عليه •• ومثله قول الشاعر

إذَا نُهِيَ السَّفيهُ جَرَى اليهِ وخالَفَ والسَّفيهُ إلى خِلافِ

أراد جرى الى السفه الذى دل ذكر السفيه عليه • والوجه الرابع أن تكون الهاء راجعة الى الله لأن ذكره تعالى قد تقدم فيكون وآتى المال على حب الله ذوي القربى واليتامي ••فان قيل وأي فائدة في ذلك وقد علمنا الفائدة فى إيتاء المال مع محبته والضن به وان العطية تكون أشرف وأمدح فما الفائدة فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة عندكم هي الارادة والقديم لايصح أن يراد ••قلنا أما المحبة عندنا فهي الارادة إلاّ أنهم يستعملونها كثيراً مع حذف متعلقها مجازاً وتوسعاً فيقولون فلان يحب زيداً اذا أراد منافعه ولا يقولون زيد يريد عمراً بمعنى انه يريد منافعه لأن التعارف جرى فى استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الارادة وان كان المعنى واحداً •• وقد ذكر أن لقولهم زيد يحب عمراً مزية على قولهم يريد منافعه لأن اللفظ الأول ينبئ عن أنه لايريد إلاّ منافعه وانه لايريد شيئاً من مضاره والثانى لايدل على ذلك فجعلت له مزية وعلى هذا المعنى نصف الله بأنه يحب أولياءه المؤمنين من عباده والمعنى فيه انه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال والنعم فأما وصف أحدنا بانه يحب الله فالمعنى فيه انه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ولا يصح المعني الذي ذكرناه فى محبة بعضهم بعضاً لاستحالة المنافع عليه تعالى ومن جوّز عليه تعالى الانتفاع لايصح أيضاً أن يكون محباً له على هذا المعني لانه باعتقاده ذلك فيه قد خرج من أن يكون عارفاً به فمحبته فى الحقيقة لاتتعلق ولا تتوجه اليه كما نقول فى أصحاب التشبيه لانهم اذا عبدوا من اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى ••فأما الفائدة فى اعطاء المال مع محبة الله فهي ظاهرة لأن اعطاء المال متى قارنته ارادة وجه الله وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل به ثواباً وكان ضائعاً وتأثير ماذكرناه أبلغ من تأثير حب المال والضن به لأن المحب للمال الضنين به متى بذله وأعطاه ولم يقصد بهالطاعة والعبادة

والقربة لم يستحق به شيئاً من الثواب وانما يوءثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل ماذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لا يستحق الثواب وهذا الوجه لم نسبق اليه في هذه الآية وهو أحسن ماقيل فيها .. وقد ذكر وجه آخر وهو أن يكون الهاء راجعة الى من آمن أيضاً وينتصب ذوي القربى بالحب ولايجعل لآتى منصوباً لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام وأعطى المال في حال حبه ذوي القربي واليتامى على محبته إياهم وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عليها السؤال وانما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوي القربى بالحب وذلك غير ما وقع السؤال عنه والأجوبة الأول أقوي وأولى .. فأما قوله (والموفون بعهدهم) ففي رفعه وجهان . أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح لأن النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا أجود الوجهين . والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على من آمن ويكون المعنى ولكن ذا البر وذوى البر المؤمنون والموفون بعهدهم ..فأما نصب الصابرين ففيه وجهان . أحدهما المدح لأن مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت أن يعترضوا بينهما بالمدح والذم ليميزوا الممدوح أو المذموم ويفردوه فيكون غير متبع لأول الكلام من ذلك قول الخرنق بنت بدر بن هفان

لاَ يَبعُدَنْ قومي الذّينَ هُمُ ... سُمُّ العُدَاةِ وآفةُ الجُزْرِ
النَّازلينَ بكُلِّ مُعتَرَكٍ ... والطّيِّبينَ مَعاقدَ الأُزُرِ

فنصبت ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعاً على أن يتبع آخر الكلام أوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في النصب والرفع ماذكرناه .. ومن ذلك قول الشاعر أنشده الفراء

إلى المَلكِ القرْمِ وابنِ الهُمامِ ... وليثَ الكتيبةِ في المُزْدَحمْ
وذَا الرَّأيِ حينَ تَغُمُّ الأُمو ... رُ بذَاتِ الصَّليلِ وذَاتِ اللُّجَمْ

فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح ..وأنشد الفراء أيضاً

فَلَيتَ التي فيها النُّجومُ تَوَاضعَتْ ... علي كُلِّ غَثٍّ منهُمُ وسَمينِ
غُيوثُ الحيَا في كُلِّ مَحْلٍ وَأزْبةٍ ... أُسودُ الشَّرا يَحْمِينَ كُلَّ عَرينِ

ومما نصب على الذم قوله

سَقوني الخَمرَ ثُمَّ تَكنَّفوني ... عُدَاةَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ (١)

---

(١) قوله سقوني الخمر هو من جملة أبيات لعروة بن الورد أولها

أرقت وصحبتي بمضيق عمق ... لبرق من تهامة مستطير
سقى سلمى وأين ديار سلمى ... اذا كانت مجاورة السدير
اذا حلت بأرض بني علىّ ... وأهلي بين زامرة وكير
ذكرت منازلا من أم وهب ... محل الحي أسفل من نقير
وأحدث معهداً من أم وهب ... معرسنا بواد بني النضير
وقالوا ماتشاء فقلت ألهو ... الى الإصباح آثر ذي أثير
بآنسة الحديث رضاب فيها ... بعيد النوم كالعنب العصير

ومنها

أطعت الآمرين بصرم سلمى ... وطاروا فى بلاد اليستعور

أى تفرقوا حيث لا يعلم ولا يهتدي لمواضعهم •• وقال ابن بري معنى البيت ان عروة كان سبي امرأة من بني عامر يقال لها سلمى ثم تزوجها فمكثت عنده زماناً وهو لها شديد المحبة ثم انها استزارته أهلها فحملها حتى انتهى بها اليهم فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه وأراد قومها قتله فمنعتهم من ذلك ثم انه اجتمع به أخوها وابن عمها وجماعة فشربوا خمراً وسقوه وسألوه طلاقها فطلقها فلما صحا ندم على مافرط منه ولهذا يقول بعد البيت

سقوني الخمر ثم تكنفوني ... عداة الله من كذب وزور
ألا يا ليتني عاصيت طلقاً ... وجباراً ومن لي من أمير

طلقٌ أخوها وجبار ابن عمها وقيل هما اخوه هو وابن عمه والأمير هو المستشار وقيل ان أهلها طلبوا منه فداءها فقال له أخوه طلق وابن عمه جبار والله لئن قبلت ماأعطوك لا تفتقر أبداً وأنت على النساء قادر متى شئت وكان قد سكر فأجاب الى فدائها فلما صحا ندم فشهدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع واليستعور فى البيت السابق على وزن

••والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معطوفاً على ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين •• قال الزجاج وهذا لايصلح إلاّ أن يكون الموفون رفعاً على المدح للمضمرين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول وكان يقوي الوجه الأول ••وأما توحيد الذكر في موضع وجمعه في آخر فلأن من آمن لفظه لفظ الوحدة وان كان في المعنى للجمع فالذكر الذى أتى بعده موحداً يجرى على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين فعلى المعنى ••وقد اختلفت قراءة القراء السبعة في رفع الراء ونصبها من قوله تعالى ﴿ليس البر﴾ فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء •• وروى هبيرة عن حفص عن عاصم انه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون البر بالرفع والوجهان حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافآ في جواز كون أحدهما اسماً والآخر خبراً كما تتكافأ النكرات وحجة من رفع البر أنه لايكون البر الاسم لشبه الفاعل أولى لأنّ ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ألا ترى انك اذا قلت قام زيد فان الاسم يلى الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام التأخير فلولا ان الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيداً حيث لم يجز في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة من نصب البر أن يقول كون الاسم أن وصلتها أولى تشبيهاً بالمضمر في أنها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكأنه اجتمع مضمر ومظهر والأولى اذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر

يفتعول ولم يأت على هذا البناء غيره وهو موضع قبل حرة المدينة كثير العضاه موحش لا يكاد يدخله أحد والرواية المشهورة في البيت الشاهد

سقوني النسأ ثم تكنفوني　　عداة الله من كذب وزور

والنسأ بالفتح الشراب المزيل للعقل وبه فسر ابن الاعرابي البيت هنا ورواية سيبويه الخمر كما مر

[قال المرتضى] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الاعرابي قال قال ابن الكلبي لمّا كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير العبسي النمر بن قاسط فقال لهم إني قد جاورتكم واخترتكم فزوّجوني امرأة قد أدّبها الغنى وأذلها الفقر فى حسب وجمال فزوّجوه ظبية بنت الكيّس النمري وقال لهم إن في خلالاً ثلاثا إني غيورٌ وإني فخورٌ وإنى آنف ولست أفخر حتى أبدأ ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم فأقام فيهم حتى ولد له فلما أراد الرحيل عنهم قال إني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالأناة فان بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح وإجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت الأيامى وخلط الضيف بالعيال وأنهاكم عن الرهان فان به ثكلت مالكاً أخى والبغي فانه قتل زهيراً أبى وعن الإعطاء فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف في الدماء فان يوم الهباءة ألزمنى العار ومنع الحرم إلاّ من الأكفاء فان لم تصيبوا لها الأكفاء فان خير مناكحها القبور أو خير منازلها واعلموا إنى كنت ظالماً مظلوماً ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكاً أخي وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له .. [قال المرتضى] رضى الله عنه أما قوله ــ أنهاكم عن الرهان ــ فأراد المراهنة فى سباق الخيل وذلك أن قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزارى على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطّار والحنفاء .. وقال بعض بني فزارة بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارهاً لذلك وانما هاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل رجل من بني عبس والخبر في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية من واردات[1] الى ذات الإصاد وجعلوا القصبة في يد رجل من بنى ثعلبة بن سعد يقال له حصين وبيد رجل

(١) ــ الواردات .. هضبات صغار قريبة من جبلة .. وذات الاصاد بكسر أوله وبالدال المهملة على وزن فعال موضع ببلاد بني فزارة حكاه البكري فى معجمه

من بنى العشراء من بنى فزارة وملؤا البركة ماء وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلت الخيل فيه ينظران اليها والى خروجها فلما أرسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك ياقيس فقال قيس ترك الخداع من أجري من مائة يعني من مائة غلوة فأرسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت ياقيس جري المذكيات غلاب فأرسلها مثلا ‥ ـ المذكيات ـ المسان من الخيل ‥ وروى غلاء كما يتغالى بالنبل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة انك لاتركض مركضاً سبقت خيلك فقال قيس رويد يعلون الجدد فأرسلها مثلا ‥ وروي يعدون الجدد أي يتعدين الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة كمنوا بالثنية كميناً لينظروا فان جاء داحس سابقاً مسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقاً فأمسكوه ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه مصلية حتى مضت الخيل وأسهلت من الثنية ثم أرسلوه فتمطر في آثارها فجعل يبدرها فرساً فرساً حتى انتهوا الى الغاية مصلياً وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم صدوها عن الركية ثم لطموا داحساً وقد جاء متواليين ثم جاء حذيفة وقيس في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا فرسهم وجرى من الخلف في أخذ السبق ما قد شرحته الرواة ‥ وقد قيل في بعض الروايات ان الرهان والسبق كان بين حمل بن بدر وبين قيس وفي ذلك يقول قيس شعراً

كَما لاقيتُ من حَمَلِ بن بَدْرٍ ... وإخوَتِهِ على ذَاتِ الإِصادِ
وهُمْ فخرُوا عليَّ بغيرِ فخرٍ ... ورَدُّوا دُونَ غايَتِهِ جوَادِي
وقدْ دَلَفُوا إليَّ بفعلِ سوْءٍ ... فألفوْني لهُمْ صَعْبَ القِيادِ
وكُنتُ إذا مُنِيتُ بخَصْمِ سوْءٍ ... دَلَفْتُ لهُ بداهِيَةٍ نآدِ

ثم ان قيساً أغار على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله فبلغ بنو فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسي دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية ‥ ويقال ان قيساً قتل ابنا لحذيفة يقال له مالك كان حذيفة أرسله يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن

زياد حمل ديتــه مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللقّاطة قريباً من الحاجر ونكح امرأة يقال لها مُليكة بنت حارثة من بني غراب من فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليــه فرساناً فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال

نامَ الخَلِيُّ ولمْ أُغمِّضْ حارِ ... مِنْ سَيِّئِ النَّبأِ الجَليلِ السَّاري
مِنْ مِثْلِهِ تمشي النِّساءُ حَواسِرًا ... وتَقُومُ مُعْوِلَةً معَ الأَسْحارِ
مَنْ كانَ مَسرُورًا بمقتَلِ مالكٍ ... فلْيأْتِ نِسوتَنا بوَجْهِ نَهارِ [1]
يَجِدِ النِّساءَ حَواسِرًا يَنْدُبْنَهُ ... يَضرِبْنَ أَوْجُهَهُنَّ بالأَسحارِ
قدْ كُنَّ يَخبأْنَ الوُجوهَ تَستُّرًا ... فاليومَ حينَ بَدَوْنَ للنُّظَّارِ
أَفَبَعْدَ مَقتَلِ مالِكِ بنِ زُهيرٍ [2] ... تَرْجُو النِّساءُ عَواقِبَ الأَطهارِ
ما إنْ أَرَى في قتلِهِ لِذَوِي الحِجى ... إلاَّ المَطِيَّ تُشَدُّ بالأَكوارِ

(١) قوله * فليأت نسوتنا بوجه نهار * قال المرزوقي إني لاتعجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما اختاره من الأبيات كيف ترك قوله فليأت نسوتنا وهي لفظة شنيعة جداً وأصلحه المرزوقي بقوله وليأت ساحتنا قال التفتازاني وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه وحافظ على لفظ الشاعر دراية مع زعمه ان القراء يقرؤن القرآن برأيهم وأنا أتعجب من انشاد صاحب المغني هــذا البيت يعني قول الربيع بن ضبع

ودعنا قبل أن نودعه ... لما قضى من جماعنا وطرا

أورده هنا مع انه أشنع من بيت الحماسـة وأفحش ولقد كان في غنية بما أورده من الكتاب والسنة

(٢) ـ هكذا رواية البيت وفيــه إقواء كما حكاه ابن قتيبة في الشــعر والشعراء وأورده شاهداً .. وقال ولو كان ابن زهيرة لاستوي البيت

وَمُجنَّباتٍ ما يَذُقنَ عَذوفةً   يَقذِفنَ بالمُهَرَاتِ والأَمْهارِ
ومَساعِرًا صدأُ الحديدِ عليهمُ   فكأَنَّما طُلِيَ الوُجوهُ بقَارِ

فأما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسى أبي قيس فاختلف الرواة فى سببه فيقال إن هوازن بن منصور كانت تؤتى الأتاوة زهير بن جذيمة ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد فهم أذل من يد فى رحم فأتت عجوز من هوازن الي زهير بن جذيمة بسمن فى نحي فاعتذرت اليه وشكت السنين اللواتى تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها أي دفعها بقوس فى يده عطل فى صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدته الي ما كان فى صدرها من الغيظ وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر ابن صعصعة أي كثرت فآلى جعفر بن كلاب فقال والله لأجعلن ذراعى وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل ..وفى ذلك يقول خالد بن جعفر

أَرِيغُوني إراغتَكُمْ فإني   وحَذْفَةَ كالشجى تحتَ الوَرِيدِ

ـ حذفة ـ اسم فرس خالد

مُقَرَّبَةً أُواسِيها بنفسي   وأُلحِفُها رِدَائى في الجَليدِ
لَعَلَّ اللهَ يُمكِنُني عليها   جِهارًا مِنْ زُهيرٍ أو أَسيدِ
فإِما تَثقَفُوني فاقتُلوني   فمَنْ أَثقَفْ فليسَ إلي خلودِ

..ويقال بل كان السبب فى ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتلَ فى غني من قتلَ بابنه شاس وافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثاً فقال يازهير أما آن لك أن تشتفى وتكف يعني مما قتل بشاس فأغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكن يدى هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه فقال زهير اللهم أمكن يدى هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقال قريش هلكت والله يا زهير قال أنتم والله الذي لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير فقتله واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بنى عامر وكانت تُماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن

جذيمة وأم ولده فمر به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه ان هـذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنيها أيزوركم خالكم فتوثقوه وقالت له انه ليربني أكيناتك وقروبك والاكيناتان الغم والقروب السكوت فلا يأخذن فيك ماقال زهير فانه رجل بيذارة غيذارة شنوءة ٠٠ قال الأثرم ـ البيذارة ـ الكثير الكلام ـ والغيذارة ـ السيء الخلق ثم حلبوا له وطباً وأخذوا عليه يميناً ألاّ يخبر عليهم ولا ينذر بهم أحداً فخرج الحارث حتى أتي بني عامر فقعد الى شجرة يجتمع اليها بنو عامر فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظرى ما طعمه فقال قوم هذا رجل مأخوذ عليه وهو يخبركم خبراً فذاقوا اللبن فوجدوه حلواً لم يقرص بعد فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكباً فرسه حذفة فلقوا زهيراً فاعتنق خالد زهيراً وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يابني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير ببنيه فأقبل اليه ورقاء ابن زهير يشتد بسيفه فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم تغن شيئاً وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندح رأس زهير فقتله ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير

رأيتُ زُهيراً تحتَ كلكلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ ا بادِرُ

فشلّت يميني يومَ أضربُ خالدًا ... ويمنعُني منهُ الحَديدُ المُظاهرُ

فيَا ليتَ أنى يومَ ضَرْبةِ خالدٍ ... ويومَ زُهيرٍ لمْ تَلدْني تُماضِرُ

فأما خبر الهباءة فان بنى عبسٍ وبنى فزارة لما التقوا الى جنب جفر الهباءة في يوم قائظ فاقتتلوا وللخبرهم شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة ليتبرد فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يابني عبس فأين العود وأين الأحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق مأثور القول بعد اليوم فأرسلها مثلا وقتل قرواش بن هنّي حذيفة ابن بدر وقتل الحارث بن زهير حملا وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس فى ذلك

تَعلّمْ إنّ خيرَ النّاسِ ميْتٌ ... على جَفْرِ الهَبَاءةِ لاَ يَرِيمُ

ولولاَ ظُلْمُهُ ما زِلتُ أبكى عليهِ الدّهرَ ما طَلَعَ النُّجومُ
ولكنَّ الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بَغَى والبَغْيُ مرْتَعُهُ وَخيمُ
أظُنُّ الحلْمَ دَلَّ عليَّ قومى وقد يُستَجهلُ الرّجُلُ الحَليمُ
ومارَستُ الرّجالَ ومارَسُونى فمُعْوَجٌّ علىَّ ومُستَقيمُ

وقال قيس أيضاً

شفيتُ النفسَ مِنْ حَمَلِ بنِ بَدْرٍ وسيفى من حُذَيفةَ قد شفاني
فإنْ أكُ قد بَرَدْتُ بهِمْ غليلى فلَمْ أَقطَعْ بهِمْ إلاَّ بَنَانى

مجلس آخر ١٥

[تأويل آية] ان سأل سائل عن قوله تعالى (مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاء ونداء صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون) فقال أي وجه لتشبيه الذين كفروا بالصائح الناعق بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزاً متأملا محصلا . . يقال له فى هذه الآية خمسة أجوبة . أولها أن يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعى لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذى ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وسلم وإنذاره فينصرفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما فى عدم الانتفاع به وجائز أن يقوم قوله تعالى (والذين كفروا) مقام الواعظ والداعى لهم كما تقول العرب فلان خافك خوف الأسد والمعنى كخوفه من الأسد فأضاف الخوف الى الأسد وهو فى المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر

فلستُ مُسَلِّماً مادُمتُ حَيّاً على زَيدٍ بتَسليمِ الأميرِ

أراد بتسليمي على الأمير ونظائر ذلك كثيرة ٠ والجواب الثاني أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فأضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى فانتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى ٠٠ وأنشد الفراء

إنَّ سِرَاجاً لَـكَرِيمٌ مَفْخَرُه　　تَجْلَى بِهِ العينُ اذَا ما تَجْهَرُه

معناه تجلى بالعين فقدّم وأخّر ٠٠ وأنشد الفراء

كانتْ فَرِيضَةُ ما تقولُ كَمَا　　كانَ الزِّناءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كان الرجم فريضة الزنا ٠٠ وأنشد أيضاً

وقدْ خِفتُ حتَّى ما تَزِيدُ مَخَافَتِي　　على وَعِلٍ في ذِي المَطارَةِ عاقِلِ

أراد ما تزيد مخافة وعلٍ على مخافتي ومثله

كأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

أراد كأن لون سمائه أرضه ومثله

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ　　وسائرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أَجْمَعُ [1]

أراد مدخل رأسه الظل ٠٠ وقال الراعي

---

(١) قال سيبويه فوجه الكلام في هذا انه على سعة الكلام قال كراهية الانفصال واذا لم يكن في الجر فحد الكلام الناصب مبدوء به ٠٠ قال الشنتمري الشاهد فيه اضافة مدخل الى الظل ونصب الرأس به على الاتساع والقلب وكان الوجه أن يقول مدخل رأسه الظل لأن الرأس هو الداخل في الظل والظل المدخل فيه ولذلك سماه سيبويه الناصب في تفسير البيت فقال الوجه أن يكون الناصب مبدوءاً به ٠ والمعنى وصف هاجرة قد ألجأت الثيران الى كنسها فترى الثور مدخل رأسه في ظل كناسه لما يجد من شدة الحر وسائره بارز للشمس

فصبَّحتهُ كلامَ الغوثِ يوسِدُها ... يَستوضِحونَ يرونَ العينَ كالأثرِ

يريد أنهم يرون الأثر كالعين .. وقال أبو النجم

قبلَ دُنوّ الأُفقِ من جوزائهِ

فقلب .. وقال العباس بن مرداس

فديتُ بنفسهِ نفسي ومالي ... ولاَ آلوهُ إلاَّ ما يُطيقُ

أراد فديت بنفسي نفسه .. وقال ابن مقبل

ولاَ تهيبُنى المَوماةُ أركبُها ... إذا تجاوبتِ الأصداءُ بالسَّحَرِ

أراد لا أتهيّب الموماة وهذا كثير جدًّا . والجواب الثالث أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا أو مثلهم ومثلك يامحمد كمثل الذى ينعق أي مثلهم في الإعراض ومثلك فى الدعاء والتنبيه والارشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول .. ومثله قوله تعالى (جعل لكم سرابيل تقيكم الحر) أراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر من البرد .. وقال أبو ذؤيب

عصيتُ اليها القلبَ إني لأمرِها ... مُطيعٌ فما أدري أرُشدٌ طِلابُها

أراد أرشدٌ أم غيّ فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر . والجواب الرابع أن يكون المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم للأصنام التي يعبدونها من دون الله وهي لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لايسمع صوته جملة والدعاء والنداء ينتصبان على هذا الجواب بينعق وإلاّ توكيد للكلام ومعناها الالقاء . قال الفرزدق

همُ القومُ إلاَّ حيثُ سلُّوا سيوفَهمْ ... وضحَّوْا بلحمٍ من مُحلٍّ ومُحرِمِ

والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم . والجواب الخامس أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا فى دعائهم للأصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم إياها كمثل الداعى الذى ينعق بالغنم ويناديها فهي تسمع دعاء ونداء ولا تفهم معنى كلامه فشبّه من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع عندها فيه ولا

مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وان كانت بينهما مزية ظاهرة لأن الأول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ويجب أن يكون مصروفاً الى غير الغنم وما أشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمهما والأصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب أن يكون داعيها ومناديها أسوء حالاً من منادي الغنم ويصح أن يصرف الى الغنم وما أشبهها مما يشارك في السماع ويخالف في الفهم والتمييز .. وقد اختلف الناس في ينعق فقال أكثرهم لا يقال نعق ينعق إلاّ في الصياح بالغنم وحدها . وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم والابل والبقر والأول أظهر في كلام العرب .. قال الأخطل يهجو جريراً

فانْعَقْ بضأْنكَ يا جَريرُ فإِنَّما ... مَنَّتْكَ نفسُكَ في الخَلاَءِ ضَلاَلاَ

ويقال أيضاً نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة [1] اذا صاح من غير أن يمد عنقه ويحركها فاذا مدها وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال أيضاً نعب الفرس ينعب وينعب نعباً ونعيباً ونعباناً وهو صوته ويقال فرسٌ منعبٌ أي جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة [تأويل خبر] رُوِيَ أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه الى طعام دعوا له فاذا بالحسين عليه السلام وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنتل رسول الله صلى الله عليه وسلم امام القوم فطفق الصبي يفر مرة ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت فاس رأسه وأقنعه فقبله وقال أنا من حسين وحسين مني أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط .. ومعنى استنتل تقدم يقال استنتل الرجل استنتالاً وابرنتأ ابرنتاء وابرنذع

---

(١) قوله نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة يعني ان نعق ونغق بالمهملة والمعجمة سواء وعلى هذا بعض أهل اللغة ..قال الزمخشري والغين أعلى .. وقال الأزهري نعيق الغراب ونعاقه ونغيقه ونغاقه مثل نهيق الحمار ونهاقه ولكن الثقاة من الأئمة يقولون كلام العرب نغق الغراب بالغين المعجمة ونعق الراعي بالشاة بالعين المهملة ولا يقال في الغراب نعق ويجوز نعب وهذا هو الصحيح

ابرنذاعاً اذا تقدم هكذا ذكره ابن الانباري •• ووجدت بعض المتقدمين فى علم اللغة يحكى فى كتاب له قال يقول استنتلت الأمر استنتالا اذا استعددت له واستنتل الرجل تفرد من القوم ويقال استنتل أشرف والمعانى متقاربة والخبر يليق بكل واحد منها •• وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه أبرنثأ وأبرنذع أيضاً انه من الاستعداد فأما ـ السكك ـ فهى المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى ـ طفق ـ ما زال •• قال الشاعر

طَفِقَتْ تبكي وأُسعِدُها وكِلانا ظاهِرُ الكَمَدِ

وفاس الرأس طرف القمَحْدُوَةِ المشرف على القفا ومعنى ـ أقنعه ـ رفعه هكذا ذكر ابن الانباري •• وقال غيره يقال أقنع ظهره اقناعاً اذا طاطاه ثم رفعه برفق فأما ـ الاسباط ـ فأصلها في ولد اسحاق عليه السلام كالقبائل في بني اسماعيل •• وقال ابن الانبارى هم الصبية والصبوة بالياء والواو معاً •• حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيي بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيمى قراءةً عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد ابن يحيي ثعلب قال أخبرنا ابن الاعرابي انه قيل لابنة الخُسّ ما مائة من المعز قالت مُوَيْلٌ يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل لها فما مائة من الضأن قالت قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل لها فما مائة من الخيل قالت طغي عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة الليل وخزى المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها أدلى وان أرسل ولى •• وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال قيل لابنة الخس والخص والخسف كل ذلك يقال ما أحسن شيء قالت غادية فى أثر سارية فى نفخاء قاوية قال ـ نخاء ـ أرض مرتفعة لأن النبات فى موضع مشرف أحسن وقالوا أيضاً نفخاء أى رابية ليس بها رمل ولا حجارة قال والجمع النفاخي ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية لان السيل يصرع الشجر فيقذفه فى الأودية ثم يلقى عليه الدمن [قال المرتضى] رضى الله عنه ومما يدل ان نبت الرابية أحسن قول الأعشى

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلِ[١]

•• وقال كثير

فما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَرَى ... يَمُجُّ النَّدَا جَثْجاثُها وعَرَارُها[٢]

---

(١) قوله ما روضة الخ بعده

يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهلُ

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصُلُ

وهى قصيدة مشهورة وأوردنا هذين البيتين لارتباطهما بالبيت قوله ـ الحزن ـ بالفتح وزاي اسم موضع وهو فى الأصل ضد السهل ـ ومسبل ـ سائل ـ وهطل ـ متتابع ـ ويضاحك ـ يميل معها حيث مالت ـ وكوكب ـ معظم الزهر وكوكب كل شئ معظمه ـ وشرق ـ ريان ـ وعميم ـ طويل ـ ومكتهل ـ ظاهر النور ـ والأصل ـ جمع أصيل وهو العشي

(٢) قوله فما روضة الخ بعده وهو جواب ما

بأطيب من أردان عزة موهناً ... اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

حكى أنه دخل كثير على سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما فقالت له اخبرني يابن أبي جمعة عن قولك فى عزة وأنشدته البيتين ثم قالت له وهل على الأرض زنجية منتنة الابطين توقد بالمندل الرطب نارها إلاّ طاب ريحها ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس

ألم ترياني كلما جئت طارقاً ... وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وروى من غير هذا الوجه انه خرج يوماً من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار فى روثة فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل فما روضة الى آخر البيتين قال نعم قالت ويحك اذا أوقد بالمندل الرطب على هذه الروثة وبخرت به أمك العجوز الشعثاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس ألم ترياني الى آخر البيت فناولها مطارف خز كان معه وقال استري على ذلك وهذه الحكاية نقلها شمس الدين ابن خلكان في تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الأدب قال ليس على كثير شئ فان قوله

نحصاً الحزن للمعنى الذى ذكرنا •• وبهـذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جاءنا بطعام لا ينادي وليـده •• اذا جاء بطعام كثير لا يراد فيـه زيادة ووقع فى أمر لاينادي وليده يقول لا تدعي اليه الصبيان ولا يستعان إلاّ بكبار الرجال فيـه •• [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنـه وفى ذلك قولان آخران أحدهما عن الأصمعي قال أصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل المرأة عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل شـدة ولكل أمرٍ عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال أصـله من الكثرة والسعة فاذا أهوى الوليد الى شئ لم يزجر عنه حذر الافساد لسعة ماهم فيه ثم صار مثلاً لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعان به فى كل موضع يراد به الغاية وأنشد

لقد شَرَعَتْ كَفّا يَزِيدِ بنِ مَزْيَدٍ ... شَرَائعَ جُودٍ لاَ يُنَادَى وَلِيدُها

•• وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل ودقة الأسدى على معن بن زائدة الشيبانى فقال إن رأيت أكرمك الله أن تضعفى من نفسـك بحيث وضعت نفسي من رجائك فانك قد بلغت حالا لو أعتقني الله فيها بكرمك من تنصف الرجال بعـدك لم يكن كثيراً وإنى قد قدّمت الرجاء وأحسنت الثناء ولزمت الحفاظ ثم أنشأ يقول

يا مَعْنُ إنكَ لمْ تُنعِمْ على أَحَدٍ ... فشَابَ نُعْماكَ تَنغيصٌ ولاَ كَدَرُ

فانظُرْ إليَّ بطَرْفٍ غيرِ ذِي مَرَضٍ ... فرُبَّما صَحَّ لي من طَرْفكَ النظَرُ

أيامَ وَجهُكَ لي طَلْقٌ يُخَبّرُنى ... إذَا سَكَتُّ بما تُخفِي ويَضمِرُ

ومِنْ هوَاكَ شَفيعٌ لي يُغَفّلني ... وإنْ نأَيْتُ وإنْ قلتَ بيَ الذِّكَرُ

قدْ كُنتَ أَثّرْتَ عندِي مرّةً أثرًا ... فقدْ تقارَبَ يَعفُو ذلكَ الأَثَرُ

فاجبُرْ بفَضلكَ عَظماً كُنتَ تَجبُرُهُ ... واجْمَعْ بفَضلكَ ماقدْ كادَ يَنتَشِرُ

---

* اذا أوقدت بالمندل الرطب نارُها * نعت للروضة المذكورة انتهى وهـذا جيد لو لم يطلب كُثير من العجوز الستر فانه عرفنا بذلك انه ما أراد إلاّ المعـنى المعترض فيكون هذا تصحيحاً لابيان قصده

ما نازَعَ العُسْرُ في اليُسْرِ مذْ علقتْ ... كَفِّي بحَبْلِكَ إلاّ أظْفَرَ اليُسُرُ .
وقد خشيتُ وهذا الدّهرُ ذُو غِيَرٍ ... بأنْ يُدالَ لطُولِ الجفْوَةِ العُسُرُ
وإنّما كانَ منْ عُسْرٍ ومَيسَرَةٍ ... فإنّ حَظَّكَ فيهِ الحَمدُ والشُّكرُ

فقال معن أو ما كنا اعطيناك شيئاً قال لا قل أما الذهب والفضة فليسا عنـدنا ولكن هات تختاً من ثيابي يا غلام فدفعه اليه وقد كان تحمّل اليه بابن عياش وحبيب بن بديل فاعطاهما معه تختين وقال غرمتني ياودقة تختي ثياب ٠٠ [قال المرتضى] رضي الله عنه وكان معن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً ويكنّي أبا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله ابن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطار وهو أخو الحوفزان بن شريك وكان معن من أصحاب ابن هبيرة-فلما قتل رثاه معن فقال

ألاَ إنَّ عيناً لَمْ تَجُدْ يوْمَ وَاسِطٍ ... عليكَ بجارِي دَمعها لَجَمودُ
عَشيةَ قامَ النائحاتُ وشققتْ ... جيُوبٌ بأيدِي مأْتَمٍ وخُدُودُ
فإنْ تُمسِ مَهجورَ الجَنابِ فطالما ... أقامَ بهِ بَعدَ الوُفودِ وُفودُ
فإنكَ لمْ تبعُدْ على متعهّدٍ ... بَلَى كُلُّ مَنْ تَحتَ التّرابِ بَعيدُ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي قال كان معن بن زائدة من أصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة وكان مسـتتراً حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتمٌّ متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على المنصور تقـدم وأخذ بلجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا له وتفرقوا عنه قال له من أنت ويحك قال أنا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يامعن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على أن قال لك

مَعنُ بنُ زائدةَ الّذي زِيدتْ بهِ ... شَرَفاً على شَرَفٍ بنو شَيبانِ

إنْ عُدَّ أَيّامُ الفعالِ فإِنما ... يوماهُ يومُ ندىً ويومُ طِعانِ

فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكن اعطيته على قوله

ما زِلتَ يومَ الهاشميةِ مُعلِناً ... بالسيفِ دُونَ خليفةِ الرَّحمنِ

فمَنَعتَ حَوزَتَهُ وكُنتَ وِقاءَهُ ... مِنَ وَقعِ كُلِّ مُهنَّدٍ وسنانِ

فقال له أحسنت يا معن •• وفي خبر آخر انه دخل على المنصور فقال له ويلك ماأظن مايقال فيك من ظلمك لأهـل اليمن واعتسافك إياهم إلاّ حقاً قال وكيف ذاك يا أمير المؤمنين قال بلغني انك أعطيت شاعراً كان يلزمك ألفي دينار وهذا من السرف الذي لاشيء مثله فقال يا أمير المؤمنين انما أعطيته من فضول مالي وغلاّت ضياعي وفضلات رزقي وكففته عن عرضي وقضيت الواجب من حقّه عليّ وقصده اليّ وملازمته لي قال فجعل أبو جعفر ينكت بقضيب في يده الأرض ولم يعاود القول •• وأخبرنا المرزباني قال أخبرني عليّ بن يحيي عن عبد الله بن أبي سعد الورّاق عن خالد بن يزيد بن وهب ابن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بمنقار من أهل خراسان وكان من ولاة الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة سبعمائة رجل فكنا ندخل على المنصور في كل يوم فقلت للربيع اجعلني من آخر من يدخل عليه فقال لي لست بأشرفهم فتكون من أولهم ولا بأخسهم نسباً فتكون من آخرهم وان مرتبتك لتشبه لسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي درّاعة فضفاضة وسيف حنفي أقرع بنعله الأرض وعمامة قد أسدلتها من قدامي وخلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يامعن صيحة أنكرتها فلبيته فقال ادن اليّ فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الأرض وجثى على ركبتيه واستل عموداً من بين فراشين واستحال لونه وبدت أوداجه وقال إنك لصاحبي يوم واسط لانجوت ان نجوت مني قال قلت يا أمير المؤمنين تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت فأعدت عليه القول فما زال يستعيدني حتى رد العمود الي مستقره واستوى متربعاً واسفر لونه وقال يامعن ان باليمن كهناة فقلت ياأمير المؤمنين ليس لمكتوم رأي وهو أول من أرسلها مثلا فقال

أنت صاحبي فاجلس قال فجلست وأمر الربيع كل من كان في الدار فخرج وخرج الربيع فقال إن صاحب اليمن قد همّ بالمعصية وإني أريد أن أخذه أسيراً ولا يفوتني شيء من ماله قلت ولّني اليمن وأظهر إنك قد ضممتني اليه وأمر الربيع أن يزيح علّتي في كل ما أحتاج اليه ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهداً من بين فراشين فوقع فيه اسمي وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع إنّا ضممنا معناً الى صاحب اليمن فأزح علّته فيما يحتاج اليــه من الســلاح والكراع ولا يمس إلاّ وهو راحل قال ثم ودعني فودعتــه وخرجت الى الدهليز فلقيني أبو الوالي فقال يا معن أعزز عليّ أن تضم الى ابن أخيك قال فقلت له أن لا غضاضة على الرجل يضمه سلطانه الى ابن أخيه وخرجت الي اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيراً وقرأت عليه العهد وقعدت في مجلسه .. روى عمر بن شبة قال اجتمع معن بن زائدة مع ابن أبي عاصــية وابن أبي حفصة والضمري فقال ليناشدني كل واحد منكم أمدح بيت قاله فيّ فأنشده ابن أبي حفصة

مَسَحَتْ رَبيعةُ وَجهَ مَعْنٍ سابقاً   لمَّا جرَى وجرَى ذَوُوالأَحسابِ

فقال له معن الجواد يعثر فيمسح وجهه من الغبار والعثار وغيرهما .. وأنشده الضمري

أنتَ امرُؤٌ شأْنُكَ المَعالي   وذِكرُ معرُوفِكَ الرَّبيعُ

ويروى ودون معروفك الربيع

بشأْنِكَ الحَمدُ تَشترِيهِ   يُشيعهُ عنكَ ما يُشيعُ

فقال له ما أحسن ما قلت إلاّ إنك لم تسمّني ولم تذكرني فمن شاء انتحله .. فأنشده ابن أبي عاصية شعراً

إنْ زَالَ معنُ بَني شَريكٍ لمْ يَزَلْ   لِندىً إلى بلَدٍ بغيرِ مُسافرِ

ففضله عليهم .. وروى انه أتي معن بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فقال له شاب منهم يا أخا شيبان نناشــدك الله أن تقتلنا عطاشا قال اسقوهم ماء فلما شربوا قالوا يا أخا شيبان نناشدك الله أن تقتل أضيافك فقال اطلقوهم .. وذكر أحمــد بن كامل أن الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدي وخمسين ومائة .. وروي

أن عبد الله بن طاهر كان يوماً عند المأمون فقال له ياأبا العباس من أشعر من قال فى خلافة بني هاشم قال أمير المؤمنين أعرف بهذا منى قال قل على كل حال قال عبد الله أشعرهم الذي يقول فى معن بن زائدة

أَيا قبرَ معنٍ كُنتَ أَوَّلَ حفْرَةٍ ... منَ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّماحةِ مَضجعا

أَيا قبرَ مَعنٍ كيفَ وارَيتَ جُودَهُ ... وقدْ كانَ منهُ البَرُّ والبَحرُ مُتْرَعا

بلَى قدْ وَسعتَ الجُودَ والجودُ مَيِّتٌ ... ولوْ كانَ حَيًّا ضُقْتَ حتَّى تَصدَّعا

والأبيات للحسين بن مطير الأسدى وهي تزيد على هذا المقدار وأولها

أَلِمّا علي مَعنٍ فقولاَ لِقَبرِهِ ... سقَتكَ الغَوادِي مَرْبَعاً ثمَّ مَرْبَعا

•• ومنها

فتىً عِيشَ في مَعرُوفِه بَعدَ موْتِهِ ... كما كانَ بَعدَ السَّيلِ مَجراهُ مَرْتَعا

فلَمَّا مَضى مَعنٌ مَضى الجُودُ وانْقَضي ... واصبحَ عِرْنينُ المَكارِمِ أَجْدَعا

مجلس آخر ١٦

[تأويل آية] ان سأل سائلٌ فقال ما الوجه فى قوله تعالى ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ وفى موضع آخر ﴿وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾ وظاهر هذا القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق •• وقوله تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ﴾ •• وقوله ﴿ ان الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ﴾ •• وقوله ﴿ولا تكونوا أوّل كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ﴾ •• وقوله ﴿ لايسألون الناس إلحافاً ﴾ • والسؤال عن هذه الآيات كلها من وجه واحد وهو الذى تقدم • الجواب اعلم أن للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفةً ومذهباً مشهوراً عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم مرادهم بذلك المبالغة فى النفي وتأكيده •• فمن ذلك

قولهم فلان لا يرجي خيره ليس يريدون أنّ فيه خيراً لا يرجي وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه٠٠ ومثله قلمارأيت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله لم ير قليلا ولا كثيراً ٠٠ وقال امرؤ القيس

عليِ لاَحِبٍ لاَ يُهتَدَى بمَنارِهِ　　إذَاسافَهَ العَوْدُ الدّيافيُّ [1] جَرْجَرَا

يصف طريقاً ٠٠ وأراد بقوله لا يهتـدى بمناره انه لامنار له فيهتدى به ـ والعود ـ المسن من الابل ـ والديافي ـ منسوبٌ الي دياف وهى قرية بالشام معروفة ـ وسافه ـ شمه وعرفه ٠٠ ـ والجرجرة ـ مثل الهدير٠٠ وانما أرادان العود اذا شـمه عرفه فاستبعده ٠٠ وذكر مايلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك ٠٠ وقال ابن أحمر

لاَ يفْزِعُ الأَرْنَبَ أهوالُها　　ولاَ تَرَي الضَّبَّ بها يَجْحَرُ

أراد ليست بها أهوال فيفزع الأرنب ٠٠ وقال النابغة

يَحُفُّـهُ جانِبـا نِيقٍ وتُتْبِعُـهُ　　مثلَ الزُّجاجةِ لَمْ تُكحَلْ مِنَ الرَّمَدِ

أراد ليس بها رمد فتكتحل له ٠٠ وقال امرؤ القيس أيضاً

وصِمٌّ حَوَامٍ ما يَقِينَ مِنَ الوَجيِ　　كأَنَّ مكانَ الرِّدْفِ منهُ علي رَالِ

يصف حوافر فرسه ٠٠ وقوله ـ مايقين من الوجي ـ يريد الحفا ويقين أى يتوقين يقال وقي الفرس هاب المشي فأراد انه لاوجي بحوافره فيتهيبن الأرض من أجله ـ والرال ـ فرخ النعّام وشبه إشراف عجزه بعجز الرال ٠٠ وقال الآخر

لاَ يَغمزُ السَّاقَ مِنْ أينٍ وَلاَ وَصَبٍ　　ولاَ يَعَضُّ عليِ شُرْسُوفِهِ الصفَرُ [2]

---

(١) ـ قوله الديافي ٠٠ الرواية المشهورة النباطي

(٢) ـ قوله لا يغمز الساق من أين الخ شطر هذا البيت الأول محذوف العجز وعجزه محذوف الصدر والرواية الصحيحة

لايتأرى لمـا في القـدر يرقبه　　ولا يعض على شرسوفه الصفر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب　　ولا يزال أمام القـوم يقتفر

أراد ليس بساقيه أين ولا وصبٌ فيغمزهما من أجلهما ٠٠ وقل سويد بن أبي كاهل

مِنْ أُناسٍ ليسَ مِنْ أخلاقِهِمْ   عاجلُ الفُحْشِ ولاَ سُوءُ الجَزَعْ

لم يرد إن فى أخلاقهم فحشاً عاجلاً ولا آجلاً ولا جزعاً غير سيئ وانما أراد نفي الفحش والجزع عن أخلاقهم ٠٠ ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون انه لا يقرب الخنا لا نفي الاسراع حسب ٠٠ وقال الفرزدق وهو يهجو جعفر بن كلاب ويعيرهم بقتلى منهم أصيبوا فى حروبهم فحملت النساء هؤلاء القتلى حتى أتين بهم الحي

ولمْ تأْتِ عيرٌ أهلَها كالتى أَتتْ   بهِ جَعفراً يومَ الهُضَيْباتِ عيرُها

أَتتهمْ بِعيرٍ لمْ تكُنْ هَجريةً   ولاَ حِنطةَ الشامِ المَزيتِ خَميرُها

قوله ــ لا يتأرى ــ أى لا يتحبس ويتلبث يقال تأرى بالمكان اذا أقام فيه أى لا يلبث لادراك طعام القــدر وجملة يرقبه حال من المستتر في يتأرى يمدحه بان همته ليست فى المطعم والمشرب وانما همته في طلب المعالي فليس يرقب نضج مافى القدر اذا هم بأمر له شرف بل يتركها ويمضي ــ والشرسوف ــ طرف الضلع ــ والصفر ــ دويبة مثل الحية تكون في البطن تعترى من به شدة الجوع ٠٠ قال فى النهاية فى حديث لا عدوى ولا هامة ولا صفر إن العرب كانت تزعم ان فى البطن حية يقال لها الصــفر تصيب الانسان اذا جاع وتؤذيه فأبطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبى صلى الله عليه وسلم النسئ الذى كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم الى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله انتهى ٠٠ ولم يرد الشاعر ان فى جوفه صفراً لا يعض على شراسيفه وانما أراد انه لا صفر فى جوفه فيعض يصفه بشدة الخلق وصحة البنية ٠٠ وقوله ــ لا يغمز الساق ــ لا يجنبها يصف جلده وتحمله للمشاق ــ والأين ــ الأعياء ــ والوصب ــ الوجع ــ والاقتفار ــ بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار ٠٠ وفي الصحاح وقفرت آثاره أقفره بالضم أى قفوته واقتفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس فى شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق

يعنى أن العير انما تحمل التمر والطعام الى الحي فحملت عير هؤلاء القتلى وقوله ـ لم تكن هجريةـ أى لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولاحنطة الشام المزيت خميرها ولم يرد ان هناك حنطة ليس فى خميرها زيت لكنه أراد انها لم تحمل تمراً ولا حنطة ثم وصف الحنطة بما يجعل فى خميرها من الزيت وعلى هـذا تأويل الآيات التي وقع السؤال عنها لانه تعالى لما قال ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ دل على أن قتلهم لا يكون إلاّ بغير حق ثم وصف القتل بما لابد أن يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك ﴿ من يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ﴾ وقوله تعالى ﴿ الذى رفع السموات بغـير عمد ترونها ﴾ وجهه أيضاً انه لو كان هناك عمداً لرأيتموه فاذا نفى رؤية العـمد نفى وجود العـمد كما قال لايهتدى لمناره أي لا منار له من حيث علم انه لو كان له منار لا هتـدى به فصار نفى الاهتداء بالمنار نفياً لوجود المنار ٠٠ وقوله تعالى ﴿ ولا تكونوا أوّل كافر به ﴾ تغليظ وتأكيد فى تحذيرهم الكفر وهو أبلغ من أن يقول ولا تكفروا به ويجرى مجرى قولهـم فلان لا يسرع الي الخنا وقلما رأيت مثله اذا أرادوا به تأكيد نفى الخنا ونفى رؤية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ أى لامسألة تقع منهم ومثل الأول ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا ﴾ والفائدة ان كل ثمن لها لا يكون إلاّ قليلا فصار نفي الثمن القليل نفياً لكل ثمن وهذا واضح بحمد الله ومنّه

﴿ باب ذكر شيء من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم ﴾

أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن جلد بن مالك بن أدد المذحجي ومذحج هي أم مالك بن أدد نسب ولد مالك اليها وانما سميت مذحج لانها ولدت على أكمة تسـمى مذحجاً واسمها مدلة بنت ذي هيجشان ٠٠ قال أبو حاتم السجستاني جمع الحارث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بنيّ قد أتى عليّ ستون ومائة سنة ما صافحت بيميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندى مومسة قناعها ولا بحت لصديقي بسر وإني لعلي دين شعيب النبي عليه السلام وما

عليه أحد من العرب غيري وغير أحيد بن خزيمة وتميم بن مرة فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي ٠٠ إلهكم فاتقوه يكفيكم المهم من أموركم ويصلح لكم أعمالكم وإياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار ٠٠ يا بني كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً وان موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكلا هو كائن كائن وكل جميع الى تباين ٠٠ الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبره ويوم عبره والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك ٠٠ وزوجوا الأكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى أفن يكون ٠٠ ألا انه لا راحة لقاطع القرابة واذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدد اختلاف الكلمة التفضيل بالحسنة يقي السيئة والمكافأة بالسيئة الدخول فيها والعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة والضغائن تدعوا الى التباين ثم أنشأ يقول

أَكَلْتُ شَبابِي فأَفْنَيْتُهُ ... وأَفْنَيْتُ مِن بَعدِ دَهرٍ دُهورا

ثلاثةُ أهلِينَ صاحبتهُمْ ... فبادُوا وأَصبحتُ شيخاً كبيرا

قليلَ الطَّعامِ عَسيرَ القيامِ ... قدْ تركَ الدَّهرُ خَطوِي قصيرا

أَبيتُ أُراعي نُجومَ السَّما ... أُقلِّبُ أَمرِي بُطوناً ظُهورا

قوله ــ ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ــ الصبوة هي رقة القلب والكنة امرأة أخ الرجل وامرأة ابن أخيه ــ وأما المومسة ــ فهي الفاجرة البغي وأراد بقوله انها لم تطرح عنده قناعها أي لم تبتذل عنده وتنبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله ــ فيوم حبره ويوم عبره ــ فالحبرة الفرح والسرور والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون إلا من أمر محزن مؤلم ــ وأما الأفن ــ فهو الحمق يقال رجل أفين اذا كان أحمق ومن أمثالهم وجد ان

الرقين [١] يغطي على أفن الأفين أي وجدان المال يغطي حمق الأحمق وواحد الرقين رقة وهي الفضة ٠٠ وأما قوله ــ النصيحة تجر الفضيحة ــ فيشبه أن يكون معناه ان النصيح اذا نصح لمن لا يقبل نصيحته ولا يصغي الى موعظته فقد افتضح عنده لانه أفضى اليه بسره وباح بمكنون صدره ــ فأما سوء الرعة ــ فانه يقال فلان حسن الرعة والتورع أي حسن الطريقة

ومن المعمرين المشهورين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر ببيت قاله وهو

يَنِشُّ الماءُ في الرَّبلاتِ منها نَشيشَ الرَّضْفِ في اللَّبَنِ الوَغيرِ

ــ الربلات ــ واحدها ربلة بفتح وربلة بتسكينها وهي كل لحمة غليظة هكذا ذكره ابن دريد ــ والرضف ــ الحجارة المحماة ٠٠ وفى الحديث كأنه على الرضف ــ واللبن الوغير ــ لبن يلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب أخذ من وغيرة الظهيرة وهي أشد مايكون من الحر ومنه وغر

(١) قوله وجد ان الرقين الى قوله رقة هذا غير كاف فى إيضاحه وأصل رقة ورق لحذف الفاء وعوض عنها هـاء التأنيث وجمعت جمع المـذكر السالم على طريق الحمل لأن جمع السـلامة خاص بالعقلاء وحمل عليـه أربعة أنواع ٠ أحدها أسماء جموع لم تستوفى الشروط وهي أولو وعالمون وعشرون وبابه الى التسعين ٠ والنوع الثاني جموع تكسير وهي بنون وآخرون وأرضون وسنون وبابه وهو كل اسم ثلاثى حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر ومن هذا النوع رقة ورقين أصله ورق كما قدمنا آنفاً ثم حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولكل منطوق من هذه الشروط مفهوم يخرج فلا يجمع هذا الجمع والنوعان الآخران الملحقان وهما جموع شروط لم تستوف الشروط كأهلون ووابلون وما سـمي به من الجمع السالم نحو الزيدون علماً وكذلك ما ألحق به كعليون ٠٠ وقوله الأفين هو فعيل بمعنى مفعول أى مأفون والأفن بالتحريك ضعف الرأى وقد أفن الرجل وأفنه الله يأفنه أفناً وأصله النقص يقال أفن الفصيل مافي ضرع أمه اذا أنفده

صدر فلان يوغر وغراً اذا التهب من غيظ أو حقد •• وقال أصحاب الأنساب عاش المستوغر ثلاثمائةسنة وعشرين وأدرك الاسلام أوكاد يدرك أوله •• وقال ابن سلام كان المستوغر قديماً وبقي بقاء طويلا حتى قال

وَلقدْ سَئِمْتُ منَ الحَياةِ وطُولِها ... وعَمِرْتُ منْ عَدَدِ السِّنِينَ مئِينا
مائةٌ أتَتْ منْ بَعدِها مائتان لي ... واُزْدَدْتُ منْ عَدَدِ الشُّهورِ سِنِينا
هلْ قدْ بَقِيَ إلاَّ كما قدْ فاتَنا ... يومٌ يَكُرُّ وليلةٌ تَحدُونا

وهو القائل

إذَا ما المَرْءُ صُمَّ فلَمْ يُكَلَّمْ ... وأَوْدَى سَمْعُهُ إلاَّ نَدَايا
ولاَعَبَ بالعَشِيِّ بَنِي بَنِيهِ ... كَفِعْلِ الهِرِّ يَحْتَرِشُ العَظَايا
يُلاَعِبُهُمْ ووَدُّوا لوْ سَقَوْهُ ... منَ الذِّيفانِ مُتْرَعَةً مَلاَيا
فلاَ ذَاقَ النَّعِيمَ ولاَ شَرَاباً ... ولاَ يُسْقِي منَ المَرَضِ الشِّفَايا

أراد بقوله ــ فلم يكلم ــ أي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز أن يريد انه لم يكلم الناس من استماعه وأعرض عن خطابه لذلك •• وقوله ــ وأودي سمعه إلاّ ندايا ــ أراد ان سمعه هلك إلاّ أنه يسمع الصوت العالي الذى ينادى به •• وقوله ــ ولاعب بالعشي بني بنيه ــ لانه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف وانه قد تناها الى ملاعبة الصبيان وأنسهم به ويشبه أن يكون خص العشي بذلك لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها •• وقوله ــ يحترش العظايا ــ أي يصيدها والاحتراش أن يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه ليحسبه الضب أفعي فيخرج اليه فيأخذه يقال حرشت الضب واحترشته ومن أمثالهم هذا أجل من الحرش يضرب عند الأمر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب •• قال ابن دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوماً وقع المحفار فقال يا أبت هذا الحرش فقال هذا أجل من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذى هو أشد مما كان يتوقعه

ـ والذيفان ـ السم ـ والعظايا ـ جمع عظاية وهى دويبة [1] صغيرة

وأحد المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير •• قال أبو حاتم عاش دويد بن زيد أربعمائة وستة وخمسين سنة •• قال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال ولا يعد العرب معمراً إلاّ من عاش مائة وعشرين سنة فصاعدا قال لبنيه أوصيكم بالناس شراً لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوهم عثرة قصروا الأعنّة وطوّلوا الأسنّة واطعنوا شزرا واضربوا هبراً واذا أردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز لامحالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد والمنيّة ولا الدنيّة ولا تأسوا على فائت وان عز فقده ولا تحنوا على ظاعنٍ وان ألف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكن لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا خط مضجعى ولا تضنوا عليّ برحب الأرض وما ذلك بمؤد اليّ روحاً ولكن حاجة نفسٍ خامرها الاشفاق ثم مات •• قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر انه قال

أَليومُ يُبْنَى لِدُوَيدٍ بيتُهُ يا رُبَّ نَهْبٍ صالحٍ حَوَيْتُهُ
ورُبَّ قِرْنٍ بَطَلٍ أَرْدَيْتُهُ ورُبَّ غَيلٍ حَسَنٍ لَوَيتُهُ
ومِعصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنيتُهُ لوْ كانَ لِلدَّهرِ بِلًى أَبليتُهُ

---

(١) قوله والعظاية دويبة صغيرة الخ أهل العالية يقولون عظاءة وتميم يقولون عظاية والجمع عندهم جميعاً العظاء •• قال سيبويه الذين قالوا عظاءة بنوه على العظاء وإلاّ فقد كان حكمه أن يعتل لأن بعدها الهاء والهاء لازمة •• قال أبو عليّ فأما قوله * ولاعب بالعشي بني بنيه * الخ فعلى الضرورة ألا ترى ان بعد هذا البيت

يلاعبهم ولو ظفروا سقوه كؤس السم مترعة مِلَايا

•• وقال أبو حاتم العظاية مثل الأصبع صحراء غبراء تكون فتراً وشبراً وثلثاً وهي سم عامّتها ومنها ذوات لا تضر شيئاً وهي التى فى الحشوش تبرق ولا تقتل ولكن الأوزاع تقتل لطلب بقتلهن الأجر

أو كانَ قِرْني واحِدًا كَفيتهُ

ومن قوله

أَلقى عليَّ الدّهرُ رِجلاً ويَدَا والدّهرُ ما أصلحَ يوماً أفسدَا

يُصلحُ ما أفسدَهُ اليومَ غدَا

قوله ــ اطعنوا شزراً واضربوا هبراً ــ معنى الشزر أن يطعنه من احدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزراً اذا فتله على الشمال والنظر الشزر نظر بمؤخر العين •• وقال الأصمعي نظر اليَّ شزراً اذا نظر اليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزراً كذلك ••وقوله هبراً قال ابن دريد يقال هبرت اللحم أهبره هبراً اذا قطعته قطعاً كباراً والاسم الهَبرة والهُبرة وسيف هبارٌ وهابرٌ واللحم هبيرٌ ومهبور ــ والمحالة ــ الحيلة ••وقوله ــ بالجد لا بالكد ــ أي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدودٌ واذا كسرت الجيم فهو الانكماش فى الأمر •• وقوله ــ التجلدَ ولا التبلد ــ أى تجلدوا ولا تبلدوا •• وقوله ــ فتطبعوا ــ أى تدنسوا والطَّبَعُ الدنس ويقال طبع السيف يطبع طبعاً اذا ركبه الصدي •• قال ثابت قطنة العتكي

لا خيرَ في طَمَعٍ يُدْني إلى طَبَعٍ وعِفَّةٌ مِن قَوَامِ العَيْشِ تكفيني

••وقوله ــ ولا تهنوا فتخرعوا ــ فالوهن الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه سميت الشجرة الخروع للينها ••وقوله ــ ان الموصين بنو سهوان ــ فالموصون جمع موصى وبنو سهوان ضربه مثلا أي لا تكونوا ممن تقدم اليهم فسهوا وأعرضوا عن الوصية وقالوا انه يضرب هذا المثل للرجل الموتر دمه ومعناه ان الذين يحتاجون أن يوصوا بحوائج اخوانهم هم الذين يسهون عنها لقلة عنايتهم بها وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتي •• وقوله ــ فارحبوا ــ أى أوسعوا والرحب السعة ــ والروح ــ الراحة ••وقوله فى الشعر ــ ورب غيل ــ فالغيل الساعد الممتلئ ــ والمعصم ــ موضع السوار من اليد

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب حلوان بن عمران بن

الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ٠٠ قال أبو حاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة وواقع مائتي وقعة وكان سيداً مطاعاً عاش شريفاً في قومه ويقال كانت فيــه عشر خصال لم يجتمعن فى غيره من أهل زمانه كان سيّد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب كان فى ذلك الزمان شرفاً وحازى قومــه والحزاة الكهّان وكان فارس قومه وله البيت فيهــم والعدد منهم ٠٠ وأوصى بنيه فقال يا بني قد كبرت سنّي وبلغت حَرْساً من دهرى فأحكمتني التجارب والأمور تجربة واختبار فاحتفظوا عنى ما أقول وعوه إياكم والخوار عنــد المصائب والتواكل عنــد النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب وإياكم أن تكونوا للاحــداث مغترين ولها آمنين ومنها ساخرين فانه ما سخر قومٌ قط إلاّ ابتلوا ولكن توقعوها فانمــا الانسان فى الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لابد انه مصيبه ٠٠ قولهــ حرساً من دهري ــ يريد طويلاً منه والحرس من الدهر الطويل ٠٠ قال الراجز فى سُنْبَةٍ عشنا بذاك حَرْساَ* السنبة المدة من الدهر ــ والتواكل ــ أن يكل القوم أمرهم الى غيرهم من قولهم رجل وكلٌ اذا كان لايكفى نفسه ويكل أمره الى غيره ويقال رجل وكلة تكلة ــ والغرض ــ كلمــا نصبته للرمي ــ وتعاوره ــ أى تداوله ٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه وقد ضمن ابن الرومي في معنى قول زهير بن جناب الانسان فى الدهر غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوزٌ له وواقع عن يمينه وعن شماله ولا بد أن يصيبه أبياتاً فأحسن كل الاحسان وهي

كَفَى بِسرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هادِيا ... لِمَنْ قَـدْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايا لَيَالِيا

أَمِنْ بَعْـدِ إِبْدَاءِ الْمَشيبِ مَقاتِلي ... لِرَامِي الْمَنَـايا تَحْسَبِينيَ ناجِيـا

غَدَا الدَّهرُ يَرْميني فَتَـدْنو سِهامُهُ ... لِشَخْصي وأَخْلِق أَنْ يُصِبْنَ سَوَادِيا

وكانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمي ولاَ يَرَى ... فلمَّا أَضاءَ الشَّيْبُ شَخْصي رَمانِيا

أما البيت الأخير فانه أبدع فيه وأغرب وما علمت انه سبق الى معناه لأنه جعل الشباب كالليل الساتر على الانسان الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته والشيب مبدياً لمقاتله

هادياً الى اصابته لضوئه وبياضه وهذا فى نهاية حسن المعنى .. وأراد بقوله رماني أصابني ومثله قول الشاعر

فلماَّ رَمَى شخصي رَميتُ سَوَادَهُ ولاَبُدَّ أنْ يُرْمَى سَوَادُ الَّذِي يَرْمِي

وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل ولم يكن فى العرب أنطق من زهير ولا أوجه منه عند الملوك وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً ولم تجتمع قضاعة إلاّ عليه وعلى رزاح بن ربيعة فسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لايجوز للمرأة أن تتكلم به عند زوجها فنهاها فقالت له اسكت وإلاّ ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا تعقله فقال عند ذلك

ألاَ يالَ قَوْمي لاَ أرَى النَّجْمَ طالِعاً ولاَ الشَّمسَ إلاَّ حاجَتي بيَميني
مُعَزِّبَتِي عِنْدَ القَفا بعَمودِها تكُونُ نَكيرِي أنْ أقولَ ذَرِيني
أميناً على سِرِّ النِّساءِ ورُبَّما أكونُ على الأَسرارِ غيرَ أَمينِ
فللموتُ خيرٌ مِنْ حِدَاجٍ مُوَطَّأٍ معَ الظَّعْنِ لاَ يأْتي المَحَلَّ لِحِيني

وهو القائل

أَبَنيَّ إنْ أَهلِكْ فقدْ أَوْرَثْتُكُمْ مَجْدًا بَنِيَّه
وتَرَكْتُكُمْ أَرْبابَ سا دَاتٍ زِنادُكُمُ وَرِيَّه
مِنْ كُلِّ ما نالَ الفتى قَدْ نِلْتُهُ إلاَّ التَّحِيَّه
فلقدْ رَحلْتُ البازِلَ الـ ـكَوْماءَ لَيْسَ لها وَلِيَّه
وخَطَبْتُ خُطْبَةَ حازِمٍ غيرِ الضَّعيفِ ولاَ العَيِيَّه
فَالمَوْتُ خيرٌ لِلفتى فلْيَهلِكَنْ وبهِ بَقِيَّه
مِنْ أنْ يُرَي الشَّيخَ البجا لَ إذَا يُهادَي بالعَشِيَّه

وهو القائل

لَيتَ شعري والدَّهرُ ذُو حَدَثانٍ　　أيُّ حينٍ منيَّتي تلقاني

أَسُباتٌ على الفِراشِ خُفاتٌ　　أَمْ بكفَّيْ مُفَجّعٍ حَرّانِ

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره

لقد عُمِّرْتُ حتَّى ما أُبالي　　أَحتفي في صَباحي أَمْ مَساءِ

وحُقَّ لِمَنْ أَتَتْ مائتانِ عاماً　　عليهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ الثَّوَاءِ

قوله ــ معزبتي ــ يعني امرأته يقال معزبة الرجل وحليلته وزوجته كل ذلك امرأته •• وقوله ــ أميناً على سر النساء ــ السر خلاف العلانية والسر أيضاً النكاح قال الحطيئة

ويَحْرُمُ سِرُّ جارَتِهِمْ عليهِمْ　　ويأكُلُ جارُهُمْ أنفَ القِصاعِ (١)

وقال امرؤ القيس

أَلا زَعَمَتْ بَسباسةُ اليومَ أنني　　كَبِرْتُ وأَلاّ يُحسِنُ السِّرَّ أمثالي

وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعاً لانه اذا كبر وهرم تهيبه النساء أن تحدث بحضرته بأسرارهن تهاونا به أو تعويلا على ثقل سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه أميناً على نكاح النساء لعجزه عنه •• وقوله ــ حداج موطأ ــ الحداج مركب من مراكب النساء والجمع احداج وحدوج ــ والظُعُنُ ــ والأظعان الهوادج والظعينة المرأة فى الهودج ولا تكون ظعينة حتى تكون فى هودج والجمع ظعائن وانما خبّر عن هرمه وأن موته خير من كونه مع الظعن فى جملة النساء •• وقوله ــ زنادكم وريّه ــ الزناد جمع زند وزندة وهما عودان يقدح بهما النار ففى أحدهما فروض وهي ثقب فالتى فيها الفروض هي الانثى والذي يقدح بطرفه هو الذكر ويسمى الزندة الأب والزندة الأم وكنّى بزنادكم وريّه عن بلوغهم مآربهم تقول العرب وريت بكم زنادى أى بلغت بكم ما أحب من النجح

---

(١) قوله أنف الأنف من كل شئ أوله يقول يؤثرون جارهم بالطعام على أنفسهم فيأكل صفوة طعامهم قبلهم

والنجاة ويقال للرجل الكريم واري الزناد — وأما التحية — فهي الملك فكأنه قال من كل ما نال الفتى قد نلته إلاّ الملك •• وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء — والبازل — الناقة التي بلغت تسع سنين فهي أشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء — والكوماء — العظيمة السنام — والولية — برذعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده — والبجال — الذي يجله قومه ويعظمونه •• وقوله — يهادى بالعشيه — أي يماشيه الرجال فيسندونه لضعفه والتهادي المشي الضعيف •• وقوله — أسبات — فالسبات سكون الحركة ورجل مسبوت — والخفات — الضعف أيضاً يقال خفت الرجل اذا أصابه ضعف من مرض أو جوع — والمفجع — الذي فجع بولد له أو قرابة — والحران — العطشان الملتهب وهو ههنا المحزون على قتلاه •• ومما يروي لزهير بن جناب

إِذَا ما شِئْتَ أَنْ تَسلو حَبيباً ... فَكَثِّرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيالي

فما سلي حَبِيبكَ مِثلَ ناءٍ ... ولاَ أَبلي جَدِيدَكَ كَابتذالِ

مجلس آخر ١٧

ومن المعمرين ذو الأصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة ابن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عتّاب بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر •• وانما سمي الحارث عدوان لأنه عدى على أخيه فهم فقتله وقيل بل فقأ عينه وقيل ان اسم ذو الأصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنّي أبا عدوان وسبب لقبه بذي الأصبع ان حية نهشت أصبعه فشلّت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائة وسبعين سنة •• وقال أبو حاتم انه عاش ثلاثمائة سنة وهو أحد حكّام العرب فى الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان أثرم وروى عنه

لاَ يَبعُدَنْ عَهدُ الشَّبابِ ولاَ ... لَذَّاتُهُ ونَبَاتُهُ النضرُ

لَوْلاَ أُولئكَ ماحفلتُ متَى عُوليتُ في حرَجٍ إلى قبرِي

هَزِئت أُثيلةُ أنْ رَأتْ هرَمي وأنِ انحَنى لتقادُمٍ ظهرِي

وكان لذي الأصبع بنات أربع فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك أحب الينا ثم أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منّا ما فى نفسها فقالت الكبرى

أَلاَ هَلْ أَرَاها مرَّةً وضَجِيعُها أَشَمُّ كنَصلِ السَّيفِ عَيْنُ مُهَنَّدِ

عَليمٌ بأَدْوَاء النِّساء وأَصلُهُ إِذَا ما انتمَى مِنْ أَهلِ سِرّي ومَحتِدِي

ويروى من سر أهلى ومن أصل سرى ومحتدى فقلن لها أنت تريدين ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية

أَلاَ ليتَ زَوْجي مِنْ أُناسٍ أُولي عدىً حَديثُ شبَابٍ طَيِّبُ الثَوْبِ والعِطْرِ

ويروى أولي غنى

لَصُوقٌ بأَكبادِ النِّساء كأَنَّهُ خليقةُ جانٍ لاَ ينَامُ علي وَتْرِ

ويروى لا ينام على هجرى فقلن لها أنت تريدين فتىً ليس من أهلك ثم قالت الثالثة

أَلاَ ليتَهُ يكسي الجَمالَ نَدِيُّهُ لهُ جفنةٌ تَشقَى بها المعْزُ والجزْرُ

لهُ حكَمَاتُ الدَّهرِ مِنْ غيرِ كَبرَةٍ تَشينُ فلاَ وانٍ ولاَ ضَرِعٌ غُمْرُ

فقلن لها أنت تريدين سيداً شريفاً وقلن للرابعة قولي فقالت لا أقول فقلن لها يا عدوة الله علمت ما فى أنفسنا ولا تعلمينا ما في نفسكِ فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت مثلاً فزوجهن أربعهن وتركهن حولاً ثم أتى الكبرى فقال يا بنيّة كيف ترين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب ألبانها جُرعاً ويروى جزعاً بالزاي المعجمة ونأكل لحمانها مزعاً وتحملنا وضعفتنا معاً فقال يا بنية زوج كريم ومال عميم ثم أتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير

زوج يكرم أهله وينسى فضله قال وما مالكم قالت البقر تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء فقال حظيت ورضيت ثم أتى الثالثة فقال يابنية كيف زوجك قالت لاسمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعز قال وما هي قلت لو آنا نولدها فطماً ونسلخها أدماً ويروى أدماً بالفتح لم نبغ بها نمماء فقال لها جذوة مغنية ويروى جدوة ثم أتى الصغرى فقال كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال قال وماهو قالت الضأن جوف لايشبعن وهيم لاينقعن وصم لاتسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أبوها أشبه أمراً بعض بزه فمضت مثلا ٠٠ أما قول إحدى بناته في الشعر ــ أشم ــ فالشمم ارتفاع أرنبة الأنف وورودها ويقال رجل أشم وامرأة شماء وقوم شم ٠٠ قال حسان بن ثابت

بيضُ الوُجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ　　　شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطّرازِ الأَوّلِ

الشمم الارتفاع في كل شيء ويحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ماذكرناه من ورود الأرنبة لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الأمور ورذائلها وخص الأنوف بذلك لأن الحمية والغضب والأنف يكون فيها ولم يرد طول أنفهم وهذا أشبه بأن يكون مراده لانه قال بيض الوجوه ولم يرد اللون في الحقيقة وانما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم وجميل أخلاقهم وأفعالهم وما يقول القائل جاءني فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهي بكذا وكذا وانما يعنى ماذكرناه ٠٠ وقول المرأة أشم كنصل السيف يحتمل الوجهين أيضاً وقول حسان من الطراز الأول أي أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم وانهم لم يحدثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه نجارهم وأصولهم ٠٠ وقولها ــ عين مهند ــ أي هو المهند بعينه كما يقال هذا بعينه وعين الشيء نفسه وعلى الرواية الأخرى غير مهند أي ليس هو السيف المنسوب الى الهند في الحقيقة وانما هو يشبهه في مضائه ٠٠ وقولها ــ من سر أهلي ــ أي من أكرمهم وأخلصهم يقال فلان في سر قومه أي في صميمهم وشرفهم وسر الوادي أطيبه تراباً ــ والمحتد ــ الأصل ٠٠ وقول الثانية ــ أولى غدى ــ فان معناه أن يكون لهم أعداء لأن من لا عدوله هو الفسل الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس وهو

المحسّد المعادي ٠٠ وقولها ــ لصوق بأكباد النساء ــ يعني في المضاجعة ويحتمل أن يكون ارادة في المحبة وكنّت بذلك عن شدة محبتهن له وميلهن اليه وهو أشبه ٠٠ وقولها ــ كأنه خليقة جان ــ أي كأنه حية للصوقه والجانّ جنس من الحيات خففت لضرورة الشعر ٠٠ وقول الثالثة ــ يكسي الجمال نديه ــ فالنديّ هو المجلس ٠٠ وقولها ــ له حكمات الدهر ــ تقول قد أحكمته التجارب وجعلته حكماً ــ والضرع ــ الضعيف ــ والغمر ــ الذي لم يجرب الأمور ٠٠ وقول ــ الكبرى ــ يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة ــ فالحليلة هي امرأة الرجل والوسيلة الحاجة ٠٠ وقولها ــ تشرب ألبانها جرعاً ــ فالجرع جمع جرعة وهو الماء القليل يبقى في الاناء ٠٠ وقولها ــ مزعاً ــ المزعة البقية من دسم ويقال ماله جرعة ولا مزعة هكذا ذكره ابن دريد الضم في جرعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جرعة واذا كسرت فينبغي أن يكون تشرب ألبانها جرعاً وتكسر المزعة أيضاً ليزدوج الكلام فتقول وتأكل لحمانها مزعاً قال المزعة من الشحم بالكسر هي القطعة من الشحم والمزعة أيضاً من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقيق ويقال انه ليكاد يتمزع من الغيظ ومزع الصبي في عدوه يمزع مزعاً اذا أسرع ٠٠ وقوله ــ مال عميم ــ أي كثير ٠٠ وقول الثانية ــ تودك السقاء ــ من الودك الذي هو الدسم ــ وقول الثالثة ــ نولدها فطماً ــ الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع ٠٠ وقولها ــ نسلخها أدماً ــ الأدم جمع إدام وهو الذي يؤكل تقول لو أنا فطمناها عند الولادة لسلخناها للأدم من الحاجة لم نبغ بها نعماء وفي الرواية الأخرى أدَماً من الأديم ٠٠ وقوله ــ جذوة مغنية ــ فالجذوة القطعة ٠٠ وقول الصغرى ــ جُوْفٌ لا يشبعن ــ الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف ــ والهيم ــ العطاش ولا ينقعن أي لا يروين ٠٠ ومعنى قولها ــ وأمر مغويتهن يتبعن ــ لأن القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن كلهن إتباعاً لها والضأن يوصف بالبلادة ٠٠ أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال ابن دريد وأخبرنا العكلي عن أبي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان

الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس على أخذ فرائضهم فأتيناه فقال من القوم فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك

عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَدْوَا ... نَ كانوا حَيَّةَ الأَرْضِ[1]

بَغَى بَعْضُهُمُ بَعْضاً ... فلَمْ يَرْعَوْا على بَعْضِ

ومِنْهُمْ كانتِ السَّادَا ... تُ والمُوفونَ بالقَرْضِ

ومِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي ... فلا يُنْقَضُ ما يَقْضِي

ومِنْهُمْ مَنْ يُجِيرُ النَّا ... سَ في السُّنَّةِ والفَرْضِ

ثم أقبل على رجل كنا قدمناه امامنا جسيم وسيم فقال أيكم يقول هذا الشعر فقال لاأدري فقلت أنا من خلفه يقوله ذو الأصبع فتركني وأقبل على ذاك الجسيم فقال وما كان اسم ذو الأصبع فقال لاأدرى فقلت أنا من خلفه حرثان فأقبل عليه وتركني فقال لم سمى ذو الأصبع فقال لا أدرى فقلت أنا من خلفه نهشته حية فى أصبعه فأقبل عليه وتركني فقال من أيكم كان فقال لا أدرى فقلت أنا من خلفه من بني ناج فأقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائة ثم أقبل علىّ فقال كم عطاؤك قلت أربعمائة فقال

(١) اختلف فى العذير فنهم من جعله مصدراً بمعنى العذر وهو مذهب سيبويه ومنهم من جعله بمعنى عاذر كعليم وعالم والمعنى عنده هات عذرك واحضر عاذرك وامتنع أن يجعله بمعنى العذر لأن فعيلا لاينبنى على المصدر إلاّ في الأصوات نحو الصهيل والنهيق والنبيح والأولى مذهب سيبويه لأن المصدر يطرد وضعه موضع الفعل بدلاً منه لانه اسمه ولا يطرد ذلك فى اسم الفاعل وقد جاء فعيل فى غير الصوت كقولهم وجب القلب وجيباً اذا اضطرب ٠٠ والمعنى يصف ما كان من تفرق عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس عيلان وتشتتهم فى البلاد مع كثرتهم وعزتهم في البلاد لكثرة ساداتهم وبغي بعضهم على بعض فيقول من يعذرهم فى فعلهم أو من يعذرنى منهم ٠٠ وقوله كانوا حية الأرض أي كانوا يتقى منهم لكثرتهم وعزتهم كما يتقى من الحية المنكرة.

يابن الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائة وفي رواية أخرى انه لما قال من أيكم كان فقال لاأدري فقلت أنا من بني ناج الذي يقول فيهم الشاعر

فأَمَّا بنو ناجٍ فلاَ تَذْكُرُونَهُمْ ولاَتُتْبِعَنْ عينيكَ مَنْ كانَ هالِكا

إذَا قُلتَ معرُوفاً لِتُصلِحَ بينهمْ يَقولُ رَهيبٌ لاَ أُسَلِّمُ ذٰلِكا

ويروى ما أحاول

فأَضحى كظَهْرِ المَوْدِجِ سَنامُهُ تحومُ عليهِ الطيرُ أَحدَبَ باركا

وقد رويت هـذه الأبيات لذي الأصبع أيضاً ومن أبيات ذي الأصبع السائرة قوله

أُكاشرُ ذَا الضِغْنِ المُبينِ منهُمُ وأُضحكُ حتَّى يَبدُوَ النّابُ أَجمعُ

وأَهدِنُهُ بالقوْلِ هَدْناً ولوْ يَرَى سَريرَةَ ما أُخفِي لَباتَ يُفَزَّعُ

ومعنى أهدنه أسكنه ومن قوله أيضاً

إذَا ما الدَّهرُ جرَّ على أُناسٍ حوَادِثَهُ أَناخَ بآخَـرِينا

ويروى شراشره

فقُـلْ لِلشَّامِتينَ بنا أَفيقُوا سيَلقَى الشَّامتونَ كما لَقينا

ومعنى ـ الشراشر ـ ههنا الثقل يقال ألقى عليه شراشره وجراميزه أي ثقله ومن قوله

ذَهَبَ الَّذِينَ إذَا رَأَوْني مقْبلاً هَشُّوا إليَّ ورَحَّبوا بالمقْبلِ

وهُمُ الَّذِينَ إذَا حَمَلْتُ حَمَالَةً ولَقيتُهُمْ فـكأَنَّني لمْ أَحملِ

ومن قوله وهي المشهورة

ليَ ابنُ عَمٍّ على ما كانَ منْ خُلُقٍ مُختلفانِ فأَقليـهِ ويَقليني

أَزْرَى بنا أَنَّنا شالَتْ نَعامَتُنا فخالَني دُونَهُ وخلتُـهُ دُوني[1]

---

(١) يقال أزرى به اذا قصّر وزرى عليـه اذا عابه . . وقوله شالت نعامتنا أي تفرق

لاهِ ابنُ عمِّكَ لاَ أفضلتَ في حَسَبٍ ... عنّي ولاَ أنتَ دَيّاني فتَخزُوني (١)

إني لَعَمرُكَ ما بابي بذِي غَلَقٍ ... عنِ الضّيوفِ ولا خيرِي بممنونِ

ولاَ لساني على الأدني بمُنطَلِقٍ ... بالفاحشاتِ ولاَ أغضي على الهُونِ

ماذَا عليَّ وإن كُنتمْ ذَوِي رَحِمٍ ... ألاّ أُحبّكمُ إنْ لمْ تُحبُّوني

أمرنا واختلف يقال عند اختلاف القوم شالت نعامتهم وزف رالهم والرال فرخ النعام وقيل يقال شالت نعامتهم اذا جلوا عن الموضع والمعنى تنافرنا فصرت لا أطمئن اليه ولا يطمئن اليّ ويقال ألقوا عصاهم اذا سكنوا واطمأنوا ٠ وقال الزمخشرى شالت نعامتهم أي تفرقوا وذهبوا لأن النعامة موصوفة بالخفة وسرعة الذهاب والهرب ويقال أيضاً خفت نعامتهم وزف رالهم وقيل النعامة جماعة القوم

(١) قوله أفضلت ضمن فضلت معنى تجاوزت في الفضل فلهذا تعدى بعن ولولا التضمين لقال أفضلت عليّ لأنه من قولهم أفضلت على الرجل اذا أوليته فضلا وأفضل هذه تتعدى بعلى لانها بمعنى الانعام أو انه من قولهم أعطى وأفضل اذا زاد على الواجب وأفضل هذه أيضاً تتعدى بعلى يقال أفضل على كذا أى زاد عليه فضله ومراده من ذكر التضمين ان عن ليست بمعنى على خلافا لابن السكيت ولابن قتيبة ومن تبعهما فانهم قالوا عن نائبة عن على والأولى أن يكون أفضل من قولهم أفضل الرجل اذا صار ذا فضل فى نفسه فيكون معناه ليس لك فضل تنفرد به عنى وتحوزه دوني فيكون لتضمنه معنى الانفراد تعدى بعن فتأمل. والديان. القيم بالأمر المجازي به وتخزونى تسوسنى سياسة وتخزونى بالخاء والزاى المعجمتين مضارع خزاه خزوا بالفتح ساسه وقهره وملكه وأما الخزى بالكسر وهو الهوان والذل فالفعل منه كرضى ويحتمل تخزونى الرفع ويكون التقدير ولا أنت مالكي فتسوسنى ويحتمل النصب والفتحة حينئذ مقدرة كما فى قوله

* أبى الله أن أسمو بأم ولا أب * وليس بضرورة يقول لله ابن عمك الذى ساواك فى الحسب وماثلك فى الشرف فليس لك فضل تنفرد به عنه ولا أنت مالك أمره فتتصرف به على حكمك ومراده بابن العم نفسه فلذلك رد الاخبار بلفظ المتكلم

يا عَمْرُو إلاَّ تدَعْ شتْمي ومَنْقصتي أضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامَةُ اسقوني

فأَنتُمْ مَعْشَرٌ زَيدٌ علي مائَةٍ فأَجمعوا أَمرَكُمْ طُرًّا وكيدُوني

لاَ يَخْرِجُ القَسْرُ مِني غيرَ مأْبِيَةٍ ولاَ أَلِينُ لمَنْ لاَ يَبْتَغي لِيني

قوله ــ شالت نعامتنا ــ معناه تنافرنا فصرت لا أطمئن اليه ولا يطمئن الىَّ يقال شالة نعامة القوم اذا أجلوا عن الموضع ٠٠ وقوله ــ لاه ابن عمك ــ قال قوم أراد لله ابن عمك ٠٠ وقال ابن دريد أقسم بالله ابن عمك ٠٠ وقوله ــ عنى ــ أى علىَّ ــ والديان ــ الذى يلى أمره ومعنى ــ فتخزونى ــ أي تسوسونى ــ والهون ــ الهوان ٠٠ وقوله ــ أضربك حتى تقول الهامة اسقونى ــ قال الأصمعي العطش فى الهامة فأراد أضربك في ذلك الموضع أى على الهامة حتى تعطش وقال آخرون ان العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقونى اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثاره وهذا باطل ويجوز أن يعنيه ذو الأصبع على مذاهب العرب ٠٠ وقوله ــ لا يخرج القسر منى غير مأبية ــ والقسر القهر أي ان أخذت قسراً لم أزده إلاَّ إباء

ومن المعمرين معديكرب الحميري من آل ذى رعين ٠٠ قال ابن سلام وقال معديكرب الحميرى وقد طال عمره

أَراني كُلَّما أَفنيتُ يوْماً أَتاني بَعدَهُ يومٌ جَدِيدُ

يَعُودُ بَياضُهُ في كلِّ فَجْرٍ ويأْبي لى شَبابِي ما يَعودُ

ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزارى ويقال انه بقى الى أيام بنى أمية وروى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له ياربيع أخبرنى ما أدركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية فقال أنا الذي أقول

ها أَنا ذَا آمُلُ الخُلودَ وقدْ أَدْرَكَ عقْلي ومَوْلِدِي حُجُرا

فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وأنا صبى قال وأنا القائل

إذَا عاشَ الفَتى مِائتينِ عاماً فقدْ ذَهَبَ اللَّذاذَةُ والفَتاءُ

قال قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام وأبيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة فى فترة عيسى وعشرين ومائة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام .. قال اخبرنى عن فتية من قريش متواطئي الأسماء قل سل عن أيهم شئت قال اخبرني عن عبد الله بن العباس قال فهمٌ وعلمٌ وإعطاء جذمٌ ومقرىً ضخمٌ قال اخبرنى عن عبد الله بن عمر قال حلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فاخبرنى عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لينٌ مسها قليل على المسلمين ضرها قال فاخبرنى عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر يتحدر منه الصخر قال لله درك يا ربيع ما أعرفك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري .. [قال المرتضي] رضى الله عنه ان كان هذا الخبر فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك له انما كان فى أيام غفلته لا فى أيام ولايته لأن الربيع يقولُ فى الخبر عشت في الاسلام ستين سنة وعبد الملك وليّ فى سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية ويقال ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

أَلاَ أَبلِغْ بَنِيَّ بني رَبِيعٍ ... فأَشرَارُ البَنِينَ لكُمْ فِدَاءُ

بأَني قدْ كَبِرْتُ ودَقَّ عظمي ... فلاَ تشغَلكُمُ عنّي النّساءُ

فإِنَّ كَنائِني لِنساءِ صِدْقٍ ... وما آلا بَنِيَّ ولاَ أَساؤُا

إِذَا كانَ الشّتاءُ فأَدْفِئُوني ... فإِنَّ الشيخَ يَهْدِمهُ الشّتاءُ

وأَما حينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍّ ... فسِرْبالٌ خفيفٌ أَو رِدَاءُ

إِذَاعاشَ الفتَى مِائتَيْنِ [1] عاماً ... فقدْ ذَهَبَ اللّذاذَةُ والفتاءُ

---

(١) قوله مائتين عاماً كان الوجه حذف النون وخفض عام إلاّ أنها شبهت للضرورة بالعشرين ونحوها مما يثبت نونه وينصب ما بعده .. وصف فى البيت هرمه وذهاب مروءته ولذته وروى أودى بدل ذهب بمعنى انقطع وهلك والفتاء مصدر الفتى وروى تسعين عاماً ولا ضرورة فيه على هذا وهي رواية لا أصل لها يعلم من الأبيات ومن ترجمة صاحبها

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة

أَصبحَ مِنّي الشَّبابُ قد حَسِرَا ... إنْ نَدَّ عنّي فقدْ ثوَى عُصُرَا

ودَّعنا قَبلَ أَنْ نُوَدِّعَهُ ... لَمَّا قَضَى مِنْ جِمَاعِنا وَطَرا

ها أَنا ذَا آمُلُ الخُلودَ وقدْ ... أَدْرَكَ عصري ومولِدي حُجُرا

أَبا امْرِئِ القَيسِ هلْ سَمِعتَ بهِ ... هَيهاتَ هيهاتَ طالَ ذا عُمُرَا[1]

أَصبحتُ لا أَحملُ السِّلاحَ ولاَ ... أَملكُ رأْسَ البَعيرِ إنْ نَفَرَا

والذِّئبَ أَخشاهُ إنْ مَرَرْتُ به ... وَحدِي وأَخشَى الرِّيَاحَ والمَطَرَا

مِنْ بَعدِ ما قُوَّةٍ أُسَرُّ بها ... أَصبحتُ شَيخاً أُعالِجُ الكِبَرَا

قوله — عطاء جذم — أي سريع وكل شئ تسرعت فيه فقد جذمته وفى الحديث اذا أذّنت فترسل واذا أقمت فاجذم أى أسرع — والمقرى — الاناء الذى يقرى فيه ... وقوله — فما آلا بَنِيّ ولا أساؤا — أى لم يقصروا والآلي المقصر

مجلس آخر ١٨

ومن المعمرين أبو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين قال أبو حاتم عاش مائتي سنة فقال فى ذلك

حَنَتْنِي حانِياتُ الدَّهرِ حتّى ... كأَنّي خاتلٌ يَدْنُو لِصَيْدِ

قَصيرُ الخَطْوِ يَحسبُ مَنْ رآني ... ولستُ مُقَيَّدًا أَنّي بِقَيدِ

وروى التخيل بدل اللذاذة والتخيل التكبر وعجب المرء بنفسه وروى بدله المسرة والمروءة أيضاً والفتى الشاب وقد فتى بالكسر يفتى بالفتح فتىً فهو فتى السن بيّن الفتاء

(١) قوله طال ذا عُمُرا هو تعجب أى ما أطول هذا العمر

ويروى قريب الخطو .. قال أبو حاتم حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين وينشد أيضاً

تَقارَبَ خَطْوُ رِجلِكَ ياسوَيدُ ... وقَيَّدَكَ الزَّمانُ بشَرِّ قيدِ

وهو القائل

وإنّي مِنَ القوم الذينَ همُ همُ ... إذا ماتَ منهمْ ميّتٌ قامَ صاحبُه

نجومُ سَماءٍ كُلَّما غابَ كَوْكَبٌ ... بَدَى كَوْكَبٌ تأْوِي اليهِ كَوَاكِبُه

أضاءتْ لَهمْ أحسابُهمْ ووُجوهُهمْ ... دُجَى اللَّيلِ حتّى نَظَّمَ الجزْعَ ثاقِبُه

وما زالَ مِنهمْ حَيثُ كانَ مُسوَّدًا ... تَسيرُ المَنايا حيثُ سارَتْ رَكائِبُه

ومعنى البيتين الأولين يشبه قول أوس بن حَجَر[١]

إذا مُقْرَمٌ منّا ذَرَى حَدُّ نابِهِ ... تَخَمَّطَ فينا نابُ آخرَ مُقْرَمِ

ولطفيل الغنوي مثل هذا وهو

كَواكِبُ دَجْنٍ كُلَّما انقَضَّ كَوْكَبٌ ... بَدَى وانْجلَتْ عنهُ الدُّجنّةُ كَوْكَبُ

وقد أخذ الخزيمي هذا المعنى فقال

إذَا قَمَرٌ مِنَّا تَغَوَّرَ أو خَبَا ... بدَا قَمَرٌ في جانِبِ الأُفْقِ يَلمعُ

ومثل ذلك

خِلافَةُ أهلِ الأَرْضِ فينا وِراثةٌ ... إذَا ماتَ مِنا سيّدٌ قامَ صاحبُه

ومثله

إذَا سيّدٌ مِنا مَضَى لِسَبيلهِ ... أَقامَ عَمُودَ الدِّينِ آخَرُ سَيّدُ

وكأن مزاحماً العقيلي نظر الي قول أبي الطمحان

---

(١) — أوس بن حجر بفتحتين وليس في أسماء الأشخاص على هذا البناء غير هذا

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم

في قوله

وجوهٌ لو أنّ المُدلجينَ اعتشوا بها　　صدعنَ الدجى حتى ترى الليلَ ينجلي

ويقارب ذلك قول حجية بن المضرب الكندي

أضاءتْ لهمْ أحسابُهمْ فتضاءلتْ　　لنورِهمُ الشمسُ المُضيئةُ والبدرُ

وأنشد محمد بن يحيى الصولي فى معنى بيتي أبي الطمحان

منَ البيضِ الوُجوهِ بنى سنانٍ　　لوَانّكَ تستضيءُ بهمْ أضاؤا

همُ حلّوا منَ الشرفِ المُعلّى　　ومِنْ كرَمِ العشيرةِ حيثُ شاؤا

فلوْ أنَّ السّماءَ دنتْ لمجدٍ　　ومكرُمةٍ دنتْ لهمُ السّماءُ

وأبو الطمحان القائل

إذا كانَ في صدرِ ابنِ عمكَ إحنةٌ　　فلاَ تستثرْها سوفَ يبدُو دفينُها

وهو القائل

إذا شاءَ راعِيها اُستقى مِنْ وقيعةٍ　　كعينِ الغُرابِ صفوُها لمْ يُكدَّرِ

ـ والوقيعة ـ المستنقع فى الصخرة للماء ويقال للماء اذا زل من صخرة فوقع في بطن أخرى ماء الوقائع وأنشد لذى الرمة

ونلنا سِقاطاً مِنْ حديثٍ كأنّهُ　　جنَا النّحلِ ممزُوجاً بماءِ الوقائعِ

ويقال للماء الذى يجرى على الصخر ماء الحشرج وللماء الذى يجرى بين الحصى والرمل ماء المفاصل وأنشدوا لأبي ذؤيب

مطافيلُ أبكارٌ حديثٌ نتاجُها　　تشابُ بماءٍ مثلِ ماءِ المفاصلِ

وأنشد أبو محلم السعدى لأبي الطمحان

بُنيَّ إذا ما سامكَ الذلَّ قاهرٌ　　عزيزٌ فبعضُ الذلِّ أبقى وأحرزُ

ولاتَحم مِن بَعضِ الأمورِ تَعزُّزًا فقدْ يُورِدُ الذُّلَّ الطويلَ التعزُّزُ

وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفري .. وروى لأبي الطمحان أيضاً في مثل هذا المعنى

يا رُبَّ مَظلمةٍ يوماً لَطيتُ بها تَمضي عليَّ إذا ما غابَ نُصارِي
حتى إذا ما انجلَتْ عني غَيابَتُها وثبتُ فيها وُثوبَ المُخدِرِ الضارِي

ومن المعمرين عبد المسيح بن بُقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس ابن حيان بن بُقيلة وبُقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وانما سمي بُقيلة لأنه خرج في بردين أخضرين على قومه فقالوا له ما أنت إلا بُقيلة فسمي لذلك .. وذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانياً وروى ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه أهلها أرسل اليهم ابعثوا اليَّ رجلاً من عقلائكم وذوى أنسابكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن بُقيلة فأقبل يمشي حتى دنا من خالد فقال أنعم صباحاً أيها الملك قال قد أغنانا الله عن تحيتك فمن أين أقصى أثرك أيها الشيخ قال من ظهر أبي قال من أين خرجت قال من بطن أمي قال فعلام أنت قال على الأرض قال ففيم أنت قال في ثيابي قال أتعقل لا عقلت قال أي والله وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط إني أسأله عن الشيء وينحو في غيره قال ما أجبتك إلا عما سألت فاسأل عما بدا لك قال أعربٌ أنتم أم نبطٌ قال عربٌ استنبطنا ونبطٌ استعربنا قال فحربٌ أنتم أم سلمٌ قال بل سلم قال فما هذي الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليم فينهاه قال كم أتى لك قال خمسون وثلاثمائة سنة قال فما أدركت قال أدركت سفن البحر في السماوة في هذا الجرف ورأيت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكتلها على رأسها لا تزود إلا رغيفاً حتى تأتي الشام ثم قد أصبحت خراباً يباباً وذلك دأب الله في العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه في كفه فقال له خالد ما هذا في كفك قال هذا السم قال ما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي وأهل بلدي حمدت الله وقبلته وان كانت الأخرى لم أكن أول من

ساق اليهم ذلاً وبلاءً أشربه فأستريح من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فأخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شئ فشربه فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلا ثم عرق فأفاق كأنما نشط من عقال فرجع ابن بُقيلة الى قومه فقال جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره صالحوا القوم وأخرجوهم عنكم فان هذا أمر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة ألف درهم وأنشأ يقول

أَبَعدَ المُنذِرِين أَرَى سَوَاماً ... يُرَوَّحُ بالخَوَرنَقِ والسَّدِيرِ

أَبَعدَ فَوَارِسِ النُّعمانِ أَرْعى ... مَرَاعيَ نَهرِ مُرَّةَ فالحَفِيرِ

تَحاماهُ فَوَارِسُ كُلِّ قَومٍ ... مَخافَةَ ضَيغَمٍ عالي الزَّئيرِ

فصِرْنا بَعدَ هُلكِ أَبي قُبَيسٍ ... كَمِثلِ الشَّاءِ في اليَومِ المَطِيرِ

يريد أبا قابوس فصغر ويروى كمثل المعز

تَقَسَّمُنا القَبائِلُ مِنْ مَعَدٍّ ... علانيةً كأَيسارِ الجَزُورِ

نُؤَدِّي الخَرْجَ بَعدَ خَرَاجِ كِسرَى ... وخَرْجِ بَني قُرَيظَةَ والنَّضِيرِ

كَذاكَ الدَّهرُ دَولَتُهُ سِجالٌ ... فيومٌ مِنْ مَساةٍ أو سُرُورِ

ويروى ان عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بُقيلة قال

لقد بَنَيتُ للحَدَثانِ قَصرًا ... لَوَ انَّ المَرءَ تَنفَعُهُ الحُصُونُ

طَوِيلَ الرَّأسِ أَقعَسَ مُشمَخِرًّا ... لأَنواعِ الرِّياحِ بِهِ أَنِينُ

ومما يروى لعبد المسيح بن بُقيلة

والنَّاسُ أَبناءُ علَّاتٍ فَمَن عَلِمُوا ... أَنْ قد أَقَلَّ فَمَجفُوٌّ ومَحقُورُ

وهُمْ بَنُونَ لأُمٍّ إِنْ رَأَوا نَشَباً ... فَذاكَ بالغَيبِ مَحفُوظٌ ومَخفُورُ

وهذا يشبه قول أوس بن حجر

بَني أُمِّ ذِي المالِ الكَثيرِ يَرَوْنَهُ ... وإِنْ كانَ عَبدًا سَيِّدَ الأَمرِ جَحفَلا

وهُمْ لِمقِلّ المالِ أوْلادُ علّةٍ ... وإنْ كانَ مَحْضاً في العُمومةِ مُخْوِلاَ

وذكر ان بعض المشايخ من أهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط ديراً فلما احتفر موضع الأساس وأمعن فى الاحتفار أصاب كهيئة البيت فدخله فاذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة أنا عبد المسيح بن بُقيلة

حَلَبتُ الدَّهرَ أشطُرَهُ حَياتي ... ونِلتُ منَ المُنى فوقَ المَزيدِ

وكافحتُ الأُمورَ وكافحتْني ... ولمْ أحفلْ بمُعْضِلةٍ كَؤُدِ

وكِدتُ أنالُ في الشَّرفِ الثُّريَّا ... ولكنْ لاَ سَبيلَ إلى الخُلودِ

ومن المعمرين النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد (١) الله بن عدس بن ربيعة ابن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويكني أبا ليلى •• وروى أبو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي أسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله

تذَكَّرْتُ والذِّكرَى تَهِيجُ على الجوَى ... ومنْ حاجةِ المَحزُونِ أنْ يتذَكَّرَا

نَداماىَ عِندَ المُنذِرِ بنِ مُحرِّقٍ ... أرَى اليومَ مِنهُمْ ظاهرَ الأرْضِ أقفرَا

كُهولٌ وفِتيانٌ كأنَّ وُجوهَهُمْ ... دَنانيرُ مِمَّا شِيفَ في أرضِ قيْصَرَا

فهذا يدل على أنه كان عند المنذر بن محرق والنابغة الذبياني كان مع النعمان بن المنذر ابن محرق •• قوله شيف يعني جلي والمشوف المجلو •• ويقال ان النابغة غبر ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأصبهان وكان ديوانه بها وهو الذي يقول

فمَنْ يَكُ سائلاً عنّي فإنّي ... مِنَ الفِتيانِ أيامَ الخُنانِ

(١) قوله اسمه قيس اختلف في اسمه فقيل قيس كما هنا وقيل عبد الله بن قيس وقيل حبان بن قيس بن عمرو بن عدس بن ربيعة وانما سمي النابغة لأنه قال الشعر فى الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه فسمي النابغة

ـ أيام الخنان ـ أيام كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم [1] مرض في أنوفهم وحلوقهم

مَضَتْ مائةٌ لِعامِ وُلِدْتُ فيهِ وعَشْرٌ بَعْدَ ذاكَ وحِجَّتانِ

فأَبقى الدَّهرُ والأَيّامُ مِنّي كما أَبقى مِنَ السَّيفِ اليَماني

تفلَّلُ وهُوَ مأْثورٌ جُرازٌ إذا اجتَمَعَتْ بقائمهِ اليَدانِ

وقال أيضاً فى طول عمره

لبستُ اناساً فأَفنيتُهُمْ وأَفنيتُ بَعدَ أُناسٍ أُناسا

ثلاثةُ أَهلينَ أَفنيتُهُمْ وكانَ الإِلهُ هوَ المُستَآسا

ـ المستآس ـ المستعاض •• وروى عن هشام بن محمد الكلبي انه عاش مائة وثمانين سنة ••وروى ابن دريدعن أبي حاتم فى موضع آخر ان النابغة الجعدي عاش مائتي سنة وأدرك الاسلام وروى له

قالتْ أُمامةُ كَمْ عَمِرْتَ زَمانةً وذَبَحتَ مِنْ عترٍ علي الأَوثانِ

ـ العتيرة ـ شاة تذبح لأصنامهم في رجب فى الجاهلية

ولقدْ شَهِدْتُ عُكاظَ قبلَ مَحَلِّها فيها وكُنتُ أُعَدُّ مِلفتيانِ

والمُنذِرَ بنَ مُحرِّقٍ في مُلْكِهِ وشَهِدْتُ يومَ هِجائنِ النعمانِ

وعَمِرْتُ حتى جاءَ أَحمَدُ بالهُدَى وقَوارِعٍ تُتلَى مِنَ القُرْآنِ

ولَبِستُ مِنْ إسلامِ ثوباً واسعاً مِنْ سَيْبِ لاَ حَرِمٍ ولاَ مَنّانِ

وله أيضاً فى طول عمره

المَرْءُ يَهوَى أَنْ يَعيشَ وطُولُ عيشٍ قدْ يَضُرُّهْ

---

(١) قوله هاج بها فيهم••الخ المعروف ان الخنان على وزن غراب زكام يأخذ الابل فى مناخرها وتموت منه •• وقال الأصمعي كان الخنان داء يأخذ الابل فى مناخرها وتموت منه وكانت أيام الخنان على عهد المنذر بن ماء السماء وكانوا يؤرخون بها

تفنى بشاشته ويبـــقى بعد حلو العيش مرُّه
وتتابع الأيام حتى لا يرى شيئاً يسُرُّه
كم شامتٍ بي إن هلكـــت وقائلٍ لله درُّه

ويروى ان النابغة الجعدى يفتخر ويقول أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال عليه الصلاة والسلام أين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة يارسول الله فقال أجل ان شاء الله ثم أنشدته

فلا خير في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال عليه الصـلاة والسـلام لايفضض الله فاك •• وفي رواية أخرى لايفضض فوك فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا ضرس وفى رواية أخرى قال فرأيته وقد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية تنبت له أخرى مكانها وهو أحسن الناس ثغراً ـ ترف ـ معنى تبرق وكأن المـاء يقطر منها •• [قال المرتضي] رضي الله عنه ومما يشاكل قول الجنة فى جواب قول النبى صلى الله عليه وسلم أين المظهر يا أبا ليلى وان كان يتضمض العكس من معناه ما روي من دخول الأخطل على عبـد الملك بن مروان مستغيثاً من فعل الجحاف السلمي وانه أنشده

لقد أوقع الجحّافُ بالبشر وقعةً إلي الله منها المشتكى والمعوّلُ
فإن لم تغيّرها قريشٌ بمثلها يكن عن قريشٍ مستمازٌ ومزحلُ (١)

---

(١) قوله يكن عن قريش الخ سبب هذين البيتين ان بنى تغلب رهط الأخطل قتلوا عمير بن الحباب السلمي فاتفق ان قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف ابن حكيم السلمى جالس عنده فأنشده

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف مغضباً يجر مطارفه فقال عبـد الملك للأخطل ويحك أغضبته وأخلق

فقال له عبــد الملك الى أين يا ابن اللخناء فقال الى النار فقال لو قلت غــيرها قطعت لسانك •• فقوله الى النار تخلص حسن على البديهة كما تخلص الجعدى بقوله الى الجنة وأول قصيدة الجعدى الذى ذكرنا منها الأبيات

خليليّ غُضّا ساعةً وتهجّرا ولوما على ما أحدثَ الدّهرُ أو ذَرا
ولاَ تسألاَ إنّ الحياةَ قصيرةٌ فطيرَا لروعاتِ الحوادثِ أوقرا
وإنْ كانَ أمرٌ لاتُطيقانِ دَفعهُ فلاَ تجزَعا مماَّ قضى اللّهُ واصبرَا
ألمْ تعلَما أنَّ المَلامَةَ نفعُها قليلٌ إذا ما الشَّيْءُ ولّى وأدْبرَا
لوَى اللّهُ عِلمَ الغيبِ عنْ ماسواهُ ويعلَمُ منهُ ما مَضى وتأخّرا

وفيها يقول

وجاهدْتُ حتّي ما أحسُّ ومَنْ معي سهيلاً إذا ما لاحَ ثمّ تغوَّرا

أن يجلب عليك وعلى قومك شراً فكتب الجحاف عهداً لنفسه من عبــد الله ودعا قومه للخروج معــه فلما حصل بالبشر قال لقومه قصتي كذا فقاتلوا عن أحسابكم أو موتوا فأغاروا على بنى تغلب بالبشر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم قال الجحاف يجيب الأخطل

أبا مالك هل لمتنى إذ حضضتني على الثأر أم هل لامني فيك لائمي
متى تدعني أخرى أجبك بمثلها وأنت امروٌ بالحق لست بقائم

فقدم الأخطل على عبد الملك فأنشده لقد أوقع الجحاف البيتين •• وروي من غير هذا الوجه ان عبد الملك دخل عليه الجحاف بن حكيم السلمي فقال عبد الملك أتعرف هذا يا أخطل قال ومن هو قال الجحاف فقال الأخطل ألا سائل الجحاف البيتين حتى فرغ من القصيدة وكان الجحاف يأكل رطباً فجعل النوى يتساقط من يده غيظاً فأجابه فقال

بلى سوف نبكيهم بكل مهند ونبكي عميرا بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانيــة ماظننتك تجترئ عليَّ بمثل هــذا ولو كنت مأسوراً لك فحم الأخطل خوفاً فقال عبــد الملك أنا جار لك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتنى

يريد إني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معينٌ وفيها يقول

وَنحنُ أُناسٌ لاَ نُعَوِّدُ خَيلَنَا ... إذا ما التَقَينا أَنْ تَحِيدَ وَتَنفرا

وَنُنكِرُ يَومَ الرَّوْعِ أَلوانَ خيلِنا ... مِنَ الطَّعنِ حتى نَحسِبَ الجَونَ أَحمَرا

وليسَ بِمَعرُوفٍ لنا أَنْ نَرُدَّها ... صِحاحاً ولاَ مُستَنكَراً أَنْ تُعَقَّرَا

أخبرنا المرزباني قال أنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيي قال أنشدنا محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي

تَلومُ علي هُلكِ البَعيرِ ظَعينَتي ... وَكُنتُ على لومِ العَوَاذِلِ زَارِيا

أَلَمْ تَعلمي أَنى رُزِئتُ مُحارِباً ... فما لكِ منهُ اليَوْمَ شيئاً ولاَ لِيا

ومن قبلهِ ما قدْ رُزِئتُ بوَحْوَحٍ ... وكانَا ابنَ أُمّي والخَليلَ المُصافِيا

فتىً كَمُلَتْ أَخلاقُهُ غيرَ أَنَّهُ ... جَوَادٌ فما يُبْقِي منَ المالِ باقِيا

منه في اليقظة فمن يجيرني منه في النوم ثم قام الجحاف ومشى يجر ثوبه وهو لا يعقل حتى دخل بيتاً من بيوت الديوان فقال للكاتب اعطني طوماراً من طوامير العهود فأتاه بطومار وليس فيه كتاب فخرج الى أصحابه من القيسية فقال ان أمير المؤمنين ولاّني صدقات بكر وتغلب فلحقه زهاء ألف فارس فسار حتى أتى الرصافة ثم قال لمن معه ان الأخطل قد أسمعني ما علمتم ولست بوال فمن أحب أن يغسل عنه العار فليصحبني فاني قد آليت ان لا أغسل رأسي حتى أوقع ببني تغلب فرجعوا غير ثلاثمائة فسار ليلته فصبح الرحوب وهو ماء لبني جشم بن بكر رهط الأخطل فصادف عليه جماعة كثيرة من تغلب فقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ الأخطل وعليه عباءة وسخة فظنوه عبداً وسئل فقال أنا عبد فخلوا سبيله فخشي أن يراه من يعرفه فرمي بنفسه في جب فلم يزل فيه حتى انصرفت القيسية فنجا وقتل أبوه غوث وأسرف الجحاف في القتل وشق البطون عن الأجنة وفعل أمراً عظيما فقدم الأخطل على عبد الملك وأنشده لقد أوقع الجحاف الخ

فتيً كانَ فيهِ ما يَسرُّ صَديقَهُ　　على أنَّ فيهِ ما يَسوءُ الأعادِيا

ويروى فتيً تمّ فيه ما يسر

أشمُّ طويلُ الساعدينِ سميدعٌ　　إذا لم يَرُحْ للمجدِ أصبحَ غادِيا

ــ السميدع ــ السيد •• ومما يروى له أيضاً

عُقيليةٌ أوْ من هلالِ بنِ عامرٍ　　بذي الرِّمْثِ من وادي المياهِ خيامُها

إذا ابتسمتْ في الليلِ والليلُ دونَها　　أضاءَ دُجى الليلِ البهيمِ ابتسامُها

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق بن غالب عن الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده خمار فواف بألف دينار ومطرف بدينار •• قال الأصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة في كلام أسهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب ثم أنشد له

سَمَا لكَ همٌّ ولمْ تَطرَبِ　　وبتَّ ببثٍّ ولمْ تنصبِ

وقالتْ سُليمى أرى رأسَهُ　　كناصيةِ الفرسِ الأشهبِ

وذلكَ منْ دفعاتِ المنونِ　　ففيئي اليكِ ولا تعجبي

أتينَ على إخوةٍ سبعةٍ　　وعُدْنَ على رُبعِ الأقربِ

ثم يقول بعدها

فأدخلكَ اللهُ بردَ الجنا　　نِ جذلانَ في مدخلٍ طيّبِ

فلان كلامه حتى لو ان أبا الشمقمق قال هذا كان رديًّا ضعيفاً •• قال الأصمعي وطريق الشعر اذا أدخلته في باب الخير لانَ ألا ترى الى حسان بن ثابت كان عليةً في الجاهلية والاسلام فلما أدخل شعره في باب الخير من مراثي النبي عليه الصلاة والسلام وحمزة وجعفر وغيره لانَ شعره

مجلس آخر ١٩

مسألة تتعلق بما ذكرناه ان سأل سائلٌ فقال كيف يصح ما أوردتموه من تطاول الأعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيراً من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لاقدرة عليه ولا سبيل اليه وفيهم من ينزل من انكاره درجة فيقول انه وان كان جائزاً من طريق القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقاً للعادات وان العادات اذا وثق الدليل بانها لاتخرق إلاّ على سبيل الابانة والدلالة على صدق نبي من الأنبياء علم ان جميع ماروي من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لايلتفت الى مثله • الجواب قيل له أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه من باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع علم من جواز امتداده ماعلمنا والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حيّاً وغير حيّ حياً وان شئت أن تقول هو استمرار الحي الذى لكونه على هذه الصفات ابتداء حيا وانما شرطنا الاستمرار لانه يتعذر أن يوصف من كان حاله واحدة حياً بان له عمراً بل لا بد من أن يراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حيّ أو يكون لكونه حياً ابتداء لئلا يلزم عليه القديم تعالى لانه تعالى جلت عظمته ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حياً وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما تحتاج اليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عزوجل ولا يدخل إلاّ تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها فمتى فعل القديم تعالى الحياة وما يحتاج اليه من البنية وهي مما يجوز عليه البقاء وكذلك ما تحتاج اليه فليست تنتفي إلاّ بضد يطرأ عليها أو بضد ينفي مايحتاج اليه والأقوى انه لاضد لها في الحقيقة وانما ادّعى قوم بانه لايحتاج اليه ولو كان للحياة على الحقيقة لم تخل بما قصدناه في هذا الباب فمهما لم يفعل القديم تعالى ضدها أو ضد ماتحتاج اليه ولا نقض منّا ناقض بنية الحي استمر كون الحي حياً ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ماقصدناه صحيحاً لانه تعالى قادرٌ على أن يفعلها حالاً فحالاً ويوالي

بين فعلها وفعل ما تحتاج اليه فيستمر كون الحي حياً فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الانسان فليس مما لابد منه وانما أجري الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادر على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله اذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل وانما أُتي من أحال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حياً موجب على طبيعة وقوّة لهما مبلغ من المادة متى انتهت اليه انقطعتا واستحال أن تدوما ولو أضافوا ذلك الي فاعلٍ مختارٍ متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة .. فأما الكلام في دخول ذلك في العادة وخروجه عنها فلاشك فان العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متفاوتة تعد الزيادة عليها خارقاً للعادة إلاّ انه قد ثبت ان العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً ويجب أن يراعى في العادة اضافتها الى من هي عادة له في المكان والوقت وليس يمتنع أن يقل ما كانت العادة جارية به على تدريج حتى يصير حدوثه خارقاً للعادة بغير خلاف وأن يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدريج ثم صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة وهذه جملة فيما أردناه كافية

باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسميها قوم المسكتة

اعلم ان أجوبة المحاورة والمناظرة انما تستحسن وتؤثر اذا جمعت مع الصواب سرعة الحضور فكم من جواب أتى بعد لأيٍ وبعد تقاعس لم يكن له في النفوس موقع ولا حلّ من القلوب محل الحاضر السريع وان كان المتثاقل أعرق في نسب الاصابة وآخذ بأطراف الحجة ولهذا قيل أحسن الناس جواباً وأحضرهم قريش ثم العرب وان الموالي تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية .. وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدي لمعاوية بن أبي سفيان وقد سأله عن البلاغة فقال أن يصيب فلا يخطئ ويسرع

فلا يبطئ ثم اختصر ذلك فقال لايخطئ ولا يبطئ •• ولطول الفكرة والاعراق في الروية مذهب وأوان لا يحمد فيها التسرع والتعجل كما لا يحمد فى أوان السرعة التثاقل والتأيد وانما تحمد السرعة في أجوبة المحاورة والمناظرة وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة التى على الانسان فيها مهلة وله فى تأملها فسحة ولا عيب عليه معها في اطالة التأمل واعادة التصفح ولهذا قال الأحنف بصفين أغبوا الرأي فان ذلك يكشف لكم عن محضه •• وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما أراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له لاخير في الرأي الفطير والكلام القضيب •• وشُوِور ابن التوام الرقاشى فأمسك عن الجواب وقال ما أحب الخبز إلاّ بائتا •• فأما قولهم ثلاث يعرفن فى الأحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل أحد فمحمول على اسراعه بالجواب عند الرأى والمشاورة والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت أو على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا إشكال فيه ثم نعود الى ما قصدناه •• روى ان بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم سألته متى يعرف الانسان ربه فقال اذا عرف نفسه •• وقال له عليه الصلاة والسلام رجل إنى أكره الموت فقال ألك مال قال نعم قال قدّم مالك فان قلب كل امرء عند ماله •• وقال يهودى لأمير المؤمنين عليه السلام مادفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ماجفّت أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون •• وروى انه عليه السلام لما فرغ من دفن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن خبر السقيفة فقيل له إن الأنصار قالت منّا أمير ومنكم أمير فقال عليه السلام فهل لاذكرت الأنصار قول النبى صلى الله عليه وسلم نقبل من محسنهم ونتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر فيهم والوصاة بهم •• وقال له عليه السلام ابن الكوّاء يا أمير المؤمنين كم بين السماء والأرض قال دعوة مستجابة •• وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة •• وقيل له كم بين المشرق والمغرب قال مسير يومٍ للشمس •• وأثنى عليه رجل وكان متهما فقال أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك • وكان عليه السلام اذا طراه رجل قال اللهم انك أعلم بي منه وأنا أعلم منه بنفسي فاغفر لي ما لا يعلم •• أخبرنا أبو عبد الله المرزبانى قال حدثني

عبد الواحد بن محمد الحصيني قال حدثني أبو عليّ أحمد بن اسماعيل قال حدثني أيوب
ابن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الأنصار يقال له نفيع وكان عِرّيضاً
قال فحضر باب الرشيد يوماً ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن
جعفر عليه السلام على حمارٍ له فتلقاه الحاجب بالبشر والاكرام وأعظمه من كان هناك
وعجل له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ فقال أو ما تعرفه قال لا قال
هذا شيخ آل أبي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم
يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير إمّا لئن خرج لأسوأنه فقال له عبد
العزيز لا تفعل فان هؤلاء أهل بيت قلّ ما تعرض لهم أحد في خطاب إلاّ وسموه
بالجواب سمةً يبقى عارها عليه مدى الدهر قال فخرج موسى بن جعفر عليه السلام فقام
اليه نفيع الأنصاري فأخذ بلجام حماره ثم قال له من أنت قال يا هذا ان كنت تريد
النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن اسمعيل ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وان كنت
تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت
تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركوا قومي مسلمي قومك أكفاء لهم حتى قالوا يا محمد
اخرج الينا أكفاءنا من قريش وان كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله
تعالى بالصلاة علينا في الصلواة الفرائض بقول اللهم صل على محمد وآل محمد ونحن
آل محمد خل عن الحمار قال فخلى عنه ويده ترتعد وانصرف بخزي فقال له عبد العزيز
ألم أقل لك •• ويقال ان معاوية استشار الأحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد
فقال له أنت أعلم بليله ونهاره •• وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخزيمي مدحك
لمحمد بن منصور أجود من مراثيك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما
بونٌ •• ودخل مطيع بن إياس على الهادي في حياة المهدي فقال السلام عليك يا أمير
المؤمنين فقيل له مه فقال بعد أمير المؤمنين •• وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب وكان
جيد الجواب حاضره فقال أنا خير لك من أخيك فقال عقيل ان أخي آثر دينه على
دنياه وانك آثرت دنياك على دينك فأخي خير لنفسه منك وأنت خير لي منه •• وقال
له يوماً ان فيكم لشبقاً يا بني هاشم فقال هو منّا في الرجال ومنكم في النساء •• وقال له

يوماً وقد دخل عليه هذا عقيل عمه أبو لهب فقال عقيل هذا معاوية عمته حمالة الحطب وعمة معاوية أم جميل بنت حرب بن أمية وكانت امرأة أبي لهب •• وقال له يوماً ياأبا يزيد أين ترى عمك أبا لهب فقال له عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشاً عمتك فانظر أيهما أسوأ حالاً الناكح أم المنكوح •• وقال له ليلة الهرير بصفين ياأبا يزيد أنت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم •• وقيل لسعيد بن المسيب وقد كُفّ ألا تقدح عينك قال حتى أفتحها على من •• ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يامعن قال فى طاعتك قال وانك لتتجلد قال على أعدائك قال وان فيك لبقية قال هي لك •• وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لأقتلنك قتلة يتحدث بها بعدك فقال مسلم أشهد انك لاتدع سوء القتلة ولؤم المقدرة لأولى بهما منك •• وقال رجل لعمرو بن العاص لأتفرغن لك قال اذاً وقعت فى الشغل •• وقال معاوية لعمرو ابن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق الى من أوصى بك أبوك فقال ان أبى أوصى الىّ ولم يوص بى •• وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة قد أوصيت بك فلاناً فالقه بعدى فقال ياأبت اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت •• وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي أنشدني بعض قولك في الخمر فأنشده

كُميتٌ إِذَا شُجَّتْ وفي الكأسِ وَرْدَةٌ لها في عِظامِ الشَّارِبينَ دَبِيبُ

فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان نعتي لها بذلك رابك لقد رابني معرفتك بها •• ولما أتى معاوية نعي الحسن بن علىّ عليهما السلام بعث الى ابن عباس وهو لايعلم الخبر فقال ماجاءك خبر من المدينة قال لا قال أتانا نعي الحسن وأظهر سروراً فقال ابن عباس اذا لاتنسأ ولا يسد حفرتك قال أحسبه قد ترك صبية صغاراً قال كلنا كان صغيراً وكبر قال وأحسبه قد بلغ سناً قال مثل مولده لايجهل قال معاوية وقال قائل انك أصبحت سيد قومك قال أما وأبو عبد الله الحسين بن علىّ حيّ فلا فلما كان من غدٍ أتى يزيد بن معاوية ابن عباس وهو فى المسجد يعزي فجلس بين يديه جلسة المعزى وأظهر حزناً وغماً فلما انصرف اتبعه ابن عباس بصره وقال اذا ذهب آل حرب

ذهب حلم قريش •• وروى ان وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز فأراد فتى منهم الكلام فقال عمر ليتكلم أكبركم فقال الفتى ان قريشاً لترى فيها من هو أسن منك فقال له تكلم يا فتى •• روى محمد بن سلام الجمحي قال أنشد كثير عبد الملك بن مروان شعراً

عليّ ابن أبي العاصي دِلاصٌ حَصينةٌ   أَجادَ المُسَدِّي نَسجَها فأَذالها

فقال له هلاّ قلت كما قال الأعشى

وإذا تكونُ كَتيبةٌ ملمومةٌ   شهباءُ يَخشى الذائدُون نِهالَها
كُنتَ المُقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ   بالسيفِ تَضربُ مُعلِماً أبطالَها

فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم •• ويشبه ذلك ماروي عن أبي عمرو بن العلاء انه لقي ذا الرمة فقال أنشدني قصيدتك

ما بالُ عَينيكَ منها الدَّمعُ يَنسكِبُ   كأنَّهُ من كُلى مفريَّةٍ سَرَبُ

فأنشده إياها فلما بلغ الى قوله

تُصغي إذا شدَّها بالكورِ جانِحةً   حتَّى إذا ما استوَى في غرزِها تثِبُ

فقال له عمرو بن العلاء قول الراعي أحسن مما قلت

ترَاها إذَا قامَ في غرزِها   كَمثلِ السفينةِ أو أوقرُ
ولاَ تُعجلُ المرءَ عِندَ النزُو   لِ وهْيَ برُكبَتِهِ أبصَرُ

فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وأنا وصفت ناقة سوقة •• وحكي الصولي انه سمع ذا الرمة ينشد بيته الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل فأما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو نسع مضفور •• وقوله — تصغي — يريد تميل رأسها كأنها تسمع ليست بنفور بل مؤدبة مقومة — والكور — الرحل •• وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقة في مدحه للخصيب بن عبد الحميد

فكأنها مُصغٍ لتسمعهُ ... بعضَ الحديثِ بإذنه وَقرُ

فلم يرض بان وصفها بالاصغاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل فى الأذن لان الثقيل السمع يكون اصغاؤه وميله الى جهة الحديث أشد وا كثر .. [قال المرتضي] رضى الله عنه وانى لأستحسن القصيدة التى من جملتها البيت الذى أوردناه لأبي نواس لانها دون العشرين بيتاً وقد نسب في أولها ثم وصف الناقة بأحسن وصف ثم مدح الرجل الذى قصد مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق ورونق يترقرق وسهولة مع جزالة والقصيدة

يا مِنةً امتنَّها السُّكرُ ... ما ينقضي مني لها الشُّكرُ

أعطتكَ فوقَ مُناكَ من قبلٍ ... قدْ كُنَّ قبلَ مرامها وَعرُ

يثني اليكَ بها سوالِفَهُ ... رَشأٌ صناعةُ عينِهِ السِّحرُ

ظلّت حُميّا الكاسِ تنشطُنا ... حتّى تهتّكَ بيننا السِّترُ

في مجلسٍ ضحِكَ السُّرُورُ بهِ ... عَنْ ناجذَيهِ وحلَّتِ الخَمرُ

.. أما قوله ـ حلت الخمر ـ فيحتمل أن يريد به ان ماوصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور المأمول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر وملجئاً الى تناولها ورافعاً للحرج فيها على مذهب الشعراء فى المبالغة ويكون فائدة وصفها بانها حلت المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب .. ويحتمل أن يكون عقد على نفسه وآلى ألاّ يتناول الخمر إلاّ بعد الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع معه مخرجاً عن يمينه على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم الى أن يأخذوا بثأرهم ويجري ذلك مجرى قول الشنفرى

حلّتِ الخمرُ وكانتْ حَرَاماً ... وبلأيٍ ما ألمَّتْ تحِلُّ (١)

---

(١) نسبة القصيدة التى منها هذا البيت الى الشنفرى وانه رثى بها خاله تأبط شراً غير صحيحة لأن الشنفرى مات قبل تأبط شراً ورثاه تأبط شراً بأبيات مشهورة وممن رواها أبو الفرج الأصبهانى وابن الانبارى وأولها

٠٠ويحتمل ان يريد بحلت نزلت وأقامت من الحلول الذى هو المقام لا من الحلال فكأنه
وصف بلوغ جميع آرابه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التى فيها جميع
اللذات وهذا الوجه وان لم يشر اليه أحدٌ ممن تقدم فى تفسير هذا البيت فالقول يحتمله
ولا مانع من أن يكون مراداً وقد قيل انه أراد استحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا العقول
التى كنا نمتنع لها من الحرام والوجوه المقدمة أشبه وأقرب الى الصواب والله أعلم

ولقدْ تَجوبُ بِيَ الفَلاَةَ إِذَا صامَ النَّهارُ وقالتِ العُفْرُ

أراد ــ بصام ــ وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول ــ والعفر ــ الظباء اللواتى فى ألوانها
حمرة يخالطها كدرة ــ وقالت ــ من القائلة وهي وقت نصف النهار لا من القول

شَدَنيةٌ رَعتِ الحِمافأَتتْ ملْءَ الحبالِ كأَنَّها قَصْرُ

ــ الشدنية ــ من الابل منسوبة الى شدن موضع باليمن يقال لملكه ذو شدن

تَثْني علي الحاذَينِ ذَا خُصَلٍ تَعْمالُهُ الشُّذْرانُ والخَطْرُ

ــ الحاذ ــ مؤخر الفخذ ــ والشذران ــ رفع الناقة ذنبها من المرح ــ والخطران ــ معروف
من خطر يخطر ــ وتعماله ــ أى عمله

أَمَّا إِذَا رَفعَتْهُ شامِذَةً فتقولُ رَنَّقَ فوْقها نسْرُ

يعنى ــ بشامذة ــ أى مبالغــة في رفع ذنبها ويقال ــ رنق ــ الطائر اذا نشر جناحيه
طائراً من غير تحريك

أَمَّا إِذَا وَضعَتْهُ خافِضةً فتَقولُ أُرْخيَ دُونَهاسِتْرُ

وتَسفُّ أَحْياناً فتحسبُها مُتَرَسِّمًا يقْتادُهُ إِثْرُ

معنى ــ تسف ــ أى تدني رأسها من الأرض ــ والمترسم ــ متتبع الرسم ومتأمله ومعنى
ــ يقتاده ــ أى هو معنيٌّ بطلب الأثر موكل بتتبعه ٠٠ ويقال أثر وأُثر وإثرٌ ثلاث لغات

على الشنفرى صوب الغمام ورائح غزير الكلى وصيِّب الماء باكر
ولأن تأبط شراً ليس بخال للشنفري

وقد وهم الصولي في تفسير هذا البيت لأنه قال ان أبا نواس جمع لأثر آثاراً ثم جمع الآثار أثراً ثم خفف فقال إثر وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما أوردناه وانما ذهب عليه أنه يقال في الأثر إثر

فإذا قصرت لها الزمام سما | فوق المقادم ملطم حر
فكأنها مصغ لتسمعه | بعض الحديث بأذنه وقر
تبري لأنقاض أضر بها | جذب البرى فخدودها صعر

معنى — تبري — تنبرى أي تعرض لهذه الانقاض — والانقاض — جمع نقض وهو البعير الذي قد أهزله السفر والكد — والبرى — جمع برة وهي الحلقة التي تكون في أنف البعير يذال فيها

يرمي اليك بها بنو أمل | عتبوا فأعتبهم بك الدهر
أنت الخصيب وهذه مصر | فتدفقا فكلاكما بحر
لا تقعدا بي عن مدى أملي | شيئاً فما لكما به عذر
ويحق لي إذ صرت بينكما | أن لا يحل بساحتي فقر

مجلس آخر ٢٠

ثم نعود الى ما كنا آخذين فيه من ذكر مستحسن الجوابات .. روى أن رجلا نظر الى كثير الشاعر وهو راكب وأبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام يمشي فقيل له أتركب وأبو جعفر يمشي فقال هو أمرني بذلك وأنا بطاعته في الركوب أفضل مني في عصياني إياه بالمشي .. وروى ان دعاة خراسان صاروا الى أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا له أردنا ولد محمد بن علي فقال أولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا لو

أراد الله بنا خيراً كنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله أردت الخروج علينا فقال نحن ندل عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم ٠٠ وقال عبد الملك بن مروان لنصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشعر مفلفل واللون مرمد وانما قربني اليك عقلي فهبه لي ٠٠ وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولى منهزماً كر عليهم بالسيف فقال لاطاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لأسوءنك فقال وددت انك تقدر على ذلك ٠٠ وقال يحيى بن خالد لشريك علمنا مما علمك الله يا أبا عبد الله فقال له شريك اذا علمتم بما تعلمون علمناكم ماتجهلون ٠٠ وقال المأمون لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل ٠٠ وقيل لأبي دؤاد الايادي ونظر الى بنته تسوس فرسه أهنتها يا أبا دؤاد فقال أهنتها بكرامتي كما أكرمتها بهواني ٠٠ ومثل ذلك قول اعرابي لحقه ذل على باب السلطان

أُهينُ لهمْ نفسي لأُكرِمَها بهمْ ولن تُكرمَ النفسَ التي لاتُهينُها

ودخل عُمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذى كان يجلس فيه فقام رجل فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك فقال عمارة غصبني ضيعتي فقال المنصور قم ياعمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخصم فقال له كيف قال ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة ٠٠ وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة سلني حاجتك فقال لا أسأل في بيت الله غير الله ٠٠ وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له ان الله تعالى يقول ﴿ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلاّ قليلا ﴾ فقال ذلك القليل نطلب ٠٠ وقيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة تراباً وماء فاستحال دوداً وهواماً وقال لأصحابه إني خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليه السلام فقال ليقل له كم هو وكم الذكران منه والأناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحدة منهن وليأمر التي تسعي الى هذا الوجه أن ترجع الى غيره فانطلق وهرب ٠٠ وقال المأمون للفضل بن سهل إني أخاف عليك أقواماً يعادونك فلا تركب الي إلاّ في جيش فقال الفضل ما أخاف غيرك فان أمنتني

من نفسك لم يضرني اللسان •• وقيل لأبي ثور ماتقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد ابن سلمة بن دينار فقال بينهما في العلم كقيمة ما بين أبويهما من الصرف •• وأراد المأمون تقبيل السواد وجلس يناظر العمال على ذلك فقام اليه رجلٌ من الدهاقين فقال ياأمير المؤمنين ان الله ولاك علينا بالأمانة فلا تقبلنا فأضرب عن ذلك •• وقال رجل لابن عباس زوّجني فلانة وكانت يتيمة في حجره فقال لا أرضاها لك لانها تتشرف فقال الرجل قد رضيت أنا فقال ابن عباس الآن لا أرضاك لها •• ويشبه هذا الخبر من وجه مارواه المدائني قال أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المزّي وبين القاسم بن ربيعة الجوشني من بني عبد الله ابن غطفان فيولي القضاء أنفذهما فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال إياس للشامي أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين فمن أشارا عليك بتوليته فولّه وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكن إياس يأتيهما فعلم القاسم انه ان سألهما أشارا به فقال للشامي لا تسأل عني ولا عنه فوالذي لا إله إلاّ هو ان إياساً أفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق انه لينبغي لك أن تقبل مني وان كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب فقال إياس للشامي انك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار أن تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي أما اذ فطنت لهذا فاني أوليك فاستقضاه [1] •• ولما أمضى معاوية بيعة ولده يزيد جعل الناس يقرظونه فقال يزيد لأبيه ما ندري

---

(١) قوله فاستقضاه وفي غير الأصل بعدان استقضاه فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكى إياس وقال ياأبا سعيد بلغني ان القضاة ثلاثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن ان فيما قضى الله تعالى في النبي داود ما يرد قول مولاي ثم قرأ قوله تعالى (ففهمناها سليمان وكلاًّ آتينا حكماً وعلماً) فحمد سليمان ولم يذم داود

أتخدع الناس أم يخدعوننا فقال يا بني من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته ‥ وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصّار يقول ياليتني كنت غسالاً أعيش بما أكسب يوماً بيوم فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ‥ وقال الواثق للجاحظ يامانويّ فقال لو كان الذي أضفتني اليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه فكيف أكون على دينه ‥ وقال ابن عباس للخوارج وقد أرسله أمير المؤمنين اليهم نشدتكم الله أيما أعلم بالتأويل والتنزيل عليّ أم أنتم فقالوا عليّ فقال أليس تدرون لعل الذي حكم به فيكم بفضل علمه على ما لا تعلمون فرجع أكثرهم ‥ وقال عتيبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس ما منع عليّ بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكمين فقال أما والله لو بعثني لاعترضت مدارج أنفاسه أطير اذا أسفّ (١) وأسف اذا طار ولعقدت له عقداً لا تنتقض مريرته ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدرٌ ومضى أجل والآخرة خير لأمير المؤمنين من الدنيا ‥ وقال أبو جعفر محمد بن عليّ عليه السلام لكُثَيِّر امتدحت عبد الملك بن مروان فقال له لم أقل له يا امام الهدى انما قلت يا شجاع وشجاع حية ويا أسد والأسد كلب وياغيث والغيث موات فتبسم أبو جعفر عليه السلام ‥ وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رأيت ألأم من أصحابك اذا أيسرت لزموك واذا أعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منّا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف منّا عنهم ‥ وقيل لابراهيم النخعي متى جئت قال حيث احتيج اليَّ ‥ ورؤي رجل يصلي صلاة خفيفة فقال له ما هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها رياء ‥ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أثاثٍ لم ير مثله والآت لم يسمع بمثلها فأراد أن يرى الناس عظم ما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدارٍ ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى اليها بسلاليم واذا الحصين بن المنذر بن الحارث

(١) قوله أطير اذ أسفّ يقال أسف الطائر اذا دنا من الأرض في طيرانه وقيل طار على الأرض دانياً منها حتى كادت رجلاه يصلانها

ابن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحصين شيخ كبير فلما رآه عبدالله بن مسلم أخو قتيبة قال لقتيبة أتأذن لي في معاتبته قال لا ترده فانه خبيث الجواب فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسوّر حائطاً الى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحصين وقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان فقال أجل أسن عمك عن تسوّر الحيطان قال رأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ماأحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان فقال له يا أبا ساسان أتعرف الذي يقول

عَزَلْنا وأَمَّرْنا وبَكرُ بنُ وائلٍ ... تَجُرُّ خِصاها تبتغي مَنْ تُحَالِفُ

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبةُ مَنْ يَخيبُ علي غَنِيٍّ ... وباهلةَ بنَ يَعصُرَ والرِّبابِ

قال أفتعرف الذي يقول

كأَنَّ فِقاحَ الأَزْدِ حولَ ابنِ مِسمَعٍ ... وقدعَرِقَتْ أَفواهُ بَكرِ بنِ وائلِ

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

فقومٌ قتيبةُ أُمُّهُمْ وأَبوهُمُ ... لولاقتيبةُ أَصبحوا في مَجهَلِ

قال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيئاً قال نعم أقرأ منه الكثير الطيب (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) فأغضبه فقال والله لقد بلغني ان امرأة الحصين حملت وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ من هيئته الأولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاماً على فراشي فيقال ابن الحصين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك .. ولقى شريك النمري رجلا من بني تميم فقال له التميمي يعجبني من الجوارح البازي فقال له شريك وخاصة اذا صاد القطا أراد التميمي بقول البازي قول جرير

أَنا البازِي المُطِلُّ علي نُمَيرٍ ... أُتيحَ منَ السَّماءِ له انصبابا

وأراد شريك بقوله اذا صاد القطا قول الطرماح

تميمٌ بطُرْقِ اللؤمِ أَهدَى من القَطا ولو سَلَكتْ سُبْلَ المكارمِ ضَلَّت

•• وساير شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت بغلته برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما أردت ذاك قال شريك ولا أنا أردته ظن •• شريك ان عمر أراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيرٍ فلا كَعباً بَلَغتَ ولا كِلاَبا (١)

وغنى شريك بقوله مكتوبة قوله

لا تأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بهِ علي قَلوصِكَ واكْتُبْها بأَسْيارِ (٢)

يعنى — باكتبها — شدها •• وأنشد أبو تمام الطائي أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التى يمدحه فيها فلما بلغ الي قوله

في حِلمِ أحنفَ في شَجاعةِ عامرٍ في جودِ حاتمٍ في ذَكاءِ إياسِ (٣)

فقال له الكندى وكان حاضراً ما صنعت شيئاً قال وكيف قال لأن شعراء دهرنا قد

---

(١) وهو من قصيدة مشهورة لجرير بن عطية الخطفى يهجو بها الراعي النميرى وقومه ويقال لهذه القصيدة الفاضحة والدامغة •• ومرت امرأة ببعض مجالس بنى نمير فأداموا النظر اليها فقالت قبحكم الله يا بني نمير ماقبلتم قول الله عزوجل (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر * فغض الطرف إنك من نمير * الخ

(٢) قوله اكتبها باسيار أى شد حيائها أي اختمه باسيار جمع سير وذلك لأن بني فزارة يرمون بغشيان الابل

(٣) الرواية المعروفة

اقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

— عمرو — يعنى به عمرو بن معديكرب — وإياس — يعني به إياس بن معاوية قاضياً كان بالبصرة يوصف بالذكاء وكان من قوم يظنون الشيء فيكون كما يظنون حتى شهر أمرهم فى ذلك

تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الي قول أبي العكوك في أبي دلف

رَجلٌ أبرَّعلي شجاعةِ عامرٍ   بأساً وغيّرَ في محيَّا حاتمِ

فأطرق الطائي ثم رفع رأسه وأنشد

لاَ تنكروا ضَرْبي لهُ مَنْ دُونهُ   مَثلاً شَرُودًا في النَّدَى والباسِ[1]

فاللهُ قدْ ضَرَبَ الاقَلَّ لِنُورهِ   مَثلاً مِنَ المشكاةِ والنبْرَاسِ

---

(١) قوله لاتنكروا الى آخر البيتين أى لاتنكروا قولي اقدامه كاقدام عمرو وذكاؤه كذكاء إياس وهو أذكى منه لأن الله تعالى قد شبه نوره بما هو أقل منه اذا كان المشبه به من أبلغ ما يعرفه الناس ضوءً فقال مثل نوره كمشكاة وهي الكوة ليست بنافذة وأصحاب التفسير يزعمون ان أصلها حبشي وأما لفظها فيدل على انها عربية من شكوت والنبراس المصباح ويقال انه ليس بعربي .. وكان أبو تمام أنشد أحمد بن المعتصم هذه القصيدة وليس فيها البيتان أعني قوله لاتنكروا والبيت الذى بعده فقال يعقوب ابن اسحاق الكندى وكان يخدم أحمد الأمير أكبر من كل شئ ممن شبهته به فعمل هذه البيتين وزادها فى القصيدة من وقته فعجب أحمد وجميع من حضر من فطنته وذكائه وأضعف جائزته.. وروى انه لما مدح الخليفة بهذه القصيدة قال له الوزير أتشبه أمير المؤمنين باجلاف العرب فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد البيتين فقال الوزير للخليفة أى شئ طلبه فاعطه فانه لايعيش أكثر من أربعين يوماً لأنه قد ظهر فى عينيه الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش الا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشتهي قال أريد الموصل فاعطاه إياها فتوجه اليها وبقي هذه المدة ومات وهذه القصة لا صحة لها أصلاً وروى من غير هذا الوجه ان أبا تمام لما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التى منها

ديمة سمحة القياد سكوب   مستغيث بها الثرى المكروب

لو سعت بقعة لاعظام أخرى   لسعى نحوها المكان الجديب

٠٠وقال ابن هبيرة لأبي دلامة وكان مولىً لبني أمية لما ظهرت المسوّدة لاتخذن لك منهم عبداً صالحاً يخدمك فلما علت كلمتهم وفشت دعوتهم قال أبو دلامة ليت الله قيض لي منهم مولىً صالحاً أخدمه ٠٠ وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك كاملة سوى حقد فيك فقال أنا خزانة تحفظ الخير والشر ٠٠وقد نظر ابن الرومي الى هذا المعنى في قوله

وما الحِقْدُ إلاّ توأمُ الشُّكرِ في الفتى ... وبعضُ السجايا يَنتَسِبْنَ إلى بَعضِ

فحيثُ تَرَى حِقْدًا على ذِي إساءةٍ ... فثَمَّ تَرَى شُكرًا على حَسَنِ القَرْضِ

إذَا الأرضُ أدَّتْ رُبعَ ما أنتَ زارِعٌ ... مِنَ البَذرِ فيها فهيَ ناهيكَ مِن أرْضِ

٠٠وقال الحجاج للحطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك بن مروان قال ما أقول في رجل أنت خطيئة من خطاياه قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حال بيننا بَينٌ وقدر وقد أعطيت الله عهداً ان سألتني لأصدقنك ولأن خليت عني لأطلبنك ولأن عذبتني لأصبرن لك ،أمر بقتله ٠٠ أما ــ البين ــ فهي الأرض الواسعة ٠٠ قال ابن مقبل

بسَرْوِ حِميَرَ أبْوالُ البِغالِ بها ... أنّى تَسَدَّيتَ وَهنًا ذلكَ البَيْنا[1]

قال له ابن الزيات يا أبا تمام انك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك مايزيد حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب وما يدخر لك شئ من جزيل المكافأة إلاّ ويقصر عن شعرك في الموازاة وكان بحضرته فيلسوف فقال له ان هذا الفتى يموت شاباً فقيل له ومن أين حكمت عليه بذلك فقال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر ماعلمت به ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده وكذا كان لأنه مات وقد نيف على ثلاثين سنة

(١) قوله ــ بسرو حمير ــ قال الصاغاني والرواية من سرو حمير لاغير ــ وتسديت ــ بفتح التاء على ارادة الخيال ويروى بكسرها وكسر كاف ذلك على ارادة ليلى صاحبة الخيال المذكورة في البيت قبله وهو

لم تسر ليلى ولم تطرق لحاجتها ... من اهل ريمان إلاّ حاجة فينا

•• وقيل لأبي العتاهية لما قال

عُتْبُ ما لِلخَيالِ حينَ يَنْنى ومالي

خرجت من العروض فقال أنا أكبر من العروض •• وقال عبد الملك بن مروان للهيثم ابن الأسود ما مالك قال قوامٌ من العيش وغنًى عن الناس فقيل له لِمَ لَمْ تخبر به فقال ان كان كثيراً حسدني وان كان قليلاً ازدراني •• واغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه فطلع الرجل على هيئة ذلك فقال له رجل من أصحابه قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة فقال له الأعمش قل له أنت حتى تكون نميمة •• وقال معاوية لعمرو بن العاص هل غششتني مذ نصحتني قال لا قال بلى يوم أشرت عليّ بمبارزة عليّ وأنت تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين إمّا أن قتلته فقتلت قتال الأقران وازددت شرفاً الى شرفك وخلوت بملكك وإمّا أن قتلك فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين قال معاوية لهذه أشد عليّ من الأولى فقال عمرو فكنت فى جهادك من شك فتتوب منه الساعة قال دعني منك الآن •• وقيل للأحنف بن قيس وقد رأى مسيلمة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنبي صادق ولا بمتنبئ حاذق •• وروى المبرّد قال قال زياد لأبي الأسود الدؤلي لولا انك قد كبرت لاستعنّا بك فى بعض أمورنا قال ان كنت تريدني للصراع فليس عندي وان كنت تريد رأيي وعقلي فهما أوفر ما كانا •• وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح البادرة •• وروي عن الشعبي انه قال قاتل الله أبا الأسود ما كان أعف أطرافه وأحضر جوابه دخل على معاوية بالنخيلة فقال له معاوية أكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعاً قال كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم وألفاً من الأنصار وأبنائهم ثم أقول يامعشر من حضر أرجلٌ من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء فلعنه معاوية وقال الحمد لله الذي كفاناك •• وقد روى ان أبا الأسود طلب بأن يكون فى الحكومة وقال لأمير المؤمنين فى وقت الحكمين يا أمير المؤمنين لا ترض بأبي موسى فاني قد عجمت الرجل وبلوته فحلبت أشطُرَهُ فوجدته قريب القعر مع انه يمانٍ وما أدرى ما يبلغ نصحه فابعثني فانه لا يحل عقدة إلاّ عقدت له أشد منها وانهم قد رموك بحجر الأرض فان

قيل انه لا صحبة لي فاجملني ثاني اثنين فليس صاحبهم إلاّ من تعرف وكان في الخلاف عليهم كالنجم فأبى عليه السلام •• وروى محمد بن يزيد النحوي ان أبا الأسود كان شيعياً وكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرةً فقالوا مانحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني •• وقال لهم يوماً يابني قشير ما في العرب أحب اليَّ طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لأنكم اذا ركبتم أمراً علمت انه غيٌّ فاجتنبه واذا اجتنبتم أمراً علمت انه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فأنشأ يقول

يَقُولُ الأَرْذَلونَ بَنو قُشَيرٍ طَوَالَ الدَّهرِ لاتَنْسَى عليّاً

أُحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وعَبَّاساً وحَمْزَةَ والوَصِيّا

أُحِبُّهُمُ لِحُبِّ اللهِ حَتَّى أَجِيءَ إِذَا بُعِثْتُ على هَوِيّا

فإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أُصِبْهُ ولَستُ بِمُخطِيءٍ إِنْ كانَ غَيّا

فقالوا أشككت ياأبا الأسود فقال ألم تسمعوا الله تعالي يقول ﴿ وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ أفترون الله شك •• أما قوله ــ هويّا ــ فانه لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور [1] مثل التقي والهوى والعصى •• قال أبو ذؤيب الهذلي

سَبَقُوا هَوِيَّ وأَعنَقوا لِسَبِيلِهِمْ فتُخُرِّموا ولِكُلِّ جَنبٍ مَصْرَعُ

•• وروى ان أبا الأسود دخل على معاوية فقال له أصبحت جميلا ياأبا الأسود فلو علقت تميمة تدفع العين عنك فقال أبو الأسود

---

(١) قوله يقولون ذلك في كل مقصور وأما غيرهم فيبقي الفتحة لتدل على ألف المقصور كمصطفى بفتح الفاء جمع مصطفى بالقصر وأما مصطفى بكسر الفاء فانه جمع مصطف بالنقص وتسلم ألف التثنية من القلب ياء اتفاقاً كسلماي إذ لا موجب لقلبها وقول أبي الأسود هوي أصله هواي فقلبت الألف ياء وأدغمها في ياء المتكلم ولا يختص قلب ألف المقصور ياء بلغة هذيل بل حكاها عيسي بن عمر عن قريش وحكاها الواحدي في البسيط عن طيءٍ

أَفني الشَّبابَ الَّذِي فارَقتُ بَهجَتَهُ ... كَرُّ الجَدِيدَينِ من آتٍ ومُنطَلِقِ
لم يَترُكا لي في طُولِ اختلافهما ... شيئاً أخافُ عليهِ لَدْغةَ الحَدَقِ

٠٠ وروى انه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل هلمّ أقاربك في هذا الثوب فقال ان لم تقاربني باعدتك ثم قال له بكم هو قال انما أُعطيت به كذا كذا قال انما تخبّرني عمّا فاتك ٠٠ وروى انه كان ماشياً في طريق فقال له راكبٌ الطريق الطريق فقال له عنّ الطريق تعدلني ٠٠ ومرض أبو الأسود فقيل هو أمر الله فقال ذاك أشدله ٠٠ وقيل ان امرأة أبي الأسود خاصمته الى زياد في ولدها فقالت أيها الأمير ان هذا يريد أن يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثدي له سقاء وحجري له فناء فقال أبو الأسود بهذا تريدين أن تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه فقالت ولا سوأ إنك حملته خفيفاً وحملتهُ ثقيلا ووضعته شهوة ووضعتُه كرهاً فقال له زياد انها امرأة عاقلة يا أبا الأسود فادفع ابنها اليها فاخلق أن تحسن أدبه ٠٠ وقال رجل لأبي الأسود أنت والله ظرفُ لفظ وظرفُ علمٍ ووعاء حلمٍ غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه ٠٠ وسلّم عليه اعرابي يوماً فقال أبو الأسود كلمة مقولة فقال له أأذن في الدخول قال وراءك أوسع لك قال فهل عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال عيالي أحق منك قال ما رأيت ألأم منك قال نسيت نفسك ٠٠ وسأله رجل شيئاً فمنعه قال ما أصبحت حاتمياً فقال بلى قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري أليس حاتم الذي يقول

أَماوِيَّ إِمَّا مانِعٌ فَمُبِيِّنٌ ... وإِمَّا عَطاءٌ لاَيُنَهنِهُهُ الزَّجرُ (١) ٠٠

---

(١) قلت ولهذا البيت حكاية عجيبة وقعت بين الأصمعي وأحد ولد حاتم ٠٠ قال الأصمعي دفعت الى رجل من ولد حاتم بن عبد الله فسألته القرى فقال القرى والله كثير ولكن لا سبيل اليه فقلت ما أحسب عندك شيئاً فأمر بالجفان فأخرجت مكرمة بالثريد عليها وذرُ اللحم واذا هو جاد في المنع فقلت والله ما أشبهت أباك حيث يقول

وأبرز قدري بالفناء قليلها ... يرى غير مضنون به وكثيرها

مجالس آخر ٢١

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى قال لما وُلي سليمان بن عبد الملك أُتي بيزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج في جامعة وكان رجلا دميا تقتحمه العين فلما رآه سليمان قال لعن الله امرأً أجرّك رسنك وولى مثلك فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والأمر عني مدبر ولو رأيتني والأمر عليّ مقبل لاستعظمت ما استصغرت ولاستجللت ما استحقرت فقال له سليمان أين ترى الحجاج أيهوى في النار أم قد استقر فقال يا أمير المؤمنين لا تقل كذا ان الحجاج قمع لكم الأعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فانه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك الوليد فضعه حيث شئت ٠٠ وروى ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له العبدري من أنت فقال أنا خالد ابن صفوان بن الأهتم فقال له العبدري أنت خالد كمن هو خالد في النار وأنت ابن صفوان وقال الله تعالى (كمثل صفوان عليه تراب) وأنت ابن الأهتم والصحيح خير من الأهتم فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار أتتكلم وقد هشمتك هاشم وأمّتك بنو أمية وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح فأنت عبد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام العبدري محموماً ٠٠ وتقدم الأشعث بن قيس الى شريح فقال له الأشعث تعلمني بك يا ابن أم شريح لقد عهدتك وان شأنك لشوين فقال له شريح أنت امرؤ تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك ٠٠ وروى أبو العيناء عن العتبي قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال

اليكَ فَرَرْتُ منكَ ومنْ زيادٍ ولمْ أَحسبْ دَمي لكُما حلالاً

فقال إلا أشبه في ذلك فقد أشبهته في قوله

اماوي إمّا مانع فبين وإمّا عطاء لا ينهنهه الزجر

فأنا والله مانع مبين فرحلت عنه

فإنْ يكُنِ الهجاءُ أحلَّ قتلي ... فقدْ قلْنا لشانئِكُمْ وقالاَ

ترَي الغرَّ الجحاجحَ من قُرَيشٍ ... إذَا ما الأَمرُ في الحدَثانِ غالاَ

قِياماً ينظُرُونَ إلي سَعيدٍ ... كأَنَّهُمُ يرَوْنَ بهِ هِلالاَ

فقال له الحطيئة هذا والله أيها الأمير الشعر لاما نعلل به منذ اليوم يا غلام قدمت أمك الحجاز فقال لا ولكن قدمه أبي •• أراد الحطيئة بقوله قدمته أمك فقد وقعت بها وكنت منّي وأراد الفرزدق بقوله ولكن قدمه أبي أي وقع بأمك فكنت أنت منه •• ويشبه ذلك ماروى ان الفرزدق كان ينشد شعره يوماً والناس حوله إذ مر به الكميت بن زيد الأسدى فقال له الفرزدق كيف ترى شعري قال حسنٌ بَسَنٌ فقال له الفرزدق أيسرك إني أبوك قال أما أبي فلا أريد به بدلا ولكن يسرني أن لو كنت أمي فقال الفرزدق اكتم هذه على عمك يابن أخي فما مر بي مثلها •• وقيل ان عبد الملك بن مروان ظفر برجل من بنى مخزوم زبيري الرأي فقال له لما حضر مجلسه أليس قد ردّك الله على عقبيكَ فقال الرجل أو من رُد اليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبيه فوجم عبد الملك •• وقال موسى بن عيسى بن موسي لشريك يا أبا عبد الله عزلوك عن القضاء وما رأينا قاضياً عزل فقال شريك هم الملوك يخلعون ويعزلون فعرّض بان أباه خُلعَ من ولاية العهد •• وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى ان المفضل الضبي الراوية وهب لبعض جيرانه أيام الأضحى أضحية فلما لقيه قال كيف وجدت أضحيتك قال ماوجدت لها دماً يعرض بقول الشاعر

ولوْ ذُبِحَ الضبيّ بالسيفِ لمْ تجِدْ ... منَ اللُّؤمِ للضبيِّ لحماً ولاَ دَما

••وروى عن المأمون انه قال ما أعياني جواب أحد قط مثل جواب ثلاثة • أحدهم أم الفضل بن سهل فإني عزيتها عن ابنها وقلت لئن جزعت على الفضل لأنه ولدك فها أنا ذا ابنك مكانه فقالت وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لى ولداً •• والثانى رجل حضرته يزعم انه نبي الله موسى فقلت له ان الله تعالى أخبرنا عن موسى انه يدخل يده في جيبه ويخرجها بيضاء من غير سوء فقال له متى فعل ذلك إليس بعد ان لقي فرعون

فاعمل كما عمل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى . والثالث ان جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا اليّ يشكون عاملها فقلت ارضوا بواحد أسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل وأكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب أصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت يا أمير المؤمنين هو كما ذكرت فواس بين رعيتك في العدل فصرفته عنهم .. ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي على معاوية فقال له معاوية ما فعل الطرفات يعني طريفاً وطرافاً وطرفة قال قتلوا مع عليّ بن أبي طالب فقال ما أنصفك ابن أبي طالب قدم بنيك وأخر بنيه فقال عدي بل ما أنصفته أنا أن قُتل وبقيت .. وكتب رجل الى صديق له يقترض منه شيئاً فأجابه يشكو ضيق حاله فكتب اليه إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وان كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً وان كنت معذوراً فجعلك الله ملوماً وان كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً .. وسمع الأحنف رجلا يقول ما أحلم معاوية فقال لو كان حليما ما سفّه الحق .. ووصفه رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل أغمد سيفه وفي قلبه على أحد شيء .. وقال زياد لرجل حضره أين منزلك فقال وسط البصرة قال فما لك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره في أقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل داري بين أهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشر بنين فقدمت تسعة منهم فهم لي وبقي واحد لا أدري أهو لي أم أنا له .. وقال رجل لابن سيرين إني وقعت فيك فاجعلني في حلّ فقال ما أحب ان أحلك مما حرم الله عليك .. وخطب الحجاج يوم جمعة فأطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فأمر به فحبس فجاءه أهله وشهدوا انه مجنون فقال ان أقر بالجنون أطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا أقول ان الله ابتلاني وقد عافاني .. وحدث الحسن البصري بحديث فقال رجل يا أبا سعيد عمن فقال وما تصنع بعمن أما أنت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته .. وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه يماكس في درهم فقيل له تماكس في درهم وأنت تجود بما تجود به فقال ذاك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به .. وروى ان أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامي حدث بعض الزبيريين بفضائل أهله فقال له

الزبيري أتجلب التمر الى هجر فقال له أبو العيناء نعم اذا أجدبت أرضها وعام نخلها .. وكان أبو العيناء من أحضر الناس جواباً وأجودهم بديهة وأملحهم نادرة ..وحكى عن أبي العيناء قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابي وقال لي يا محمد بلغني ان فيك شراً فقلت يا أمير المؤمنين إن يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكّى الله تعالى وذم فقال في التزكية (نعم العبدُ إنه أوّاب) وقال فى الذم (همّازٍ مشّاء بنميمٍ منّاعٍ للخير معتدٍ أثيمٍ عتلٍّ بعد ذلك زنيمٍ) فذمه الله تعالى حتى قذفه وقد قال الشاعر

إِذَا أنا بالمعرُوفِ لمْ أُثْنِ دَائباً ... ولمْ أذْمُمِ الجِبْسَ اللَّئيمَ المُذَمَّما

فَفِيمَ عرَفتُ الخيْرَ والشَّرَّ باسمهِ ... وشقَّ لِيَ اللهُ المَسامِعَ والفَما

وان كان الشر كفعل العقرب تلسع النبي والذمي بطبع لا يتميز فقد صان الله تعالى عبدك عن ذلك .. وروى انه قال له يوماً إنّي لأفرَق من لسانك فقال له ان الشريف فروقة ذو إحجام وان اللئيم ذو إمنة وإقدام .. وقال له يوماً وقد دخل عليه اشتقتك والله يا أبا العيناء فقال له ياسيدى انما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل الى مولاه فأما السيد فمتى أراد عبده دعاه .. وروى انه قال له يوماً مابقى أحد فى مجلسي إلا اغتابك وذمك عنده ماجرى ذكرك غيري فقال أبو العيناء

إِذَا رَضِيتْ عنّي كِرَامُ عَشيرَتي ... فلاَ زَالَ غَضباناً عليَّ لِئامُها

..وذكر أبو العيناء قال قال لي المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت رأيت الناس بنو دورهم في الدنيا وأمير المؤمنين جعل الدنيا فى داره .. وقال أبو العيناء قال لي المتوكل من أسخى من رأيت ومن أبخل من رأيت فقلت ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد ولا أبخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال أجئت الي من أطرحته فسخيته والى من أمسكته فبخلته فقلت يا أمير المؤمنين ان الصدق ماهو في موضع من المواضع أنفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه الى السخاء فاذا نسبت الناس

السخاء الى البرامكة فانما ذلك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد واذا نسبوا الحسن بن سهل وأخاه الفضل الى السخاء فانما ذلك سخاء أمير المؤمنين المأمون واذا نسبوا أحمد بن أبي دؤاد الى السخاء فذاك سخاء أمير المؤمنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيي الى السخاء فانما هو سخاؤك فما بال هؤلاء القوم لاينسبون الى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء قال لي صدقت وسرّي عنه •• وقال له المتوكل ما أشد عليك من ذهاب البصر فقال له فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك •• وقال له يوماً أريدك لمجلسي قال لا أطيق ذلك وما أقول هذا جهلا بمالي فى هذا المجلس من الشرف ولكن أنا رجل محجوبٌ والمحجوب تختلف اشاراته ويخفى عليه إيماؤه ويجوز على أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فقال صدقت •• وروى انه قال له لولا إنك ضريرٌ لنادمتك فقال ان أعفيتني من رؤية الأهلة وقراءة نقش الخاتم فإني أصلح •• وقال له المتوكل ماتقول فى ابن مكرم والعباس ابن رستم فقال هما الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما قال بلغني إنك تودهما فقال لقد ابتعت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة •• وقال له يوماً ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون •• وقال أبو العيناء قال لي المنصور ما أحسن الجواب فقلت ما أسكت المبطل وحيّر المحق •• وقيل لأبي العيناء ابراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم •• ورآه رزقان وهو يضاحك نصرانياً فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فقال أبو العيناء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين •• وأخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال أخبرنا أبو العيناء قال كان سبب اتصالى بأحمد بن أبي دؤاد ان قوماً من أهل البصرة عادوني وادعوا عليّ دعاوى كثيرة منها إني رافضي فاحتجت الي ان خرجت عن البصرة الى سر من رأى وألقيت نفسي على ابن أبي دؤاد وكنت نازلا فى داره أجالسه كل يوم وبلغ القوم خبرى فشخصوا نحوي الى سُر من رأى فقلت له القوم قد قدموا من البصرة يداً عليّ فقال يد الله فوق أيديهم فقلت إن لهم مكراً فقال ويمكرون ويمكر الله

والله خير الماكرين فقالت هم كثيرون قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقلت لهلله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابى

لِلّهِ دَرُّكَ أَيُّ جُنَّةِ خائفٍ ومَتاعُ دُنْيا أنتَ لِلْحَدَثانِ
مُتَخَمِّطٌ تَطأُ الرِّجالَ غُلُبَّهُ وَطْءَ الفَنيقِ دَوارِجَ القِرْدَانِ
ويَكُبُّهُمْ حتّى كأَنَّ رُؤُسَهُمْ مأمومَةٌ تنحَطُّ للغِرْبانِ
ويُفَرِّجُ البابَ الشَّديدَ رِتاجُهُ حتّى يَصيرَ كأنَّهُ بابانِ

وقال لابنه الوليد اكتب هذه الأبيات فكتبها بين يديه •• قال الصولى حفظي عن أبي العيناء الصموت الكلابي على انه رجل وقال وكيع حفظي انها للصموت الكلابية على انها امرأة •• ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأثنى عليه فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال والله ما استكثر كثيرك أيها الأمير ولا استقل قليلك قال وكيف ذاك قال لا استكثر كثيرك لانك أكثر منه ولا استقل قليلك لانه أكثر من كثير غيرك •• وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً اعذرني فاني مشغول فقال اذا فرغت لم أحتج اليك •• وقال له يوماً قد تبينت فيك الغضب يا أبا عبد الله فقال له قد أجل الله قدرك من غضبي انما يغضب الرجل على من دونه فأما على من فوقه فلا ولكن أحزنني تقصيرك فسميت حزني غضباً •• ويقال ان صاعد بن مخلد كان من أحسن من أسلم ديناً وأكثرهم صلاة وصدقة فصار الى بابه أبو العيناء مرات كثيرة بعقب اسلامه فحجب فقيل له هو مشغول في صلاته فقال أبو العيناء لكل جديد لذة •• ودخل يوماً الى أبي الصقر بن بلبل في وزراته فقال له يا أبا عبد الله ما أخرك عنا فقال سرق حماري فقال وكيف سرق قال لم أكن مع الذى سرقه فأخبر بما كان قال هلا اكتريت أو استعرت أو اشتريت قال قعد بى عن الشراء لشيي وكرهت منة العوارى وذلة المكارى فوهب له حماراً ووصله •• وأدناه أبو الصقر يوماً ورفعه فقال تدنيني حتى كأني بعضك وتبعدني حتى كأني ضدك •• وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان وقد رفعه أيضاً الى كم ترفعني ولا ترفع بي رأساً •• وقال له يوماً وقد سأله عن حاله أنا معك مغبوط الظاهر

محروم الباطن •• ويقال ان أبا عليّ البصير قال لأبي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة في أي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال أبو عليّ لذلك خرجت شحّاذاً سائلاً لأنه الوقت الذي يستثير فيه السؤّال •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثني أبو العيناء قال ما رأيت قط أحسن شاهداً عند حاجة من ابن عائشة قلت له يوماً كان أبو عمرو المخزومي يصلك ثم جفاك فقال

فإِنْ تَنأَ عنَّا لاَ تَضِرْنا وإِنْ تَعُدْ ... تجدْنا علي العهدِ الذي كُنتَ تَعلمُ

وقال والله لا أدرى لمن هذا البيت فقلت ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال

تَصَرَّمَ مِنّي وُدُّ بَكرِ بنِ وائلٍ ... وماخلتُ دَهري وُدَّهُمْ يتَصَرَّمُ

قَوَارِضُ تأْتيني فيَحتقِرُونها ... وقدْ يَملأُ القطرُ الإِناءَ فيفعَمُ

وقد كان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء العجلي يجيبه

لقدْ بوَّأَتكَ الدَّارَ بَكرُ بنُ وائلٍ ... ورَدَّتْ لكَ الأَحشاءَ إِذْ أنتَ مُجرِمُ

لَيالِي تَمَنّى أنْ تكونَ حَمامةً ... بمكَّةَ يَغشاها السِّتا والمُحَرَّمُ

فإِنْ تنأَ عنَّا لاَ تَضِرْنا وإِنْ تَعُدْ ... تَجِدْنا علي العهدِ الذي كُنتَ تَعلَمُ

فقال ابن عائشة أنت والله يابني ممن ستصدق في العلم مخائله وتكثر عليه دلائله •• وقال أبو العيناء يوماً لأبي الصقر بن بلبل وهو زائر أنت والله تقرب منّا اذا احتجنا اليك وتبعد منّا اذا احتجت الينا •• [قال المرتضي] رضي الله عنه وهذا يشبه قول ابراهيم بن العباس الصولي

ولكنَّ الجَوَادَ أَبا هِشامٍ ... وَفيُّ العَهدِ مأْمونَ المَغيبِ

بَطيٌّ عَنكَ ما استَغنَيتَ عَنهُ ... وطلاَّعٌ عليكَ مَعَ الخُطوبِ

ولعله مأخوذ منه فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتمعا في زمان واحد في بعض الأوقات فان أبا العيناء بقي بعد ابراهيم زماناً طويلا لأن ابراهيم توفي في سنة ثلاث وأربعين

ومائتين وأبا العيناء سنة اثنين أو ثلاث وثمانين ومائتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله لأبي الصقر في وزارته وكانت بعد وفات ابراهيم بن العباس الصولي بزمان طويل ..
ويشبه بيتا ابراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر

وليسَ أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذي ... يذمُّكَ إنْ وَلَّى ويُرْضيكَ مُقْبِلاَ
ولكنَّهُ النائي اذا كُنتَ آمِناً ... وصاحبكَ الأَدْنى اذا الأمرُ أَعْضَلاَ

ولابراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضاً وهو

أسَدٌ ضارٍ اذا هَيَّجتَهُ ... وأبٌ بَرٌّ اذا ما قَدِرا
يَعلَمُ الأَبْعَدُ إنْ أَثْرَى ولاَ ... يَعلمُ الأَدْنى إِذا ما افتقَرا

ويشبه أن يكون هذا مأخوذاً من قول الفقعسي

إِذَا افتقَرَ المَرَّارُ لمْ يُرَ فقرُهُ ... وإِنْ أَيسرَ المَرَّارُ أَيسرَ صاحبُه

ومما يشبه قول أبى العيناء بعينه قول ابراهيم بن العباس أيضاً

فتىً غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صَدِيقهِ ... ولاَ مُظهِرِ البَلوَى إِذَا النَّعلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتي من حيثُ يَخفَى مكانُها ... فكانتْ قَذَى عينَيهِ حتَّى تَجَلَّتِ

.. وقال المتنخل الهذلي

أبو مالكٍ قاصرٌ فقرَهُ ... علي نفسهِ ومُشيعٌ غِناهُ

وهذا البيت الذى رويناه للهذلى من جملة أبيات يرثي بها المتنخل أباه وقيل يرثى أخاه

لَعَمرُكَ ما إِنْ أبو مالكٍ ... بِوَانٍ ولاَ بِضَعيفٍ قُوَاهُ[1]

---

(١) قوله ما إن أبو مالك يورده النحويون على ان الباء تزاد بعد ما النافية المكفوفة بان اتفاقاً وهذا يدل على انه لا اختصاص لزيادة الباء فى خبر ما الحجازية ..وقوله لعمرك ما إن أبو مالك الخ اللام لام الابتداء وفائدتها توكيد مضمون الجملة وعمرك بالفتح بمعني حياتك مبتدأ خبره محذوف أي قسمي وجملة ما إن أبو مالك جواب القسم ..وأبو مالك

ولاَ بأَلَدَّ لهُ نازِعٌ يُغازِي أخاهُ إِذَا مانَهاه

فمعنى ـ نازع ـ أى خلق سوء ـ ويغازي ـ أى يلاحي ويشارُّ

ولـكِنهُ هيِنٌ لَيِنٌ كعاليةِ الرُّمْحِ عَرْدُ نَساه (١)

ـ العرد ـ الشديد يقال وترٌ عردٌ وعرندٌ بالنون أي شديد ـ والنَّسا ـ عرق معروف

اذَاسُدْتَهُ سُدْتَ مِطْواعةً ومهْما وَكَلْتَ اليهِ كَفَاه

معني ـ سدته ـ من المساودة التى هي المسارة والسواد هو السرار أيضاً كأنه قال اذا سارته طاوعك وساعدك .. وقال قوم انه من السيادة فكأنه قال اذا كنت فوقه سيداً له أطاعك ولم يحسدك وان وكلت اليه شيئاً كفاك وقوم ينشدونه اذا سسته سست مطواعة

هو أبو الشاعر واسمه عويمر لأن المتنخل اسمه مالك بن عويمر ولم يصب ابن قتيبة فى كتاب الشعراء فى زعمه انه يرثى أخاه أبا مالك عويمرا ـ ووان ـ اسم فاعل من وني ونياً ونيا من باكي تعب ووعد بمعنى ضعف وفتر وروى بدله واه وهو أيضاً اسم فاعل من وهي من باب وعد بمعنى ضعف وسقط ـ والقوى ـ جمع قوة خلاف الضعف .. قال فى الصحاح ورجل شديد القوى أي شديد أسر الخلق يريد ان أباه كان جلداً شهماً لايكل أمره الى أحد ولا يؤخره لعجزه الي وقت آخر

(١) قوله كعالية الرمح الخ ـ عالية الرمح ـ ما دخل فى السنان الي ثلثه .. ومعنى كونه ليناً كعالية الرمح انه اذا دعي أجاب بسرعة كعالية الرمح فانه اذا هز الرمح اضطرب واهتز للينه بخلافه من الأخشاب فانه لا يتحرك طرفها اذا هزت لصلابتها ويبسها .. وقوله عرد نساه ـ العرد ـ بفتح العين وسكون الراء المهملتين الشديد والضمير لأبى مالك ـ والنسا ـ .. قال الأصمعي بالفتح مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر فاذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النّسا بينهما واستبان واذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفي النّسا واذا قالوا انه لشديد النّسا فانما يراد به النّسا نفسه .. وقال السكري أراد غليظ موضع النّسا

ولم أجد ذلك في رواية [1]

ألاَ مَنْ يُنادِي أباما لِكٍ　　أفي أمرِ نا هُوَ أمْ في سِوَاه

أبو ما لِكٍ قاصِرٌ فقْرَهُ　　علي نفسهِ ومُشيعٌ غِنَاه

مجلس آخر ٢٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (سأصرفُ عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كلَّ آيةٍ لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وان يرواسبيل الغي يتخذوه سبيلاً) الى غافلين .. فقال ماالجواب عن هذه الآية على ما يطابق العدل فان ظاهرها كأنه مخالف .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتدأناه فيها ومنها ما سبقنا به فحررناه واخترنا فيه من المطاعن وأجبنا عمّا لعله يعترض فيه من الشبهة . أولها أن يكون عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر فى الآيات وعن العز والكرامة الذين يستحقهما من أدى الواجب عليه في آيات الله وأدلته وتمسك بها والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات

---

(١) قوله ولم أجد ذلك فى رواية قلت هذه الرواية التى لم يرها المؤلف أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة فى مختار أشعار القبائل ــ وسسته ــ من سست الرعية سياسة ــ والمطواع ــ الكثير الطوع أى الانقياد والتاء لتأكيد المبالغة وعلى هذا التفسير اقتصر السكري وهذا البيت يروى للمتنخل كما تقدم ورواه فى مختار أشعار القبائل لذى الأصبع العدوانى مع بيتين آخرين وهما

وما إن أسيد أبو مالك　　بوان ولا بضعيف قواه

ولكنه هينٌ لينٌ　　كعالية الرمح عرد نساه

فان سسته سست مطواعة　　ومهما وكلت اليه كفاه

ــ وأسيد ــ بفتح الهمزة وكسر السين المهملة

الأنبياء خاصة وهذا التأويل يطابق الظاهر لأنه تعالى قال (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) فبين ان صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلاّ بما ذكرناه .. وثانيها انه أراد أن يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة لما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما يظهر هذا الضرب من المعجزات اذا علم أنه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات واذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لايؤمنون عنها ويكون الصرف على أحد وجهين إمّا بأن لايظهرها جملة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم .. فاذا قيل وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها .. قلنا الفرق بينهما ان المعجز الأول يجب اظهاره لإزالة العلة في التكليف ولانا به نعلم صدق الرسول المؤدّي الينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فاذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والالطاف لنزاح العلة وكان لاسبيل الى معرفتها على الوجه الذي يكون عليه لطفاً إلاّ من قبل الرسول وكان لاسبيل الى العلم بكونه رسولاً إلاّ من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع واظهار المعجز على يده لتعلق هذه الأمور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين أن يعلم ان المبعوث اليهم الرسول أو بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين أن لا يعلم ذلك في وجوب البعثة وما يجب بوجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين ان يقع عنده الايمان أو لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهره من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها لانه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في اظهارها فائدة وكانت عبثاً فافترق الأمران .. فان قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) ومعلومٌ أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقاً بذلك .. قلنا يمكن أن يكون قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) لم يرد به تعليل قوله تعالى سأصرف بل يكون كالتعليل لما هو أقرب اليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى (وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً) لأن من كذب بآيات الله وعدل عن تأملها والاهتداء

بنورها ركب الغي واتخذه سبيلاً وحاد عن الرشد وضل ضلالاً بعيداً ورجوع لفظة ذلك الي ما ذكرناه أشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله سأصرف لان رجوع اللفظ فى اللغة الى أقرب المذكورين اليه أولى •• ويمكن أن يكون قوله تعالى كذبوا بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب لما كان معلوماً منهم لو أظهرت لهم الآيات جعل كأنه قال ذلك بانه متي أظهرنا لهم آياتنا كذبوا ويجرى ما ذكرناه أولا مجرى قوله تعالى (ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة) فى انه بلفظ الماضى والمعنى الاستقبال •• وثالثها أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوتيها من هذه صفته واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظتين تفيد معنىً واحداً •• وليس لأحد أن يقول هل لا قال سأصرف آياتى عن الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات التى تختص بها الأنبياء •• فان قيل فأي فائدة فى قوله على سبيل التعليل ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وأي معني لتخصيصه الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وهل لاتؤتى الآيات والمعجزات إلاّ الأنبياء دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر •• قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لأن من كذب بآيات الله لا يؤتي معجزاته لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غير مكذب ويمنع من اتيانه الآيات علة أخرى والتكبر والبغي بغير الحق مانع من إتيان الآيات وان منع غيره ويجري هذا مجرى قول القائل أنا لاأود فلاناً لغدره ولا يلزم اذا لم يكن غادراً أن يودّه لانه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على ما يجري مجرى السبب وأن يكون بعض الجهال اعتقد في ذلك الوقت جواز ظهور المعجزات على يد الكفار فأكذبهم الله تعالى بذلك •• ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التى يجعلها الله تعالى فى قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحدٍ منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تأول أهل الحق الطبع والختم الذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن ويكون سأصرف عنها أى أعدل بها عنهم وأخص بها المؤمنين المصدقين بآياتى وأنبيائى وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا

عنها غافلين) فيكون صرفهم عن هذه الآيات كالمستحسن لتكذيبهم واعراضهم عن آياته تعالى •• وخامسها أن يريد تعالى إني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها لان من الواجب على الله تعالى أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه ينقض الغرض في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فتكون الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التي يحملها الرسل والصرف وان كان متعلقاً في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها مما هو يتعلق بها فاذا ساغ أن يعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن يعلقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحجة بها وعلى هذا التأويل لا يجمل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) راجعاً الى ما صرف بل يرد الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) على ما بيناه في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية •• وسادسها أن يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن شيء فجائز أن يقول صرفه عنه كما يقال أكفره وكذبه وفسقه وكما قال عز من قائل (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) أي شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وهذا التأويل يطابقه قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) لان الحكم عليهم بما ذكرنا من التسمية يوجب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله واعراضهم عنها •• وسابعها انه تعالى علم ان الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سيصرفون عن النظر في آياته والايمان بها اذا أظهرها على أيدي رسله جاز أن يقول سأصرف عن آياتي فيريد سأظهر ما ينصرفون بغير اختيارهم عنه ويجرى ذلك مجرى قولهم سأبخل فلاناً وأخطئه أي أسأله ما يبخل ببذله وأمتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى إني أفعل فيه البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه جائز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى وجائز أن تكون جميع الأدلة ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) غير راجع الى قوله تعالى سأصرف بل الى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة •• وثامنها أن يكون الصرف ههنا معناه المنع من إبطال الآيات والحجج

والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلة وحججاً فيكون تقدير الكلام إني بما أؤيد من حججي وأحكمه من آياتي وبيناتي صارف للمكذبين المبطلين عن القدح في الآيات والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هذا الإحكام والتأييد يعترضونه ويغتنمونه من تمويههم الحق ولبسه بالباطل ويجري هذا مجرى قول أحدنا قد منع فلاناً أعداءه بأفعاله الكريمة وطرائقه الممدوحة وأخلاقه المهذبة وصرفهم عن ذمه وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى الذي ذكرناه •• فان قيل أليس في المبطلين من طعن على آيات الله وأورد الشبهة فيها مع ذلك ••قلنا لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر وانما أراد ما قدمناه وقد يكون الشيء في نفسه مطعوناً عليه وان لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون بريًّا من الطعن وان طعن فيه بما لم يؤثر فيه ألا ترى ان قولهم فلان قد أخرس أعداءه من ذمه وليس يراد بهانه منعهم عن التلفظ بالذم وانما المعنى انه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالا ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا يرجع الي ما قبله فلا فصل ولا يرجع الى قوله سأصرف ••وتاسعها ان الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمته إهلاك عدوهم قال (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) وأراد عز وجل أن يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته وبشر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى اذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفات أهله وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه ان العقوبة لا تكون إلاّ مضادة للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لا بد أن يكون مقترنا بالتبجيل والتعظيم وإماتة الله تعالى للأمم وما يفعله من بوارٍ واهلاك لا يقرن اليه مالا بد أن يكون مقترناً الى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن أن يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع أن يضم الله الى ما يفعله بهؤلاء الكفار المتجبرين من الاهلاك اللعن والذم والاستخفاف ويأمرنا باهلاكهم

وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ويضيف الله تعالى ذلك اليـه من حيث وقع بأمره وعن أذنه •• فان قيل ما معنى قوله تعالى (يتكبرون فى الأرض بغير الحق) كأن فى التكبر مايكون بالحق •• قلنا فى هذا وجهان• أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان على أن الكبر لايكون إلاّ بغير الحق وان هذه صفة له لازمة غير مفارقة ويجرى ذلك مجري قوله تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به) وقوله تعالي (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق) ولم يرد تعالى الا المعنى الذى ذكرناه ومثله قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً) ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير بل أراد به تأكيد القول بان كل ثمن يؤخـذ عنها يكون قليلا بالاضافة اليها ويكون المتعوض عنها مغبوناً مبخوساً خاسر الصفقة •والوجه الآخر ان في التكبر مايكون ممدوحاً بان من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد عن فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح سالكا لطريق الحق والتكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله اليـه وأرشد الى الثواب المستحق عليه ويستحق بذلك الذم والمقت ولهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق فى قوله تعالى في هذه السورة (قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق) يحتمل أيضاً هذين الوجهين الذين ذكرناهما فان أريد به البغي المكروه الذى هو الظلم وما أشبهه كان قوله بغير الحق تأكيداً وإخباراً عن انه بهذه صفته وان أريد بالبغي الطلب وذلك أصـل فى اللغة كان الشرط فى موضعه لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق •• فان قيل فما معني قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) وهل الرؤية ههنا العلم والادراك بالبصر وهب انها يمكن أن تكون فى قوله تعالى (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) محمولة على رؤية البصر لان الآيات والأدلة مما تشاهد كيف نحمل الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشـد انما هي طريقه ولا يصح أن يرجع بها الى المذاهب والاعتقادات التى لايجوز عليها رؤية البصر فلا بد اذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشد

لا يجوز أن ينصرف عنـه الى طريق الغي لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك ‥ قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه ٠ أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل المذكور في الآية هي الأدلة والآيات لانها ممـا يدركه البصر ويسـمي سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هو الشبهات والمخاريق التى ينصبها المبطلون والمدغلون فى الدين فيوقعوا بها الشبهة على أهـل الايمان وتسمي بانها سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واغتر بأهلها انه يصـير الى الغي ٠ والوجه الثانى أن يكون المراد بالرؤية العلم إلاّ أن العلم لا يتناول كونها سبيلا للرشـد وكونها سبيلا للغي بل يتناولها لا من هـذا الوجه ألا ترى ان كثيراً من المبطلين يعلمون مذاهب أهـل الحق واعتقاداتهم وحججهم إلاّ أنهم يجهلون كونها صحيحة مفضية الىالحق فيتجنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهـم الباطلة إلاّ أنهـم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون صحتها بالشـبه فيصيرون اليها وعلى هـذا الوجه لا يجب أن يكون الله تعالى وصفهم بالغي وترك الحق مع العلم به ٠ والوجه الثالث أن يكونوا عالمين بسبيل الرشد والغي ومميزين بينهما إلاّ أنهم للميل الى أعراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشـبهات يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما أخـبر الله سبحانه عن كثير من أهل الكتاب لانهم يجحدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه ‥ فان قيل فما معنى قوله تعالى (ذلك بأنهـم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) والتكذيب لا يكون فى الحقيقة الاّ فى الأخبار دون غـيرها ‥ قلنا التكذيب قد يطلق على الأخبار وغـيرها ألا ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا وكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصـدق بكذا وكذا اذا كان يعتقد صحتـه ولو صرفنا التكذيب ههنا الي أخبار الله تعالى التى تضمنتها كتبه الواردة على أيدى رسله جاز فتكون الآيات ههنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات ‥ فان قيل فما معنى ذمه تعالى (ذلك بأنهم كانوا عن آياتنا غافلين) والغفلة على مذهبكم من فعله لانها السـهو وما جرى مجراه مما ينافى العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك ‥ قلنا المراد ههنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة

ووجه التشبيه انهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها أشبهت حالهم حال من كان ساهياً غافلا عنها فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى (صمٌّ بكمٌ عميٌ) على هذا المعنى ولهذا يقول الانسان لمن يستبطئه ويصفه بالاعراض عن التأمل والتبين أنت ميت وراقد لا تبصر ولا تسمع وما أشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله وكرمه واحسانه

﴿ تم الجزء الأول ولله الحمد من كتاب أمالي السيد المرتضي ﴾

﴿ ويليه الجزء الثانى وأوله تأويل خبر ان سأل سائل الخ .. ﴾

(والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

فهرس الجزء الثاني من أمالي السيد المرتضى

صحيفه

صحيفه

﴿ تم الفهرس ﴾

﴿ الجزء الثاني من كتاب ﴾

امالي السيد المرتضى

﴿ الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفي سنة ٤٣٦ رضي الله عنه ﴾

﴿ في التفسير والحديث والادب ﴾

﴿ الطبعة الاولى ﴾

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي)

(مطبعة السعاده بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسمعيل)



[تأويل خبر] •• ان سأل سائل عن الخبر المروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك •• وعما يرويه أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن قلب آدمي إلاّ وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى فاذا شاء أن يثبته ثبته وان شاء أن يقلبه قلبه •• وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأُم سلمة زوج النبي صلي الله عليه وسلم ماكان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقالت قلت يارسول الله ماأكثر دعائك يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا أُم سلمة مامن آدمي إلاّ وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عزوجل ماشاء أقام وما شاء أزاغ •• فقال ماتأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه أو ليس من مذهبكم ان الأخبار التي يخالف ظاهرها الاصول ولاتطابق العقول لايجب ردها والقطع على كذب راويها إلاّ بعد أن لا يكون لها فى اللغة مخرجٌ ولا تأويل وان كان لها ذلك فباستكراهٍ أو تعسف ولسنا ممن يقول ذلك في مثل هذه الأخبار فما تأويلها •• الجواب ان الذى يعوّل عليه من تكلم فى تأويل هذه الأخبار هو أن يقول ان الأصبع فى كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وإبله أصبع حسنة أي قيام وأثر حسن •• قال الراعى يصف راعياً حسن القيام على إبله

ضَعِيفُ العَصَا بادِي العُرُوقِ تَرَى لهُ عليها إذَا ما أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعا

•• وقال طفيل الغنوي يصف خيلاً

كُمَيتٍ كَرُكْنِ البابِ أَحْيَى بَنَاتِهِ ... مَقالِيتَها فاستحشمتهن إصبعُ

•• وقال لبيد بن ربيعة

مَنْ يَبسُطِ اللهُ عليهِ إِصبَعا ... بالخيرِ والشرِّ بأيِّ أُولِعا[١]

يَمـلأُ لهُ منهُ ذَنوباً مُترَعا

•• وقال حميد بن ثور

أَغَرُّ كلونِ البَدرِ في كلِّ مَنكِبٍ ... مِنَ النَّاس نُعمى تحتذيها وإصبعُ

•• وقال آخر

وأَرْزَنَاتٍ لَيسَ فيهِنَّ أَبَنْ ... ذُو إِصبَعٍ في مَسِّها وذو فِطَنْ

•• وقال آخر

أَكرِمْ نِزاراً واسقِهِ المُشَمْشَعا ... فإنَّ فيهِ خَصلاتٍ أَربَعا

حَدًّا وجُودًا ونَدىً وأُصبَعا

والأصبع فى كل ما أوردناه المراد بها الأثر الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من آدمي إلاّ وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين •• فان قيل هـذا قد ذكرتما حكيتم إلا انه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التثنية هنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى •• قلنا يحتمل أن يكون الوجه فى ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لانهما كالجنسين أو كالنوعين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بان عرفهم بأدلته وبراهينه ما أنعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء فى النعيم الطويل •• ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالأصبع هو من حيث يشار اليـه

---

(١) أنشده في اللسان فى مادة ص ب ع

من يجعل الله عليه إصبعا ... في الخير أو في الشر يلقاه معا

بالأصبع اعجاباً به وتنبيهاً عليه وهذه عادتهم فى تسمية الشئ بما يقع عنده وبما له به علقة وقد قال قوم فى بيتى طفيل والراعي أنهما أرادا أن يقولا يداً في مكان الأصبع لان اليد النعمة فلم يمكنهما فعدلا عن اليد الى الأصبع لانها من اليد وفى الأصبع التى هي الجارحة ثمان لغات • أصبَع بفتح الألف والباء • وأصبِع بفتح الألف وكسر الباء وأُصبُع بضم الألف والباء • وأُصبَع بضم الألف وفتح الباء • وأُصبوع بضم الألف مع الواو • وإصبع بكسر الألف والباء • وإصبَع بكسر الألف وفتح الباء • وإصبُع بكسر الألف وضم الباء •• وفي هذه الأخبار وجه آخر وهو أوضح مما ذكر وأشبه بمذاهب العرب في ملاحن كلامها وتصرف كناياتها وهو أن يكون المعنى فى ذكر الأصابع الإخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها والفعل فيها عليه جلّت عظمته ودخول ذلك تحت قدرته ألا ترى انهم يقولون هذا الشئ فى خنصري وأصبعي وفى يدى وقبضتى كل ذلك اذا أرادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة فيه والمؤنة وعلى هذا المعنى يتأول المحققون قوله تعالى ﴿ والأرضُ جميعاً قبضَتُهُ يومَ القيامةِ والسمواتُ مطويّاتٌ بيمينه ﴾ فكأنه صلى الله عليه وسلم لما أراد المبالغة فى وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة وان كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه فقال انها بين أصبعين من أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ الطويل وجرياً على مذهب العرب فى إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب أن يكون مقدماً على الوجه الأول ومعتمداً عليه لانه واضح جلي •• ويمكن أن يكون[1] فى الخبر وجه آخر على تسليم مايقترحه المخالفون من ان الأصبعين هما المخلوقتان من اللحم

---

(١) لا يخفى ان هذه الأجوبة لا مدخلية لها فى السؤال ولو كانت فليس ذلك محلا له لان البحث والسؤال ومحلهما في معنى تصريفها كيف شاء واذا شاء أن يثبته ثبته وان شاء أن يقلبه قلبه وما شاء أقام وما شاء أزاغ وأمثالها في أمثال معنى هذا الحديث الشريف مما هو صريح فى الجبر ورفع التكليف فان هذا هو الداء المضال وموضع انفصام المقول العقال لا في معنى الأصبع وجواز قراءة الأصبوع مما لا يسمن ولا يغنى من جوع اه من هامش الأصل

والدم استظهاراً في الحبة واقامة لها على كل وجه وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب
يشتمل عليه جسمان على شكل الأصبعين يحركه الله تعالى بهما ويقلبه بالفعل فيهما
ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله
تعالى وان كانت جميع أفعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة لانه لا يقدر على الفعل فيهما
وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى فقيل انهما أصبعان له من حيث اختص
بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره إنما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب
من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفرداً مما يجاوره غيره
تعالى فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم ان الأصابع
هنا اذا كانت لحماً ودماً فهي جوارح لله تعالى وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد •• وعلى
المتأول أن يورد كلما يحتمله الكلام مما لا تدفعه حجة وان ترتب بعضه على بعض في القوة
والوضوح ونحن نعود الى تفسير ما لعله أن يشتبه من الأبيات التي استشهدنا بها •• أما
قوله — حمداً وجوداً وندى وأصبعاً — فمعنى الحمد المضاء والنفاذ وقول الآخر
— وأورثات ليس فيهن أبن — فالأورثات العصى والأبن العقد •• فأما قول حميد بن ثور
— في كل منكب من الناس — فالمنكب الجماعة والمنكب الناحية •• وأما معنى أبيات لبيد فانه
أراد من يتق الله يأته خيراً أو يصرف عنه شراً فعل ذلك به وأسبغ له حتى ينتهي منتهاه
•• فأما بيت طفيل الغنوي فمعناه ان هذا الفحل الذي وصفه بانه كميت وانه كركن الباب
لتمامه وشدته لما ضرب في الابل التي وصفها عاشت أولادها التي هي بناته بعد ان كن
مقاليت والمقلاة التي لا يعيش لها ولد فكان هذا منه أثراً جميلا عليها •• فأما بيت الراعي
فمعنى قوله — ضعيف العصا — يريد انه قليل الضرب لها لانه لا يحوجنه سداداً وتأوداً
أو اشفقته عليهن وهذه كناية في نهاية الحسن واختصار شديد لانه قد يجوز أن يكون
ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها في الضرب فيختارها قوية
ويجوز أن يكون حذف وأراد ضعيف فعل العصا •• وقوله — بادي العروق — يعني عروق
رجله لفسادها من السعي في أثر هذه الابل وأراد — بالأصبع — ان له عليها في جدب
الناس أثراً جميلا لحسن قيامه وتعهده •• وقد قيل انه انما سمي الراعي لبيت قاله في

هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الذى أنشدناه وهو

لها أمرُها حتّى إذَا ماتبوَّأَتْ ... بأَخفافِها مأْوىً تَبَوَّأَ مَضْجَعا

هذا قول الأصمعى .. وقال السكري سمى بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضاً

هِدَانٌ أخو وَطْبٍ وصاحِبُ عِلْبَةٍ ... يَرَى المَجْدَ أَنْ يَلْقيَ جِلاءً ومَرْتَعا

وروى عن بعض بني نمير انه قال انما سمي بذلك لقوله

تَبيتُ مَرَافِقُهُنَّ فوْقَ مَزَلَّةٍ ... لاَ يَسْتَطِيعُ بها القُرَادُ مَقيلا

فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت والله ماهو إلاّ راعي إبل فبقيت عليه .. وقال محمد بن سلام انما سمى الراعي لكثرة وصفه الابل وحسن نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل وكنيته أبو جندل وقيل أبو نوح

مجلس آخر ٢٣

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ ما المراد بالنفس فى هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أو يخالفه أو يطابق معنى الآيتين والمراد بالنفس فيها مارواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عزوجل اذا أحب العبد لقائى أحببت لقاءه واذا ذكرني في نفسه ذكرته فى نفسي واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته في ملأ خير منه واذا تقرب اليّ شبراً تقربت اليه ذراعاً واذا تقرب اليّ ذراعاً تقربت اليه باعاً أو لا يطابقه .. الجواب قلنا ان النفس فى اللغة لها معان مختلفة ووجوه فى التصرف متباينة .. فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التى اذا فقدها خرج عن كونه حياً ومنه قوله تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ .. والنفس ذات الشيء الذى يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله .. والنفس الأنفة من قولهم ليس لفلان نفس أي لا أنفة له .. والنفس الارادة من قولهم نفس فلان في كذا أي ارادته .. قال الشاعر

فنفساي نفسٌ قالت أنت ابن بجدل   تجد فرجاً من كل غمٍّ تهابها
ونفسٌ تقول أجهد نجاك فلا تكن   كخاضبةٍ لم يغن شيئاً خضابها

ومنه ان رجلا قال للحسن البصري يا أبا سعيد لم أحجج قط فنفس تقول لي حج ونفس تقول لي تزوّج فقال الحسن أما النفس فواحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول تزوّج وأمره بالحج •• وقال الممزق العبدى ويروى لمعقر بن حمار البارقى

ألا من لعينٍ قد نآها حميمها   وأرّقني بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها   فنفسٌ تعزّيها ونفسٌ تلومها

•• وقال النمر بن تولب العكلي

أمّا خليلي فإني لست معجلهُ   حتي يؤامر نفسيهِ كما زعما
نفسٌ لهُ من نفوس القوم صالحةٌ   تعطي الجزيل ونفسٌ ترضع الغنما

أراد انه بين نفسين نفس تأمره بالجود وأخرى تأمره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لان البخيل يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهتدي اليه ومنه قيل لئيم راضع •• وقال كثير

فأصبحت ذا نفسين نفسٍ مريضةٍ   من الناس ما ينفكُّ همٌّ يعودُها
ونفسٍ ترجّي وصلها بعد صرمها   تجمّلُ كي يزداد غيظاً حسودُها

•• والنفس العين التي تصيب الانسان يقال أصابت فلاناً نفس أي عين •• وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي فيقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك وداء هو فيك من كل عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد •• وقال ابن الاعرابي النفوس التي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان والله حسوداً نفوساً كذوباً

•• وقال عبيد الله بن قيس الرقيات وهو قرشي

يتقي أهلها النفوس عليها   فعلى نحرها الرقى والتميم

•• وقال مضرس الفقعسي

وإذا نموا صعدا فليس عليهم ... منا الخيال ولا نفوس الحسد

•• وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

فأسلم سلمت من المكاره والردي ... وعثارها ووقيت نفس الحسد

••والنفس أيضاً من الدباغ بمقدار الدبغة يقول اعطني نفساً من دباغ أي قدر ما أدبغ به مرة•• والنفس الغيب يقول القائل إني لا أعلم نفس فلان أي غيبه وعلى هذا تأويل قوله تعالى ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ أي تعلم غيبي وما عندي ولا أعلم غيبك ••وقيل ان النفس أيضاً العقوبة من قولهم أحذرك نفسي أي عقوبتي وبعض المفسرين يحمل قوله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ على هذا المعنى كأنه يحذركم عقوبته •• وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرين قالوا معنى الآية ويحذركم الله إياه •• وقدروى عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ ماذكرناه من التأويل بعينه •• فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع أن يكون الوجه في ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد في ستره منزلتها وسمي باسمها فقيل فيه انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وانما حسن أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه عليه الصلاة والسلام ولا أعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعالى ﴿ تعلم ما في نفسي ﴾ ليزدوج الكلام وهذا لا يحسن ابتداء أن يقول أنا لا أعلم ما في نفس الله تعالى وان حسن على الوجه الأول وهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة •• فأما الخبر الذي يرويه السائل فتأويله ظاهر وهو خارج على مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه ان من ذكرني في نفسه جازيته على ذكره لي واذا تقرب الي شبراً جازيته على تقربه الي وكذلك الخبر الى آخره فسمى المجازاة على الشيء باسمه اتساعاً كما قال تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها • ويمكرون ويمكر الله • الله يستهزئ بهم ﴾•• وكما قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ونظائر هذا كثير في كلام العرب ولما أراد تعالى المبالغة في وصف مايفعله به من الثواب والمجازاة على تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال باعاً وذراعاً اشارة الى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها

مجلس آخر ٢٤

[تأويل آية] •• ان سأل سائل فقال ماتأويل قوله تعالى (إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوبُ الحناجر وتظنون بالله الظنونا) وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن أى شئ زاغت الأبصار وبأي شيء تعلقت ظنونهم بالله تعالى •• الجواب قيل له في هذه الآية وجوه •• منها أن يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم وخافوا من بوائقهم وبوادرهم ومن شأن الجبان عند العرب اذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره أى رئته وليس يمتنع أن تكون الرئة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الي نحو الحنجرة وهذا التأويل قد ذكره الفرّاء وغيره ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس •• ومنها قيل ان القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع •• قال الشاعر

كأَنَّ قُلوبَ أَدِلاَّئِها ... مُعلقةٌ بقُرُونِ الظِّباءِ

•• وقال امرؤ القيس

ولاَ مِثْلَ يوْمٍ في قَدَارَانَ ظَلْتُهُ ... كأَنى وأَصحَابي علي قَرْنِ أعفَرَا

ويروى فى قدار ظللته أراد المبالغة فى وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وانما خص الظبي لأن قرنه أكثر تحركا ونشاطاً واضطراباً لنشاطه ومرحه وسرعته •• وقد قال بعض الناس ان امرأ القيس لم يصف شدة اصابته فى

هـذا البيت فيليق قوله على قرنِ أعفرا بالتأويل المذكور بل وصف أماكن كان فيها مسروراً متنعماً ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت بلا فصل

أَلَا رُبَّ يومٍ صالحٍ قد شهدْتهُ ... بناذقِ ذاتِ التلِّ من فوقِ طرْطرا

فيكون معنى قوله على قرن أعفرا على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي وهـذا القول لابن الاعرابي والأول للأصمعي •• فأما قول الآخر

ألاَ قلَّ خيرُ الشأنِ كيفَ تغيّرا ... فأَصبحَ يَرْمي النَّاسَ عن قرْنِ أعفرَا

فلا يشتمل الا الشدة والحال المذموم ويجوز أن يريد ان الناس فيه غير مطمئنين بل هم منزعجون قلقون كأنهم على قرن ظبي ويحتمل انه يعلمهم بقرن ظبي كقولك رماه بداهية ويكون معنى عن ههنا معنى الباء فقال عن قرن أعفرا وهو يريد بقرن أعفرا وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معاً فيكون معنى الآية على هـذا التأويل ان القلوب لما اتصل وجيبها واضطربت بلغت الحناجر لشدة القلق •• ومنها أن يكون المعنى كادت القلوب من شدّة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في الحقيقة فألقى ذكر كادت لوضوح الأمر فيها ولفظة كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الحطيم

أتعرفُ رَسماً كالطّرازِ المُذَهَّبِ ... لعَمْرَةَ وَحْشاً غيرَ موقفِ راكبِ

دِيارَ التي كادتْ ونحنُ على منىً ... تَحلُّ بنا لولاَ نجاءُ الرّكائبِ

معناه قاربت أن تحل بنا وان لم تحلل في الحقيقة •• وقوله ـ غير موقف راكب ـ فيه وجهان أحدها انه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته والآخر أن يكون انه أراد وحش إلاّ أن راكباً وقف به يعني نفسه •• وقال نصيب

وقدْ كِدتُ يومَ الحزنِ لما ترنّمتْ ... هتوفُ الضُّحى محزونةً بالترنُّمِ

أموتُ لمبكاها أسىً إنَّ لوعتي ... ووجدي بسعدَى شجوهُ غيرُ منجمِ

معنى ـ المنجم ـ المقلع •• وقال ذو الرمة

وَقَفْتُ علي رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقتي فمازلتُ أبكي عِنْدَهُ وأخاطبُهْ
وأسقيهِ حتى كادَ مِمَّا أبثُّهُ تُكَلِّمُني أحجارُهُ وملاعبُهْ

وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة وقد أدخلت العرب على كاد جحداً فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان أجودهما قام عبد الله بعد ابطاء ولأي ومثله قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أي بعد ابطاء وتأخر لأن وجد ان البقرة عسر عليهم .. وروى انهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها فاشتروها من وليّه بملء جلدها ذهباً فقال تعالى (وما كادوا يفعلون) إما لأنهم لم يقفوا عليها أو لغلائها وكثرة ثمنها .. والوجه الآخر فى قولهم مايكاد عبد الله يقوم أى ما يقوم عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة لاحكم لها وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى (إذا أخرج يده لم يكد يراها) أى لم يرها أصلاً لانه عز وجل لما قال (أو كظلمات فى بحر لجىٍّ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ظلماتٌ بعضها فوق بعض) كان بعض هذه الظلمات يحول بين العيون وبين النظر الى اليد وسائر المناظر فيكد على هذا التأويل زيدت للتوكيد والمعنى اذا أخرج يده لم يرها .. وقال قوم معنى الآية اذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر لتكاثف الظلمة وترادف الموانع من الرؤية فيكد على هذا الجواب ليست بزائدة .. وقال آخرون معنى الآية اذا أخرج يده لم يرد أن يراها لان ماشاهده من تكاثف الظلمات آيسه من تأمل يده وقرر فى نفسه انه لا يدركها ببصره .. وحكى عن العرب أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم أي أريد أن أنزل عليهم .. وقال الشاعر

كادَتْ وكِدتُ وتلكَ خيرُ إرادةٍ لوْ عادَ من لَهْوِ الصَّبابةِ مامَضى

أي أرادت وأردت .. وقال الأفوه الأودى

فإنْ تَجَمَّعُ أوْتادٌ وأعمِدَةٌ وساكنٌ بلغوا الأمرَ الَّذِي كادُوا

أي أرادوا .. وقال بعضهم معنى قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف) أى أردنا ليوسف .. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف .. ومما يشهد

لمن جعل لفظة يكد زائدة فى الآية •• وقول الشاعر

سَرِيعٌ إلى الهيجاء شاكٍ سلاحهُ فما أنْ يكادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ

أى فما ان يتنفس قرنه ويكاد مزيدة للتوكيد •• وقال حسان

وتَكادُ تَكْسَلُ أنْ تجيءَ فِراشَها في جِسْمِ خَرْعَبةٍ وحُسْنِ قَوامِ

ومعناه وتكسل أن تجئ فراشها •• وقال الآخر

وإلاَّ ألومُ النَّفسَ فيما أصابنى وإلاَّ أكادُ بالَّذي نِلتُ أُنْجَحُ

أي لا أنجح بالذى نلت ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً •• وروى عبد الصمد بن المعذّل بن غيلان عن أبيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة فأنشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدته الحائية التي يقول فيها

إذَا غيَّرَ النَّأْيُ المُحِبّينَ لمْ يَكَدْ رَسيسُ الهوَى مِن حُبّ ميَّةَ يَبْرَحُ

فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح ياذا الرمة ففكر ساعة ثم قال

إذَا غيَّرَ النَّأْيُ المُحِبّينَ لمْ أجِدْ رَسيسَ الهوَى مِن حُبّ ميَّةَ يَبْرَحُ

قال فأخبرت أبي بما كان من قول ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه فقال أخطأ ذو الرمة في رجوعه عن قوله الأول وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه هذا كقوله عزوجل (اذا أخرج يده لم يكد يراها) أى لم يرها •• فأما قوله عزوجل (إن الساعة آتية أكاد أُخفيها لتُجزى كل نفس) فيحتمل أن يكون المعنى أريد إخفاءها لكي تجزي كل نفس بما تسعى ويجوز أن تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية أُخفيها لتجزى كل نفس •• وقد قيل فيه وجه آخر وهو أن يتم الكلام عند قوله تعالى (إن الساعة آتية أكاد) ويكون المعنى أكاد آتي بها ويقع الابتداء بقوله تعالى (أخفيها لتجزى كل نفس) •• ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابئ البرجمي

هَمَمْتُ ولمْ أفعلْ وكِدْتُ وليتَني تركْتُ على عثمانَ تبكي حلائلُهْ

أراد وكدت أقتله فحذف الفعل لبيان معناه •• وروى عن سعيد بن جبير انه كان يقرأ

أكاد أخفيها فمعني أخفيها على هذا الوجه أظهرها ٠٠ قال عَبْدَة بن الطبيب يصف ثوراً

يَخْفي التُّرَابَ بأَظلافٍ ثمانيةٍ ... في أَرْبعٍ مَسُّهنَّ الأَرضَ تحليلُ

أراد انه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه ٠٠ وقال امرؤ القيس

فإنْ تدْفنوا الدَّاءَ لاَ نَخْفِهُ ... وإنْ تبعثوا الحرْبَ لاَ نقعُدُ

أي لا نظهره ٠٠ وقال النابغة

تَخْفي بأَظلافِها حتَّي إذَا بلَغَتْ ... يُبْسَ الكَثيبِ تَدَاعَى التُّرْبُ فانْهَدَما

وقد روى أهل العربية أخفيت الشئ بمعني سترته وأخفيته بمعنى أظهرته وكأن القراءة بالضم تحتمل الأمرين الاظهار والستر والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الاظهار واذا كانت بمعـنى الاظهار كان الكلام في كاد واحتمالها للوجوه الثلاثة التى ذكرناها كالكلام فيها اذا كانت بمعنى الستر والتغطية ٠٠ فان قيـل فأى معنى لقوله إني أسترها لتجزى كل نفس بما تسعي وأظهرها على الوجهين جميعاً وأى فائـدة في ذلك ٠٠ قلنا الوجه في هذا ظاهر لانه تعالى اذا ستر عنّا وقت الساعة كانت دواعينا الي فعل الحسن والقبيح مترددة واذا عرفنا وقتها بعينه كنا ملجئين الى التوبة بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به فصار ما أريد به من المجازاة للمكلفين بسعيهم واتصال ثواب أعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهـم فأما اذا كانت لفظة أخفيها بمعـنى الاظهار فوجهه أيضاً واضح لانه تعالى انما يقيم القيامة ويقطع التكليف ليجازى كُلاً باستحقاقه ويوفي مستحق الثواب ثوابه ويعاقب المسيء باستحقاقه فوضح وجه قوله تعالى ﴿ أكاد أُخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ على المعنيين جميعاً [قال المرتضى رضى الله عنه] ٠٠ وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن على جواب من أجاب في قوله تعالى ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ بان معناه كادت تبلغ الحناجر ويقول كاد لا تضمر ولا بد أن يكون منطوقاً بها ولو جاز ضمرها لجاز أن يقال قام عبـد الله بمعني كاد عبد الله يقوم فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله لان معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم وهذا الذي ذكره غير صحيح ونظن ان الذي حمله على الطعن في هذا الوجه

حكايته له عن ابن قتيبة لان من شأنه أن يردّ كل ما يأتي به ابن قتيبة وان تعسف فى الطعن عليــه والذى استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر فى مواضع ويقتضيها بعض الكلام وان لم تكن في صريحه ألا ترى انهـم يقولون أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح وما أشبه ذلك ومعنى جميع ماذكرناه المقاربة ولا بد من اضمار كاد فيه •• وقال جرير

إِنَّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ قَتَلننا ثمَّ لمْ يُحْيِينَ قتلانا

وانما المعنى انهن كدن يقتلننا فهذا أكثر فى الشعر والكلام من أن نذكره وليس يمتنع فأما قولهـ يحيين قتلانا ـ فالأظهر فى معناه انهن لم يزلن يفعلن ماقاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك وسمى هــذه الأمور حياة كما سمى اضدادها قتلا وقد قيل ان معنى يحيين قتلانا انهن لم يدين قتلانا من الدية لان دية القتيل عند العرب كالحياة له وقد روى ثم لم يحيين قتلانا وهــذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقل قام فلان بمعنى كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت •• فأما قوله فيكون تأويل قوله قام عبد الله لم يقم عبد الله نخطأ لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله وأراد كاد يقوم فقد أفاد مالا يفيده لم يقم•• وأما قوله تعالى (زاغت الأبصار) فمعناه زاغت عن النظر الى كل شيء فلم تلتفت إلا الى عدوها ويجوز أن يكون المراد بزاغت أي جارت ومالت عن القصــد فى النظر دهشاً وتحيراً •• فأما قوله تعالى (وتظنون بالله الظنونا) معناه انكم تظنون مرة انكم تنصرون وتظهرون على عدوّكم ومرة انكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهـم ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى ان ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكــم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصرة وشكوا فى خبره عزوجل كما قال تعالى حكاية عنهـم (ماوعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً) وظن المؤمنون ماطابق وعد الله تعالى لهم كما حكى عزوجل عنهم فى قوله (هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وكلما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما تعلق بها

مجلس آخر ٢٥

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (وجعلنا نَوْمَكُمْ سُباتاً) فقال اذا كان السبات هو النوم فكأنه قال وجعلنا نومكم نوماً وهذا مما لافائدة فيه .. الجواب قيل له فى هذه الآية وجوه .. منها أن يكون المراد بالسُّبات الراحة والدّعة .. وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كلهم كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيــه ولان الله تعالى أمر بني اسرائيل فيــه بالاستراحة من الأعمال قيل وأصـل السُّبات التمدد يقال سبتت المرأة شـعرها اذا حلته من العقص وأرسلته .. قال الشاعر

وإنْ سَبَتَتْهُ مالَ جَثْلاً كأَنهُ سدَاوَاهلاَتٍ مِنْ نوَاسـجِ خَثْعَمَا

أراد إن أرسلته .. ومنها أن يكون المراد بذلك القطع لان السبت القطع والسبت أيضاً الحلق يقال سبت شعره سبتا اذا حلقه وهو يرجع الى معني القطع والنعال السـبتية التى لا شعر عليها .. قال عنترة

بَطلٌ كأَنَّ ثِيابَهُ في سَرْحةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ لَيْسَ بتوأَمِ

ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتاء وجمعها سباتي فيكون المعني على هذا الجواب جعلنا نومكم سباتاً أي قطعاً لأعمالكم وتصرفكم .. ومن أجاب بهذا الجواب يقول انما سـمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان يوم الأحـد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسـمية الى معنى القطع .. وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة ان الله ابتدأه فى يوم الأحـد وكان الخلق فى يوم الأحـد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهـذا قول أهل التوراة .. وقال آخرون ان الابتـداء كان فى يوم الاثنين الى السبت وفرغ في يوم الأحد وهذا قول أهل الانجيل .. فأما قول أهل الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان يوم السبت واتصل الى يوم الخميس وجعلت الجمعة عيداً فعلى هذا القول الآخر يكون

أن يسمي اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الأرض .. فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله تعالى خلق البريّة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد .. ومنها أن يكون المراد بذلك إنّا جعلنا نومكم سُباتاً ليس بموت لان النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت فأراد تعالى أن يمتن علينا بان جعل نومنا الذى يضاهي فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس بموتٍ على الحقيقة ولا يخرج لنا عن الحياة والادراك فجعل التأكيد بذكر المصدر قائماً مقام نفي الموت وسادّاً مسد قوله تعالى وجعلنا نومكم ليس بموت .. ويمكن أن يكون فى الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو أن السُّبات ليس هو كل نوم وانما هو من صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسُّبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت وبه سُبات ولا يقال ذلك فى كل نائم واذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله (وجعلنا نومكم سُباتاً) مجرى أن يقول وجعلنا نومكم نوماً .. والوجه فى الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتداً طويلا ظاهرٌ وهو لما فى ذلك لنا من المنفعة والراحة لان التهويم والنوم الغرار لايكسبان شيئاً من الراحة بل يصحبهما في الأكثر القلق والانزعاج والهموم وهي التى تقلل النوم وتنزره وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح .. [قال المرتضي] رضي الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن على الجواب الذى ذكرناه أوّلاً ويقول إن ابن قتيبة أخطأ في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سباتٌ ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح وأراح ويعتمد على الجواب الذى ثنينا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبتت المرأة شعرها ان معناه أيضاً القطع لان ذلك انما يكون بازالة الشداد الذى كان مجموعاً به وقطعه .. والمقدار الذى ذكره ابن الانبارى لايقدح فى جواب ابن قتيبة لانه لا ينكر أن يكون السُّبات هو الراحة والدّعة اذا كانتا عن نوم وان لم توصف كل راحة بانها سُبات ويكون هذا الاسم يختص الراحة اذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء واذا أمكن ذلك لم يكن فى امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح فى كل موضع دلالة على أن السُّبات لا يكون إسماً للراحة عند النوم

والذي يبقى على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدّعة ويستشهد على ذلك بشعرٍ أو لغـةٍ فان البيت الذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال .. فان قيـل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذى ذكرتموه أخيراً قلنا الفرق بينهما بيّن لان ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة وجعله عبارة عنها وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغـيره ونحن جعلنا السبات نفسه من صـفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيـه فلا يلزمنا أن يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عليه حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات وليس السبات إياها بعينها على ان فى الجواب الذي اختاره ابن الانبارى ضرباً من الكلام لان السبت وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيـه البناء الذى ذكره وهو السبات ويحتاج في اثبات مثل هذا البناء الى سمع عن أهـل اللغة وقد كان يجب أن يورد من أي وجه اذا كان السبت هو القطع جاز أن يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك

[تأويل خبر] .. ان قال قائل ما تأويل الخبر الذي روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه .. وفى رواية أُخرى ان الميت يعذب فى قبره بالنياحة عليه .. وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة أيضاً فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليـه .. الجواب أنّا اذا كنّا قد علمنا بأدلة العقل التى لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبح من أخذه أحـد بذنب غـيره وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثـل قوله تعالى (ولا تزر وازرة وِزر أُخرى) فلا بد أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة الى ما يطابقها .. والمعنى فى الأخبار التي سئلنا عنها ان صحت روايتها انه اذا أوصى موصٍ بان يناح عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فانه يعذب بالنياحة عليه وليس معنى يعذب بها انه يؤاخذ بفعل النواح وانما معناه أن يؤاخذ بأمره بها ووصيته بفعلها وانما قال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ويؤكدون الوصية بفعله وهـذا مشهور عنهم .. قال طرَفة بن العبد

فإنْ مُتُّ فانْعيني بما أنا أهلهُ ... وشقّي عليَّ الجَيْبَ يا أُمَّ معبدِ

.. وقال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة

فمنْ يكُ سائلاً عنْ بيتِ بشرٍ ... فإنَّ لهُ بجَنْبِ الرَّدْمِ بابا

ثَوَى في مُلْحَدٍ لاَ بُدَّ منهُ ... كفَى بالموتِ نأياً واغترابا

رَهِينُ بِلًى وكلُّ فتًى سيَبْلَى ... فأَذرِي الدَّمعَ وانتحِبي انتحابا

وقد روى عن ابن عباس فى هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودى فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب فى قبره .. وقد روى ابن بكار هذا الخبر أيضاً عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أخبرت بروايته وَهَل أبو عبد الرحمن كما وَهَل يوم قليب بدر إنما قال عليه الصلاة والسلام ان أهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب بجرمه .. [قال المرتضى] رضى الله عنه يعنى ـ وَهَل ـ أي ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وَهَلت الى الشيء فأنا أهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه أهل وهلاً أى نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلاً اذا فزع والوهل الفزع .. فأما ـ القليب ـ فهي البئر والجمع القلب .. قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين

يُنادِيهمْ رَسولُ اللهِ لَما ... قَذَفْناهُمْ كَباكِبَ في القَليبِ

أَلمْ تَجِدُوا حَدِيثى كانَ حقًّا ... وأمرُ اللهِ يأخُذُ بالقلوبِ

.. وقال آخر يبكي على قتلى بدر من المشركين

فماذَا بالقَليبِ قَليبِ بَدْرٍ ... منَ الفتيانِ والشرْبِ الكِرَامِ

وماذَا بالقَليبِ قَليبِ بَدْرٍ ... منَ الشِّيزَى يُكَلَّلُ بالسَّنامِ

وموضع وَهله فى ذكر القليب انه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ثم قال انهم ليسمعون ما أقول فأنكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه الصلاة والسلام انهم الآن ليعلمون ان الذي كنت أقوله لهم هو

الحق واستشهد بقول الله عز وجل (إنك لا تُسمِع الموتى) وأهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم •• وروى عن عبد الله ابن مسعود أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قائماً يصلي بمكة وأُناس من قريش فى حلقة فيهم أبو جهل بن هشام فقال ما يمنع أحدكم أن يأتي الجزور التى نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثم يأتي به حتى اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث أشقى القوم وأنا أنظر اليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله لو كانت لي يومئذ منعة لمنعته وجاءت فاطمة رضوان الله عليها عليه وهي يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رؤسهم فأوسعتهم شتماً قال فوالله لقد رأيت بعضهم يضحك حتى انه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلّم النبى صلى الله عليه وسلم أقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا عليهم أسقط في أيديهم قال فوالله الذي لا إله غيره ماسمى النبي صلى الله عليه وسلم أحداً إلاّ وقد رأيته يوم بدرٍ وقد أخذ برجله يجر الى القليب مقتولا وقوله ـ فيأخذ سلاها ـ أي جلدتها التى فيها ولدها ما دام فى بطنها والجمع الأسلاء •• وقال ابن حبيب الأسلاء التي فيها الأولاد •• قال الأخطل

وَيَطرَحنَ بالثَّغرِ السِّخالَ كأنَّما يُشقِّقنَ بالأسلاءِ أزدِيَةَ العَصْبِ

•• وقال الشماخ

والعِيسُ دَامِيةُ المَناسِمِ ضُمَّرٌ يَقذِفنَ بالأسلاءِ تحتَ الأركُبِ

•• قال الفراء سقط في أيديهم من الندامة وأسقط لغتان وهو بغير ألف أكثر وأجود •• ويمكن أن يكون في قوله يعذب ببكاء أهله وجه آخر وهو أن يكون المعنى ان الله تعالى اذا أعلمه ببكاء أهله وأعزّته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهم تألم بذلك فكان عذاباً له والعذاب ليس بجارٍ مجرى العقاب الذى لايكون إلاّ على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيراً بحيث يستعمل الألم والضرر ألا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتدأه بالضرر والألم قد عذبتني بكذا وكذا كما يقول أضررت بي وآلمتني وانما لم يستعمل

العقاب حقيقة فى الايلام المبتدأ من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة التى لابد من تقدم سبب لها وليس هذا فى العذاب

[تأويل خبر] •• ان سأل سائل عن الخبر الذى يرويه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلاّ أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل يقولها ثلاثا •• فقال أليس في هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف ذلك •• الجواب قلنا فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى ألطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو أخرج الى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة والالطاف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد ان أحداً لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا أرشده اليه وهذا هو الحق الذى لا شبهة فيه •• فأما الثواب فما تأبى القول بأنه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذى هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شئ ابتداء وانما يجب عليه ما أوجبه على نفسه فالثواب مما كان أوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكين والالطاف وكلما يجلبه ويوجبه التكليف ولولا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب •• فان قيل فقد سمي الرسول عليه الصلاة والسلام ما يفعل به فضلا فقال إلاّ أن يتغمدنى الله برحمة منه •• وفضل قلنا هذا يطابق ماذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه الصلاة والسلام برحمة منه وفضل على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهى أيضاً فضل وتفضل لان سببها غير واجب •• فأما قوله عليه الصلاة والسلام يتغمدني الله فمعناه يسترني يقال غمدت السيف فى غمده اذا سترته •• قال الشاعر

نَصَبْنا رِماحاً فوقها جدُّ عامرٍ ... كظلِّ السَّماءِ كلَّ أرضٍ تغمَّدَا

فالجد ــ هنا البخت والحظ وشبه ما قسم لعامر من الغلبة والظفر بظل السماء الذى يستر كل شئ ويظهر عليه •• أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن حنيفاء قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قراءة عليه قال أملي علينا أبو العباس أحمد

ابن يحي ثعلب النحوي قال أخبرنا ابن الاعرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرهم الله والمبهور هو المكروب وأنشدنا

أَبرَزُوها مثلَ المَهاةِ تَهادَى ... بينَ خَمسٍ كَوَاعِبٍ أترَابِ

ثُمَّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا ... عددَ القطرِ والحَصَى والتُّرَابِ

[قال المرتضى] •• رضي الله عنه وقد قيل في معنى قوله بهراً غير هذا الوجه •• أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني أحمد بن يحي الصولي قال حدثنا القاسم بن اسماعيل قال حدثنا الثوري عن أبي عمر الأسدي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول عمر بن ربيعة حجة في العربية وما أخذ عليه شيء الا قوله ـ ثم قالوا تحبها قلت بهراً ـ وله فيه عذر ان أراد الخبر لا الاستفهام كأنهم قالوا أنت تحبها على جهة الاخبار منهم لا الاستفهام فوكد هو إخبارهم بجوابه فهذا حسن وبهراً يجوز أن يكون أراد لم حباً بهرني بهراً ويكون أيضاً بمعنى عقراً وتعساً ودعا عليهم إذ جهلوا من حبه لها مالا يجهل مثله •• وأنشد أبو عمرو بن العلاء

لَحَا اللهُ قَوْمي إذْ يَبِيعونَ مُهْجَتي ... بجارِيَةٍ بَهْرًا لهمْ بَعْدَها بَهْرًا •

•• قال أبو عمرو يكون بهراً بمعنى ظاهراً يريد حباً ظاهراً من قولهم قمرٌ باهرٌ •• وقد روى بعض الرواة انه قال ـ قيل لي هل تحبها قلت بهراً ـ والرواية الأولى هي المشهورة ولعل من روى ذلك فر بهذه الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي من جملة أبيات منها

مَنْ رَسُولي الى الثُّرَيَّا بأَنى ... ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكِتابِ

وهيَ مَكنونةٌ تَحيَّرَ منْها ... في أَدِيمِ الخدَّينِ ماءُ الشَّبابِ

سَلَبَتْني مُجاجةُ المِسكِ عَقلي ... فَسلُوها بما يَحِلُّ اغتصابي

أَزهقتْ أُمُّ نوفلٍ اذ دَعَتْها ... مُهْجَتي ما لِقاتلي مِنْ مَتابِ

حينَ قالتْ لها أَجيبي فقالتْ   مَنْ دَعاني قالتْ أَبو الخَطَّابِ
أَبرَزُوها مثلَ المَهاةِ تَهادَى   بينَ خَمسٍ كواعِبٍ أَتْرَابِ
ثمَّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا   عددَ القطرِ والحصَى والتُّرَابِ

والثريا هي التى عناها عمر أموية وقد اختلف فى نسبها فقيل انها الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر أبو عبد شمس وقيل انها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر وذكر الزبير بن بكار ان الثريا هى بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن الحارث بن أمية الأصغر وانها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلي الذى قتله داود بن علي •• وأخبرنا أبو عبد الله المرزبانى قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحي عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفلح قال خبرنى بلال بن أبي عتيق في حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريا اختصرناه وأوردنا بعضه قال لما سمع ابن أبي عتيق قول عمر — من رسولي الى الثريا بانى — قال إياى أرادوبي نوه لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص اليه لا صالح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الدئل بن أبي بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرونها فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم بها فقلت له استوضعهم شيئاً أو دعنى أماكسهم فقد استطولوا فقال لى ويحك أما علمت ان المكاس ليس من خلق الله الكرام وركب إحداهما وركبت الأخرى فسار سيراً شديداً فقلت له ارفق على نفسك فان من تريد لا يفوتك فقال ويحك — أبادر حبل الود أن يتقضضا — ومن ملح الدنيا أن يلتئم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه فسلم عليه فما نزل ابن أبي عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب أصلح بينك وبين الثريا فاني رسولك الذي سألت عنه فركب معه فقدمنا الطائف فقال ابن أبى عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليك فجئتك به معترفاً بذنب لم يجنه معتذراً من اساءتك اليه فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وكررنا راجعين الي المدينة ولم يقم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة •• وفي الثريا يقول عمر

ابن أبي ربيعة أيضاً لما تزوّجها سهيل بن عبـد الرحمن بن عوف المكنى بأبي الأبيض وقيل بل تزوّجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

أيها ٱلمُنكِحُ الثُّرَيّا سُهَيلاً عَمرَكَ ٱللهُ كيفَ يلتقيانِ
هيَ شاميةٌ إذا ما ٱستقلّتْ وسُهَيلٌ اذا ٱستقلَّ يماني

مجلس آخر ٢٦

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (فغشيهم من اليم ما غشيهم) فقال ما الفائدة فى قوله ما غشيهم وقوله غشيهم يدل عليه ويستغنى به عنه لان غشيهم لا يكون إلاّ الذى غشيهم وما الوجه في ذلك .. الجواب قد ذكر فى هذا أجوبة .. أحدها أن يكون المعنى فغشيهم من اليم البعض الذي غشيهم لانه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم بعضه فقال ما غشيهم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه حكي عن الفراء وذكره أبو بكر الانباري واعتمده وغيره أوضح منه والیم هو البحر .. قال الشاعر

وبَني تُبَّعٌ علي اليَمِّ قصرًا عالِيًا مُشرِفًا على البُنْيانِ

.. وثانيها أن يكون المعني فغشيهم من اليم ما غشي موسى وأصحابه وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام وأصحابه وفرعون وأصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم إلاّ أن فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى عليه الصلاة والسلام وقومه جعل لهم فى البحر طريق يبس فقال تعالى فغشى فرعون وقومه من ماء اليم ما غشى موسى وقومه فنجا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا الوجه والتأويل تكون الهاء في قوله ما غشيهم كناية عن غير من كني تعالى عنه بقوله فغشيهم لان الأولى كناية عن فرعون وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه .. وثالثها انه غشيهم من عذاب اليم وإهلاكه لهم ما غشى الأمم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم وإقامتهم على رد أقوالهم

والعدول عن ارشادهم والأمم السالفة وان لم يغشهم الهلاك والعذاب من قبل البحر فقد غشيهم عذاب واهلاك استحقوهما بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم فشبه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب ٠٠ ورابعها أن يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ماغشيهم من العطب والهلاك فتكون لفظة غشيهم الاولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر ٠٠ ويمكن فى الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو واضح يليق بمذاهب العرب فى استعمال مثل هذا اللفظ وهو أن تكون الفائدة فى قوله تعالى (ماغشيهم) تعظيم الأمر وتفخيمه كما يقول القائل فعل فلانٌ ما فعل وأقدم على ماأقدم اذا أراد التفخيم وكما قال تعالى (وفعلت فعلتك التى فعلت) وما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا هــذا وأنت أنت وفى القوم هم هم ٠٠ قال الهذلى

رَفَوْني وقالوا يا خُوَيلِدُ لاَ تُرَعْ فقلتُ وأَنكرتُ الوُجوهَ هُمُ هُمُ

٠٠ وقال أبو النجم

أنا أبو النجمِ وشِعْرِي شِعْرِي

كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره

مجلس آخر ٢٧

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) فقال ماالفائدة فى قوله من فوقهم وهو يفيده قوله فخر عليهم السقف لان مع الاقتصار على القول الأول لايذهب وهم أحد الى أن السقف يخر من تحتهم ٠٠ الجواب قيل له في ذلك أجوبة ٠٠ أولها أن يكون من بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم أي خر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه فيكون من وعن بمعنى واحد أى من أجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية

نخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم •• قال الشاعر

أَرْمِي عليها وهيَ فَرْعٌ أجمَعُ وهيَ ثلاثُ أَذْرُعٍ وإِصبَعُ

أراد أرمي عنها لأن كلام العرب رميت عن القوس فأقام على مقام عن ولو انه قال تعالى على هذا المعني نخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم متوهمٌ ان السقف خر وليس هم تحته •• وثانيها أن يكون على بمعني اللام والمراد نخر السقف فان على قد تقام مقام اللام •• وحكي عن العرب ما أغيظك عليّ وما أغمك عليّ يريدون ما أغيظك لي وما أغمك لي •• قال الطِرِمّاح يصف ناقة

كأنّ مجرّاها علي ثفناتِهـا معرّسُ خمسٍ وُقّعتْ للجناجنِ[1]

اراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر فأقام اللام مقام على •• وقد يقول القائل أيضاً تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد انه كان تحته فأخبر تعالى بقوله (من فوقهم) عن فائدةٍ لولاه ما فهمت ولجاز أن يتوهم متوهم فى قوله نخر عليهم السقف ما يتوهمه من قوله خرب عليه ربعه ووقعت عليه دابته وأشباه ذلك •• وللعرب في هذا مذهبٌ طريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هـذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها فى خلاف ذلك ألا تري أنهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه

---

(١) ـ الثفنات ـ جمع ثفنة بفتح فكسر وهو من البعير ركبته وما مس الارض من كركرته وسعداناته وأصول أفخاذه ـ والمعرس ـ محل التعريس وهو النزول آخر الليل يريد محل مبيتها وبعده

وقعن اثنتين واثنتين وفردة يبادرن تغليساً سمال المداهن

ـ السمال ـ جمع سملة وهي بقية الماء في الحوض ـ والمداهن ـ جمع مدهن وهي نقر فى رؤس الجبال يستنقع فيها الماء وقد سبق الى هذا المعنى ذو الرمة فقال

كان مجراها على ثفناتها معرس خمس من قطا متجاور

وقعن اثنتين واثنتين وفردة جريدا هي الوسطى بصحراء غاثر

جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وهكذا من شأنهم اذا قالوا قال عليّ وروى على فانه يقال فى الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عنّي وروي عنّي ومثل ذلك قوله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على مُلك سليمان) لانهم لما أضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن أن يقال تتلو عليه ولو كان خيراً لقيل عنه ومثله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقوله (أتقولون على الله مالا تعلمون) .. وقال الشاعر

عَرَضْتُ نَصيحةً منّي لِيَحْيَى ... فقالَ غَشَشْتَني والنُّصْحُ ضُرُّ
ومالي لاَ أَكونُ أعيبُ يَحيَى ... ويَحيَي طاهرُ الأَخلاَقِ بَرُّ
ولكنْ قدْ أتاني أنَّ يَحيَي ... يُقالُ عليهِ في نَفْعاءَ شَرُّ
فقلْتُ لهُ تَجَنبْ كلَّ شيْءٍ ... يُعابُ عليكَ إنَّ الحُرَّ حُرُّ

ومثله قول الفرزدق فى عنبسة بن سعدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان يتبع شعره ويخطئه ويلحنه (١)

---

(١) ــ قلت ــ كان عنبسة يعيب على الفرزدق مثل قوله

وعض زمان يا بن مروان لم يدع ... من المال الامسحتاً أو مجلف

ــ المسحت ــ المبدد ــ والمجلف ــ الذي ذهبت به السنون وكان الفرزدق لحانة على جودة شعره وكان لحاشا لايعترض عليه أحد الاهجاه وقد سأله بعضهم عن رفع مجلف فى البيت فغضب وقال عليّ أن أقول وعليكم أن تحتجوا وأنكر عليه عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمى قوله

مستقبلين شمال الشام تضربنا ... بحاصب من نديف القطن منثور
على عمائمنا تلقى وأرحلنا ... على زواحف نزجى مخها رِيرُ

فقال الا قلت (على زواحف نزجيها محاسير) فغضب وقال

فلو كان عبدالله مولى هجوته ... ولكن عبد الله مولي مواليا

لقدْ كانَ في مَعْدَانَ والفيلِ زَاجِرٌ لِعَنْبَسةَ الرَّاوِي عليَّ القَصائدَا

فقال عليَّ ولم يقل عني للمعني الذي ذكرناه •• وثالث الوجوه في الآية أن يكون من فوقهم تأكيداً للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى (ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) والقلب لا يكون إلاَّ فى الصدر ونظائر ذلك في الكتاب كثير وفي كلام الأدب أيضاً والله أعلم

[تأويل خبر آخر أيضاً] •• إن سأل سائل عن الخبر الذى يرويه نافع عن أبى اسحاق الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن مأدبة لله تعالى فتعمدوا مأدبته ما استطعتم وان أصفر البيوت لبيتاً أصفر من كتاب الله فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه •• الجواب ــ المأْدُبة ــ في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو اليه الناس فشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما يكتسبه الانسان من خير القرآن ونفعه وعائدته اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال قد أدب الرجل يأدب فهو آدب اذا دعا الناس الى طعامه وشرابه ويقال للمأدبة المدعاة وذكر خلف الأحمر انه يقال فيه أيضاً مأدَبة بفتح الدال •• قال طرفة العبدى

نَحنُ فى المَشْتاةِ نَدْعو الجفَلَى لاَ تَرَى الآدِبَ فِينا يَنْتَقِرْ

ومعنى ــ الجفلى ــ أنه عم بدعوته ولم يخص بها قوماً دون قوم •• والنقرى إذا خص بها بعضاً دون بعض ومعنى ــ ينتقر ــ من النقرى •• قال بعض هذيل

وليلةٍ يَصطَلي بالفَرْثِ جازِرُها يختَصُّ بالنَّقَرَى المُثْرِينَ دَاعِيها

لاَ يَنْبَحُ الكلبُ فِيها غيرَ واحِدَةٍ عِنْدَ الصَّباحِ ولاَ تَسْري أفاعِيها

معنى ــ يصطلى بالفرث جازرها ــ أن الجازر اذا شق فيها الكرش أدخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفئاً به ومعنى ــ يختص بالنقرى المثرين داعيها ــ أنه يخص بدعائه الى طعامه الأغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافأة •• وقال الآخر

قَالوا الثلاثاوةُ خِصبٌ ومأدُبةٌ   وكلُّ أيامهِ يومُ الثلاثاء

•• وقال الهذلى يصف عقاباً

كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ في جوفِ وكرِها   نَوى القَسْبِ مُلقىً عندَ بعضِ المآدبِ[١]

أراد جمع مأدبة •• وقد روى هذا الحديث بفتح المأدبة •• وقال الأحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم •• وقال غيره المأدبة بفتح الدال مفعلة من الأدب معناه ان الله تعالى أنزل القرآن أدباً للخلق وتقويماً لهم وانما دخلت الهاء في مأدُبة ومأدَبة والقرآن مذكر لمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس •• وكما قال عنترة

والكُفرُ مَخبثَةٌ لِنفسِ المُنعِمِ

وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسّابة في باب المدح على جهة التشبيه بالهداية ورجل هلباجة فى باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة •• ويقال لطعام الاملاك وليمة ولطعام الختان العذيرة ولطعام الزفاف العرس ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من السفر النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذى تطعمه النفساء نفسها الخرسة •• قال الشاعر

اذَا النفَساءُ لم تُخرَّسْ ببكرِها   غُلاماً ولم تُسكَتْ بحَترٍ فطيمها

ـ الحتر ـ الشيء القليل •• وقال آخر

كلَّ الطَّعامِ تَشتهي رَبيعهْ   العرْسُ والإعذارُ والنَّقيعهْ

ويروى الخرس •• وينشد أيضاً فى النقيعة قول الشاعر

إنّا لَنضرِبُ بالسيوفِ رؤوسهمْ   ضَربَ القُدارِ نَقيعةَ القُدَّامِ

ـ القدار ـ الجزار ـ والقدام ـ جمع قادم •• وقال أبو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة •• وقال الفراء

---

(١) ـ القسب ـ بفتح فسكون اليابس من التمر

الشيدخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس •• وقال أبو زيد يقال من النقيعة نقعت •• وقال الفراء منها أنقعت •• وقال ابن السكيت يقال للطعام الذى يتعلل به قدام الغداء السلفة واللهنة لهّنوا ضيفكم أى أطعموه اللهنة •• قال الشاعر

عُجَيِّزٌ عارِضُها مُنْفَلُّ ... طَعامُها ٱللُّهْنَةُ أوْ أَقَلُّ

•• وقال ابن السكيت يقال فلان يأكل الوجبة اذا كان يأكل في اليوم والليلة أكلة •• قال بشار

فٱستغنِ بالوَجَباتِ عن ذَهَبٍ ... لمْ يَبْقَ فيهِ لامرِئٍ ذَهَبه

•• وقال ابن السكيت قال الأصمعى لرجل أسرع في سيره كيف كان سيرك قال كنت آكل الوجبة وأنجو الوقعة وأعرّس اذا فجرت وأرتحل اذا أسفرت وأسير الوضع وأجتنب اللمع فجئتكم لمسى سبع •• قوله ـ أنجو الوقعة ـ معناه أقضي حاجتى مرة فى اليوم وهو من النجو •• وقوله ـ أسير الوضع ـ فالوضع سير فيه بعض الاسراع واللمع سير أشد منه وأراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة أن يقف ظهره قبل أن يبلغ الأرض التى يقصدها يقال شر السير الحقحقة أى السير الشديد الذى يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته •• قال الشاعر

اذَا ما أَرَدْتَ الأَرْضَ ثمَّ تَباعَدَتْ ... عليكَ فضَعْ رَحْلَ اَلمَطيّ وأَنزِلِ

أى استرح حتى تقوى على السير وان جهدت نفسك لم تقطع أرضاً ولم تبق ظهراً وهذا من أبيات المعاني التي يسأل عنها والذى قيل فيه ما ذكرناه •• ويمكن أن يكون معني البيت اذا بعدت عليك الأرض فدعها واسل عنها كما يقال دواء ماعزّ مطابه الصبر وما جرى مجرى ذلك من ألفاظ التسلية والأمر بالعدول عن تتبع ماصعب من الأمور •• وقال الآخر فى معني البيت الأول

يَقَطِّعُ بالنزُولِ ٱلأَرْضَ عَنْها ... وبُعْدُ ٱلأَرْضِ يَقْطَعُهُ النزُولُ

وقوله ـ لمسى سبع ـ أي لمساء سبع ليال •• ويقال للذى يحضر طعام القوم من غير أن يدعا اليه الوارش والوروش وقول العامة طفيلى مولد لا يوجد فى العتيق من كلام

العرب وأصل ذلك أن رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد وليمة من غير أن يُدعى اليها فقيل للوارش طفيلي تشبيها بطفيل هذا في وقته •• ويقال للذى يحضر الشراب من غير أن يدعي اليه واغل •• قال امرؤ القيس

فاليومَ فاشرَبْ غيرَ مُستحقِبٍ إثماً مِنَ اللهِ ولاَ واغلِ

ويقال لما يشربه الوغل •• قال الشاعر

إنْ أكُ سكّيراً فلا أشربُ الوَغْلَ ولاَ يَسلمُ مِنّي البعيرُ إنْ نشَزَا

وقوله صلى الله عليه وسلم ان أصفر البيوت لبيتا صفر من كتاب الله معناه أخلا البيوت ـ والصفر ـ عند العرب الخالي من الآنية وغيرها •• ويمكن في قوله مأدبة وجه آخر وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعاء الخالق اليه وأمرهم بالاجتماع عليه فسماه عليه الصلاة والسلام مأدبة لهذا الوجه لأن المأدبة هي التى يدعى الناس اليها ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الأول لأن الأول تضمن ان وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو الى المأدبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد أن يريد عليه الصلاة والسلام بالخبر المعنيين معاً فلا تنافى بينهما •• أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كُنّا في مجلس الأصمعي إذ أقبل اعرابي فقال أين عميدكم فأشرنا الي الأصمعي فقال له مامعنى قول الشاعر

لاَ مالَ إلاّ العطافَ تؤْزِرُهُ أُمُّ ثلاثينَ وابنةُ الجبَلِ
لاَ يرْتقي النَزّ في ذَلاذِلِهِ ولا يُعدّي نَعليهِ مِنْ بَلَلِ

•• فقال الأصمعي

عصْرَتُهُ نُطفةٌ تَضمّنها لِصْبٌ تلقّى مواضعَ السُّبَلِ
أو وَجبةٌ مِنْ جَناةِ أشكَلةٍ إنْ لم يرُعْها بالقوسِ لم تُنَلِ

قال فأدبر الاعرابي وهو يقول لم أر كاليوم رجلا •• قال ابن دريد انما وصف رجلا خائفاً في رأس جبل يقول لا مال له إلاّ العطاف وهو السيف تؤزره أم ثلاثين يعني كنانة فيها ثلاثون سهماً وابنة الجبل يعنى القوس لأنها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره •• وقوله ـ لا يرتقى النز فى ذلاذله ـ لأنه فى رأس جبل فلا نزهناك يتعلق بما يفضل من ثيابه ولا بلل يعدّي نعليه عنهما ـ والعصرة ـ الملجأ ـ والنطفة ـ الماء المجتمع فى صخر أو غيره من بقية ماء المطر ـ واللصب ـ الشق فى الجبل أضيق من اللهب وأوسع من الثقب ـ والسبل ـ المطر ـ والوجبة ـ أن يأكل كل يوم مرة ـ والأشكل ـ السدر الجبلى واحده أشكلة •• يقول فهذه النطفة والوجبة من الأشكلة غصرناه •• وقوله ـ ان لم يرعها بالقوس ـ يعنى انها لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس •• [قال المرتضي] رضي الله عنه وانما جعل الأصمعي انشاد باقى الأبيات دلالة على معرفة معناها لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها والأعرابى انما سأل عن المعنى فأقام انشادها لها مقام تفسيرها واستغنى الأعرابى بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفته بمعناها وكان الأصمعي كثيراً اذا أنشد شيئاً من الشعر ينشد فى معناه في الحال •• فمن ذلك أن اسحاق بن ابراهيم الموصلى أنشده يوماً لنفسه

إذا كانت الأحرارُ أصلي ومَنْصبي ... وقامَ بنَصْري حازِمٌ وابنُ حازِمِ
عَطَسْتُ بأنفٍ شامخٍ وتناوَلَتْ ... يدايَ الثُّرَيّا قاعِدًا غيرَ قائمِ

•• قال فلما فرغت من انشادهما أنشدنى بعقب ذلك

أَلا أيُّها السائلي جاهِلاً ... لِتَعْرِفَني أَنا أَنفُ الكَرَم
نمتْ في الكرامِ بنى عامرٍ ... فرُوعي وأَصلي قرَيشُ العجم

قال فجاء والله بالشعر الذى نحوته وعملت بيتيّ عليه •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال ما أنشدت الأصمعي شيئاً قط إلاّ أنشدنى مثله كأنه أعدّه لي فأنشدته يوماً للأعشى

عُلِّقتُها عَرَضاً وعُلِّقَت رَجلاً غيري وعُلِّقَ أخرى غيرَها الرّجلُ

فأنشدني من وقته

قَتَلَتْكَ أُختُ بني لؤيٍّ إذ رَمَتْ وأصابَ نَبلُكَ إذ رَميتَ سِوَاها

وأعارَها الحَدَثانُ منكَ مَوَدَّةً وأعارَ غيرَكَ وُدَّها وهَوَاها

وذكر أبو العيناء قال كان الأصمعي اذا سمع انساناً ينشد شعراً في معنى أنشد في ذلك المعنى من غير أن يُريه انه أراده فأنشده رجل قول القطامي

والناسُ مَنْ يلقَ خيرًا قائلونَ لهُ ما يشتهي ولأُمِّ المُخطِئِ الهَبَلُ

فأنشد هو قول قعنب الفزاري

فمَنْ يلقَ خيرًا يَحمَدِ النّاسُ أَمرَهُ ومَنْ يَغوِ لا يَعدَمْ على الغيِّ لائما[1]

وروى ميمون بن هارون قال سمعت اسحاق بن ابراهيم يقول أنشدت الأصمعي قول الأعشى طلباً أن ينشدني مثله وكان مع بخله بالعلم لا يضن بمثل هذا

إنْ تركبوا فرُكوبُ الخيلِ عادَتُنا أو تنزِلونَ فإنا معشرٌ نُزُلُ

فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبي

ولقدْ شَهِدتُ الخيلَ يومَ طِرادِها بسَليمِ أَوْظِفةِ القوائمِ هَيْكَلِ[2]

فدَعَوْا نَزالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ وعلامَ أَركَبُهُ اذا لمْ أَنزِلِ

وروى عن اسحاق بن ابراهيم أيضاً أنه قال دخل علي يوماً الأصمعي وعندي أخ للعماني الراجز حافظ راوية فلما دخل عبث به أخو العماني فقال له من هذا قال هو

(١) نسبه هنا الى قعنب الفزاري ونسبه غيره من أهل الادب الى المرقش الاصغر وهو عمرو بن حرملة أو ربيعة بن سفيان على اختلاف فيه

(٢) ـ أوظفة ـ جمع وظيف ككريم وهو مستدق الذراع والساق من الخيل والابل ـ والهيكل ـ الضخم المشرف ـ ونزال ـ اسم فعل أمر بمعنى انزل

الباهلى الذي يقول

فما صَحفَةٌ مأدُومةٌ بإهالةٍ ... بأطيبَ من فيهاولا أقطِ رَطْب [١]

فقال له قبل أن يستتم الكلام هو على كل حال أصلح من قول أخيك العمانى

يا رُبَّ جاريةٍ حوزَاءَ ناعمةٍ ... كأنَّها عُومةٌ في جوْفِ رَاقودِ [٢]

قال اسحاق فقلت له أكنت أعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر بى شئ إلاّ وأنا أعرف منه طرفاً

[تأويل آية أخرى] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) ومعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه •• الجواب قلنا القول يحتمل معنيين فى لغة العرب •• أحدهما القول باللسان •• والآخر بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن فقالوا أتقول عبد الله خارجاً ومتى تقول محمد منطلقاً يريدون متى تظن •• قال الشاعر

أمّا الرّحيلُ فدُونَ بَعدِ غدٍ ... فمَتى تقولُ الدّارَ تجمعُنا

أراد فمتى تظن الدار •• وقال الآخر

أجُهالاً تقولُ بني لُؤَيٍّ ... لَعمرُ أبيكَ أَمْ متُجاهلينا

---

(١) ـ الصحفة ـ قصعة دون الجفنة وفوق المثقلة ـ والاهالة ـ الشحم أو ما أذيب منه أو الزيت أو كل ماائتدم به ـ والاقط ـ بفتح فكسر وقد يسكن شئ يتخذ من المخيض الغنمى •• يريد بهذا التعريض ببنى باهلة قوم الاصمعي وانهم اذا استحسنوا شيئا شبهوه بشئ من المأكولات

(٢) ـ العومة ـ دويبة ـ والراقود ـ دن كبير أو طويل الاسفل مطلي داخله بالقار •• يريد به ان رهط العمانى يستطيبون حتى الخبائث والحشرات ويشبهون بها ما يستحسن

أراد تظن بنى لؤيّ .. وقال توبة بن الحمير

أَلَا يا صَفِيَّ النَّفْسِ كيفَ تقولُها ... لوَ أنَّ طَرِيدًا خائِفًا يَستَجِيرُها

تُخَبِّرُ إنْ شَطَّتْ بِها غُرْبَةُ النَّوَى ... ستَنعمُ لَيلى أَنْ يُفَكَّ أَسيرُها [1]

أراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل فى الأمرين معاً أفاد قوله تعالى (بأفواههم) قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ولو أطلق القول ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يتوهم المعنى الآخر .. ومما يشهد بذلك قوله تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) فلم يكذب تعالى قول ألسنتهم لانهم لم يخبروا بأفواههم إلا بالحق بل كذب ما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات .. ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة فى قوله تعالى بأفواههم ان القول لا برهان عليه وانه باطل كذب لا يرجع فيه إلاّ الى مجرد القول باللسان لان الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقاً اذا كان راجعاً الى برهان فيكون اضافة القول الى اللسان يقتضي ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه هكذا تقول وليس الشأن فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك فكأنهم أرادوا أن يقولوا هـذا قول لا برهان عليه فأقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا بأفواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه إلاّ الى اللسان .. ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في

(١) هكذا أنشد البيت هنا وفى غيره من كتب الادب

اظن بها خيراً وأعلم أنها ... ستنعم يوماً أو يفك أسيرها

وهذه الرواية أنسب وأقرب الى المعنى ومنها يعلم ان قوله في البيت الذى قبله ـ الا ياصفي النفس ـ انما هو خطاب لنفسه على سبيل التجريد وتلك عادتهم مشهورة في نظامهم ونثرهم ـ والبيتان من قصيدة له طويلة حسنة أولها

نأتك بليلى دارها لا تزورها ... وشطت نواها واستمر مريرها

يقول رجال لا يضيرك نأيها ... بلى كل ماشف النفوس يضيرها

ذلك التأكيد فقد جرت به عادة العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين أولي لأن حمل كلامه تعالي على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة .

[تأويل آية أخرى] ‥ان سأل سائل عن قوله تعالي ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعادٍ وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلاّ الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم ﴾ فقال أي معني لرد الأيدي في الأفواه وأى مدخل لذلك فى التكذيب بالرسل عليهم السلام ‥ الجواب قلنا فى ذلك وجوه ‥ أولها أن يكون إخباراً عن القوم بانهم ردوا أيديهم فى أفواههم عاضين عليها غيظاً وحنقاً على الأنبياء عليهم السلام كما يفعل المتوعد لغيره المبالغ فى معاندته ومكايدته وهذه عادة معروفة فى المغيظ المحنق انه يعض على أصابعه ويفرك أنامله ويضرب باحدى يديه على الأخرى وما شاكل ذلك من الأفعال ‥ وثانيها أن تكون الهاءفي الأيدى للكفار المكذبين والهاء التى فى الأفواه للرسل عليهم السلام فكأنهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ‥ وثالثها أن تكون الهاآن جميعاً يرجعان الي الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم اذا سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا أيدى أنفسهم على أفواههم مشيرين اليهم بذلك الىالكف عنالكلام والامساك عنه كما يفعل من يريدمناً أن يسكت غيره ويمنعه عن الكلام من وضع أصبعه على في نفسه ‥ ورابعها أن يكون المعنى فردوا القول بأيدي أنفسهم الى أفواه الرسل أى انهم كذبوهم ولم يصغوا الى أقوالهم فالهاء الأولى للقوم والثانية للرسل والأيدى انما ذكرت مثلا وتأكيداً كما يقول القائل أهلك فلان نفسه بيده أي وقع الهلاك بهمن جهته لا من جهة غيره ‥ وخامسها أنالمراد بالأيدي النعم والهاء الثانية للقوم المكذبين والتى قبلها للرسل والتقدير فردوا بأفواههم نعم الرسل أي ردوا وعظهم وإنذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذى لو قبلوه لكان نعماً عليهم ‥ ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التى في الأيدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز اضافتها اليهم وحمل لفظة فى على معنى الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك ورضيت عليك ‥ وحكي فيلغة طيء أدخلكالله بالجنة يريدون في

الجنة فيعبرون بالباء عن معنى في كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بفي عن الباء ٠٠ قال الشاعر

وأَرغبُ فيهَا عنْ لَقيطٍ ورَهْطِهِ ولكِنَّني عنْ سِنْبِسٍ لستُ أَرغَبُ

أراد وارغب بها فحمل في على الباء ٠٠ وسادسها وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر وزعم انه أولى من غيره قال المضمرون فى قوله أيديهم الرسل وكذلك المضمرون في أفواههم والمراد باليد ههنا مانطق به الرسل من الحجج والبينات التي ذكر الله تعالى انهم جاؤا بها قومهم واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضاً وعلى الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذي أتي به الأنبياء قومهم هو الحجة والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع على اسم اليد ولما كان ماتعظ به الأنبياء قومهم وينذرونهم به انما يخرج من أفواههم فردوه وكذبوه قيل انهم ردوا أيديهم في أفواههم أي انهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للرسل اليهم كما تأوّله بعض المفسرين وذكر ان معناه انهم عضوا عليهم أناملهم غيظاً لأن رافع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى راداً ليده الي فيه إلاّ اذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردها ٠٠ [قال المرتضي] رضى الله عنه وليس ماستنكره أبو مسلم من رد الأيدى الى الأفواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه والى وجهه وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وان لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسغ هذا القول تحقيقاً لساغ تجوزاً واتساعاً وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها فان تجوزها واستعاراتها أكثر على انه يمكن أن يكون المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئاً بعد شئ وتكرر منهم فلهذا جاز أن يقول ردوا أيديهم في أفواههم لأنه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب اذا صرنا الى مراده

[تأويل خبر]٠٠ روى ان مسلماً الخزاعي ثم المصطلقى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقى

لاَ تأْمنَنَّ وإنْ أَمسيْتَ في حَرَمٍ إنَّ المَنَايا تُوَافي كلَّ إنسانِ

وأسلكْ طريقَكَ فيها غيرَ مختشعٍ ... حتّى تبيّنَ ما يَمْني لكَ الماني[1]

فكلُّ ذي صاحبٍ يوماً يفارقهُ ... وكلُّ زادٍ وإنْ أبقيتَهُ فاني

والخيرُ والشرُّ مقرونانِ في قرنٍ ... بكلِّ ذلكَ يأتيكَ الجديدانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدركته لأسلم فبكى مسلم فقال ابنه ياأبت مايبكيك من مشرك ماتِ في الجاهلية فقال يابنيّ لاتفعل فما رأيت مشركة تلقفت من مشرك خيراً من سويد •• قوله ـ ما يمنى لك الماني ـ معناه ما يقدّر لك القادر •• قال الفراء يقال منى الله عليه الموت أي قدّر الله عليه الموت •• وقال يعقوب مناك الله بما يسرك أي قدّر الله لك ما يسرك وأنشد

لَعمرُ أبي عمرٍو لقدْ ساقهُ المَنى ... إلى جدَثٍ يُوزَى لهُ بالأَهاضبِ[2]

•• قال ابن الاعرابى ساقه المنى أى ساقه القدر •• وأنشد ابن الاعرابى

مَنتْ لكَ أنْ تُلاقيني المَنايا ... أُحادَ أُحادَ في الشّهرِ الحلالِ[3]

معناه قدرت لك •• وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى (من نطفة اذا تُمنى) معناه اذا تخلّق وتقدّر •• وقال بعض أهل اللغة انما سمي منىً لما يمنى من ثواب الله أي يقدّر فيه وقيل أيضاً لما يمنى من الدم •• وقيل انما سمى بذلك لأن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما انتهى قال له الملك تمن قال أتمنى الجنة فسمي منى لذلك ومنى يذكر ويؤنث والتذكير أجود •• قال الشاعر في التذكير

سقَى منىً ثمَّ روّاهُ وساكنَهُ ... ومَنْ ثوَى فيهِ واهي الوَدْقِ مُنْبَعِقُ

---

(١) ـ مختشع ـ من الخشوع وهو الذل والمسكنة يقول إن من سلك طريقه الذى يليق به سلوكه ولم يجاوزه الى مالا يليق به قضى عمره فى عز ورفعة حتى يوافى أجله

(٢) ـ الجدث ـ القبر ـ ويوزى يحتفر ويعمل من أوزى داره اذا جعل حول حيطانها الطين ـ والاهاضب ـ جمع هضبة وهي المشرف من الارض

(٣) ـ أحاد أحاد ـ يعني واحداً واحداً وهما ممنوعان من الصرف للعدل

•• وقال آخر في التأنيث

لَيَوْمُنَا بِمِنىً إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا أَسَرُّ مِنْ يَوْمِنَا بِالعَرْجِ أَوْ مَلَلِ

فأما قوله ــ فالخير والشر مقرونان في قرن ــ فالقرن الحبل وأراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خيراً صرفا لا شر فيه فلهذا قال انهما مقرونان في قرن ويجوز أيضاً أن يريد أن لسرعة تقلب الدنيا وإبدالها الخير بالشر كأن الخير والشر مقرونان مجتمعان معاً لتقارب ما بينهما •• فأما ــ الجديدان ــ فهما الليل والنهار وهما أيضاً الأجدان والملوان والفتيان والردفان والعصران •• قال الشاعر

إِنَّ الجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ تَفْسُدُ النَّاسُ

•• وقال آخر

وَأَنْطُلُهُ العَصْرَيْنِ حَتَّى يَمَلَّنِي وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدَّيْنِ وَالأَنْفُ رَاغِمُ (١)

وقال أبو عبيدة ويقال الليل والنهار إبنا سُبات •• وأنشد ابن الاعرابي

وَكُنَّا وَهُمْ كَابْنَيْ سُبَاتٍ تَفَرَّقَا سِوىً ثُمَّ كَانَا مُنْجِداً وَتِهَامِيَا

ويقال للغداة والعشي القرنان والبركان والصرعان •• أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي لرقيع الوالبي

كَذَبَتْكَ مَا وَعَدَتْكَ أَمْسِ صَلَاحُ وَعَسَى يَكُونُ لِمَا وَعَدْتِ نَجَاحُ

بُرْءٌ مِنَ السُّقْمِ الطَّوِيلِ ضَمَانُهُ لَا يَسْتَوِي سُقْمٌ بِكُمْ وَصِحَاحُ

أَصَلَاحُ إِنَّكِ قَدْ رَمَيْتِ نَوَافِذاً وَجَوَائِفاً لَيْسَتْ لَهُنَّ جِرَاحُ

(١) ــ أنطله ــ بالنون أي أمطله وقد روى بالميم أيضاً والمعنى انه لا يزال يسوفه من يوم الى يوم ومن وقت الى آخر حتى يرضى بنصف ماله عليه من الدين وأنفه راغم

ولقدْ رَأَيتُكِ بالقوَادِمِ لمحةً وعليَّ مِنْ سَدَفِ العَشيِّ رَياحُ

معنا رياح ههنا أى على وقت من العشى ومثله رواح وقوم يروونه بالكسر وليس بشئ

ما كانَ أبصرَني بغرَّاتِ الصِبا واليومَ قد شفعتْ ليَ الأشباحُ

ومشَي بجَنبِ الشَّخصِ شخصٌ مثلُهُ والأرضُ نائية الشُّخوص بَرَاحُ

حلقَ الحوَادِثُ لِمَّتي فترَكنَ لي رَأساً يَصِلُّ كأَنَّهُ جُمَّاحُ

وذَكا بأَصدَاغي وقرْنِ ذُؤَابتي قبَسُ المَشيبِ كأَنَّهُ مِصباحُ

قال كأنه جماح من املاسه ــ وجماح ــ سهم أو قصبة يجعل عليها الطين ثم يرمى بها الطير

وبهذا الاسناد لبعضهم

أَرَى النَّاسَ للصعلُوكِ حَرْباً ولاأَرى لذِي نَشَبٍ إِلاَّ خَليلاً مُصافيا

أَرَى المالَ يَغشَى ذَا الوُصومِ فلايُرَى ويُدْعى منَ الأَشرافِ مَنْ كانَ غابِيا

ــ الصعلوك ــ الفقير وهو أيضاً القرضوب والسبروت ــ والوصوم ــ العيوب ..

وبهذا الاسناد لعقيل بن علفة

إِني ليَحمدُني الخليلُ إِذَا اجتَدَى مالي ويكرَهُني ذَوو الأَضغانِ

وأَبيتُ تَحلِجُني الهُمومُ كأَنَّني دَلْوُ السُّقاةِ تُمَدُّ بالأَشطانِ(١)

وأَعيشُ بالبَلَلِ القليلِ وقدأَرَى أَنَّ الرُّموسَ مَصارِعُ الفتيانِ

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني عليّ بن منصور قال أخبرنى محمد بن موسى عن دعبل بن عليّ قال قال لى عقيل بن علفة وذكر الأبيات الثلاثة وزاد فيها

(١) ــ تحلجني ــ من حلجت القطن اذا ميزت حبه عن شعره ورواه ابن الاعرابى بالخاء من خلجه الهم شغله ــ وتمد ــ ترفع ــ والاشطان ــ جمع شطن وهو حبل البئر ــ والرموس ــ جمع رمس وهو القبر يقول إنّ الموت كائن لا محالة فالقليل من العيش والكثير سيان

ولقد علمت لئن هلكت ليذكرن ... قومي إذا علن النجي مكاني

[قال المرتضى] رضى الله عنه وكان عقيل بن علّفة مع قوّة شعره جيّد الكلام حكيم الألفاظ •• وروى المدائنى قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علّفة المرى ما أحسن أموالكم فقال ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضلا قال ثم أيها قال مواريثنا قال فأيها أشرف قال ما استفدناه لوقعة خولت نعماً وأفادت عزًّا قال فما مبلغ عزكم قال مالم يطمع فينا ولم نؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به منناً وأبقينا به ذكراً قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منّا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه •• وروى انه قيل لعقيل بن علّفة قد عنّست بناتك أفما تخشى عليهن الفساد قال كلا إني خلّفت عندهن الحافظين قيل وما هما قال الجوع والعرى أجيعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا يظهرن •• وقال له عبد الملك يوماً مالك تهجو قومك قال لأنهم أشباه الغنم اذا صيح بها رفعت واذا سكت عنها رتعت قال انما تقول البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق •• فأما معنى ـ علّفة ـ اسم أبيه •• قال ابن الاعرابى قال العلّفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الرهز من البقل وغيره •• وقال أبو سعيد السكرى العلّفة ضربٌ من أوعية بزر بعض النبات مثل قشرة الباقلاء واللوبيا وهو الغلاف الذى يجمع عدة حب •• وقيل ان عقيلا كان يكنى بأبي الوليد وكان عقيل غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة •• وروى أبو عمرو بن العلاء انه حمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول

إني وإنْ سيقَ إليَّ المهرُ ... ألفٌ وعبدانِ وذَوْدٌ عشْرُ

أحبُّ أصهاري إليَّ القبْرُ

وذكر الأصمعي ان عقيلا كان لغيرته اذا رأى الرجل يتحدث الى النساء أخذه ودهن ارفاغه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه فى قرية النمل فلا يعود الى محادثتهم •• وروى الأصمعي قال كان عقيل بن عُلّفة فى بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجرباء فأنشأ يقول

قَضَتْ وَطَرًا مِنْ دَيرِ سَعْدٍ وَرُبَّما ... علي عَجَلٍ ناطَحْنَهُ بالجَماجِمِ [١]

ثم أقبل على ابنه فقال أجز ياعلمس فقال

وأصبحْنَ بِالْمَوْماةِ يَحْمِلْنَ فِتيةً ... نشاوَى مِنَ الإدلاَجِ مِيلَ العمائِمِ

ثم أقبل على ابنته فقال أجيزى ياجرباء فقالت

(١) ـ دير سعد ـ بين بلادغطفان والشام وقد أخرج الضحاك هذه الحكاية بابسط مما ذكر هنا ونحن نذكرها تتميما للفائدة .. قال خرج عقيل بن علفة وجثامة وابنته الجرباء حتي أتوا بنتا له ناكحا في بني مروان بالشامات ثم أنهم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل بن علفة

قضت وطراً من ديرسعد وطالما ... على عرض ناطحنه بالجماجم

اذا هبطت أرضا يموت غرابها ... بها عطشا أعطينهم بالخزائم

ثم قال أنفذ ياجثامة فقال جثامة

فأصبحن بالموماة يحملن فتية ... نشاوى من الادلاج ميل العمائم

اذا علمٌ غادرنه بتنوفة ... تذارعن بالايدي لآخر طاسم

ثم قال أنفذى ياجرباء فقالت

كأن الكرى سقّاهم صرخدية ... عقارا تمطي في المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة لولا الامان لضربت بالسيف تحت قرطك أما وجدت من الكلام غيرهذا فقال جثامة وهل اساءت انما أجادت وليس غيري وغيرك فرماه عقيل بسهم فاصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرجل ثم شدّ على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيراً مع ناقة الجرباء ثم قال لولا أن تسبني بنو مرة لما عشت ثم خرج متوجها الى أهله وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أوقلت لهم انه اصابه غير الطاعون لا قتلنك فلما قدموا على أهل أبير وهم بنو القين ندم عقيل على فعله بجثامة فقال لهم هل لكم في جزور انكسرت قالوا نعم قال فالزموا أثرهذه الراحلة حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم فاحتملوه وتقسموا الجزور وأنزلوه

كأنَّ الكرى سقّاهم صرخدية ... عقارًا تمشّت في المطا والقوائم

قال فأقبل على ابنته يضرب بها ويقول والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه إخوتها فقاتلوه دونها ثم رماه أحدهم بسهم فانتظم فخذه .. فقال عقيل

إنَّ بنيَّ زمّلوني بالدّم ... من يلقَ أبطالَ الرّجالِ يُكلَم

ومن يكن ذا أودٍ يقوّم ... شنشنةٌ أعرفُها من أخزم

ـ الشنشنة ـ الطبيعة والسجية وقيل الشبه وهذا مثل اجتلبه عقيل وقد قيل قبله ولعقيل

وللدهرِ أثوابٌ فكن في لباسهِ ... كلبستهِ يومًا أجدَّ وأخلقا

وكن أكيسَ الكيسي اذا كنت فيهمُ ... وإن كنتَ في الحمقى فكن أنتَ أحمقا

مجلس آخر ٢٧

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (والى الله ترجع الأمور) فقال كيف يصح القول بأنها رجعت عليه وهي لم تخرج عن يده .. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه .. أولها ان الناس فى دار المحنة والتكليف قد يغتر بعضهم ببعض ويعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم وقد يدخل عليهم الشبه لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبد قوم الأصنام وغيرها من

عليهم وما لجوه حتى برئ والحقوه بقومه فلما كان قريباً منهم تغنى

أيعذر لاحينا ويلحين فى الصبا ... وما هنّ والفتيان الاشقائق

فقال له القوم انما أفلت من الجراحة التى جرحك أبوك آنفا وقد عاودت ما يكرهه فامسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لا يلحقك منه شر وعرّ فقال انما هي خطرة خطرت والراكب اذا سار تغني

المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ويعبد آخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى فى استحقاق العبادة ويضيف كل هؤلاء أفعال الله عزوجل فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه فى الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وأيقن الكل انه لاخالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله فردوا اليه أمورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا ان الذى كانوا عليه من عبادة غيره وتأميله للضر والنفع غرورٌ وزور فقال الله تعالى ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ لهذا المعنى .. والوجه الثاني أن يكون معني الآية في الأمور أن الأمور كلها لله تعالى وفي يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيقي وقد تقول العرب قد رجع عليَّ من فلان مكروه بمعنى صار اليَّ منه ولم يكن سبق اليَّ قبل هذا الوقت وكذلك يقولون قد عاد عليَّ من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء .. قال الشاعر

وإنْ تكنِ الأيّامُ أحسنَّ مرّةً　　إليَّ فقدْ عادَتْ لهنَّ ذُنُوبُ

أى صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا المعنى شائع جائز تشهد له اللغة .. والوجه الثالث إنّا قد علمنا ان الله تعالى قد ملك العباد فى دار التكليف أموراً تنقطع بانقطاع التكليف وإفضاء الأمر الى الدار الآخرة مثل ما ملكه الموالي من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز أن يريد الله تعالى برجوع الأمر اليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتمليكه الى أن يكون هو وحده مالكها ومدبرها .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بها ان الأمر ينتهي الى أن لا يكون موجود قادر غيره ويفضي الأمر في الانتهاء الى ما كان عليه فى الابتداء لأن قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد إفنائهم هكذا يصير وتكون الكناية برجوع الأمر اليه عن هذا المعنى وهو رجوعٌ حقيقي لأنه عاد الى ما كان عليه متقدماً .. ويحتمل أيضاً أن المراد بذلك انّ الى قدرته تعود المقدورات لأن ما أفناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض ترجع الى قدرته ويصح منه تعالى إيجاده لعوده الى ما كان عليه وإن كان لا يصح فى مقدورات البشر وإن كانت

باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدور القدر باستحالة العود اليها من حيث لم يجر فيها التقديم والتأخير وهذا أيضاً حكمه تعالى المنفرد به دون غيره من سائر القادرين والله أعلم بما أراده

مجلس آخر ٢٨

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) فقال أي معنى لذكر البيوت وظهورها وأبوابها وهل المراد بذلك البيوت المسكونة على الحقيقة أو كنى بهذه اللفظة عن غيرها فان كان الأول فما الفائدة فى إتيانها من أبوابها دون ظهورها وان كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها •• الجواب قيل له فى الآية وجوه •• أولها ماذكر من أن الرجل من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل من مؤخر البيت ولم يدخل من بابه تطيراً فدلهم الله تعالى على أن هذا من فعلهم لا بر فيه وأمرهم من التقى بما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطيّر وقال لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أى لا يعدى شئ شيئاً •• وقال عليه الصلاة والسلام لايورد ذو عاهة على مصحّ ومعنى هذا الكلام ان من لحقت إبله آفة أو مرض فلا ينبغي أن يوردها على إبل لغيره صحاح لأنه متي فعل ذلك يلحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقاً لا لأجل العدوى ولم يؤمن من صاحب الصحاح أن يقول انما لحق إبلي هذه الآفة من تلك الابل وهى أعدت إبلي فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا ليزول المأثم بين الفريقين والظن القبيح •• وثانيها ان العرب[1] إلاّ قريشاً ومن ولدته

(١) قوله ان العرب الا قريشاً الخ قلت ليس كذلك وانما الذين كانوا يتحامون دخول البيوت من أبوابها وهم محرمون الاحامس وهم قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية وانما سموا بذلك لتحمسهم في دينهم أي تشددهم وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم أقبل ليدخل بيت بعض نسائه وهو محرم ومعه بعض أصحابه فلما دخل النبى صلى

قريش كانوا اذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من أهل الوبر واذا كانوا من أهل المدر نقبوا في بيوتهم مايدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأعلمهم انه لامعنى له وانه ليس من البر وان البر غيره •• وثالثها وهو جواب أبي عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر بان تطلبوا من غير أهله وتلتمسوه من غير بابه وأتوا البيوت من أبوابها معناه واطلبوا الخير من وجهه ومن عند أهله •• ورابعها وهو جواب أبي علي الجبائي أن يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل وأراد ليس البر أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته لأن إتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى الاثم والخطأ وبين البر والتقوى وامر باتيان الأمور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً لأن العادل عن الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه •• وخامسها أن تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى وأتوا النساء من حيث أمركم الله والعرب تسمي المرأة بيتاً •• قال الشاعر

مالي إذا أنزِعُها صأيتُ   أكِبَرٌ غيّرني أم بيتُ

أراد بالبيت المرأة •• ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي على الجبائي والجواب عن أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي

إني عجبتُ لأمّ العَمْرِ إذ هَرَبتْ   من شيبِ رأسي وما بالشّيبِ من عارِ
ما شِقوَةُ المرءِ بالإقتارِ يُقتِرُهُ   ولا سَعادَتُهُ يوماً بإكثارِ
إنّ الشّقيّ الّذي في النّارِ منزِلُهُ   والفوزُ فوزُ الذي ينجو منَ النّارِ

الله عليه وسلم تأخر الرجل فقال له عليه الصلاة والسلام مالك لا تدخل فقال أنا أحمسي فقال وأنا كذلك فنسخ بفعله وقوله ما كانت عليه قريش ومن أخذ مأخذها

أَعوذُ بِاللهِ مِن أَمرٍ يُزَيِّنُ لِي ... شَتمَ العَشيرَةِ أَو يُدني مِنَ العارِ

وَخَيرِ دُنيا يُنَسّي المَرءَ آخِرَةً ... وَسَوفَ تَبدُو الي الجَبّارِ أَسراري

لاَ أَدخُلُ البيتَ أَحبُو مِن مُؤَخَّرِهِ ... وَلا أُكَسِّرُ في ابنِ العَمِّ أَظفاري

فقوله ـ لا أدخل البيت أحبو من مؤخره ـ يحتمل أن يريد به إني لا آتي الأمور من غير وجهها على أحد الأجوبة فى الآية ٠٠ ويحتمل أيضاً إني لا أطلب الخير إلاّ من أهله على جواب أبي عبيدة ٠٠ ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يريد إني لا أقصد البيت للريبة والفساد لأن من شأن من يسعى الى أفساد الحُرم ويقصد البيوت للريبة أن يعدل عن أبوابها طلباً لاخفاء أمره فكأنه نفى عن نفسه بهذا القول القبيح وتنزه عنه كما تنزه بقوله ـ ولا أكسر فى ابن العم أظفاري ـ عن مثله وأراد انه لا يبدأ ابن العم مني السوء ولا يتألم بشيء من جهتى فأكون كأني قد جرحته بأظفاري وكسرتها فى لحمه وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب ٠٠ ويجرى مجرى هذه الأبيات ويقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم

وَإِني لَعَفٌّ عَن زِيارَةِ جارَتي ... وَإِني لَمَشنوءٌ اليَّ اغتِيابُها

اذا غابَ عَنها بَعلُها لَم أَكُن لَها ... زَوُورًا وَلَم تَنبَح عَلَيَّ كِلابُها

وَما أَنا بِالدّاري أَحادِيثَ بَيتِها ... وَلا عالِمٍ مِن أَيِّ حَوكٍ ثِيابُها

وَإِنَّ قِرابَ البَطنِ يَكفيكَ مِلأُهُ ... وَيَكفيكَ عَوراتِ الامورِ اجتِنابُها

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد جمعت هذه الأبيات فقراً عجيبة وكنايات بليغة لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لأنها أدنى الى الريبة وأخص بالتهمة فقال ـ ولم تنبح عليّ كلابها ـ أراد إنى لا أطرقها ليلا مستخفياً متنكراً فتنكرنى كلابها وتنبحنى وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم ٠٠ لا أدخل البيت أحبو من مؤخره وقد روى ولم تأنس اليّ كلابها وهذا معنى آخر كأنه أراد انه ليس يكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها فتأنس به كلابها لأن الانس لايكون إلاّ

مع المواصلة والمؤازرة ٠٠ وقوله ـ وما أنا بالدارى أحاديث بيتها ـ أراد به أيضاً التأكيد فى نفى زيارتها وطروقها عن نفسه لأنه اذا أدمن الزيارة عرف أحاديث بيتها فاذا لم يزورها وصارمها لم يعرف ٠٠ ويحتمل أن يريد إنني لا أسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك ٠٠ وقوله ـ ولا عالم من أي حوك ثيابها ـ كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها ٠٠ وبالاسناد المتقدم لحارثة ابن بدر الغدانى

اذَا الهَمُّ أَمسَي وهوَ دَاءٌ فأَمضِهِ ... ولستَ بمُمضِيهِ وأنتَ تُعادِلُهْ

ولا تنْزِلنْ أَمرَ الشَّدِيدَةِ بأمرئٍ ... اذَا هَمَّ أَمرًا عوَّقتْهُ عوَاذِله

فما كلُّ ما حاوَلتَهُ الموْتُ دُونَهُ ... ولا دُونَهُ أَرْصادُهُ وحَبائله

ولا الفتكُ ما آمرْتَ فيه ولا الّذِي ... تُحدِّثُ مَنْ لاقيْتَ أَنَّكَ فاعله

وما الفتكُ إلاّ لامرِئٍ ذِي حفيظةٍ ... اذَا مالَ لمْ تَرْعُدْ عليهِ خصائله

ولا تَجعلنْ سِرًّا الي غيرِ أهلهِ ... فتقْعُدَ إنْ أَفْشي عليكَ تُجادِلُه

ولا تَسأَلِ المالَ البَخيلَ تَرَى لهُ ... غنيً بَعدَ ضُرٍّ أَوْرَثتْهُ أَوائله

أَرَى المالَ أَفْياءَ الظّلاَلِ فتارَةً ... يؤُوبُ وأُخرَي يَختلُ المالَ خاتِله

معنى ـ آمرت ـ شاورت ـ والخصائل ـ كل لحم مجتمع وقد روينا فى هذه الأبيات زيادة على القدر الذى ذكرناه ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى الحسن بن علىّ قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنى الفضل بن محمد عن أبي المنهال المهلبي قال من الأبيات السائرة قول حارثة بن بدر الغدانى

لعمرُكَ ما أَبقَى لِيَ الدَّهرُ مِنْ أَخٍ ... حَفِيٍّ ولا ذِي خلّةٍ لِي أُواصله

ولاَ مِنْ خليلٍ ليسَ فيهِ غوَائلٌ ... فشَرُّ الأَخِلاَّءِ الكَثيرُ غوَائله

وقُلْ لِفُؤَادٍ إنْ نَزَى بكَ نَزْوَةً مِنَ الرَّوعِ أَفرِخْ أكثَرُ الرَّوعِ باطِلُه

معنى ـ أفرخ ـ أي أسكن يقال أفرخ روعه اذا سكن

وما كلُّ ما حاوَلتَهُ الموتُ دُونَهُ

وذكر البيتين اللذين بعده وزاد

وكنْ أنتَ تَرْعَى سِرَّ نفسكَ واْعلمنْ بأَنَّ أَقلَّ النَّاسِ لِلسِّرِّ حامِلُهْ

إذَا ما قَتَلْتَ الشَّيْءَ عِلماً فَبُحْ بهِ ولاَ تقُلِ الشَّيْءَ الَّذِي أنتَ جاهِلُهْ

ومما يستحسن لحارثة بن بدر الغداني قوله

لنا نَبعةٌ كانتْ تَقِينا فُرُوعُها وقدْ بلَغتْ إلاَّ قليلاً عُرُوقُها

وإنَّا لتَستحلي المَنايا نُفوسَنا وتَترُكُ أُخرَى مرَّةً لاَ نَذُوقُها

وشيَّبَ رَأْسي قَبلَ حينِ مَشيبهِ رعودُ المَنايا بيْننَا وبُرُوقُها

قوله ـ لنا نبعة كانت تقينا فروعها ـ مَثلٌ ضربه وانما أراد عشيرته وأهل بيته •• وقد روى هذه الأبيات عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي العباس ثعلب وزاد فيها

رَأَيتُ المَنايا بادِياتٍ وعُوَّدًا إلى دَارِنا سَهْلاً الينا طَرِيقُها

وقدْ قسَمتْ نفسي فَرِيقَينِ مِنهُما فَرِيقٌ معَ المَوتَى وعِندِي فَرِيقُها

وبيننا نُرَجِّي النَّفسَ ماهُوَ نازِحٌ مِنَ الأَمرِ لاَقتْ دُونَها ما يَعوقُها

•• وروى أبو العيناء قال أنشد الشعبي عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأول فقال عبد الله لمن هذا ياشعبي قال لحارثة بن بدر فقال نحن أحق بهذا ثم أمر للشعبي بأربعمائة دينار •• ومن مستحسن قول حارثة

ولقدْ وليتُ إمارَةً فرَجَعتُها في المالِ سالِمةً ولمْ أَتَموَّلِ

ولقدْ مَنَعتُ النُّصحَ مِنْ مُتَقبِّلٍ ولقدْ رَفَدتُ النُّصحَ مَنْ لم يَقبَلِ

فبأيّ لَمْسةِ لامِسٍ لمْ أَلتمسْ ... وبأيّ حيلةِ حائلٍ لمْ أَحتلِ

يا طالبَ الحاجاتِ يَرْجو نُجْحها ... ليْسَ النَّجاحُ معَ الأَخَفِّ الأَعجلِ

فاصدُقْ إِذَا حَدَّثتَ تُكْتَبْ صادِقاً ... وإِذَا حَلَفْتَ مُمارِياً فتحلَّلِ

معنى ـ تكتب صادقاً ـ أى تكون عند الله صادقاً ٠٠ وقوله ـ فتحلل ـ أى استثن

واذَا رَأَيتَ الباهِشينَ الي العُلى ... غُبْرًا أَكُفُّهمُ بِرَيْثٍ فأَعجلِ

معنى ـ الباهشين ـ المادين أيديهم الي الشيء المهتشين له

واحذَرْ مكانَ السوءِ لاَ تَحْلُلْ بهِ ... واذَا نَبا بكَ منْزِلٌ فتحوَّلِ

واذا ابنُ عمّكَ لجّ بَعضَ لَجاجةٍ ... فانْظُرْ بهِ عدَةً ولاَ تَستعْجِلِ (١)

واذَا افتقرْتَ فلاَ تكُنْ متخشّعاً ... تَرْجو الفَواضلَ عندَ غيرِ المُفْضِلِ

واستَغْنِ ما أَغناكَ رَبُّكَ بالغِنى ... واذا تكونُ خصاصةٌ فتجمَّلِ

٠٠ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل تميم فى وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هـذا قد غلب عليك وهو مشتهر بالشراب فقال زياد كيف لي باطراح رجل هو يسايرنى مذ دخلت العراق لم تصطك ركابى ركابه ولا تقدمني فنظرت الي قفاه ولا تأخر عنّي فلويت عنقي اليه ولا أخذ عليّ الشمس في شتاء قط ولا الروح فى صيف قط ولا سألته عن علم إلاّ ظننته لايحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة أيها الأمير ما هـذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة قد كان برع بروعاً لايلحقه معـه عيب

(١) ـ اللجاجة ـ الخصومة ـ وانظر ـ انتظر ـ يقول إذا خاصمك قريبك ولج فى خصومتك فانتظر رجوعه اليك وإقلاعه عن خصومتك ولا تستعجل عليه فى مقابلته بمثل مابدأك به أو فانتظر به نازلة تشغله عنك وتكفه عنك غائلته

وأنا حـدث وانما أنسب الى من يغلب عليّ وأنت رجـل تديم الشراب فتى قربتك وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظن بي فدع الشراب وكن أوّل داخـل على وآخر خارج فقال له حارثة أنا لا أدعه لمن يملك ضرّى ونفعي أفأدعه للحال عندك قال فاختر من عملي ماشئت قال توليني رام هرمز فانها أرض عـدات وشرف فان بها شراباً وصف لي فولاه إيّاها فلما شـيعه الناس ٠٠ قال أنس بن أبي أنيس وقيـل ابن أبي إياس الدئلي

أحارِ بنَ بَدْرٍ قدْ وُلِيتَ إِمارَةً ... فـكُنْ جرُذًا فيها تخونُ وتَسْرِقُ

ولاَ تَحْقِرَنْ يا حارِ شيئًا وَجدْتَهُ ... فحَظُّكَ من مُلكِ العِرَاقينِ سُرَّقُ[1]

وباهِ تميماً بالغنى إنَّ للغني ... لساناً بهِ العيُّ الهيُوبةُ ينطقُ

فإنَّ جميعَ النَّاس إمَّا مُـكذِّبٌ ... يقولُ بما تهوَى وإمَّا مُصدِّقُ

يقولونَ أقوالاً ولاَ يَعلمونَها ... فإنْ قيلَ هاتوا حقِّقوا لمْ يُحقِّقوا

وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدئلي وانه كتب بها الى حارثة لما ردت اليه سرّق ويزاد فيها

وكنْ حازماً في اليوم إنَّ الذي بهِ ... يجيءُ غدٌ يومٌ علي الناسِ مُطبَقُ

ولاَ تَعجزَنْ فالعجزُ أوطأُ مَرْكبٍ ... وما كلُّ مَنْ يَدعو الى الخيرِ يُرْزَقُ

اذَا ما دَعاكَ القومُ عَدُّوكَ آكلاً ... وكُلْ حاراً وجُعْ لستَ مِمَّنْ يُحمَّقُ

ويقال ان حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله

جزاكَ إلهُ العرْشِ خيرَ جزائهِ ... فقدْ قلتَ معرُوفاً وأوصيتَ كافيا

---

(١) سرّق بضم أوله وتشديد ثانيه كورة من كور الاهواز ومدينتها دورق

أَشَرْتَ بأَمرٍ لو أَشرْتَ بغيرِهِ   لأَلفيتني فيهِ لأَمرِكَ عاصياً[1]

٠٠ويقال ان حارثة بن بدر والأَحنف بن قيس قد دخلا على ابن زياد فقال لحارثة أى الشراب أطيب وكان يتهم فقال برة طاساريه واقطة عنويه وسمنه عنزيه وسكرة سوسيه ونطفة مسرقانيه فقال للأَحنف يا أبا بحر ما أطيب الشراب قال الخمر قال وما يدريك ولست من أهلها قال رأيت فيها خصلتين عرفت انها أطيب الشراب ٠٠ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان بأبيه

أُهانُ وأُقصى ثمَّ تنتصحونني   وأيُّ امرىءٍ يُعطي نصيحتَهُ قسرَا

رَأَيتُ الأَكُفَّ المُصلتينَ عليكمُ   مِلاءً وكفِّي من عطايا كُمْ صِفْرَا

وإني مَعَ السَّاعي اليكُمْ بسيفهِ   اذا احدثَتِ الأَيامُ في عظمِكمْ كَسْرَا

متى تسأَلوني ما عليَّ وتمنعوا   الذي لي لم أَستطعْ لكُمُ صبْرَا

٠٠ وقال يعاتبه

وكمْ مِنْ أميرٍ قد تجبَّرَ بعدَ ما   مَرَيتُ لهُ الدُّنيا بسيفي فدرَّتِ

اذَا زَبنَتْهُ عن فُوَاقٍ أتتْ بهِ   دَعاني ولمْ أُدْعَ اذَا ما أقرَّتِ

اذاهيَ ما احلَوْلَتْ محَا حقَّ مقسَمي   ويَقسِمُ لي منها اذَا ما أَمرَّتِ

ــزبنته ــأى دفعته عن ان يحلبها ــ والفواق ــ اجتماع اللبن فى الضرع بين الحلبتين ٠٠ ومعنى ــأقرت ــ تركته يحلبها ٠٠ ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير يعاتب معاوية ومروان وأهل بيته من جملة قصيدة وهي أبيات قوية جدًّا

---

(١) ــ قلت ــ أورد هذه الحكاية يافوت الحموى فى كتابه معجم البلدان وذكر بيتى بدر المذكورين هنا وزاد بعدهما بيتا واحدا وهو

ستلقى أخا يصفيك بالود حاضرا   ويوليك حفظ الغيب ما كان نائيا

عطاؤكم للضاربين رقابكم ونُدعى اذا ما كان جز الكراكر (١)
أنحن أخوكم في المضيق وسهمنا اذا ما قسمتم في الخطاء الأصاغر

ـ الخطاء ـ سهام صغار

وثني يكم الأدنى اذا ما قسمتم ونلقى بثذي حين نسأل باسر (٢)
وإن كان فينا الذنب للناس مثله أُخِذنا به من قبل ناه وآمر

أى من قبل أن نهي عنه أو نؤمر باجتنابه

وإن جاءكم مناغريب بأرضكم لويتم له يوماً جنوب المناخر
فهل يفعل الأعداء إلا كفعلكم هوان السراة وابتغاء العواثر
وغيّر نفسي عنكم ما فعلتم وذكر هوان منكم متظاهر
جفاؤكم من عالج الحرب عنكم وأعداؤكم من بين جاب وعاشر
فلا تسألوني عن هواي وودكم وقل في فؤاد قد توجه نافر

والحارث يرثي زياداً

لهفي عليك للهفة من خائف يبغي جوارك حين ليس مجير
أما القبور فإنهن أوانس بجوار قبرك والديار قبور
عمت فواضله فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
ردت صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور

---

(١) ـ جز ـ قطع ـ والكراكر ـ جمع كركرة بالكسر وهي رحى زور البعير أو صدر كل ذي خف أو الجماعة من الناس كنى بذلك عن الحرب

(٢) ـ باسر ـ أي جاف لالبن فيه ٠٠ ومنه بسر الحاجة أي طلبها قبل أوانها

•• [قال المرتضى] رضى الله عنــه وأظن أبا تمام الطائى نظر الي قول جارثة بن بدر
* ردت صنائعه اليه حياته * فى قوله

أَلَمْ تَمُتْ يا شَقِيقَ النفسِ مذ زَمَنٍ ... فقالَ لي لم يَمُتْ مَنْ لم يَمُتْ كَرَمُهُ

وأخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن يعـني ابن أخي الأصمعى عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه فجعل لا يمر بمجلس من مجالس تميم إلاّ قالوا مرحباً بسـيدنا فقال كعب ما سمعت كلاماً قط هو أقر لعينى وألذ فى سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني ماسـمعت كلاماً قط هو أكره اليّ منه ثم قال

ذَهَبَ الرِّجالُ فسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدٍ ... ومِنَ الشَّقاءِ تَفَرُّدِي بالسُّؤْدَدِ

وهذا البيت يقال انه لحارثة لا انه تمثل به •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكناني مر حارثة بن بدر بالأحنف ابن قيس فقال لولا انك مستعجل لشاورتك قال له أجـل كانوا يكرهون أن يشاور الجائع حتى يشبع والظمآن حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق

مجلس آخر ٢٩

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) فقال أي تمدح فى سرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدحة فيـه •• الجواب قلنا فى ذلك وجوه •• أولها أن يكون المعنى انه سريع الحساب للعباد على أعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تأخر ويجري مجرى قوله تعالى (وما أمرُ الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب) وانما جاز أن يعبر عن المجازاة أو الجزاء بالحساب لأن

ما يجازي به العبد هو كفوءٌ لفعله وبمقداره فهو حسابٌ له اذا كان مماثلا مكافئاً ٠٠ومما يشـهد بان فى الحساب معنى المكافأة قوله تعالى (جزاء من ربك عطاء حساباً) أى عطاء كافياً ويقال أحسبنى الطعام يحسبنى إحساباً اذا كفاني ٠٠ قال الشاعر

وإذ لا ترى في النَّاسِ حُسناً يَفُوتُها وفي النَّاسِ حُسناً لو تأمَّلتَ مُحْسِبُ

معناه كاف ٠٠ وثانيها أن يكون المراد أنه غزوجل يحاسب الخلق جميعاً فى أوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك حلب شاةٍ لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسـبة غيره بل يكلمهم جميعاً ويحاسب كلهم على أعمالهم في وقت واحدٍ وهذا أحد ما يدل على انه تعالى ليس بجسم وانه لايحتاج في فعل الكلام الى آلة لأنه لو كان بهذه الصـفات تعالى عنها لما جاز أن يخاطب اثنين فى وقت واحدٍ بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة كما ان جميع ذلك واجب فى المحدثين الذين يفتقرون فى الكلام الى الآلات ٠٠ وثالثها ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوبٍ وانه لما كانت عادة بني الدنيا أن يسـتعملوا الحساب والاحصاء فى أكثر أمورهم أعلمهم الله تعالى انه يعـلم ما يحسبون بغير حسابٍ وانما سمى العـلم حساباً لأن الحساب انما يراد به العلم وهـذا جوابٌ ضعيف لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى حساباً ولو سمي بذلك لما جاز أيضاً أن يقال انه سريع العلم بكذا لأن علمه بالاشـياء مما لايتجدد فيوصف بالسرعة ٠٠ ورابعها ان الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهـم وذلك انه يسأل فى وقت واحدٍ سؤالات مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيجزى كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه عند دعائه ومسئلته مايستوجبه بحدٍ ومقدار فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب فأعلمنا تعالى انه سريع الحساب أى سريع القبول للدعاء بغير احساس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعى كما يبحث المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا جواب مبني أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لايسمى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على

ذلك بما يكون حجة فيه وإلاّ فلا طائل فيما ذكره .. ويمكن فى الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها وتكون الفائدة فى الاخبار بسرعته الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى (سريع العقاب) وليس لأحد أن يقول فهذا هو الجواب الأول الذي حكيتموه وذلك ان بينهما فرقاً لأن الأول مبنى على أن الحساب فى الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة المعروفة والمقابلة بالأعمال وتوجيهها وذلك غير الجزاء الذي يفضي الحساب اليه .. وقد طعن بعضهم في الجواب الثانى معترضاً على أبى علىّ الجبائى فى اعتماده إيّاه بان قال مخرج الكلام فى الآية على وجه الوعيد وليس فى خفّة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضى زجراً ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب أن يكون المراد الاخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال .. وهذا الجواب ليس أبو علىّ المبتدي به بل قد حكي عن الحسن البصري واعتمده أيضاً قطرب ابن المستنير النحوي وذكره المفضّل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له لأنه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه قال تعالى (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وما له فى الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب وراجعاً الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أو يكون راجعاً الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيباً مما كسبوا فلا يكون وعيداً خالصاً بل إمّا أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً ووَعيداً على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ماذكر الطاعن لكان لقوله تعالي (والله سريع الحساب) على تأويل من أراد قصر الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفى هذا ترغيب وترهيب لا محالة لأن من علم بانه يحاسب بأعماله ويوقف على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح وعمل ورغب في فعل الواجب

فهذا ينصر الجواب وان كنّا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة وقرب المحاسبة على الأعمال ترغيباً فى الطاعات وزجراً عن المقبحات فالتأويل الأول أشبه بالظاهر واسق الآية إلاّ أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردود

مجلس آخر ٣٠

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فقال أى تمدح فى الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحسابٍ أجزل عطية من المعطى بغير حساب .. الجواب قلنا فى هذه الآية وجوهٌ .. أولها أن تكون الفائدة انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب ههنا راجع الى المرزوق لا إليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا فى حسابى أى لم أؤمله ولم أقدّر انه يكون وهذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسباً كان أهنأ له وأحلا .. وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه في تفسير هذه الآية انه قال عنى بها أموال بني قريظة والنضير فانها تصير اليكم بغير حساب ولا قتال على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها .. وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقاً غير مضيق ولا مقتر بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء للمخلوقين فيكون انى الحساب فيه نفياً للتضيق ومبالغة فى وصفه بالسعة والعرب تسمى العطاء القليل محسوباً .. قال قيس بن الخطيم

أَنَّى سَرَيتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِ ... وتقرِّبُ الأَحلامُ غيرَ قريبِ

ما تَمنعي يقظى فقدْ تُؤْتينَهُ ... في النَّومِ غيرَ مُصَرَّدٍ محسوبِ

.. وثالثها أن يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير حساب أى من غير طلب للمكافأة أو اراغة فائدة تعود اليه أو منفعة ترجع عليه لان من شأن أهل الدنيا أن يعطوا ليكافئوا ولينتفعوا ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية الى هذه الأمور فلان يحاسب الناس

فيما يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله اليهم وما أشبه ذلك فلما انتفت هذه الأمور من عطاياه سبحانه جاز أن يقول أنه يرزق من يشاء بغير حساب •• ورابعها ما أجاب به قطرب قال معنى الآية يعطى العدد الكثير لا ما يضبطه الحساب أو يأتي عليه العدد لأن مقدوره تعالى لا يتناهي وخزائنه لا تحصر ولا يصح عليه النفاد وليس كالمعطي منّا الألف من الألفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويتمكن منه محدودٌ متناهٍ ولا تناهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه •• وخامسها أن يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا وأزيد مما وجب لهم لمحاسبته إياهم على طاعاتهم كما قال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) وكما قال عز وجل (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم) وكما قال تعالى (ليوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) •• وسادسها أن يكون المعطي منّا غيره شيئاً والرازق سواه رزقاً قد يكون له ذلك فيكون فعله حسناً لا يسأل عنه ولا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحاً يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيحَ وما ليس له أن يفعله بنفي الحساب عنه وأنبأ أنه لا يرزق ولا يعطى إلاّ على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم وتجرى الآية مجرى قوله تعالى (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) وانما أراد انه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز أن يسأل عنها وان سئل العباد عن أفعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح معاً •• وسابعها ان الله تعالى اذا رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب عن العبد ساقطاً من جهة الناس فليس لأحدٍ أن يقول له لم رزقت ولا يقول لربه لم رزقته ولا يسأله ربه عن الرزق وانما يسأله عن انفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى ولذلك قال تعالى (بغير حساب) •• وثامنها أن يكون المراد بمن يشاء أن يرزقه من أهل الجنة لانه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ولا العدد والاحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر (فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)

[تأويل خبر] ٠٠ان سأل سائل عن الخبر الذي يروي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال توضؤا مما غيرت النار ٠٠ فقال ماالمراد بالوضوء ههنا ومذهبكم ان مس ما غيّرته النار لا يوجب الوضوء ٠٠ الجواب ان معنى توضؤا أي نظفوا أيديكم من الزهومة لانه روى ان جماعة من الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم من الزهومة ويقولون فقدها أشد علينا من ريحها فأمر عليه الصلاة والسلام بتنظيف الأيدي ٠٠فان قيل كيف يصح أن تحملوا الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الافعال المخصوصة بدلالة ان من غسل يده أو وجهه لايقول بالاطلاق توضأت ومتى سلم لكم أن الوضوء أصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه الصلاة والسلام خص بالعرف الشرعي وحمله عليه أولى من حمله على اللغة ٠٠قلنا ليس ننكر أن يكون اطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالأفعال المعينة وكذلك المضاف منه الى الحدث أو الصلاة وما أشبههما ٠٠ فأما المضاف الي الطعام وما جرى مجراه فباق على أصله ألا ترى انهم لو قالوا توضأت من الطعام ومن الغُمْرة أو توضأت للطعام لايفهم منه إلاّ الغسل والتنظيف واذا قالوا توضأت اطلاقاً أو توضأت من الحدث أو للصلاة فهم منه الأفعال الشرعية فليس ينكر ماذكرناه من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة الي فائدة في الشرع على كل وجه كذلك يجوز أن ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب كثير من الناس الي أن اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وان كان مقيدها باقياً على ما كان عليه في اللغة ٠٠ويبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وانما أراد غسل اليدين بغير شك ٠٠ وروى عن قتادة أنه قال غسل اليد وضوء ٠٠ وروى عكرش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل وغسل يده ومسح ببلل يده وجهه وذراعيه ورأسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الأفعال الشرعية المخصوصة لصح أن نحملها في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى أصلها بالأدلة وان كان الأولى لولا الأدلة أن تحمل على

مقتضي الشرع فمن الأدلة على ماذكرناه مارواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل كتف شاة وقام فصلى ولم يتوضأ .. وروى عطاء عن أم سلمة قالت قربت جنباً مشوياً الى النبي صلى الله عليه وسلم فأكل منه وصلى ولم يتوضأ .. وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول[1] لوكان له ظاهر فكيف وقد بينا انه لاظاهر له .. فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسنها قيل وضأها ويقال فلان وضيء الوجه وقومٌ وِضاء .. قال الشاعر

مَسامِيحُ الفَعالِ ذَوُو أَناةٍ مَرَاجِيحٌ وأَوْجُهُهُمْ وِضَاءُ[2]

والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك أيضاً التوضأ ..والوضوء بفتح الواو اسم مايتوضأ به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز أن يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا حسن القبول فجعلوا القبول مصدراً وهو مفتوح الأول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم إلا معنى

---

(١) ــ قلت ــ الخبر الاخير وهو ما رواه جابر انه كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار يدل دلالة صريحة على ان المراد بالوضوء في الحديث السابق وهو توضؤا مما غيرت النار الوضوء الشرعي الذي هو عبارة عن غسل الاعضاء المعلومة وان الوضوء مما مست النار كان مشروعا ثم نسخ وكل ما ذكر من كونه صلى الله عليه وسلم أكل مما نالته النار ولم يتوضأ محمول على مابعد النسخ وهذا هو الصحيح ولا حاجة لتمحل السيد رحمه الله ولا يناقض هذا مذهب أحد ممن يقول بعدم مشروعية الوضوء مما مست النار

(٢) ــ الفعال ــ بكسر الفاء جمع فعل خيراً كان او شراً فان فتحوا الفاء أرادوا ما هو من أفعال الخير فقط ــ والأناة ــ السكينة والتؤدة ــ ومراجيح ــ ثقال يريد أنهم لا يطيشون في كل ما ينزل بهم

المصدر وحده .. قال جرير

أَهَوِيَّ أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وُقُودَا ... أَمْ بِالْجُنَيْنَةِ مِنْ مَدَافِعِ أُودَا[1]

.. وقال آخر

اذَا سُهَيْلٌ لَاحَ كَالْوُقُودِ ... فَرْدًا كَشَاةِ الْبَقَرِ الْمَطْرُودِ

.. وقال آخر

وَأَجَّجْنَا بِكُلِّ يَفَاعِ أَرْضٍ ... وُقُودَ النَّارِ لِلْمُتَنَوِّرِينَا

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال حدثني ابراهيم بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال أتيت عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوماً في منزله فاذا هو مغيظ ينفخ فقلت له مالي أراك هكذا قال دخلت على عاملكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو ابن عثمان فسلمت فلم يردا عليَّ السلام فقلت

أَلَا فَأَبْلِغَا عَنِّي عِرَاكَ بْنَ مَالِكٍ ... فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَبْلِغْ أَبَا بَكْرِ

فَقَدْ جَعَلَتْ تَبْدُو شَوَاكِلُ مِنْكُمَا ... فَإِنَّكُمَا بِي مُوقَرَانِ مِنَ الصَّخْرِ

وَطَاوَعْتُمَا بِي غَادِرًا ذَا مُعَاكَةٍ ... لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْرَى وَمَا مِثْلُهُ يُورِي

يقال ــ معك ــ به وسدل به اذا تعرض به لشر

فَلَوْلَا اتِّقَا اللهِ اتِّقَائِيَ فِيكُمَا ... لَلُمْتُكُمَا لَوْمًا أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ

فَمَسَّا تُرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتُمَا ... وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَقَامُ الَى الْحَشْرِ

وَلَا تَأْنَفَا أَنْ تُغْشَيَا فَتُكَلَّمَا ... فَمَا حُشِيَ الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبْرِ

(١) ــ الجنينة ــ تصغير جنة وهي البستان روضة نجدية ــ وأود ــ بضم فسكون أحد منازل تميم بنجد ــ ومدافع ــ جمع مدفع وهو مسيل الماء الى الوادي

ولوْ شئتُ أُدْلي فيكُما غيرُ واحدٍ ... علانيةً أو قالَ عنديَ في السِّرِّ (١)

معناه لو شئت اغتابكما عندي غير واحد

فإنْ أنا لمْ آمُرْ ولمْ أنْهَ عنكُما ... ضَحكتُ لهُ حتّى يَلجَّ ويَستَشْري (٢)

وكيفَ تُريدانِ ابنَ سبعينَ حِجّةً ... على ما أتى وهوَ ابنُ عِشرينَ أو عَشْرِ

لقدْ علِقتْ دَلْوًا كُما دَلْوَ حُوَّلٍ ... منَ القومِ لا رِخْوِ المرَاسِ ولا نَزْرِ (٣)

قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك يقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برىء وانما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن جرم وكانا صديقيه كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما .. وقد جاءت رواية أخرى ان أبا بكر بن عمرو بن جرم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله فلا يسلّمان عليه فقال الأبيات يخاطبهما بها .. وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة

إذا كانَ لي سرٌّ فحدَّثتُهُ العِدَى ... وضاقَ بهِ صدْري فلَلنّاسُ أعذَرُ

هوَ السرُّ ما استَوْدَعتهُ وكتَمتَهُ ... وليسَ بسِرٍّ حينَ يَفشو ويَظهَرُ

.. وأنشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عتبة بن مسعود

أُواخي رِجالاً لستُ مُطّلِعَ بعضِهمْ ... على سِرِّ بَعضٍ إنَّ صدْريَ واسِعُهْ

اذا هيَ حلّتْ وَسْطَ عَودِ بنِ غالبٍ ... فذلكَ وُدٌّ نازحٌ لا اطالِعُهْ

---

(١) ــ أدلي ــ يقال أدلي فلان في فلان اذا قال فيه قولا قبيحاً .. يقول لو شئت لسلطت عليكما الناس فسبوكما سراً وعلانية ولكني امسك عنكما اتقاء لله فيكما

(٢) ــ يستشري ــ بمعنى يلج أي يتوغل في الأمر ويغرق فيه .. ومنه قيل للخوارج الشراة لتوغلهم في المروق من الطاعة ومخالفة الجماعة

(٣) ــ حول ــ شديد الاحتيال ومثله حول كصرد وحوله كهمزة وحوالي بفتح الحاء وضمها .. يقول انكما وقعتما مع من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما

تلاقت حيازيمي على قلب حازم كتوم لما ضمت عليه أضالعه
بني لي عبد الله في سورة العلى وعتبة مجدا لا تنال مصانعه

والبيت الأول يشبه قول مسكين الدارمي

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض غير أني جماعها

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله

تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتأم الفطور
أكاد اذا ذكرت العهد منها أطير لو ان إنسانا يطير
غني النفس أن أزداد حبا ولكني إلى وصل فقير

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

أحللت في قلبي هواك محلة ما حلها المأكول والمشروب

وأخذه المتنبي في قوله

وللسر مني موضع لا يناله نديم ولا يفضي اليه شراب

وكأن العباس بن الأحنف ألم به في قوله

لو شق قلبي لرأى وسطه اسمك والتوحيد في سطر

•• وقال الصاحب اسماعيل بن عباد

لو شق قلبي لرأوا وسطه سطرين قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب وحب أهل البيت في جانب

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي •• ولعبيد

الله بن عبد الله بن عتبة

لعمرُ أبي المحصينَ أيَّامَ نلتقي ... لِما لا نُلاقيها منَ الدَّهرِ أكثرُ

يَعُدُّونَ يوماً واحدًا إنْ أتيتُها ... ويَنسونَ ما كانت على الدَّهرِ تَهجُرُ

فإنْ يكُنِ الواشونَ أغرَوا بهجرِها ... فإنَّا بتجديدِ المَوَدَّةِ أجدَرُ

ومن مستحسن قوله من غزله

لَعَمري لئنْ شَطَّتْ بعَتمةَ دارُها ... لقد كُنتُ منْ وَشْكِ الفراقِ أُليحُ (١)

أرُوحُ بهمٍّ ثمَّ أغدُو بمثلِهِ ... ويَحسبُ أنِّي في الثِّيابِ صحيحُ

أخذ هذا المعنى بشار فقصر عنه فى قوله

ويُصبِحُ محزوناً ويُمسي بهِ ... وليس يَدري ما الَّهُ عندكِ

مجلس آخر ٣١

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام ﴿ قد افترينا على الله كذباً إن عُدْنا فى ملّتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلاّ أن يشاء الله ربنا ﴾ •• فقال(٢) أليس هذا صريحاً منه بان الله تعالى يجوز أن

(١) ــ شطت ــ بعدت ــ ووشك ــ قرب ــ وأليح ــ أخاف وأحذر •• يقول ان ارتحلت عنا وفارقتنا فقد كنت أنتظر ذلك وأتوقعه وأتخوف منه قبل أن يقع

(٢) ــ قلت ــ أصل الاشكال فى الآية ينبنى على مذهب المعتزلة ان الله جل شأنه لا يريد الا الحسن وان غير الحسن لا يشاؤه ولا يريده ومذهب أهل السنة ان كل ما يقع فى الكون من خير او شر فهو مراد لله تعالى وعلى هذا المذهب فلا اشكال فى الآية بل هى شاهدة له

يفعل الكفر والقبيح لأن ملة قومه كانت كفراً وضلالا وقد أخبر انه لايعود فيها إلاّ أن يشاء الله .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه .. أولها أن يكون الملة التي عناها الله انما هي العبادات الشرعيات التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع الى الاعتقادات فى الله وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادات فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والألطاف والمعلوم من أحوال المكلفين فكأنه قال ان ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بان الله قد نسخها وأزال حكمها إلاّ أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود اليها وتلك الأفعال التى كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وان كانت ضلالا وكفراً فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون إيماناً وهُدى بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجرى هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى الذى لايجوز أن يكون إلاّ قبيحاً ..وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله (قد افترينا على الله كذباً إن عُدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) .. فيقال له لم ينف عودهم اليها على كل حال وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منهيًّا عنها والذى علقه بمشيئة الله تعالى من العود اليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمثلها والجواب مستقيم لاخلل فيه .. وثانيها انه أراد ان ذلك لا يكون أبداً من حيث علقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوم انه لا يشاؤه وكل أمر علق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه وتجرى الآية مجرى قوله تعالى (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) وكما يقول القائل أنا لا أفعل كذا حتى يبيضّ القار أو يشيب الغراب .. وكما قال الشاعر

وحتى يؤوبَ القارظانِ كِلاهُما ... ويُنْشَرَ في القتلى كُليبٌ لوائلِ [1]

---

(١) ـ القارظان ـ يذكر بن عنزة وعامر بن رهم وكلاهما من عنزة خرجا في طلب القرظ وهو ثمر السنط فلم يرجعا فضربت العرب بغيبتهما المثل ويقال انهما مرا بواد عميق فيه عسل فقال أحدهما لصاحبه لو نزلت فأتيتنا منه بشئ فربط نفسه بحبل وتدلى حتى بلغ اسفل الوادي فلما اخذ من العسل حاجته قال لصاحبه ارفعني فقال له لاارفعك

والقارظان لا يؤوبان أبداً وكليب لا ينشر أبداً فكأنه قال ان هذا لا يكون أبداً .. وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً وان الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعودوا فى ملتنا) ثم قال حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال .. ورابعها أن تكون الهاء التى فى قوله فيها الى القرية لا الى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام إنّا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلاّ أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد فى الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها .. وخامسها أن يكون المعنى إلاّ أن يشاء الله أن يردكم الى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكياً عنهم أو لتعودن فى ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يكون من بعد إلاّ أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة .. فان قيل الاستثناء بالمشيئة انما كان بعد قوله (وما يكون لنا أن نعود فيها) فكأنه قال ليس نعود فيها إلاّ أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب .. قلنا هو كذلك إلاّ أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن تصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول إلاّ أن يشاء الله أن نتفق في الملة بان ترجعوا أنتم الى الحق .. فان قيل فكان الله تعالى ما شاء أن ترجع الكفار الى الحق .. قلنا بلى قد شاء ذلك إلاّ أنه ما شاءه على كل حال بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذى أجرى بالتكليف اليه ولو شاءه على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم فكان شعيباً عليه الصلاة والسلام قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبداً الا أن يشاء الله أن يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا فى ملتنا والفائدة فى ذلك واضحة لانه لو أطلق

أو تزوجني أختك وكان له أخت يهواها فقال له ليس هذا وقته فتركه ومضى ثم هلك فى منصرفه الي أهله ولم يوقف لهما على خبر — وكليب — هو الذي قتله جساس فهاجت بقتله الحرب التي تسمي حرب البسوس

أنَّا لا نتفق أبداً ولا تصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم ان ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه له بالمشيئة هـذا الوجه ويجري قوله تعالى (إلاّ أن يشاء الله) مجرى قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً) •• وسادسـها أن يكون المعنى إلاّ أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ويخلى بينكم وبينه فنعود الى إظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه قوله تعالى (أولو كنّا كارهين) ••وسابعها أن يكون المعنى إلاّ أن يشاء اللهأن يتعبدنا باظهار ملتكممع الاكراه لان اظهار كلمة الكفر قد تحسن فيبعض الأحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها وقوله (أو لو كنا كارهين) يقوي هذا الوجه أيضاً ••فان قيل فكيف يجوز من نبيمن أنبياء الله أن يتعبد باظهار الكفر وخلافماجاء به من الشرع ••قلنا يجوز أن يكونلم يرد بالاستثناءنفسه بلقومه فكأنه قال وما يكون لي ولا لأمّق أن نعود فيها إلاّأن يشاء الله أن يتعبد أمتي باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهو جائز غير ممتنع

[تأويل خبر]••روى أبو هريرةعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قالخيرالصدقة ماأبقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول •• الجواب قد قيل في قوله خير الصدقة ما أبقت غنى قولان •• أحدهما ان خـير ما تصدقت به مافضل عن قوت عيالك وكفايتهم فاذا خرجت صدقتك عنك اليمن أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ومثله فى الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غني •• وقال ابن عباس في قوله تعالى (ويسـئلونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ما فضل عن أهلك •• والجواب الآخر أن يكون أراد خير الصدقة ماأغنيت به من أعطيت عن المسـئلة أي تجزل له في العطية فيستغنى بها ويكف عن المسئلة وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم فيدفعها اليرجل واحد محتاج فيستغني بها ويكف عنالمسئلة فذاك أفضل من أنيدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم••والتأويل الأول يشهد لهآخرالخبر وهو قوله وابدأ بمن تعول ويشهد له الحديث الآخر أيضاً انما الصـدقة عن ظهر غني ••وقولهاليد العليا خيرمناليد السفلى••قالقوم يريدان اليد المعطية خيرمن الآخذة وقال آخرون ان العليا هي الآخذة والسـفلى هي المعطية •• قال ابن قتيبة ولا أرى

هؤلاء إلاّ قوماً استغنابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق هو الذي أعتق والمولى من أسفل هو الذي أعتق والناس انما يملون بالعطايا لابالسؤال .. [قال المرتضى] رضي الله عنه وعندي[1] ان معنى قوله عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعاً وهو أن تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة لان النعمة قد تسمى يداً في مذهب أهل اللسان بغير شك فكأنه صلى الله عليه وسلم أراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً .. ويشهد لهذا التأويل أحد التأويلين المتقدمين في قوله ما أبقت غنى وهذا أشبه وأولى من أن تحمل على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل المعطية خيراً من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطي ولفظة خير لاتحمل إلاّ على الفضل في الدين واستحقاق الثواب .. وأما من جعل الآخذة خيراً من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً مع انه قد قال قولاً شنيعاً وعكس الأمر على ماقال ابن قتيبة .. فان قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غنى وهي لا تبقى غنى إلاّ بعد أن تنقص من غيرها واذا كانت العطية التي هي أجزل أفضل فتلك لا تبقى غنى والتي تبقى غنى ليست

---

(١) ـ قوله وعندي أن معنى قوله عليه الصلاة والسلام الخ هذا التأويل بعيد جدا فان قوله في الحديث العليا خير من السفلى لايدل على أن المراد باليد النعمة ولو كان المراد هذا لوصفها بكونها حقيرة وجليلة أو كبيرة وصغيرة والظاهر أن المراد باليد الجارحة وأما قوله بعد في دفع هذا ان هذا لايستمر لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله ممن يعطي فبعد تسليم صحته لايسلم على عمومه وليس المراد في الحديث بكون اليد العليا خيرا من السفلى انها كذلك من جميع الوجوه حتى يلزم ماقال وانما المراد أفضليتها من حيث كونها معطية ومفضولية الآخذة من حيث كونها آخذة فلاينافي هذا أن تكون الآخذة خيرا من المعطية من وجه آخر

الجزيلة وهذا تناقض .. قلنا أما تأويلنا فمطابق للوجهين المذكورين في قوله ما أبقت غنى لان من تأول ذلك على أن المراد بها المعطي وان خير العطية ما أغنته عن المسئلة فالمطابقة ظاهرة ومن تأوّله على الوجه الآخر وحمل ما أبقى الغنى على المعطي وأهله وأقاربه فتأويلنا أيضاً مطابق له لانه قد يكون فى العطايا التي تبقى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيل وغير جزيل فقال عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غنى بعد إخراجها والعطية الجزيلة التى يبقى بعدها غنى خير من القليلة فمدح عليه الصلاة والسلام بعد ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل .. أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبيد الله الحكيمى قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيي النحوى قال أنشدنا ابن الاعرابى لثابت قطنة العتكي

يا هندُ كيفَ بنَصْبٍ باتَ يُبكيني ... وعائرٍ في سَوادِ العينِ يُؤْذِيني (١)

كأنَّ ليلِيَ والأَضْدادُ هاجِدَةٌ ... ليلُ السَّليمِ وأَعْيى مَنْ يُدَاوِيني

لمَّا حَنَي الدَّهرُ مِنْ قَوسى وعذَّرَني ... شيْبي وقاسيتُ أَمرَ الغلْظِ واللِّينِ

اذَا ذَكَرْتُ أبا غسَّانَ أَرَّقَني ... هَمٌّ اذَا عَرَّسَ السَّارُونَ يُشْجِيني

كانَ المفضَّلُ عِزًّا في ذَوِي يَمَنٍ ... وعِصْمَةً وثِمَالاً لِلمساكينِ

غيثاً لِذِي أَزْمَةٍ غَبْرَاءَ شاتِيَةٍ ... مِنَ السِّنِينَ ومأْوَى كلِّ مِسكينِ

إنِّي تَذَكَّرْتُ قتلى لو شَهِدْتُهُمُ ... في حَومَةِ الحَرْبِ لم يَصْلَوا بها دُوني

لاَ خيرَ في العيشِ اذْ لم يَجْنِ بَعْدَهُمُ ... حَرْباً تَبِيءُ بِهِمْ قَتْلِي فتَشْفِيني

---

(١) ــ النصب ــ الهم والتعب وانما سكنه لضرورة الشعر ــ والعائر كل ما أعلّ العين من رمد أو قذي

لاَ خيرَ في طَمَعٍ يُدْني إلي طَبَعٍ وعفةٌ مِنْ قُوامِ العَيْشِ تكفيني (١)

وأَنظُرُ الأَمرَ يَعنيني الجوابُ بهِ ولستُ أَنظُرُ فيما ليسَ يَعنيني

لاَ أَرْكبُ الامرَ تُزري بي عواقبُهُ ولاَ يُعابُ بهِ عِرْضي ولاَ دِيني

لاَ يَغلِبُ الجَهلُ حِلمي بعدَ مقدرَةٍ ولاَ العَضيهَةُ من ذِي الضِّغنِ تكبيني

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَماني لو قَصدْتُ لهُ لم يأخُذِ النِّصفَ مِنّي حينَ يَرْميني

٥٥ [قال المرتضى] أدام الله علاه وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أُذينة ويداخل أبياتاً له على هذا الوزن وهي التي يقول فيها

لقدْ علمتُ وما الإِسْرافُ مِنْ خُلُقي إِنَّ الذي هوَ رِزْقي سوفَ يأتيني

أَسْعى اليهِ فيعنيني تَطَلُّبُهُ ولوْ قعدْتُ أَتاني لاَ يُعَنِّيني (٢)

كم قدْ أَفدْتُ وكمْ أَتلفتُ مِنْ نَشَبٍ ومنْ معاريضِ رزقٍ غيرِ ممنونِ

---

(١) الطبع ــ الذل وفي الحديث أعوذ بالله من طمع يفضي الى طبع ــ والعفة ــ بالضم بقية اللبن فى الضرع بعدماامتص أكثره ٠٠ يقول ان القليل يغني عن الكثير فلا خير في طمع يفضي الى ذل

(٢) يقول ان الرزق مقسوم لن يفوت الانسان منه ماقسم له ــ ويحكى أن عروة هذا وفد على عبد الملك بن مروان مسترفدا فلما دخل عليه قال له من أنت فتسمى له فقال عبد الملك ألست القائل (لقد علمت وما الاشراف من خلقي) الابيات فأطرق مليا ثم خرج من فوره ذلك فركب ناقته وخرج الى الحجاز ثم ان عبد الملك سال عنه فقيل انه سافر فندم على ما كان منه وقال انه شاعر ولسنا نأمن أن ينالنا من لسانه شيء فأرسل اليه بصلة جزيلة فوافاه الرسول بها حين وافى منزله بالمدينة فقال للرسول قل لامير المؤمنين كيف رأيت صدقه في قوله

فما أشرتُ على يُسْرٍ وما ضَرَعَتْ ... نفسي لِخُلَّةِ عُسْرٍ جاء يَبْلوني (١)

خِيمي كَرِيمٌ ونفسي لاَ تُحَدِّثُني ... أَنَّ ٱلإلهَ بِلاَ رِزْقٍ يُخَلِّيني

وما ٱشتَرَيتُ بمالي قطُّ مَكرُمةً ... إلاَّ تيقَّنتُ أنى غـيرُ مَغبونِ

ولاَ دُعِيتُ إلى مَجْدٍ ومَحْمَدَةٍ ... إلاَّ أَجَبْتُ اليـهِ مَنْ يُنادِيني

لاَ أبتغي وَصلَ مَنْ يَبغي مُفارَقَتي ... ولاَ أَلِينُ لِمَنْ لاَ يَبتغي لِيني

إني سيَعرِفُني مَنْ لَستُ أعرِفُهُ ... ولَوْ كَرِهتُ وأبدُو حينَ يُخْفِيني

فَفَطِّني جاهِدًا وٱجهَدْ عليَّ اذَا ... لاَقيتَ قومَكَ فٱنظُرْ هَلْ تُغَطِّيني (٢)

وقوم يخبطون فيروون قوله ــ لقد علمت وما الاشراف من خلقي ــ بالسين غير المعجمة وذلك خطأ وانما أراد بالاشراف أنى لا أستشرف وأتطلع على ما فاتني من أمور الدنيا ومكاسبها ولا تتبعها نفسي . . [قال المرتضي] رضي الله عنه ولي أبيات فى معنى بعض أبيات قطنة وعروة بن أُذَينة التى تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عنى منذ اثنتى عشرة سنة والابيات

تَماقَبَنِي بُؤْسُ الزَّمانِ وخَفْضُهُ ... وأَدَّبَنِي حَرْبُ الزَّمانِ وسِلْمُهُ

وقد عَلِمَ المَغرُورُ بالدَّهرِ أَنَّهُ ... وَراءَ سُرُورِ المرْءِ في الدَّهرِ غَمُّهُ

---

(١) ــ أشرت ــ من الاشر وهو البطر ــ وضرعت ــ من الضراعة وهي الذل

(٢) وذكر الأصفهاني في الأغاني لعروة زيادة عما ذكره السيد رحمه الله فى هذه الأبيات وهى

كم من فقير غني النفس تعرفه ... وكم غني فقـير النفس مسكين

وكم أخ لي طوي كشحاً فقلت له ... ان انطواءك عني سوف يطويني

اني لأبصر فيما كان من أربي ... وأكثر الصمت فيما ليس يعنيني

وما المرء إلاّ نهب يوم وليلة — تخب به شهب الفناء ودهمه

يعلّله برد الحياة يمسّه — ويغتره روح النسيم يشمه

وكان بعيداً عن منازعة الردى — فألقته في كف المنية أمه

ألا إنّ خير الزاد ماسدّ فاقة — وخير تلاديّ الذي لا أجمّه[1]

وإنّ الطوي بالعز أحسن بالفتى — اذا كان من كسب المذلة طعمه

وإني لأنهى النفس عن كل لذة — اذا ما ارتقى منها الى العرض وصمه

وأعرض عن نيل الثريا اذا بدا — وفي نيله سوء المقال وذمه

أعف وما الفحشاء عني بعيدة — وحسبي في صدّ عن الأمر إثمه

وما العف من ولّى عن الضرب سيفه — ولكنّ من ولّى عن السوء حزمه

ولي في معنى قوله وما الاشراف من خلقي

ما خامر الرزق قلبي قبل فجأته — ولا بسطت له في النأ ثبات يدي

كم قد ترادف لم أحفل زيادته — ولو تجاوزني مافتّ من عضدي

إن أسخط الأمر أذركه عنه مضطرباً — وإن أرد بدلاً من مذهب أجد

ومعنى — ما خامر الرزق قلبي — أي لم أتمنه ولا تطلعت الى حضوره ولا خطر لي ببال

---

(١) — الفاقة — الحاجة — والتليدان — التالد من المال وهو ماورثه الانسان من آبائه والطارف وهو ما اكتسبه واستحدثه بسعيه غلب أحدهما على الاخر فثناهما به يقول خير المال ماسد الفاقة وما زاد على ذلك فهو فضل وزيادة وهذا كقولهم خير الزاد مابلغك المحل وحسبك من القلادة ماأحاط بالعنق وقوله وخير تلادي يريد به ان خير مال الانسان ماأنفق منه وأعطي لا ما ادخر وجمع

تنزهاً وتقنعاً والوجه في تخصيص نفي بسط اليد بالنوائب لانها يضرع عندها في الاكثر المتنزه ويطلب المتعفف فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروءة ومعنى البيت الثاني ظاهر .. فأما الثالث فالمراد به إنني ممن اذا كره شيئاً تمكن من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتقصر قدرته عن استدراك مايحب بما يكره .. وفيه فائدة أخرى وهي أنني ممن لاتملكه العادات وتقتاده الأهواء بل متى أردت مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك عليّ متعذراً من حيث كان لرأيي على هواي السلطان والرجحان .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيي النحوي قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن أذينة نازلا مع أبي في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه

إِنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوًى لَهَا

فِيكَ الَّذِي زَعَمَتْ بِهَا فَكِلَاكُمَا ... أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا

وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا ... يَوْماً وَقَدْ ضَحِيَتْ إِذاً لَأَظَلَّهَا(١)

وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ ... شَفَعَ الضَّمِيرُ الَى الفُؤَادِ فَسَلَّهَا

بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا ... بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا(٢)

---

(١) هكذا هو هنا وقد نسب هذه الابيات بعض أهل الادب الى المجنون وأنشد البيت هكذا

اني لاكتم في الحشا من حبها ... وجدا لو أصبح فوقها لاظلها

وأنشد بعده

ويبيت تحت جوانحي حب لها ... لو كان تحت فراشها لاقلها

(٢) ــ اللبقة ــ الحسنة الدل ــ وادقها ــ أي أدق خصرها ــ وأجلها ــ أي أجل عجيزتها أي جعلها عظيمة فالكلام على التوزيع وارجاع كل شيء الى ماينا سبه

لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّماً لِيَ حاجةً ... أَخْشَى صُعُوبَتَها وأَرْجو ذُلَّها

مَنَعَتْ تَحِيَّتَها فقلتُ لِصاحبي ... ما كانَ أَكْثَرَها لنا وأَقَلَّها

فَدَنا فقالَ لَعَلَّها مَعْذُورَةٌ ... في بَعْضِ رِقْبَتِنا فقلتُ لَعَلَّها

.. قال عروة بن عبيد الله فجاءني أبو السائب المخزومي يوماً فسلم عليّ وجلس اليّ فقلت له بعد الرحب به ألك حاجة يا أبا السائب فقال أو كاتكون الحاجة أبيات لعروة ابن أُذينة بلغني أنك سمعتها منه قلت أي أبيات قال وهل يخفى القمر * ان التي زعمت فؤادك ملّها * فأنشدته فقال ما يروي هذه إلاّ أهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود الدائم العهد لا الهذلي الذي يقول

إنْ كانَ أَهلُكِ يَمْنَعونَكِ رَغبةً ... عني فأَهلي بي أَضَنُّ وأَرْغَبُ

لقد عدا الأعرابي طوره وإني لا رجو أن يغفر الله لابن أُذينة في حسن الظن بها وطلب العذر لها فدعوت له بطعام فقال لا والله حتى أروى هذه الأبيات فلما رواها وثب فقلت له كما أنت يغفر الله لك حتى تأكل فقال والله ما كنت لأخلط بمحبتي لها وأخذي إياها غيرها وانصرف .. [قال المرتضى] رضي الله عنه والهذلي الذي عابه وأنشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندل الهذلي .. وقول عروة ـ باكرها النعيم ـ أراد انها لم تعش إلاّ في النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلاق بؤساً فتخشع وتضرع ويؤثر ذلك في جمالها وتمامها والبكور هو التقديم في كل وقت .. وكان عروة بن أُذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والنزاهة .. وروى ان سكينة بنت الحسين عليهما السلام مرت به فقالت يا أبا عامر أنت الذي تقول

اذا وَجَدْتُ أُوارَ الحُبِّ في كَبِدِي ... أَقبلتُ نحوَ سِقاءِ القومِ أَبْتَرِدُ

هَبْني بَرَدْتُ بِبَرْدِ الماءِ ظاهِرَهُ ... فمَنْ لِنارٍ علي الأَحشاءِ تَتَّقِدُ

.. وأنت القائل

قالتْ وأَبْثَثْتُها وَجدِي فبُحتُ بِهِ ... قد كُنتَ عِندِي تُحِبُّ السِّتْرَ فاستَتِرِ

ألستَ تُبصِرُ مَنْ حولي فقلتُ لها غطّى هواكِ وما ألقي على بصري

قال نعم قالت هن حرائر وأشارت الى جواريها ان كان خرج هذا من قلب سليم ..

وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى لعروة

كأنّ خزامى طلّةٍ صابها الندى وفارةَ مسكٍ ضُمّنتها ثيابُها

اذا اقتربتْ سُعْدى لَهِجتَ بحبّها وإنْ تغترب يوماً يَرُعْكَ اغترابُها

وكدتُ لذِكراها أَطيرُ صبابةً وغالبتُ نفساً زادَ شوقاً غلابُها

ففي أيّ هذا راحةٌ لكَ عندَها سواءٌ لعمري نأيُها واقترابُها

وعادَ الهوى منها كظلِّ سحابةٍ ألاحتْ ببرقٍ ثمّ مرَّ سحابُها

[قال المرتضى] رضي الله عنه وهيهات هذا البيت الأخير من قول كثير

وإني وتَهيامي بعزّةَ بعدَ ما تخلّيتُ ممّا بيننا وتخلّتِ

لكالمرتجي ظلّ الغمامةِ كلّما تبوّأَ منها للمَقيل اضمحلّتِ

كأني وإيّاها سحابُ مُمْحِلٍ رجاها فلمّا جاوزتْهُ استهلّتِ

..وروى يحيى بن عليّ قال حدثنا أبو هفّان قال أشعر أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة .. فأولها قول الكميت بن زيد

إنْ يحسدوني فإني لا ألومهُمُ قبلي من النّاس أهلُ الفضل قد حُسِدوا

فدامَ لي ولهم ما بي وما بهمُ وماتَ أكثرُنا غيظاً بما يجدُ

أنا الذي يجدوني في حلوقهمُ لا أرتقي صدَرًا عنها ولا أَرِدُ

لا ينقصِ اللهُ حُسّادي فإنّهمُ أسرُّ عندي من اللائي له الوَدَدُ

.. وقال عروة بن أُذينة

لا يُبعدِ اللهُ حُسّادي وزادَهمُ حتّى يموتوا بداءٍ فيَّ مكنونِ

إنّي رَأَيتهمُ في كلّ منزِلةٍ   أَجلُّ قدرًا منَ اللائي يحبّوني

•• وقال نصر بن سيّار

إن يحسدُوني علي مابي وما بهمُ   فمثلُ مابي لعمري جرَّ لي الحسَدَا

•• وقال معن بن زائدة

إني حُسِدتُ فزادَ اللهُ في حسَدِي   لا عاشَ منْ عاشَ يوماً غيرَ محسودِ

ما يُحسَدُ المرءُ إلاَّ مِنْ فضائلهِ   بالعِلمِ والظَّرفِ أو بالبأسِ والجُودِ

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد لحظ البحتري هذا المعنى في قوله

مُحسَّدٌ بخلالٍ فيهِ فاضلةٍ   وليسَ يفترقُ النَّعماءُ والحَسَدُ

وأظن أبا العتاهية أخذ قوله

كمْ عائبٍ لكِ لمْ أسمعْ مقالتَهُ   ولمْ يزدْكِ لدَينا غيرَ تزيينِ

كأنَّ عائبَكمْ يُبدِي محاسنَكم   وصفاً فيمدَحكُم عندِي ويُغرينى

ما فوقَ حبِّكِ حبٌّ لستُ أعلمُهُ   فلا يضرُّكِ أنْ لا تستزيدِينى

من قول عروة بن أُذينة

لا بُعدُ سُعدَى مُريحي من جوَى سقمٍ   يوماً ولا قُربُها إنْ حُمَّ يَشفينى

اذا الوُشاةُ لحَوا فيها عصيتُهمُ   وخِلتُ أنَّ بسُعدَى اليومَ يُغرِيني

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى فى قوله

ما حطَّكَ الوَاشونَ من رُتبةٍ   عندِي ولاَ ضرَّكَ مُغتابُ

كأنَّهمْ أثنَوا ولم يَعلَموا   عليكَ عندِي بالَّذي عابوا

ولعروة بن أُذينة

تُرَوِّعُنا الجنائزُ مُقبلاتٍ   ونَسهُو حينَ تخفَى ذاهباتٍ

كَرْوعةِ الألغارِ ذِئبٍ ... فلما غابَ عادتْ رَاتِعاتِ

ـ الثلة ـ القطعة من الضأن .. وهذا المعنى قد سبق اليه بعض الاعراب فقال

وتُحدِثُ رَوعاتٍ لدَى كلِّ فَزعةٍ ... ونُسرِعُ نِسياناً وماجاءنا أمْنُ

وإنَّا ولاَ كُفرَانَ للهِ رَبِّنَا ... لكالبُدْنِ لاَ تَدرِي متى يومُها البُدْنُ

أخذه أبو العتاهية في قوله

إذَا ما رَأَيتمْ ميّتينِ فَزِعتمُ ... وإنْ غُيِّبوا مِلتمْ إلي صبوَاتِها

وأخذ عروة بن أذينة قوله

إنَّ الفتى مِثلُ الهِلاَلِ لهُ ... نورٌ لِيالٍ ثمَّ يمتحقُ

يَبلِي وتفنيهِ الدُّهورُ كما ... يبلِي ويَنضِى الجِدَّةَ الخَلَقُ

ومن قول بعض شعراء طيٍّ

مَهما يكُنْ رَيبُ الزَّمانِ فإنني ... أرى قمرَ الليلِ المُعذَّبَ كالفتى

يَهِلُّ صغيرًا ثمَّ يَعظُمُ ضَوْءُهُ ... وصورَتُهُ حتّى اذَا ما هوَ استوَى

تقَارَبَ يخبو ضوءُهُ وشُعاعُهُ ... ويمصَحُ حتَّى يستَسِرَّ فلاَ يُرَى

كَذلِكَ زَيدُ المرءِ عِندَ انتقاصِهِ ... يَعودُ إلى مثلِ الَّذِي كانَ قد بَدَى

أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال

المرءُ مثلُ هلاَلٍ عندَ مَطْلعِهِ ... يَبْدُو ضَئيلاً ضَعيفاً ثمَّ يَتَّسِقُ

يزْدَادُ حتَّى اذَا ما تَمَّ أعقَبَهُ ... كَرُّ الجَدِيدَينِ نقصاناً فيمتَحِقُ

مجلس آخر ٣٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك

سليمان وما كفر سليمانُ ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحدٍ إلاّ باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئسما ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) •• فقال كيف ينزل الله تعالى السحر على الملائكة أم كيف تعلّم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف أثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله (ولقد علموا لمن اشتراه) ثم قوله (لو كانوا يعلمون) •• الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لا ينعم النظر فيها •• أوّلها أن يكون ما فى قوله (وما أنزل على الملكين) بمعنى الذى فكأنه تعالى أخبر عن طائفة من أهل الكتاب بانهم اتبعوا ماتكذب به الشياطين على ملك سليمان وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله تعالى من قذفهم وأكذبهم فى قولهم فقال وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمويه على الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين وأراد انهم يعلمونهم السحر والذى أنزل على الملكين وما أنزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصى ووصف لنا أعمال القبائح لنجتنبها لا لنواقعها لأن الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لمّا عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة يعنى الملكين ومعنى يُعَلّمان يَعلمان والعرب تستعمل لفظة علمه بمعني أعلمه •• قال القطامي

تَعلَّمْ أنَّ بَعدَ الغيِّ رُشدًا وأنَّ لِشابِكَ الغِيَرا انقشاعا

•• وقال كعب بن زهير

تَعَلَّم رَسولَ اللهِ أنَّكَ مُدرِكي وأنَّ وَعيدًا مِنكَ كالأَخذِ باليَدِ

ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم والذى يدل ان المراد هنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر أى انهما لا يعرفانه صفات السحر وكيفيته إلاّ بعد أن يقولا انما نحن محنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كان محنة بحيث ألقيا الى المكلفين أمراً لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم اذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض فى إلقاء هذا اليك فانه انما ألقى اليك واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه أى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وان كان الملكان ما ألقياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه أن يفعلوه ويرتكبوه لا أن يجتنبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضرراً عليهم ٠٠ وثانيها أن يكون ما أنزل موضعه موضع جرّ فيكون معطوفاً بالواو على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين ومعنى ما أنزل على الملكين أى معهما وعلى ألسنتهما كما قال تعالى (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أي على ألسنتهم ومعهم وليس بمنكر أن يكون ما أنزل معطوفاً على ملك سليمان وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لأن رد الشيء الى نظيره وعطفه على ما هو أولى هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيما) وقيم من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام) فالحرام ههنا معطوف على الشهر أي يسئلونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام ٠٠ وحكي عن بعض علماء أهل اللغة انه قال العرب تلف الحرفين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره كقوله تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) وهذا واضح في مذهب العرب كثير التطابق ثم قال (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة) والمعنى انهما لا يعلمان أحداً بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما وصدهما عن فعله واستعماله

أن يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهـذا كما يقول الرجل ما أمرت فلاناً بكذا ولقد بالغت فى نهيه حتى قلت له انك ان فعلته أصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة فى الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لانه استغنى بقوله (وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا انما نحن فتنة) عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولذلك نظائر فى القرآن قال الله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلهٍ إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فلولا الاختصار لكان شرح الكلام بقوله ما اتخـذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله ولو كان معـه إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ومثله قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب) أي فيقال للذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم وأمثاله أكثر من أن تورد .. ثم قال تعالى (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وليس يجوز أن يرجع الضمير فى هذا الجواب الى الملكين وكيف يرجع اليهـما وقد نفى عنهما التعليم بل يرجع الي الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقـدم أيضاً ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه فى قوله ولكن الشـياطين كفروا فدله كفروا على الكفر والعطف عليـه مع السحر جائز وان كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعالى (سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى) أي يتجنب الذكري الأشقى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سـيذكر .. ويجوز أيضاً أن يكون المعنى فيتعلمون منهـما أي بدلا مما علمهم الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا وكذا أي بدلاً منه .. وكما قال الشاعر

جَمَعتَ منَ الخيرَاتِ وَطباً وعُلبةً ... وصَرًّا لأخلاَفِ المُزَهَّمةِ البُزْلِ (١)

---

(١) ـ الصر ـ شدُّ خلف الناقة بالخيط لئلا تحلب والناقة صرورة ـ والأخلاف ـ جمع خلف وهو للناقة كالثدي للمرأة ـ والمزهمة ـ السمان الكثيرة الشحم ومثله الزهم .. قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها ... منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

ـ والبزل ـ جمع بازل وهو البعير اذا انشق نابه وذلك إنما يكون في السنة التاسعة

ومنْ كلِّ أخلاقِ الكرامِ نميمةً . وسَعْياً على الجارِ المُجاوِرِ بالمحلِ

يريد جمعت مكان الخيرات ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة •• وقوله مايفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان •• أحدهما أن يكونوا يغوون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفارق بينهما اختلاف النحلة والملة •• والوجه الآخر أن يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول أمرهما الى الفرقة والمباينة •• وثالث الوجوه أن تحمل مافي قوله وما أنزل على الجحد والنفي فكأنه تعالى قال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذى معناه التقديم ويكون على هذا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان أسماؤهما وانما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزاً وتبييناً ويكون الملكان المذكوران اللذان نفى عنهما السحر جبرائيل وميكائيل عليهما السلام الى سليمان بن داود عليه السلام فأكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ فى قوله تعالى (وكنّا لحكمهم شاهدين) يعنى حكم داود وسليمان ويكون قوله على هذا التأويل وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا انما نحن فتنة راجعاً الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين أو من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحاً أو قال باطلا هذا فعل من لا يفلح وقول من لاينجب والله لا حصلت إلاّ على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتهالك ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذى يتضمن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفى عنهما انزال السحر بقوله وما أنزل على الملكين ويكون قوله وما يعلمان من أحدٍ يرجع

الى قبيلتين من الجن أو الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا •• وقد روى هذا التأويل الأخير في حمل ماعلى النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين •• وروى عنه أيضاً انه كان يقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين بل كانا ملكين ••وعلى هذه القراءة فى الآية وجه آخر وان لم يحمل قوله وما أنزل على الملكين على الجحد والنفي وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ماتتلو الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ماأنزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافاً الى الله تعالى وان أطلق لأنه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال العصاة ويكون معنى أنزل وان كان من الأرض حمل اليهما لا من السماء انه أتي به من نجود البلاد وأعاليها فان من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى •• فأما قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلاّ باذن الله) فيحتمل وجوهاً •• منها أن يريد بالاذن العلم من قولهم أذنت فلاناً بكذا اذا أعلمته وأذنت لكذا اذا سمعته وعلمته •• قال الشاعر

في سماعٍ يأذَنُ الشَّيخُ لهُ وحَديثٍ مِثلِ ماذِيّ مُشارِ[1]

••ومنها أن تكون إلاّ زائدة فيكون المعنى وما هم بضارين به من أحد باذن الله ويجرى مجرى قول أحدنا لقيت زيداً إلاّ أني أكرمته أى لقيت زيداً فأكرمته •• ومنها أن يكون أراد بالاذن التخلية وترك المنع فكأنه أفاد بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم بضارين أحداً إلاّ بأن يخلي الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائداً على منعهم بالزجر والنهي •• ومنها أن يكون الضرر الذى عنى انه لايكون إلاّ باذنه وأضافه اليـه هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية التي تطعمه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل

(١) ـ الماذي ـ العسل الأبيض ـ ومشار ـ مجني •• يقول ان غناءها لطيبه وحسنه يستمع الشيخ الهرم له ويصغى اليه وحديثها لطلاوته ورقته كأنه العسل الجيد والاصمعي يروى هذا البيت مثل ماذي مشار بالاضافة وفتح الميم قال والمشار الخلية

الله تعالى بالعادة لأن الأغـذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً وان كان المعرض للضرر من حيث كان الفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض ٠٠ ومنها أن يكون الضرر المذكور انما هو يحصل عن التفريق بين الأزواج لانه أقرب اليـه في ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا أغووا أحـد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاسـتضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر لان الفرقة لم تكن إلاّ باذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفي الأديان فلهـذا قال وما هم بضارين به من أحدٍ إلاّ باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله وإذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارّين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوى هذا الوجه ماروي انه كان من دين سليمان عليه السـلام انه من سحر بانت امرأته ٠٠ فأما قوله تعالى ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ ثم قوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ففيه وجوه ٠٠ أوّلها أن يكون الذين علموا غـير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهـم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهـم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سـليمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به أنفسـهم ٠٠ وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلاّ انهم علموا شيئاً ولم يعلموا غـيره فكأنه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب لمن اشـترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلمه كنه ما يصيروا اليه من عقاب الله الذى لا نفاد له ولا انقطاع ٠٠ وثالثها أن تكون الفائدة في نفى العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهذا كما يقول أحدنا لغيره ما أدعوك اليه خـير لك وأعود عليك ولو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب إلاّ انه لا يعمل بموجب علمه فحسن أن يقال له مثل هـذا القول ٠٠ قال كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً تبعاه ليصيبا من زاده

اذَا حَضَرَاني قُلتُ لوْ تَعلَمَانهِ ... ألمْ تَعلَمَا أني مِنَ الزَّادِ مُرْمِلُ

فنفى عنهما العلم ثم أثبته بقوله ألم تعلما وانما المعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا بما علماه

فكأنهما لم يعلماه •• ورابعها أن يكون المعنى ان هؤلاء القوم الذين قد علموا ان الآخرة لاحظ لهم فيها مع علمهم القبيح إلاّ انهم ارتكبوه طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالىٰ (ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ان الذي آثروه وجعلوه عوضاً من الآخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل ومضمحل باطل وانما الملك الى المستحق فى الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[تأويل خبر] ••روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار ••وقد ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر وجوهاً كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وأنا أذكر ما اعتمدوه وأبين ما فيه ثم أذكر الوجه الصحيح •• قال ابن قتيبة ذهب الأصمعي الى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو ألقي في النار لم تحرقه وكنى بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تأويله هذا الحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت أبا امامة يقول اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن •• قل ابن قتيبة وفي الحديث تأويل آخر وهو ان القرآن لو كتب فى جلد ثم ألقي فى النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار على جهة الدلالة على صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ذلك بعده قال وجرى هذا مجرى كلام الذئب وشكاية البعير وغير ذلك من آياته صلى الله عليه وسلم •• قال وفيه تأويل ثالث وهو أن يكون الاحراق انما نفى عن القرآن لا عن الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقي فى النار ما احترق القرآن فكأن النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لأن الله ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق •• وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري راداً على ابن قتيبة معترضاً عليه اعتبرت ماقاله ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً •• أما قوله الأول فيرده ما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله يخرج من النار قوم بعد مايحرقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل •• قال وقد روي أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة

الجنة وأهل النار النار قال الله عزوجل انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه منها ٠٠ قال أبو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسلمين ان الخوارج وغيرهم ممن يلحد فى دين الله ويقرأ القرآن أن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر أبي امامة ان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن معناه قرأ القرآن وعمل به فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده فانه غير واعله ٠٠ قال وأما قوله انه من دلائل النبوّة التى انقطعت بعده فما روى هذا الحديث أحدٌ انه كان فى دلائله عليه الصلاة والسلام ولو أراد ذلك دليلا لكان صلى الله عليه وسلم يجعل القرآن في إهاب ثم يلقيه فى النار فلا يحترق ٠٠ قال وقول ابن قتيبة الثالث لاحترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح لان الذى يصحح هذا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب فى المصحف هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى ﴿ إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلاّ المطهرون ﴾ ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو وانما يريد المصحف ٠٠ قال أبو بكر والقول عندنا فى تأويل هذا الحديث انه أراد لو كان القرآن فى جلد ثم ألقى فى النار ما أبطلته لانها وان أحرقته فانها لا تدرسه اذ كان الله عز وجل قد ضمنه قلوب الأخيار من عباده والدليل على هذا قول الله عز وجل للنبى صلى الله عليه وسلم فيما روى إنى منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن لو كتب فى شئ ثم غسل بالماء لم ينغسل وانما أراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذ كانت القلوب تعيه وتحفظه ٠٠ قال ومثل هذا كثير فى كتاب الله وفى لغة العرب قال الله تعالى ﴿ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما أراد تعالى ولا يكتمون الله حديثاً فى حقيقة الأمر لانهم وان كتموه فى الظاهر فالذى كتموه غير مستتر عنه ٠٠ [قال المرتضى] رضي الله عنه والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الانبارى جميعاً وهو ان هذا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم على طريق المثل والمبالغة فى تعظيم شأن القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم

خطره والمعنى انه لو كتب في إهاب وألقي في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .. ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ومعنى الكلام إنا لو أنزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شئ أو خشية لأمر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم فأنتم أولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى بان الكلام خرج مخرج المثل بقوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ومثله قوله تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا) .. ومثله قول الشاعر

أَمَا وجَلالِ اللهِ لَوْ تَذْكُرِينَنِي كذِكرَاكِ مانَهنَهتِ لِلعينِ مَدْمَعَا

فقالتْ بَلَى واللهِ ذِكْرًا لوَ انَّهُ . تَضَمَّنَهُ صُمُّ الصفَا لتَصدَّعا

.. ومثله

فلو أنَّ ما بي بالحَصَى فلَقَ الحَصَى وبالرِّيحِ لمْ يُسمَعْ لهُنَّ هُبُوبُ

.. ومثله

وَقَفتُ علي رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقَتي فما زلتُ أبكي عِندَهُ وأُخاطبُه

وأسقيهِ حتَّى كادَ مماَّ أَبُثُّهُ تُكَلِّمُني أحجارُهُ وملاعِبُه

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفلق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير ويستنزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت ولو كانت مما يسهل ويتيسر لشئ من الأشياء لتسهلت به من أجله .. فأما الجواب الأول المحكي عن ابن قتيبة فالذي يفسده زائداً على ما رده ابن الانباري انه لو كان الأمر علي ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي

لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أغرانا بالذنوب لانه اذا أمن حافظ القرآن ومتعلمه من النار والعذاب فيها ركن المكلفون الى تعلم القرآن والاقدام على القبائح آمنين غير خائفين وهذا لايجوز عليه صلى الله عليه وسلم والمعنى في قول أبي امامة ان الله عز وجل لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري ٠٠ فأما جواب ابن قتيبة الثاني فمن أين له ان ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وسلم وليس في اللفظ ولا غيره دلالة عليه وأقوى ما يبطله انه لوكان كما ذكر لما جاز أن يخفى على جماعة المسلمين الذين رووا جميع معجزاته وضبطوها وفى وجداننا من روى ذلك وجمعه وعني به غير عارف بهذه الدلالة آية إبطال ماتوهمه ٠٠ فأما جوابه الثالث فباطل لأن القرآن فى الحقيقة ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حتى ينسب الاحراق الى الجلد دونه واذا كان الأمر على هذا لم يكن فى قوله ان الاهاب هو المحترق دون القرآن فائدة لأن هذه سبيل كل كلام كتب فى اهاب أو غيره اذا احترق الاهاب لم يضف الاحتراق الى الكلام لاستحالة هذه الصفة عليه ٠٠ ومن أعجب الأمور قول ابن الانبارى وهذا يوجب أن القرآن غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان لفظ المكتوب هو القرآن وهذا علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو القرآن فاذا كان المكتوب فى المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الانبارى فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان أحداً لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما يقول قومٌ انه مكتوبٌ فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى أحدهما دون الآخر وهذا كله تخابطٌ من الرجلين لأن القرآن غير حال فى الجلد على الحقيقة وليست الكتابة عين المكتوب وانما الكتابة أمارة للحروف فاما أن تكون هي الكلام على الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فمحال ٠٠ فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله لا تسافروا بالقرآن فذلك تجوز وتوسع وليس يجب أن يجعل اطلاق الألفاظ المحتملة دليلا على اثبات الأحكام والمعانى ومعترضة على أدلة العقول وقد تجوز القوم بأكثر من هذا فقالوا فى هذا الكتاب شعر امرىء القيس وعلم الشافعي وفقه فلان فلم يقتض ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في الدفتر وقد بيّن الكلام في هذا

الباب في مواضع هي أولى به ‥ فأما جواب ابن الانبارى الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل أيضاً فيه لانه لا مزيّة للقرآن فيما ذكره على كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ فى صدور الرجال اذا كتب فى جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب ما فى الصدور ومنه بل يكون ثابتاً بحاله فأى مزيّة للقرآن فى هذا على غيره وأي فضيلة ‥ فان قال وجه المزيّة ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان تعالى هو المتولي لايداعه الصدور لايتم ذلك فيه ‥ قلنا الكل سواء لأن غير القرآن انما يبطل باحتراق الاهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ فى الصدور لبطل بالاحتراق ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط فى بطلان القرآن وثباته فلا مزيّة على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه فى الخبر وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه ‥ أخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدناه عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي عن عمه للحسين بن مطير الأسدى وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما أثِمَ ملشده

أَلاَ حبذَا البيتُ الَّذِي أنتَ هاجِرُه ... وأنتَ بتَلْماحٍ منَ الطَّرْفِ ناظِرُه

لأنَّكَ منْ بيتٍ لعَينَيَ مُعجِبٍ ... وأملَحُ في عيني منَ البيتِ عامِرُه

أَصُدُّ حياءً أنْ يلِمَّ بِيَ الهوَى ... وفيكَ المُنى لولاَ عَدُوٌّ أُحاذِرُه

وفيكَ حبيبُ النفْسِ لوتَستطيعهُ ... لمَاتَ الهوَى والشَّوْقُ حينَ تجاوِرُه

فإنْ آتِهِ لمْ أنْجُ إلاَّ بظِنَّةٍ ... وإنْ يأْتهِ غيْرِي تُنَطْ بِي جَرَائِرُه[١]

(١) ـ تنط ـ تربط وتعلق أي تسند ـ والجرائر ـ جمع جريرة وهي الذنب ‥ يقول ان آت هذا البيت رماني الناس بظنونهم وان أتاه غيري أضيف الي أي قال

وكانَ حَبيبُ النَّفسِ لِلقلبِ واتِرًا وكيفَ يُحِبُّ القلبُ مَنْ هوَ واتِرُه

فإنْ تكُنِ الأعداءُ أحمَوا كلامَهُ علينا فلَنْ تُحمى علينا مَناظِرُه

أُحبُّكِ يا سلمى علي غيرِ ريبةٍ ولاَ بأْس في حُبٍّ تَعِفُّ سَرائرُه (١)

ويا عاذلي لولاَ نَفاسةُ حُبِّها عليكَ لَما باليتُ أنَّكَ خائرُه

بنفسيَ مَنْ لاَ بُدَّ أنّيَ هاجِرُه ومَنْ أنا في المَيسورِ والعُسْرِ ذاكِرُه

ومَنْ قدْ لَحاهُ النَّاسُ حتّي اتّقاهُمُ ببغضيَ إلاَّ ما تُجِنُّ ضمائرُه (٢)

أُحبكِ حبًّا لنْ أُعنّفَ بَعدَهُ مُحبًّا ولكنّي اذا لِيمَ عاذِرُه

لقدْ ماتَ قبلي أوَّلُ الحُبِّ فانقضي ولو متُّ أضحي الحبُّ قدْ ماتَ آخرُه (٣)

كلامُكِ يا سلمى وإنْ قلَّ نافعي فلاَ تحسبي أنّي وإنْ قلَّ حاقِرُه

ألاَ لاَ أُبالي أيّ حيٍّ تحمَّلوا اذا إثمِدُ البرْقاءِ لمْ يَخلُ حاضِرُه (٤)

الناس إنه مرسل من قبلي لمراسلة من فيه

(١) ــ الريبة ــ الظنة والتهمة •• يقول أحبك حباً لا يخالطه سوء ولا يظن فيه شر •• وقوله ــ ولا بأس في حب تعف سرائره ــ أى تعف سرائر صاحبه فاضاف السرائر للحب توسعا وانما هي للمحب ومثله في القرآن الكريم عيشة راضية أى راض صاحبها

(٢) ــ لحاه ــ لامه واللاحي اللائم في الشيء المعنف عليه •• وقوله ــ الا ما تجن ضمائره ــ يريد به أنه يظهر للناس كراهتي وبغضي لكف ألسنتهم عنه وليس في قلبه الا محبتي

(٣) ــ يريد أن محبته لها ذهبت بسيرة من تقدمه من المحبين وانه لن يأتى بعده من يذكر بالمحبة وان حبه لن يضارعه حب من تقدمه ومن يأتى بعده

(٤) ــ تحملوا ــ يروى بدله تفرقوا ــ والبرقاء ــ اسم موضع في بادية الجزيرة •• يقول انه لايبالي رحيل من رحل من الناس اذا كان هذا الموضع عامرا بأهله لم يرحلوا

وأنشد ابن الاعرابي لابن مطير

لَعمرُكَ بالبيتِ الَّذي لاَ نَطورُهُ ... أحبُّ إلينا منْ بلاَدٍ نَطورُها(١)

تَقَلَّبتُ في الإخوانِ حتَّى عرَفتُهُمْ ... ولاَ يَعرفُ الإخوانَ إلاَّ خَبيرُها

فلاَ أصرمُ الخلاَّنَ حتَّى يُصارِموا ... وحتَّى يَسيرُوا سيرَةً لاَ أسيرُها

فإنكَ بعدَ الشَّرِّ ما أنتَ واجدٌ ... خليلاً مُديماً سيرَةً لاَ يُديرُها

معنى — يديرها — يقلبها مرة ههنا ومرة ههنا

وإنَّكَ في عينِ الأخلاَّءِ عالِمٌ ... بأنَّ الَّذي يَخفى عليكَ ضَميرُها

فلاَ تكُ مَغْرُوراً بِسَحْةِ صاحبٍ ... منَ الوُدِّ لاَ تَدري علاَمَ مَصيرُها

وما الجُودُ عنْ فقرِ الرِّجالِ ولاَ الغنى ... ولكنَّهُ خِيمُ الرِّجالِ وخيرُها

وقدْ تَغدُرُ الدُّنيا فيُضحي غَنيُّها ... فقيراً ويَغنى بَعدَ بُؤْسٍ فقيرُها

وكائنْ تَرَى منْ حالِ دُنيا تغيَّرتْ ... وحالٍ صفَا بعدَ اكدرارٍ غَديرُها

ومنْ طامعٍ في حاجةٍ لَنْ ينالَها ... ومنْ يائسٍ منها أتاهُ يَسيرُها

لأنهم هم الذين يحبهم ويشفق من رحيلهم ٠٠ وفى بعض كتب الأدب بعد هذه الابيات

وبالبرق أطلال كأن رسومها ... قراطيس خطّ الحبر فيهن ساطره

أبت سرحة الانمادالاملاحة ... وطيبا اذا مانبتها اهتز ناضره

(١) — نطوره — نحوم حوله ٠٠ يقول ان البيت الذى نجتنبه ونتحاماه خوف الوشاة أحب الينا من البلاد التى نأتيها اذ لم يكن من نهوى فيها ٠٠ ومثل هذا قول الاحوص

يابيت عاتكة الذى اتعزل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل

انى لامنحك الصدود وإننى ... قسما اليك مع الصدود لأميل

وَمَنْ يَتْبَعْ مايُعْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ ... مُطيعاً لَهافي فِعْلِ شيْءٍ يَضيرُها

فَنَفْسَكَ أَكْرِمْ عَنْ امورٍ كَثيرَةٍ ... فَمالكَ نَفسٌ بعدَها تَستَعيرُها[١]

[قال المرتضي] رضي الله عنه ولي في معنى قول ابن مطير ـ وقد تغدر الدنيا ـ والبيت الذى بعده من جملة قصيدة

وكيفَ آنَسُ بالدُّنياولَستُ أَرَى ... إلاَّ امرَأً قدْ تَعَرَّى منْ عَوَاريها

نصبَو اليها بآمالٍ مُخيِّبَةٍ ... كأَنَّنا ما نَرَى عُقْبى أَمانِيها

في وَحْشَةِ الدَّارِ مِمَّنْ كانَ يَسكُنُها ... كلٌّ اعتِبارٍ لِمنْ قدْ ظلَّ يأْويها

لاَ تَكذِبَنَّ فما قَلبي لهــا وَطَنٌ ... وقدْ رَأَيتُ طُلولاً منْ مَغانيها

•• وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد ابن يحيى ثعلب للحسين بن مطير

لقدكُنتُ جَلْداًقبلَ أنْ توقِدَالنَّوَى ... علي كَبِدِي ناراً بَطيئاً خُمودُها

ولوْ ترِكَتْ نارُ الهوَى لتَصرَّمَتْ ... ولــكنَّ شوْقاً كلَّ يومٍ يَزيدُها

وقدْ كُنتُ أرْجوأنْ تموتَ صَبابتي ... اذَا قَدُمتْ أحزَانُها وعُهودُها

فقدْ جَعلتْ في حَبَّةِ القلبِ والحَشا ... عِهادُ الهوَى تُولِي بشَوْقٍ يُعيدُها

بمُرْتَجَّةِ الأَرْدَافِ هِيفٍ خُصورُها ... عِذَابٍ ثَنَاياها عِجافٍ قُيودُها[٢]

---

(١) ـ يقول ان النفس لاتميل بطبعها الا الى الشرور فمن اطاع نفسه وانالها مشتهاها وقع فى شرور كثيرة وقادته الى مايضره

(٢) ـ مرتجة الارداف ـ يريدان أردافها ضخمة فهي اذا تحركت اضطربت اردافها ـ وهيف ـ جمع هيفاء وهي الدقيقة الخصر الضامرة البطن ـ وعجاف ـ جمع عجفاء وهي النحيفة وهــذا الجمع شاذفان افعل وفعلاء لايجمع على فعال الا انهم بنوه على سمان

يعني انها عجاف اللثات وأصول الاسنان وهي قيودها •• قال أبو العباس ثعلب عجاف بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله أن يكون نصباً لانه حال من الثنايا

مُخَصَّرَةِ الأَوساطِ زَانتْ عُهودَها … بأَحسَنَ ممَّا زَيَّنَتْهُ عقودُها

وصُفْرٍ تَرَاقِيها وحُمْرٍ أَكُفُّها … وسودٍ نَوَاصيها وبِيضٍ خُدُودُها

وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة أكفها من الخضاب

يُمَنِّينَنا حتَّى تَرُفَّ قلوبُنا … رَفيفَ الخُزَامى باتَ طَلٌّ يجودُها

أخذ •• قوله مخصرة الأوساط البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة

وتَزِيدِينَ طيِّبَ الطيِّبِ طِيباً … إنْ تَمَسِّيهِ أينَ مثلُكِ أينا

وإذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجوهٍ … كانَ للدُّرِّ حُسْنُ وَجهكِ زَيْنا

وروى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات الذى ذكرناها للحسين بن مطير وروى له أيضاً ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة

وكُنتُ أَذُودُ العينَ أنْ تَرِدَ البُكا … فقدْ وَرَدَتْ ما كنتُ عنهُ أَذُودُها

هَل اللهُ عافٍ عنْ ذُنوبٍ تَسلَّفَتْ … أَمِ اللهُ إنْ لمْ يَعفُ عَنْها مُعِيدُها

وأنشد أبو محكم لابن مطير

قَضى اللهُ يا أسماءُ أنْ لَستُ بارِحاً … أُحبكِ حتَّى يُغمِضَ العينَ مُغمِضُ

وحبُّكِ بَلوَى غيرَ أَنْ لا يَسُرُّني … وإنْ كانَ بَلوَي أَنَّني لكِ مُبغِضُ

اذَا أنا رُضْتُ النفسَ في حُبِّ غيرِها … أَتي حبُّها مِنْ دُونِها يَتَعَرَّضُ

فيا لَيتَني أَقرَضْتُ جَلْدًا صبابَتي … وأقرَضَني صبرًا على الشَّوقِ مُقرِضُ

لانهـم قد يبنون الشيء على ضده كقولهم عدوّة بالهاء لمكان صديقة وعجاف لا مانع من جعله صفة للمرأة وان انكره ثعلب

ويشبه أن يكون أخذ قوله اذا أنا رُضت النفس في حب غيرها من قول رجل من فزارة

وأعرضُ حتّى يحسبَ النَّاسُ أنما ... بيَ الهجرُ لاَ واللهِ مابي لكِ الهجرُ
ولكن أرُوضُ النَّفسَ أنظرُ هل لها ... اذَا فارَقتْ يوماً أحبتَّها صبرُ

أو من قول نصيب

وإنّي لأستحيي كثيرًا وأتقي ... عَدُوًّا وأستبقي المَوَدَّةَ بالهَجْرِ
وأنذِرُ بالهُجْرانِ نفسي أرُوضُها ... لأعلمَ عِندَ الهَجرِ هل لي من صبْرِ

ويشبه أن يكون أخذ قوله فياليتني أقرضت جلداً صبابتي البيت من قول بعض العرب

رَمى قلبَهُ البرقُ المُلاَلِئُ رَميةً ... بجَنبِ الحما وَهناً فكادَ يَهيمُ
فهل من مُعينٍ طَرْفَ عينٍ خَلِيّةٍ ... فإنسانُ عينِ العامرِيّ كَليمُ (١)

وللحسين في هذا المعنى مارواه المبرد

ولي كَبِدٌ مَقرُوحةٌ مَنْ يَبيعُني ... بها كَبِدًا ليستْ بذَاتِ قُرُوحِ
أبا النّاسُ وَيبَ النّاسِ لايَشترُونَها ... ومَن يَشتَرِي ذَا علّةٍ بصَحيحِ

وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال

مَنْ ذَا يُعيرُكَ عينَهُ تَبكي بها ... أرأيتَ عيناً للبُكاء تُعارُ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرّع قال حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الأصمعي فأنشده رجل أبيات دِعبل

أينَ الشَّبابُ وأيّةً سَلَكا ... لاَ أينَ يُطلَبُ ضَلَّ بل هَلَكا
لاَ تَعجَبي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشيبُ برَأسِهِ فبَكى

---

(١) — يقول انه يريد عينا غير عاشقة لينظر بها الى ديار أحبته فان طرفه مجروح سقيم من العشق لايستطيع أن ينظر به

أسلَمُ ما بالشَّيبِ مَنقصةٌ لاَ سُوقةٌ تُبقي ولاَ ملِكا

قَصَرَ الغوايةَ عن هوَى قمرٍ وَجَدَ السبيلَ اليكَ مُشترَكا

يا ليتَ شعري كيفَ يومُكما يا صاحبيَّ اذَا دَمي سفِكا

لاَ تأخُذَا بظلاَمتي أحَداَ قلبي وطرْفي في دَمي اشترَكا

قال فاستحسنها كل من في المجلس وأكثر التعجب من قوله ـ ضحك المشيب برأسه فبكى ـ فقال الأصمعي انما أخذ قوله هذا من ابن مطير فى قوله

أينَ أهلُ القبابِ بالدَّهناءِ أينَ جيرانُنا على الأحساءِ

جاوَرُونا والأرضُ مُلبسةٌ نوْرَ الأقاحي تُجادُ بالأنواءِ(١)

كلَّ يومٍ بأقحُوانٍ جديدٍ تَضحكُ الأرضُ من بكاءِ السَّماءِ

وقد أخذه أيضاً مسلم بن الوليد صريع الغوانى فى قوله

مُستَعبرًا يبكي علي دِمنةٍ ورأسُهُ يَضحكُ في الشيبِ

٠٠[قال المرتضي] رضى الله عنه ولأبي الحجناء نصيب الأصغر مثل هذا المعنى وهو قوله

فبكَي الغَمامُ بهِ فأصبحَ رَوْضه جذلاَنَ يَضحكُ بالحَميمِ ويزهرُ

ولابن المعتز مثله

ألحَّتْ عليهِ كلُّ طَخياءَ دِيمةٌ اذَا ما بكَتْ أجفانُها ضَحِكَ الزَّهرُ

ولابن دريد مثله

تبسَّمَ المُزنُ وأُنهلَّتْ مَدَامعهُ فأضحكَ الرَّوضَ جفنُ الضَّاحكِ الباكي

---

(١) ـ الدهناء ـ أرض من منازل تميم بنجد متسعة اذا أخصبت ربعت العرب جميعا لسعتها ـ والاحساء ـ ماء لغني ويروى البيت الاول

أين جيراننا على الاحساء أين جيراننا علي الاطواء

وغازَلَ الشَّمسَ نَوْرٌ ظَلَّ يَلحَظُها بعينِ مُستَعبرٍ بالدَّمعِ ضَحَّاكِ

وروى عن أبي العباس المبرد انه قال أخذ ابن مطير .. تضحك الأرض من بكاء السماء من قول دكين الراجز

جَنَّ النَّباتُ في ذُرَاها وزَكى وضَحِكَ المُزْنُ بهِ حتَّى بكى

مجلس آخر ٣٣

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلهُ وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا وما يذكر إلاّ أولو الألباب) .. الجواب قلنا قد ذكر وجهان مطابقان للحق .. أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوف على اسم الله تعالى فكأنه قال وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم وانهم مع علمهم به يقولون آمنّا به فوقع قوله يقولون آمنّا به في موقع الحال والمعنى أنهم يعلمونه قائلين آمنّا به كل من عند ربنا وهذا في غاية المدح لهم لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم .. والحجة لمن ذهب الى مابيناه والرد على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون قوله يقولون آمنّا بالله على هذا التأويل لا ابتداء له مثل قوله (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى) الى قوله (شديد العقاب) فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً) الى قوله الصادقون وقال في الذين تبوّءُوا الدار والايمان فهم الأنصار يحبون من هاجر اليهم ويؤثرون على أنفسهم وقال فيمن جاء بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان فهذه الآيات تدل على أنه لا ينكر في آية الراسخون في العلم أن يكون قوله يقولون آمنّا به حالا مع العلم بتأويل

المتشابه فلو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله والذين هاجروا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا فى انه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به فان الصورتين واحدة ٠٠ ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمي برداً باعه (١) ثم ندم عليه

(١) قلت كان من حديث يزيد فى بيعه غلامه بردا انه كان صحب زياد بن أبي سفيان فلم يحمده وأتى ابنه عبادا فرأى منه مايكره وكان عباد طويل اللحية عريضها فركب ذات يوم وابن مفرغ معه فى موكبه فهبت ريح فنفشت لحيته فقال ابن مفرغ

ألا ليت اللحي كانت حشيشا فترعاها خيول المسلمينا

فبلغ ذلك عبادا فحقد عليه وجفاه فقال ابن مفرغ

ان تركى ندى سعيد بن عثما ن فتى الجود ناصري وعديدي
واتباعي اخا الرضاعة واللؤ م لنقص وفوت شأوٍ بعيد
قلت والليل مطبق بعراه ليتنى مت قبل ترك سعيد

يريد سعيد بن عثمان بن عفان فانه استصحب يزيدا هذا حين ولى خراسان فلم يصحبه وعدل عنه الى زياد فلما قال ذلك أخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وعذبه وسقاه الزبد في النبيذ وحمله على بعير وقرن به خنزيرة وأمشاه بطنه مشياً شديدا فكان يسيل مايخرج منه على الخنزيرة فتصى فكلما صاءت قال ابن مفرغ

ضجت سمية لما مسها القرن لاتجزعي إن شر الشيمة الجزع

وسمية أم زياد ٠ ثم ان عبيد الله بن زياد دس اليه قوماً يقتضونه ويستعدون عليه فأمر ببيع ماوجد له في اعطاء غرمائه فكان فيما بيع له غلام يقال له برد يعدل عنده ولده وجارية يقال لها الاراكة فقال في برد الابيات التي ذكرها صاحب الكتاب وقال فى الاراكة وفيه

يابرد ماسنا دهر أضربنا من قبل هذا ولا بعناله ولدا
أما الاراك فكانت من محارمنا عيشا لذيذا وكانت جنة رغدا
لولا الدعي ولولا ماتعرض لي من الحوادث مافارقتها أبدا

وشَرَيتُ بُرْدًا ليتني … من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامَه

أو بُومةً تدعو صَدًا … بينَ المُشَقَّرِ فاليمامَه

الرِّيحُ تبكي شَجْوَها … والبَرْقُ يَلمَعُ في الغَمامَه

فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع فكأنه قال والبرق أيضاً يبكيه لامعاً فى غمامه أي فى حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفاً على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة .. ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ماتقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان قوله يكون يقولون آمنّا به استئناف جملة استغنى فيها عن حرف العطف كما استغنى في قوله يقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس في الجملة الأولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسناً ينزل الملتبس منزلة غير الملتبس .. والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله والراسخون فى العلم مستأنفاً غير معطوف على ما تقدم ثم أخبر عنهم بانهم يقولون آمنّا ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأوّل لانه قد يسمى تأوّلا قال تعالى ﴿هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتى تأويله﴾ المراد بذلك لا محالة المتأوّل والمتأوّل الذي لا تعلمه العلماء وان كان تعالى عالماً به كنحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر الى غير ذلك فكأنه قال وما يعلم تأويل جميعه على المعنى الذي ذكرناه إلاّ الله والعلماء يقولون آمنّا به وقد اختار أبو عليّ الجبّائى هذا الوجه وقوّاه وضعف الأول بان قال قول الراسخين فى العلم آمنّا به كل من عند ربنا دلالة على استسلامهم لانهم لايعرفون تأويل المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم ولأن ماذكره من وقت القيامة ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تأويل القرآن اذ كان داخلا في خبر الله والراسخون فى العلم لايعلمون ذلك .. وليس الذي ذكره بشيء لانه لايمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه آمنّا به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن انهم لا يقولون ذلك إلاّ مع فقد العلم به وما المنكر من أن يظهر الانسان بلسانه الايمان بما يعلمه ويتحققه فأما قوله ولأن ماذكرناه من تأويل القرآن فذلك انما يكون تأويلا للقرآن اذا حملت هذه اللفظة على المتأول

لا على الفائدة والمعنى وأما اذا حملت على انه وما يعلم معنى المتشابه وفائدته إلاّ الله فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه أن يقول ان حمل التأويل على المتأول أظهر من حمله على المعنى والفائدة لأن الأمر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى أظهر وأكثر فى الاستعمال وأشبه بالحقيقة على أنه لو قيل ان الجواب الأول أقوى من الثاني لكان أولى من قوله من قبل أنه لو كان المراد بالتأويل المتأوّل لا الفائدة والمعني لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم معنى لان فى متأوّل المحكم كاخباره عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكما ما لا يعرف تفصيله وكنهه الا الله تعالى فأى معنى لتخصيص المتشابه والكلام يقتضى توجهه نحو المتشابه ألا ترى الي قوله (وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) فخص المتشابه بالذكر والأولى أيضاً أن يكون المراد بلفظة تأويله الثانية هو المراد بلفظة تأويله الأولى وقد علمنا ان الذين فى قلوبهم زيغ انما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا لتأويله الذي هي متأوله والوجه الأول أقوى وأرجح .. ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه على أن يكون قوله والراسخون فى العلم مستأنفاً غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تأويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهذا صحيح لان أكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لأدلة العقول فيذكر المتأول جميعاً ولا يقطع على مراد الله منها بعينه لان الذى يلزم مثل ذلك أن يعلم في الجملة أن لا يرد من المعنى ما يخالف الأدلة وان قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق وليس فى تكليفنا أن نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى الذين تبين احتمالهما لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع علي أنه تعالى لم يرده ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم فى الجملة انه قد أراد أحدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى المتشابه فان أكثرها يحتمل وجوهاً والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح ولا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون فى العلم يقولون آمنّا به أى صدقنا بما نعلمه مجملا ومفصلا من المحكم والمتشابه وان الكل من عند ربنا وهذا وجه واضح .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال

أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حية النميري وهي أبيات مختارة

وخبَّرَكِ الوَاشونَ أنْ لاَ أُحبكُم ... بَلَى وستُورِ اللهِ ذَاتِ المَحارِمِ

أَصُدُّ وما الصدُّ الَّذِي تَعرِفينهُ ... عَزَاءٌ بنا إلاَّ اجترَاعُ العلاَقِمِ

حَياءً وبُقياً أنْ تَشيعَ نميمةٌ ... بنا وبِكمْ أُفٍّ لأَهلِ النَّمائمِ

وإنَّ دَماً لوْ تَعلَمينَ جَنيْتُهُ ... على الحيِّ جاني مثلهِ غيرُ سالِمِ

أمَا إنَّهُ لوْ كانَ غيرُكِ أَرْقَلَتْ ... صِعادُ القَنا بالرَّاعفاتِ اللَّهاذِمِ

ولكنَّهُ واللهِ ما طَلَّ مُسلِماً ... كَبِيضِ الثنايا واضِحاتِ المَلاَغمِ

قال ثعلب ــ الملاغم ــ ما حول الفم ٠٠ وقال المبرد واضحات الملاغم يريد العوارض ٠٠ وقوله ــ ماطلّ مسلماً ــ أي أبطل دمه

اذَا هُنَّ ساقَطنَ الحَدِيثَ حَسِبْتَهُ ... سُقوطَ حَصَى المَرجانِ من سِلكِ ناظِمِ

ويروى ساقطن الأحاديث للفتى ٠٠ ويروى أيضاً ساقطن الحديث كأنه

رَمَيْنَ فأَقصَدْنَ القُلوبَ فلاَ تَرَى ... دَماً مائراً إلاَّ جَوًى في الحَيازِمِ

[قال سيدنا رضي الله عنه] ٠٠ ومن مستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله

كأَنْ لمْ ا برِّحْ بالعُيونِ وأَقتَتِلْ ... بتَفتيرِ أبصارِ الصِّحاحِ السَّقائمِ (١)

ولمْ أَلهَ بالحدَثِ الأَلفِّ الَّذِي لهُ ... غدَائرُ لمْ يحرِمْنَ فارَ اللَّطائمِ (٢)

---

(١) ــ أبرّح ــ من برح به الأمر اذا لقي منه شدة والبرح الشدة ــ وتفتير ــ من الفتور وهو انكسار العين ــ والسقائم ــ جمع سقيمة وهي المريضة ولم يرد انها سقيمة من مرض وانما أراد ان بها من الضعف والفتور ما بالمريض وان لم تكن مريضة

(٢) ــ الحدث ــ الصغير السن ــ والألفّ ــ العظيم الفخذين ــ والغدائر ــ جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر ــ والفار ــ جمع فأرة يريد فأرة المسك ــ واللطائم ــ جمع لطيمة وهي المسك

اذا اللهوُ يُطبيني وإذ أستميلهُ ... بمحلولكِ الفودَين وَحفِ المَقادمِ (١)

وإذ أنا مُنقادٌ لكلِّ مقوَّدٍ ... إلى اللهوِ حلاَّفِ البطالاتِ آثمِ

وروى ابن حبيب مفود ومعنى ـ حلاف البطالات ـ أى حلاف في البطالات

مُهينُ المَطايا مُتلفٌ غيرَ أنَّني ... على هُلكِ ما أتلفتهُ غيرَ نادمِ

أرَى خيرَ يومَيَّ الخسيسَ وإن علاَ ... بيَ اللَّومُ لمْ أحفلْ ملاَمةَ لائمِ

ـ خير يومى الخسيس ـ أى أحب يومي الىَّ الذي هو أخس عند أهل الرأى والعقل ..

وأنشد أبو اسحاق ابراهيم بن سيف بن الزيادي لأبى حية واسمه هيثم (٢) بن الربيع

ترَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عنَّا ... فليتَ الشَّيبَ كانَ بهِ الرَّحيلُ

وقدْ كانَ الشَّبابُ لنا خَليلاً ... فقدْ قَضَّى مآرِبَهُ الخَليلُ

لَعَمْرُ أبي الشَّبابُ لقدْ توَلَّى ... حَميدًا ما يُرَادُ بهِ بَدِيلُ

---

(١) ـ يطبينى ـ يستميلنى ـ والمحلولك ـ الحالك اللون أى الذى لونه أسود ـ والفودان ـ تثنية فود وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأُذن وناحية الرأس ـ والوحف ـ الشعر الكثير الأسود ـ والمقادم ـ جمع قادمة وهو الناصية

(٢) قلت ذكره بعض الأُدباء فقال كان أبو حيَّة يروي عن الفرزدق وكان كذاباً قال يوماً رميت ظبية فلما خرج السهم ذكرت بالظبية حبيبة لى فشددت خلف السهم حتى أخذت بقذذه .. وكان جباناً قال جار له اطلعت عليه يوماً وبيده سيف له قد انتضاه يسمى لعاب المنية ليس بينه وبين الخشب فرق وهو واقف على باب داره يقول إيهاً أيها المغتر بنا والمجترئ علينا بئس والله مااخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به ضربته لا تخاف نبوتها أخرج بالعفو عنك لاأدخل بالعقوبة عليك اني والله ان أدع قيساً تملأ الأرض خيلا ورجلا يا سبحان الله ماأكثرها وأطيبها ثم فتح الباب فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفانا حرباً

إذِ الأيَّامُ مقْبلَهٌ علَينا ... وظِلُّ أراكةِ الدُّنيا ظَليلُ

وأنشد المبرد قال أنشدنا أبو عثمان المازنى لأبي حية

زَمانَ الصبا ليتَ أيامَنا ... رَجعْنَ لنا الصالِحاتِ القِصارَا

زَمانَ عليَّ غُرابٌ غُدافٌ ... فطيَّرَهُ الدَّهرُ عنّى فطارَا

فلاَ يبْعِدِ اللهُ ذاكَ الغُرابَ ... وإنْ هوَ لمْ يُبْقِ إلاَّ ادِّكارَا

كأنَّ الشَّبابَ ولَذَّاتِهِ ... ورَيْقَ الصبَّا كانَ ثوْباً مُعارَا

وهازِئةٍ أنْ رَأَتْ لِمَّتي ... تَلفَّعَ شيبٌ بها فاستَدارَا

وقَلَّدَنى منهُ بَعدَ الخِطامِ ... عِذارًا فما أستَطيعُ اعتِذارَا

أَجارَتَنا إنَّ رَيبَ الزَّمانِ ... قَبْلِيَ نالَ الرِّجالَ الخيارَا

فإِمّا تَرَيْ لِمَّتى هكذا ... فأسرَعْت فيها لِشيْبي النِّفارَا

فقد ارْتَدِي وَحفَةً طلَّةً ... وقد أبرُزُ والفَتياتِ الخفارَا

أما قوله ــ علي غراب غداف ــ فأراد به الشباب والشعر الأسود •• ويشبه أن يكون مأخوذاً من قول الأعشى

وَما طِلابُكَ شيئاً لَستَ تُدرِكُهُ ... إنْ كانَ عَنكَ غُرابُ الجهْلِ قدْ وَقَعا

ولأبي حية من قصيدة أولها

ألاَ يا اسلَمى أطلاَلَ خَنسا وأنعمي

وخَنساءَ مِخْماصُ الوِشاحينِ مَشيُها ... إلى الدَّوحِ أقتارُ خُطَى المُتجَشِّمِ [1]

---

(١) قوله ــ مخماص الوشاحين ــ أي هيفاء والوشاح تثنية وشاح وهو أديم عريض ترصعه المرأة بالجواهر فتشده بين عاتقيها وكشحيها فاذا قالوا مخماص الوشاح أوغرثى الوشاح أرادوا أنها

أَلِمَّا بِسَلْمَى قَبْلَ أَنْ تَرْمِيَ النَّوَى ... بِنَافِذَةٍ نَبْضَ الفُؤَادِ المُتَيَّمِ
يَقِفْ عَاشِقًا لَمْ يَبْقَ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ ... وَلاَ عَقْلِهِ المَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ
فَقُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكِ لاَ يَرُحْ ... صَحِيحًا فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِمِي
فَأَلْقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ ... بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٍّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ... فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ[1]

ولقوله — وقلن لها سراً فديناك لا يرح — خبر وهو ما أخبرنا به أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقطاني قال اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب أمر عليّ بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين القاسم ابنه وسمع شيئاً من أهاجيه فقال لأبي الحسين قد أحببت ان أري ابن روميك هذا فدخل يوماً عبيد الله الى أبي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فأنشده وخاطبه فرآه مضطرب العقل جاهلا فقال لأبي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا أطول من عقله ومن هذه صورته لا تأمن عقاربه عند أول عتبٍ ولا يفكر في عاقبته فأخرجه عنك فقال أخاف حينئذ أن يعلن ما يكتمه في دولتنا ويذيعه في تمكننا فقال يابنيّ إني لم أرد باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت أبي حيّة النميري

هيفاء محل الوشاح — وأقتار — من أقتر في النفقة اذا ضيق فيها — والمتجشم — المتكلف للشيء .. يقول انها تمشي مشي إدلال كما يمشي، من لا يستطيع المشي

(١) — النصيف — المئزر — واتقتنا باليد — أي حالت بيننا وبين النظر اليها بوضعها معصمها على وجهها يصف بذلك المتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكان النابغة يجلس الى النعمان وينادمه فدخلت المتجردة يوماً على النعمان وعنده النابغة وهي لا تعلم بمكانه فلما وقع بصرها عليه إضطربت واستحيت وسقط مئزرها فتناولته بيدها وسترت وجهها باليد الأخرى ويقال إنها وضعت معصمها على وجهها فسترته فلم يستبن منه شيءٌ

فقلنا لها سرًّا فدَيناكِ لا يَرُحْ   سَليماً وإنْ لمْ تَقتليهِ فألمِمي

فحدث القاسم ابن فراس بما جرى وكان أعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج قبيحة فقال له الوزير أعزه الله أشار بان يغتال حتى يستراح منه وأنا أكفيك ذلك فسمه في الخشكنانج فمات .. قال الباقطاني والناس يقولون ما قتله ابن فراس وانما قتله عبيد الله .. قال ابن الرومي لما رجع الى داره وقد دب السم في أعضائه شعراً

أشرَبُ الماءَ إذَا ما تَلتَهِبْ   نارُ أحشائي لإطفاءِ اللهَبْ

فأَرَاهُ زَائدًا في حُرَقتي   فكأنَّ الماءَ لِلنَّارِ حَطَبْ

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لتخلصه من التكليف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول أبي حيّة

رَمَتْني وسَترُ اللهِ بيني وبَينَها   عَشيةَّ آرَامُ الكِناسِ رَميمُ

ألاَ رُبَّ يومٍ لوْ رَمَتْني رَميتُها   ولكنَّ عَهدِي بالنِّضالِ قَدِيمُ

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد روي هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني وأصابتني بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رمت وفتنت كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام واضح .. وأما الاستعانة فهى أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح وزناً أو نظماً .. قال ومما يختار من قول أبي حيّة أيضاً

ألاَ حَيِّ منْ أجلِ الحبيبِ المَغانِيا[1]   لَبسن البِلَى مماَّ لَبِسْنَ اللَّيالِيا

إذَا ما تَقاضَى المرْءَ يومٌ ولَيلةٌ   تَقاضاهُ شيءٌ لاَ يَمَلُّ التَّقاضِيا

---

(١) قوله — من أجل الحبيب — روى بدله من بعد الحبيب — والمغاني — جمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله ثم ظعنوا عنه وقوله — لبسن البلى — يريد ان طول العهد واختلاف العصرين عليها أخلق جدتها وطمس رسومها

ويقال ان أحسن ما وصف به المسواك قول أبي حيّة

لقد طالَ ما أعييتُ رَاحلةَ الصبا　　وعلّلتُ شيطانَ الغويّ المُشوّقِ

وداويتُ قرحَ القلبِ منهنّ بالمُنا　　وباللحظِ لو يبذُلنَهُ المُتسرّقِ

وساقينني كأسَ الهوى وسقيتُها　　رقاقَ الثنايا عذبةَ المتريَّقِ

وخمصانةٍ تفترُّ عن متنضّدٍ　　كنورِ الأقاحي طيّبِ المتذوّقِ

ويروى عن متنسق يعنى ثغراً على نسق واحد لا اختلاف فيه

اذا مضغت بعد امتتاع من الضحى　　أنابيبَ من عودِ الأراكِ المُخلّقِ

سقتْ شعثَ المسواكِ ماء غمامةٍ　　فضيضاً بخرطومِ المُدامِ المروّقِ

ـ الامتتاع ـ الارتفاع يقال متع النهار وأمتع اذا طال ـ والمخلق ـ الذي علق به الخلوق والطيب من يدها ٠٠ وقال بعضهم عنى بالمخلق المملس ـ والفضيض ـ الذي سال من الغمامة أي كأنه فض ـ والخرطوم ـ سلاف الخمر وهو أول ما يخرج من غير عصر ولا دوس

وإن ذقتَ فاها بعدما سقطَ الندى　　بمطفي بخنداةٍ رداحِ المنطقِ

ـ البخنداة ـ الضخمة ـ والرداح ـ العظيمة الأرداف

شممتُ العرارَ الطلَّ غبَّ هميمهِ　　ونورَ الخزامى في الندى المترقرقِ

ـ العرار ـ بهار البر ـ والطل ـ الغض الطري ـ والهميمة ـ مطر لين ٠٠ وأخبرنا المرزباني قال حدثني عليّ بن هارون بن عليّ قال سمعت أبي وقد ذكر قول أبي حية

نظرتُ كأني من وراءِ زجاجةٍ　　الى الدّار من فرطِ الصبابةِ أنظرُ

بعينينِ طوراً يغرقانِ من البُكا　　فأعشى وطوراً يحسرانِ فأُبصرُ

فقال لو اعترضني ملك تجب طاعته ويلزم الانقياد لأمره فقال أي شعر أجود وأولى بان يستحسن ولم يفسح لي في أن أميز المدح من الفخر والهجاء من التشبيب وسائر أصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت عن هذين البيتين ٠٠ ويقال ان أبا أحمد عبيد

الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتي أبي حية هذين بقوله

فلاَ مُقلَتي ما غامَرَ الماءُ تنجلي ... ولاَ دَمعَتي مِن مُكمَدِ الوَجدِ تقطرُ

ولأبي حية

مِنَ المُنكياتِ الجلدَ حتَّى كأنَّما ... يَسحُّ بعَينيهِ الدُّموعَ شَعيبُ

الشعيب مزادة من أدمين شعب أحدهما بالآخر

لَياليَ أهلانا جَميعاً وحَولُنا ... سَوَائمُ منها رَائحٌ وغَريبُ

وإذْ يَتَجنَّبنَ الذُّنوبَ وما لَنا ... إليهنَّ لولاَ وُدُّهُنَّ ذُنوبُ

ولأبي حيّة

أصُدُّ عنِ البَيتِ الحَبيبِ وإنَّني ... لأصغي إلى البيتِ الذي أتجَنَّبُ

أزُورُ بُيوتاً غَيرَهُ ولأهلِهُ ... علي ما عَدَا عنهمْ أعَزُّ وأقرَبُ

وقطَّعَ أسبابَ المَوَدَّةِ مَعشَرٌ ... غِضابٌ وهل في أحسَنِ القولِ مُغضِبُ

وإنْ لاثني يا أمَّ عَمرٍو نَميمةٌ ... يَدِبُّ بها بيني وبينَكِ عقرَبُ

وما بيننا لوْ أنَّهُ كانَ عالِماً ... بذَاكَ الألى يُولونَ ما يترَتَّبُ

حَدِيثاً اذَا لمْ يَخشَ عَيباً كأنَّهُ ... اذا ساقطَتْهُ الشَّهدُ بلْ هوَ أطيبُ

لوَ انكَ تَستشفي بهِ بعدَ سَكرَةٍ ... مِنَ المَوتِ كادَتْ سَكرَةُ المَوتِ تَذهَبُ

وقلتُ لها ما تأمُرينَ فإنَّني ... ارَى البَينَ أدنى رَوعهُ يترَقبُ

قال محمد بن يحيى الصولي ولا أحسبه فى قوله لو انك تستشفى به بعد سكرة إلا تبع قول توبة بن الحمير

ولوْ أنَّ لَيلَى الأخيَليّةَ سلَّمتْ ... عليَّ ودُوني جَندَلٌ وصفائحُ

لَسلَّمتُ تَسليمَ البَشاشةِ أو زَقَي ... إليها صدىً مِنْ جانبِ القبرِ صائحُ

[قال المرتضى] رضى الله عنه وأوّل من سبق الى هذا المعنى فأحسن الأعشى فى قوله

غَنْدِي بِها في الحيّ قذدرّعت　　صفراءَ مِثلَ المُهرَةِ الضّامرِ

لوْ أَسنَدَتْ مَيتاً الى نَحرِها　　عاشَ ولمْ يُنقَلْ الي قابرِ

حتّى يقولَ النّاسُ مِمّا رَأوْا　　واعَجَباً لِلميّتِ النّــاشِرِ

ومعنى الناشر المنشور يقال أنشر الله الميت فنشر وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق فهو مدفوق .. وقال بعض أصحاب المعاني ان الجارية التى وصفها أيضاً هى ميتة بمعنى أنها ستموت فيكون المعنى ان الناس عجبوا من أن يكون من يموت كيف ينشر الموتى ومن قال هذا أجاز نشر الله الموتي بمعنى أنشر والقول الأول أظهر وما نظن الأعشى عنى غيره

مجلس آخر ٣٤

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) .. فقال لم خص اليوم بالقول وانما أراد العفو عنهم فى جميع مستقبل أوقاتهم .. الجواب قلنا فى هــذه الآية وجوه أربعة .. أوّلها انه لما كان هذا الوقت الذى أشار اليه هو أوّل أوقاته التي كشف فيها نفسه لهم وأطلعهم على ما كان يستره عنهم من أمره أشار الى الوقت الذى لو أراد الانتقام لابتدأ به فيه والذى عفى فيه عنهم لم يراجع الانتقام .. وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدّم توبيخهم وعدد عليهم قبيح مافعلوه وعظيم ماارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم (لا تثريب عليكم اليوم) أى قد انقطع عنكم توبيخي ومضى عذلي ولا أتى عنــد اعترافكم بالذنب وكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع المعاقبة والتوبيخ وعلى ان الأوقات المتصلة باليوم تجرى مجراه فى زوال الغضب وتمام

العفو وسقوط الموافقة لهم على ما سلف منهم .. وثالثها[١] ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الليالى والأيام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم وفقت لتركها ومقتها يريد فى هذا الزمان ولا يريد يوماً واحداً بعينه ومثله قد كنت تقصر في الجواب عن فنون العلم فاليوم ما يعجزك مسئلة ولا تتوقف عن جواب يريد باليوم باقي الزمان كله ..

وقال امرؤ القيس

حَلَّتْ لِيَ الخَمرُ وكُنتُ امرَأً   عنْ شُرْبِها في شُغُلٍ شاغلِ

فاليَوْمَ فاشرَبْ غيرَ مُستَحقِبٍ   إثمًا مِنَ اللهِ ولاَ واغلِ[٢]

لم يقصد يوماً بعينه .. ومثله

اليومَ يَرْحَمُنا مَنْ كانَ يَغبِطُنا   واليومَ نَتبَعُ مَنْ كانوا لنا تبَعا

---

(١) ـ قلت هذا هو الجواب الصحيح وايضاح ذلك ان العرب اذا أطلقت الليل فانما يريدون به سواد الليل من حين تغرب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واذا أطلقت اليوم فقد تريد به بياض النهار كما اذا قالوا جالست فلانا يوما وقد تريد به مطلق الوقت أيّ ساعة من ليل أو نهار كما فى قوله صلى الله عليه وسلم تلك أيام الهرج أي وقته وفرقان ما بين ذلك انهم اذا قرنوا به من الافعال ماله استمرار أرادوا منه بياض النهار كالجلسة والمحادثة ونحوها مما يستوعب وقتاً طويلا واذا قرنوا به من الافعال ما ليس له استمرار بل هو من الافعال الآنية أرادوا به مطلق الوقت وعلى هذا الآية وما استشهد به المصنف من الشواهد الشعرية

(٢) ـ الواغل ـ الذي يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة فأما الذى يأتى الولائم من غير دعوة ليأكل فيسمي وارشا وراشنا والناس يسمونه طفيليا نسبة الى طفيل وهو رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتي الولائم من غير ان يدعى اليها وكان يقول وددت ان الكوفة كلها بركة مصهرجة فلا يخفى علي منها شيء

•• وقال لبيد

وما النَّاسُ إلاَّ كالدِّيارِ وأهلِها ... بها يومَ حَلُّوها وغُدْوًا بَلاَقِعُ

كل ذلك لا يراد بذكر اليوم والغد فيه الا جميع الأوقات المستقبلة •• ورابعها أن يكون المراد لا تثريب عليكم البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان المعنى غفر الله لكم اليوم •• وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله •• فأما معنى التثريب فان أبا عبيدة قال معناه لا شغب ولا معاقبة ولا إفساد •• وقال الشاعر

فعفوتُ عنهمْ عفوَ غيرِ مثرِّبٍ ... وتركتُهمْ لعقابِ يومٍ سرمدِ

•• وقال أبو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه •• وقال بعضهم وهو ابن مسلم التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى أبعد غاياتها

[تأويل خبر] •• روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسب الرمازة •• وقال أبو عبيد قال حجاج الزّمارة الزانية وقال مثل هذا مثل حديثه الآخر انه نهى عن كسب البغي •• قال أبو عبيد وقال غير حجاج هي الرّمازة بتقديم الراء قال وقول حجاج أثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون إماءهم على البغاء فأنزل الله (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصُّناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) قال فالعرض هو كسب البغي الذى نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه •• قال أبو عبيد ولا أعلم مم أخذت الرمازة غير أني وجدتها مفسرة فى الحديث •• وقال ابن قتيبة الأمر على ما ذكر أبو عبيد إلاّ ما أنكره على من زعم انها الرمازة لأن الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز أى تومئ بعينها وحاجبها وشفتيها •• •• قال الفرّاء وأكثر الرمز بالشفتين ومنه قوله تعالى (أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزا) فالرّمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار إسماً لها أو كالاسم ولذلك قيل لها

هلوك لانها تهالك على الفراش أو على الرجل ثم صار إسماً لها دون غـيرها من النساء وإن تهالكت على زوجها وقيل لها خرنع للينها وتثنيها ثم صار ذلك إسماً لها دون غيرها من النساء وان لانت وتثنت ونحوه قولهـم للبعير أعلم لشق في مشفره الأعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهـم للذئب أزل للرسح ثم صار كالاسم له والمرمزة لاتكاد تبلمن بالكلام انما تومض أو ترمز أو تصفر •• قال الشاعر

رَمَزَتْ إِلَيَّ مَخَافَةً مِنْ بَعْلِهَا   مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْدُو هُنَاكَ كَلَامُهَا

•• وقال الأخطل

أَحَادِيثُ سَدَّاهَا ابنُ حَدْرَاءَ فَرْقَدٌ   وَرَمَّازَةٌ مَالَتْ لِمَنْ يَسْتَمِيلُهَا

•• وقال الراجز

يومِئْنَ بِالْأَعيُنِ والحَوَاجِبِ   إيمَاضَ بَرْقٍ في عَمَاءٍ نَاصِبِ (١)

ـ والعماء ـ السحاب ـ والناصب ـ البعيد •• وقال بعضهم انما قيـل للفاجرة قحبة من القُحاب وهو السعال قال وأحسبه أراد أنها تتنحنح أو تسعل ترمز بذلك •• قال وبلغني عن المفضّل انه كان يقول في قول الناس أجبن من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف كل شيء •• وأما الأصمعي فانه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح ••وقال ابن قتيبة ولا أرى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميت بن زيد الأسدي

أَرجو لكُمْ أَنْ تَكُونوا في إِخائكُمُ   كَلْبًا كَوَرْهاءَ تَقْلِي كلَّ صَفَّارِ (٢)
لمَّا أَجابَتْ صَفِيرًا كانَ آيَتَها   مِنْ قابِسٍ شَيَّطَ الوَجْعاءَ بِالنَّارِ

---

(١) أنشده في اللسان في مادة زم ريومضن بالاعين والحواجب ـ والمعنى واحد ـ

(٢) ـ الورهاء ـ المرأة الحمقاء ـ وتقلي ـ تكره وتبغض ـ وآيتها ـ أي علامتها يريد ان ذلك كان علامة بينها وبين خليلها اذا جاء يريدها ـ والوجعاء ـ الاست ـ ـ وشيط ـ يقولون شيط فلان اللحم اذا دخنه بالنار ولم ينضجه وشيط الطباخ الرأس والكراع

وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها به وصفر لها فأتته فشيطها بميسم فلما أعاد الصفير قالت قد قلينا كل صفار تريد انا قد عففنا وأطرحنا كل فاجر .. وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري والاختيار عندي الزّمارة معجمة الزاي على ما قال أبو عبيد لحجج ثلاث .. احداهن اجماع أصحاب الحديث على الزّمارة .. والحجة الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن .. قال عمرو ابن أحمر الباهلي يصف شراباً وغناء

دَنَّانِ حَنَّانَانِ بينهُما رَجلٌ أجشُّ غناؤُهُ زَمِرُ

.. قال الأصمعي معناه غناؤه حسنٌ كأنه مزامير داود .. والحجة الثالثة انهم سموا الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قولهم نعجة زمرة اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروّة اذا كان قليلها .. قال ابن أحمر

مُطَّنفِقاً لونُ الحصى لونُهُ يَحجُرُ عنهُ الذَّرَّ رِيشٌ زَمِرْ

ــ المطنفق ــ اللصوق بالأرض ــ والذر ــ النمل ــ والزمر ــ القليل .. فسمي البغي زمارة على وجه الذم لها والتصغير لشأنها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال .. قال لبيد

فإنْ تتقدَّمْ تَغشَ منها مقدَّماً غَليظاً وإنْ أخَّرتَ فالكِفلُ فاجِرُ[(١)]

أي مائل ــ والكفل ــ كساء يوضع على ظهر البعير يوقى من العرق .. [قال المرتضى]

اذا أشعل فيهما النار حتى يتشيط ما عليهما من الشعر والصوف ومنهم من يقول شوّط

(١) قلت قال لبيد ذلك يخاطب عمه أبا مالك وكان وقع بينهما ما يوجب العتب وقبل هذا البيت

فقلت ازدجر أحناء طيرك واعلمن بانك إنْ قدمت رجلك عاثر

فاصبحت أنى تأتها تلتبس بها كلا مركبيها تحت رجليك شاجر

ــ ازدجر ــ أزجر ــ وأحناء طيرك ــ أي جوانب طيشك ــ والشاجر ــ المختلف

رضي الله عنه ولا أرى لاحدي الروايتين على الأخرى رجحاناًلأن كل واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرجٌ في اللغة وتأويل يرجع الى معنى واحد لان الرّمازة بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة الى معنى الفجور ومن رواها بالزاي المعجمة فالمرجع في معناها الى ذلك أيضاً على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانباري فلأولي أن يثبتا متساويين ويكون الراوى مخيّراً بينهما ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى

وما زِلتُ أرجو نفعَ سَلمى ووُدَّها ... وتُبعِدُ حتّى أبيَضَّ منّي المَسائحُ

وحتّى رَأَيتُ الشّخصَ يَزْدادُ مِثلُهُ ... اليهِ وحتّى نِصفُ رَأسي وَاضِحُ

عَلا حاجِبيَّ الشّيبُ حتّي كأَنّهُ ... ظباءٌ جَرَتْ مِنها سَنيحٌ وبارِحُ (١)

---

(١) يقول ان الشيب انتشر فى حواجبه فكأنه الظباء البيض انتشرت فى الصحراء فى كل صوب ــ والسانح ــ ما ولاك ميامنه ــ والبارح ــ ما ولاك مياسره ٠٠ قال ابن برى والعرب تختلف في العيافة يعني فى التيمن بالسانح والتشاؤم بالبارح فأهل نجد يتيمنون بالسانح قال ذو الرمة

خليلى لا لا قيتما ما حييتما ... من الطير الا السانحات وأسعدا

وقال النابغة

زعم البوارح ان رحلتنا غداً ... وبذاك تنعاب الغراب الاسود

وقال كثير وهو حجازي يتشاءم بالسانح

أقول اذا ما الطير مرت مخيفة ... سوانحها تجرى ولا أستثيرها

هذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدى لغة الحجازي فمن ذلك قول عمرو بن قميئة وهو نجدى

فبين على طير سنيح نحوسه ... واشأم طير الزاجرين سنيحها

وهزَّةُ أظعانٍ عليهنَّ بهجةٌ ... طلبتُ وريعانُ الصبا بيَ جامحُ

فلمّا قضينا من منىً كلَّ حاجةٍ ... ومسَّحَ بالأركانِ مَن هو ماسحُ

أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا ... وسالتْ بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ

وشُدَّتْ على حُدْبِ المهاري رحالُنا ... ولا ينظرُ الغادي الّذي هو رائحُ

فقلنا على الخُوصِ المراسيلِ وارتمتْ ... بهنَّ الصحاري والصفاحُ الصحاصحُ

وأنشد ابن الاعرابي

قصدتْ بعيني شادنٍ وتبسّمتْ ... بجمّاءَ عن غُرٍّ لهنّ غُروبُ

جرى الإسحلُ الأحوى عليهنّ أوجرى ... عليهنَّ من فرعِ الأراكِ قضيبُ

•• أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن البلغي قال حدثنا أبو حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه فقلت له هذا والله ياأمير المؤمنين قول عروة بن حزام العذرى لعفراء

وإني لتعروني لذكراكِ روعةٌ ... لها بين جلدي والعظامِ دبيبُ

وما هوَ إلّا أن اراها فُجاءةً ... فأبهتَ حتى لا أكادُ أجيبُ

وأُصرفُ عن رأيي الذي كنتُ عارفاً ... ويعزُبُ عني علمهُ ويغيبُ

ويُضمرُ قلبي غدرَها ويُعينُها ... عليَّ فما لي في الفؤادِ نصيبُ

فقال الرشيد من قال هذا وهماً فاني أقوله علماً ولله درك ياأصمعي فانى أجد عندك ما تضل عنه العلماء •• قال الصولي فأخذه العباس بن الأحنف فقال

يهيمُ بجرّاتِ الجزيرةِ قلبُهُ ... وفيها غزالٌ فاترُ الطرفِ ساحرُه

يؤازرُهُ قلبي عليَّ وليسَ لي ... يدانِ بمن قلبي عليَّ يؤازرُه

وأشار اليه أيضاً في قوله

قلبي الي ما ضرّني داعي ... يُكْثِرُ أحزاني وأوجاعي

كيفَ احتراسي مِنْ عَدُوّي ... اذا كانَ عدُوّي بينَ أضلاعي

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال

أعانَ طرْفي على جسمي وأعضائي ... بنظرةٍ وقفتْ جسمي على داء

وكنتُ غِرًّا بما تجنى عليّ يدِي ... لاَعِلْمَ لِي أنَّ بعضي بعضُ أعدائي

•• وقال البحتري

ولستُ أعجبُ مِنْ عِصيانِ قلبكَ لي ... يوماً اذا كانَ قلبي فيكَ يَعصيني

وروي أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال لنا الأصمعي يوماً ما أحسن ما قيل في صفة امرأةٍ عجزاء خمصانة فأنشده قول الأعشى

صِفْرُ الوِشاحينِ ملءُ الدِّرعِ بَهْكَنَةٌ ... اذا تأتّتْ يكادُ الخصْرُ يَنخزِلُ

وأنشد قول علقمة بن عبدة

صُفْرُ الوِشاحينِ ملءُ الدِّرعِ خَرْعَبَةٌ ... كأنّها رشأٌ في البيتِ مَلزُومُ

وأنشد قول ذي الرمة

ترَى خلْفَها نِصفاً قناةً قويمةً ... ونِصفاً نقاً يرتجُّ أو يترمْرَمُ

فقال أحسن ما قيل فيه قول أبي وجزة السعدي

أدْماءُ عَيْطَلَةٌ يكادُ رِداؤُها ... يقوى ويُشبِعُ ما أخبَّ إزارُها

قال عكرمة ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي

غرْثانُ سمطُ وشاحِهَا قلقٌ ... رَيّانُ مِنْ أرْدافِها المُرطُ

•• وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان وقد حزن

عليه حزناً شديداً ولم يطعم ثلاثاً فأنشدته لابن اراكة الثقفي

لَعَمْرِي لَئِنْ أَتْبَعْتَ طَرْفَكَ مامَضَى ... مِنَ الدَّهرِ أَوساقَ الحِمامُ الى القَبْرِ

لَتَسْتَنْفِدَنْ ماءَ الشُّؤُنِ بِأَسرِهِ ... وإِنْ كُنتَ تَمْرِيهِنَّ مِن ثَبَجِ البَحْرِ

فقلتُ لعبدِ اللهِ إِذْ حنَّ باكِياً ... تَعزَّ وماءُ العينِ مُنْهمِرٌ يجرِي

تبيَّنْ فإِنْ كانَ البُكا رَدَّها لكاً ... على أحدٍ فاجْهَدْ بُكاكَ على عَمْرِو

ولاَ تَبْكِ ميتاً بعدَ مَيتٍ أحبَّهُ ... عليٌّ وعبَّاسٌ وآلُ أبي بَكْرِ

قال فأمر فجيء بالطعام فأكل من ساعته .. قوله — حن باكياً — معناه رفع صوته بالبكاء وقال قوم الخنين بالخاء معجمة من الأنف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد منهما .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال سمعت الثوري يقول دخلنا مع الأصمعي الى اسماعيل بن جعفر ليلة في حاجة فأنشده الأصمعي أبيات ابن هَرْمة

أَتيناكَ نَرْجو حاجةً ووَسيلةً ... لَدَيكَ وقد تَحظى لدَيكَ الوَسائلُ

ونَذْكُرُ وُدًّا شدَّهُ اللهُ بيننا ... على الدَّهرِ لم تَذْببِ اليهِ الغَوائلُ

فاقسمُ ما أَكْبا زِنادكَ قادِحٌ ... ولاأكذبتْ فيكَ الرَّجاءَ القَوابلُ

ولاَ أَرْجَعتْ ذَا حاجةٍ عنكَ علَّةٌ ... ولاَ عاقَ حُرًّا عاجلاً منكَ آجِلُ

ولاَ لاَمَ فيكَ الباذِلُ الوَجهَ نفسَهُ ... ولاَ احتكَمتْ في الجُودِ منكَ المَباخِلُ

لم يزد على هذه الأبيات فقضي حاجته وأجاب مسئلته .. [قال المرتضى] رضي الله عنه ويشبه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله * ولا كذبت فيك الرَّجاء القوابل * من قول الحزين الكناني في زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

فلما تَرَدَّى بالحَمائلِ وانْتَني ... يَصولُ بأطرافِ القنَا والذَّوابلِ

تبينت الأعداء أن سنانه ... يطيل حنين الأمهات الثواكل

تبين فيه ميسم العز والتقى ... وليدا يفدى بين أيدي القوابل

.. وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيي الصولى قال حدثني محمد بن الحسن البلقي قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال قال الرشيد يوماً ياأصمعي أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً ودع النابغة فانه يحتج ويعتذر فقلت ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدى فانه هجا أوس بن حارثة بن لام فأسره بعد ذلك فأراد قتله فقالت له أمه وكانت ذات رأى والله لا محا هجاءه لك إلا مدحه إياك فعفى عنه .. فقال بشر

وإني علي ما كان مني لنادم ... وإني إلى أوس بن لام لتائب

فهب لي حياتي والحياة لقائم ... يسرك فيها حين ما أنت واهب

وإني إلي أوس ليقبل توبتي ... ويعرف ودّي ما حييت لراغب

سأمحو بمدح فيك إذ أنا صادق ... كتاب هجاء سار إذ أنا كاذب

فقال الرشيد للأصمعي ان دولتي لتحسن ببقائك فيها .. وأخبرنا على بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال سمعت بيتين لم أحفل بهما ثم قال قلت هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب قال فاني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر فأقبل على مسرور الكبير فقال يامسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شئ قال عيسى هذا بيت مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد وأقبل على عيسى وقال والله لتعطين الأصمعي سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار فوجم عيسي وأنكر فقلت في نفسي جاه موضع البيتين وأنشدت الرشيد

اذا شئت أن تلقى أخاك معبساً ... وجداه في الماضين كعب وحاتم

فكشفه عما في يديه فإنما ... يكشف أخبار الرجال الدراهم

قال فتجلى عن الرشيد وقال لمسرور اعطه على بيت مال السرور ألفي دينار فأخذت

بالبيتين ألفى دينار وماكانا يساويان عندي درهمين

مجلس آخر ٣٥

[تأويل آية].. إن سأل سائل عن قوله تعالى (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) .. الجواب قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الأرجح منها .. أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور لهج باستدناء ما يجلب اليه نفعاً أو يدفع عنه ضرراً ولهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ماخلقت إلا من نوم وما خلق فلان إلا من شر أرادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما أنت إلا أكل وشرب وما أشبه ذلك .. قالت الخنساء تصف بقرة

تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حتّى اذَا ادَّكَرَتْ فإنما هيَ إقبالٌ وَإدْبارُ

وانما أرادت ماذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر (وكان الانسان عجولا) ويطابقه أيضاً قوله تعالى (فلا تستعجلون) لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من شأنهم فعلها توبيخاً لهم وتقريعاً ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال وقادرين على التثبت والتأيد .. وثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من ان في الكلام قلباً والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهد على ذلك بقوله تعالى (وقد بلغني الكبر) أى قد بلغت الكبر وبقوله تعالى (ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة) والمعنى ان العصبة تنوء بها وتقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء يريدون استوى الحرباء على العود وبقول الأعشى

لمحقوقةٌ أنْ تَستَجيبي لِصوْتهِ وأنْ تَعلَمي أنّ المعانَ مُوَفَّقُ

يريد أن الموفق لمعان .. ويقول الآخر

عَلى العَبَاآتِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ　　نَجرَانَ أَو بَلَغَتْ سَوْآتِهِمْ هَجَرُ

والمعنى ان السّوْآت هي التي بلغت هجر .. ويقول خداش بن زهير

وتُرْكَبُ خيلٌ لاَ هَوَادَةَ بينها　　وتشقى الرِّماحُ بالضياطرةِ الحمرِ (١)

يريد تشقى الضياطرة بالرماح .. ويقول الآخر

يَمشي بهِ عُوذُ النِّعاجِ كأنها　　عذارَى ملوكٍ في بَياضِ ثيابِ (٢)

يريد في ثياب بيض .. ويقول الآخر

حَسَرتُ كَفِّي عنِ السِّربالِ آخذُهُ　　فَرْدًا نُجُزُّ على أيدِي المُفيدِينا

يريد حسرت السربال عن كفي .. ويقول الآخر وهو ابن أحمر

وجُرْدٌ طارَ باطِلُها نَسيلاً　　وأَحدَثَ قَومُها شَمَرًا قِصارًا

أراد نسيلها باطلا .. ويقول الآخر

وقَسْوَرَةٌ أَكتافُهُمْ في قِسِيِّهِمْ　　اذا ماَمشَوْا لاَيَعمزُونَ مِنَ النسا

أراد قسيهم في أكتافهم .. ويقول الآخر

وهُنَّ مِنَ الإِخلاَفِ والوَلَعانِ (٣)

أي الاخلاف والولعان منهن .. ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التقاضى عن حمل كلامه تعالى على القلب أن يقال له وما المعنى والفائدة في قوله تعالى (خلق العجل من

---

(١) ـ الهوادة ـ اللين وما يرجي به صلاح الأمر ـ والضياطرة ـ جمع ضيطر وضوطر وهو الضخم العظيم

(٢) ـ عوذ ـ جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الظباء وكل أنثى ـ والنعاج ـ جمع نعجة وهي البقرة الوحشية

(٣) صدره * لخلاَّبة العينين كذابة المنى * ـ والإخلاف ـ خلف الوعد ـ والولعان ـ الكذب يقال ولَع يلَع ولعاً وولعاناً اذا كذب

الانسان) أتريدون بذلك ان الله تعالى خاق فى الانسان العجلة وهـذا لا يجوز لان
العجلة فعل من أفعال الانسان فكيف يكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك ما جاز
أن ينهاهم عن الاستعجال فى الآية فيقول (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) لانه لا ينهاهم
عما خلقه فيهم .. فان قالوا لم يرد انه تعالي خلقها لكنه أراد كثرة فعل الانسان لها
وانه لا يزال يستعملها .. قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب
والتقديم والتأخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ماذكرناه من غير قلب فلا حاجة
بنا اليه .. وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الجواب فى تفسيره واختاره وقواه وسأل
نفسه عليه فقال كيف يجوز أن يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم وأجاب بأنه
قد اعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعاً عليها وهو مع
ذلك مأمور بالتثبت قادرٌ على أن يجانب العجلة وذلك كخلقه فى البشر لشهوة النكاح
وأمرهم في كثير من الأوقات بالامتناع منه وهذا الذى ذكره البلخى تصريح بان المراد
بالعجل غيره وهو الطبع الداعي اليـه والشهوة المتناولة له ويجب أيضاً أن يكون المراد
بمن ههنا فى لان شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون مخلوقة فيه
وهـذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب أولا مجاز ثم هو من بعيـد المجاز
وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من قام فى كذلك على انه تعالى اذا نهاهم
عن العجلة بقوله عز وجل (فلا تستعجلون) أى معـنى لتقديم قوله خلقت شهوة
العجلة فيهم أو الطبع الداعي اليها فيهم على ما عبر به البلخى وهذا الى أن يكون عذراً
لهم أقرب منه الى أن يكون حجة عليهم وأيسر الأحوال أن لا يكون عذراً ولا احتجاجاً
فلا يكون لتقديمه معنى وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ
والتقريع من غير اضافة اليه عز وجل والجواب الأول أوضح وأصح .. وثالثها جواب
روى عن الحسن قال يعني بقوله من عجل أى من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة
وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد على ان العجل عبارة عن الضعف أو معناه .. ورابعها
ما حكى ان أبا الحسـن الأخفش أجاب به وهو أن يكون المراد ان الانسان خلق من
تعجيل الأمر لانه تعالى قال (إنما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)

٠٠فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون ٠٠ قلنا يمكن أن يكون وجه المطابقة انهم لما استعجلوا بالآيات واستبطؤها أعلمهم تعالى انه ممن لا يعجزه شئ اذا أراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤنة بان قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات ٠٠ وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العجل الطين فكأنه تعالى قال خلق الانسان من طين كما قال تعالى في موضع آخر (وبدأ خلق الانسان من طين) واستشهد بقول الشاعر

وَالنَّبْعُ يَنْبُتُ بينَ الصَّخْرِ ضاحيةً ... والنخلُ يَنْبُتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ

ووجدنا قوماً يطعنون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكي صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل الحمأة ولم يستشهد عليه إلاّ أن البيت الذي أوردناه يمكن أن يكون شاهداً له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وخالف في شئ من ألفاظه فرواه

وَالنَّبْعُ في الصَّخْرَةِ الصمَّاء منبتهُ ... والنَّخلُ يَنْبُتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ

واذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى (فلا تستعجلون) على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات أو يكون المعنى انه لا يجب لمن خلق من الطين المهين وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسل الله وآياته وشرائعه لانه تعالى قال قبل هذه الآية (واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلاّ هزواً أهذا الذى يذكر آلهتكم) ٠٠ وسادسها أن يكون المراد بالانسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل أى من سرعة من خلقه لانه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وانما ابتدأه الله تعالى ابتداء وأنشأه انشاء فكأنه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له وانه عز وجل يرى عباده من آياته وبيناته أوّلاً أوّلاً ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم ٠٠ وسابعها ما روى عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق آدم

بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس ٠٠وروى ان آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت الى أعالي جسده ولم يبلغ أسافله قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس ٠٠ وثامنها ماروى عن ابن عباس والسدي ان آدم عليه السلام لما خُلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً الى أثمار الجنة ٠٠ وقال قوم قد همّ بالوثوب فهذا معنى قوله (خلق الانسان عجولاً) وهذه الأجوبة الثلاثة مبنية على ان المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام دون غيره ٠٠ [قال المرتضي] رضي الله عنه وإني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله

وَرُبَّ أُمورٍ قدْ بَرَيتُ لِحاءَها ... وقوّمتُ منْ أصلابها ثمَّ رُعتُها

أُقيمُ بدَارِ الحَزْمِ ما لمْ أُهَنْ بِها ... فإنْ خفتُ منْ دَارِ هوَاناً تركتُها

واصلحُ جُلَّ المالِ حتّي تخالَني ... شَحيحاً وَإنْ حَقٌّ عَرَاني أهَنْتُها

ولستُ بوَلاَّجِ البُيوتِ لفاقةٍ ... ولكنْ إذَا استغنيتُ عنْها وَلَجتُها

أَبيتُ عنِ الإِدْلاَجِ فِي الحَيِّ نائماً ... وأَرْضٌ بإِدْلاَجٍ وهَمٍّ قطعتُها

أَلاَ أيُّها الجارِي سَنيحاً وَبارِحاً ... تُعرِّضُ نَفساً لوْ أشاء قتلتُها

تُعارضُ فَخرَ الفاخرينَ بعصبةٍ ... وَلوْ وُضِعتْ لي في إناءٍ أكلتُها

وَإنَّ لنا ربعيّةُ المَجْدِ كلُّها ... موَارِثُ آباءٍ كِرَامٍ وَرِثْتُها

اِذَا قصُرَتْ أيدِي الرّجالِ عنِ العُلاَ ... مَدَدْتُ لها باعاً عليْها فَنِلْتُها

وَدَاعٍ دَعاني للعُلاَ فأَجبْتُهُ ... ودَعوَةُ دَاعٍ للصَّدِيقِ خذَلْتُها

ومَكرُمةٍ كانتْ رِعايةَ وَالِدِي ... فعلَّمَنيها وَالِدِي ففعلْتُها

وعوْرَاءَ منْ قيلِ امرِيءٍ ذِي قَرَابةٍ ... تَصامَمْتُ عنها بَعدَ ماقدْ سَمِعتُها

رَجاءَ غدٍ أنْ يَعطِفَ الرّحْمُ بيْننا ... ومَظلَمةٍ منهُ بجَنبي عَرَكْتُها

اذا ما أمورُ النّاس رَثّت وَضُيّعت ... وجدتُ أموري كلّها قد زممتُها

وإني سألقى اللهَ لم أزم حرّةً ... ولم تأتمني يوم سرّ فخنتُها

ولا قاذفٌ نفسي ونفسي بريئةٌ ... وكيف اعتذاري بعدما قد قذفتها

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي ان رجلا من الأنصار حدثه قال قال مسكين الدارمي

ولست اذا ما سرّني الدّهرُ ضاحكاً ... ولا خاشعاً ما عشتُ من حادث الدّهر

ولا جاعلاً عرضي لمالي وقايةً ... ولكن أقي عرضي فيحرزه وفرى

أعفُّ لدى عسري وأبدي تجملاً ... ولا خير فيمن لا يعفُّ لدى العسر

وإني لأستحيي اذا كنت معسرًا ... صديقي واخواني بأن يعلموا فقري

وأقطعُ إخوانى وما حال عهدُهم ... حياءً وإعراضاً وما بيَ من كبرِ

فإن يكُ عارًا ما أتيتُ فربما ... أتى المرء يومُ السوء من حيثُ لا يدرى

ومَن يفتقر يعلم مكانَ صديقهِ ... ومن يحيَ لا يعدم بلاءً من الدّهرِ

ومن مستحسن قوله

إن ادعَ مسكيناً فما قصّرت ... قدري بيوتُ الحيّ والخدرُ

قيل ان مسكيناً ليس باسمه وانما اسمه ربيعة وانما سمي بذلك لقوله

وسُمّيتُ مسكيناً وكانت لجاجةً ... وإني لمسكينٌ إلى اللهِ راغبُ (١)

---

(١) سماه في كتاب الشعراء ربيعة بن عامر بن أنيف من بني دارم وقال كان في زمن معاوية رضى الله عنه وهو القائل فيه

اليك أمير المؤمنين رحلتها ... تثير القطا ليلا وهن هجود

ومعنى ــقصرت قدري ــ أي سترت يريد انها بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان

ما مَسَّ رَحْلي العَنْكَبوتُ ولاَ   جَدَيَاتُهُ مِنْ وَضْعِهِ غُبُرُ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لأن العنكبوت انما تنسج على ما لا تناله الأيدي ولا يكثر استعماله ــ والجديات ــ جمع جدية وهي باطن دفة الرحل

لاَ آخُذُ الصِّبْيانَ أَلْثِمُهُمْ   والأَمرُ قد يُغري بِهِ الأَمرُ

يقول لا أقبل الصبي وأنا أريد التعرض بأمه ومثله لغيره

ولاَ أُلقي لذِي الوَدَعاتِ صوتي   لأُلْهِيهِ وَرِيبَتَهُ اريدُ(1)

وأنشد ابن الاعرابي مثله

اذَا رَأَيتَ صَبِيَّ القومِ يَلثَمُهُ   ضخمُ المَناكِبِ لاَعمٌّ ولاَ خالُ

على الطائر الميمون والجد صاعد   لكل اناس طائر وجدود

إذا المنبر الغربي خلى مكانه   فان أمير المؤمنين يزيد

.. وأنشد له

واذا الفاحش لاقي فاحشاً   فهنا كم وافق الشنّ الطبق

انما الفحش ومن يعتاده   كغراب السوء ما شاء نعق

أو حمار السوء ان أشبعته   رمح الناس وان جاع نهق

أو غلام السوء ان جوّعته   سرق الجار وان يشبع فسق

أو كغيرى رفعت من ذيلها   ثم أرختــه ضراراً فانزق

أيها السائل عما قد مضى   هل جديد مثل ملبوس خلق

(1) قوله لذي الودعات الخ : ذو الودعات الطفل لأنهم يعلقون عليه الودع : ومعنى وريبته أريد أي لا أريد ريبة أمه فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ومثل هذا يحفظ ولا يقاس عليه لتخلف الشرط : والبيت من جملة أبيات لعقيل بن علفة المري الجافي المشهور

فَاحفظْ صَبِيَّكَ مِنهُ أَنْ يُدَنِّسَهُ ... وَلَا يَغُرَّنْكَ يَوْماً كَثْرَةُ المَالِ

رجع الى تمام القصيدة

وَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَرَكْتُ وَمَا ... بَيْنِي وَبَيْنَ لِقَائِهِ سَتْرُ

وَمُخَاصِمٍ قَاوَمْتُ فِي كَبَدٍ ... مِثْلِ الدِّهَانِ فَكَانَ لِيَ العُذْرُ

وَأَعَابَنِي قَوْمِي بَنُو عُدُسٍ ... وَهُمُ المُلُوكُ وَخَالِيَ البِشْرُ(١)

عَمِّي زُرَارَةُ غَيْرُ مُنْتَحِلٍ ... وَأَبِي الَّذِي حُدِّثْتَهُ عَمْرُو

فِي المَجْدِ غُرَّتُنَا مُبَيَّنَةٌ ... لِلنَّاظِرِينَ كَأَنَّهَا البَدْرُ

لَا يَرْهَبُ الجِيرَانُ غَدْرَتَنَا ... حَتَّى يُوَارِيَ ذِكْرَنَا القَبْرُ

لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كَحَلَتْ ... إِحْدَى السِّنِينَ فَجَارُهُمْ تَمْرُ

أى يستحلي الغدر به كما يستحلى التمر

مَوْلَاهُمُ لَحْمٌ عَلَى وَضَمٍ ... تَنْتَابُهُ العُقْبَانُ وَالنَّسْرُ

نَارِي وَنَارُ الجَارِ وَاحِدَةٌ ... وَإِلَيْهِ قَبْلِي يُنْزَلُ القِدْرُ

يقال كان له امرأة تماطه فلما قال ذلك قالت له أجل انما نارك وناره واحدة لانه أوقد ولم توقد والقدر ينزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه(٢)

---

(١) قوله قومي بنو عدس: كل عدس فى العرب بضم العين وفتح الدال إلا عدس ابن زيد هذا فانه مضموم العين والدال

(٢) ويروى من غير هذا الوجه أنه كانت لمسكين امرأة وكانت فاركا كثيرة الخصومة والمماظة له فوقفت عليه وهو ينشد حتى اذا بلغ نارى ونار الجار البيت: قالت له صدقت والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلي بناره ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب فاذا شبع أطعمك أجل والله ان القدر لتنزل اليه قبلك فاعرض عنها فلما بلغ

ماضَرَّ جارِيَ إذْ أُجاوِرُهُ ... أنْ لاَ يكونَ لِبيْتِهِ سِتْرُ

قال ويقال انها قالت له فى هذا البيت أيضاً أجل ان كان له ستر هتكته

أَعمَى إذَا ما جارَتِي خَرَجتْ ... حتَّي يُوَارِيَ جارَتِي الخِدْرُ

ويَصَمُّ عمّا كانَ بينهُما ... سَمْعِي وما بي غيرَهُ وَقْرُ

وأنشد عمر بن شبّة لمسكين أيضاً

لاَ تَجعلَنّي كأَقوامٍ علمتَهمُ ... لاَ يَظلِموا لَبَّةً يوماً ولاَ وَدَجا

اني لأَغلاَهُمُ باللَّحْمِ قدْ علِموا ... نَيّاً وأَرخَصهمْ باللَحمِ إذْ نَضِجا

أنا ابنُ قاتِلِ جوعِ القومِ قدْ علِموا ... اذَا السَّماءُ كَستْ آفاقَها رَهَجا

يا رُبَّ أَمرَينِ قدْ فرَّجتُ بينَهما ... إذَا هُما نَشِبا في الصَّدرِ واعتَلَجا

أُدِيمُ خُلقِي لمَنْ دامتْ خَليقتُهُ ... فأَمزُجُ الحلْوَ أَحياناً لمَنْ مَزَجا

وأَقطَعُ الخَرْقَ بالخَرْقاءِ لاهيةً ... اذَا الكَواكِبُ كانتْ في الدُّجا سُرُجا

ما أَنزَلَ اللهُ منْ أَمرٍ فأَكرَهُهُ ... إلاَّ سيَجعَلُ لي منْ بَعدِهِ فرَجا

ما مَدَّ قومٌ بأَيدِيهِمْ إلى شَرَفٍ ... إلاَّ رَأَوْنا قِياماً فوقَهمْ دَرَجا

وأنشد أبو العباس ثعلب له

أُضاحِكُ ضَيفِي قبلَ إنزَالِ رَحْلِهِ ... ويُخصِبُ عِندِي والمكانُ جَدِيبُ

وما الخِصْبُ لِلأَضيافِ أنْ يُكثَرُوا القِرَى ... ولكِنَّما وَجْهُ الكَرِيمِ خَصيبُ

الى قوله : ما ضر جارى الخ البيت فلما قالت له هتكته وثب اليها يضربها وجعل قومه يضحكون منهما ؛ المماظة شدة الخلق وفظاظته

وروي ثعلب أيضاً

لِحافي لِحافُ الضَّيفِ والبيتُ بيتُهُ ولمْ يُلْهِني عنهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ
أُحَدِّثُهُ أَنَّ الحَدِيثَ مِنَ القرَيِ وتَعلَمُ نفسي أَنَّهُ سوفَ يَهْجَعُ

ومعنى — أحدثه ان الحديث من القرى — أي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا أعرض بمحادثته فأكون قد محقت قراي والحديث الحسن من تمام القرى .. وقال الاصمعي أحسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي

أَلاَ أَيُّها الغائرُ المُستَشيطُ علاَ مَ تَغارُ اذَا لمْ تُغَرْ
فما خيرُ عِرْسٍ اذَا خِفتَها وما خيرُ بيتٍ اذَا لمْ يُزَرْ
تَغارُ علي النَّاسِ أَنْ يَنظُرُوا وهَلْ يَفتِنُ الصَّالِحاتِ النَّظَرْ
فإِني سأُخْلي لهَا بَيْتَها فتَحفَظُ لي نفسَها أَو تَذَرْ
اذَا اللّهُ لمْ يُعْطِهِ وُدَّها فَلَنْ يُعطِيَ الوُدَّ سوطٌ مُمَرْ
ومَنْ ذَا يُرَاعي لهُ عِرْسَهُ اذَا ضَمَّهُ وَالمَطِيَّ السَّفَرْ

[قال رضي الله عنه] وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله

وإِني امرُؤٌ لاَ آلَفُ البيتَ قاعِدًا الى جَنْبِ عِرْسي لاَ أُفَرِّطُها شِبْرَا
ولاَ مقسِمٌ لاَ أَبرَحُ الدَّهرَ بَيتَها لأَجعلَهُ قَبلَ المَماتِ لها قَبْرَا
اذَا هيَ لم تُحصِنْ أَمامَ قِبابِها فليسَ بمُنجيها بنائي لها قَصْرَا
ولاَ حاملٍ ظَنّي ولاَ قِيلُ قائلٍ علي حائطٍ حتّى أُحيطَ بها خُبْرَا
فهَبْني امرأً راعيتُ ما دُمتُ شاهِدًا فكيفَ اذَا ما سِرْتُ من بيتِها شَهْرَا

وأنشد أبو العيناء عن أبي العالية لمسكين

ما أَحسنَ الغيرَةَ في حينها   وأَقبحَ الغيرَةَ في غيرِ حينِ
مَنْ لمْ يَزَلْ متَّهِماً عِرْسَهُ   مُناصِباً فيها لوَهْمِ الظُّنونِ
يُوشِكُ أنْ يغرِيَها بالذي   يَخافُ أو يَنصبَها لِلعيونِ
حَسْبُكَ مِنْ تحصينها ضمُّها   منكَ إلى خُلُقٍ كريمٍ ودِينِ
لاَ تَظْهَرَنْ منكَ على عوْرَةٍ   فيتْبعُ المَقرُونُ حَبْلَ القرِينِ

مجلس آخر ٣٦

[تأويل آية]: إن سأل سائل عن قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام (ولقد همت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) فقال هل يسوغ ما تأول بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسف عليه السلام عزم على المعصية وأرادها وانه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم انصرف عن ذلك بان رأى صورة أبيه يعقوب عاضاً على إصبعه متوعداً له على مواقعة المعصية أو بأن نودى له بالنهي والزجر فى الحال على ما ورد به الحديث .. الجواب قلنا اذا ثبت بأدلة العقول التى لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التأويلات ان المعاصى لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب أو سنة الى ما يطابق الأدلة ويوافقها كما يفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفاً لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه أو لا يجوز ولهذه الآية وجوه من التأويل كل واحد منها يقتضى براءة نبي الله من العزم على الفاحشة وارادة المعصية .. أولها ان الهم فى ظاهر الآية متعلق بما لا يصح أن يعلق به العزم أو الارادة على الحقيقة لانه تعالى قال (ولقد همت به وهمَّ بها) فعلق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز أن يراد أو يعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن أن يكون ما تعلق به همه عليه السلام

انما هو ضربها أو دفعها عن نفسه كما يقول القائل كنت هممت بفلان وقد هم فلان بفلان أي بان يوقع به ضرباً أو مكروها .. فان قيل فأي معنى لقوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها .. قلنا يمكن أن يكون الوجه في ذلك انه لما هم بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على انه ان أقدم على ماهم به أهلكه أهلها أي قتلوه أو انها تدعي عليه المراودة عن القبيح وتقذفه بانه دعاها اليه وان ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه فأخبر الله تعالى بانه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء يعني بذلك القتل والمكروه الذين كانا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح أو يعني بالسوء والفحشاء ظنهم بذلك .. فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا يتقدمها ويكون التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بضربها ودفعها وتقديم جواب لولا قبيح غير مستعمل أو يقتضي أن تكون لولا بغير جواب .. قلنا أما تقدم جواب لولا فجائز وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير أنا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لأن العزم على الضرب والهم بالضرب قد وقع إلاّ انه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم) معناه لولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ومثله (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم) معناه لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا في الدنيا وتتفاخروا بها .. وقال امرؤ القيس

فلوْ أنَّها نفسٌ تموتُ سويةٌ ولكنَّها نفسٌ تَسَاقَطُ أنفُسا

أراد فلو أنها نفس تموت سويّة لانقضت وفنيت فحذف الجواب على ان من تأول هذه الآية على الوجه الذى لا يليق بنبي الله وأضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا أن رأى برهان ربه لفعله .. فان قيل قوله هم بها كقوله همت به فلم جعلتم همها متعلقاً بالقبيح وهمه بها متعلقاً بما ذكرتم من الضرب وغيره .. قلنا أما الظاهر فلا يدل على ما تعلق الهم به

والعزم فيهما جميعاً وانما أثبتنا همها به بأن يكون متعلقاً بالقبيح لشهادة الكتاب والآثار به وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤثر دليل في امتناعه عليها كما أثر ذلك فيه عليه السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله في ضلال مبين) وقوله تعالى (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب) وقوله (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفي موضع آخر (فذلكن الذى لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفي موضع آخر (فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) والآثار واردة باطباق مفسري القرآن ومتأوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية .. والوجه الثاني في تأويل الآية أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها ويجرى ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا أني تداركتك وقتلت لولا أني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل .. قال الشاعر

فلاَ تَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحاً لِحُرَّةٍ ... لأَنْ كُنتُ مَقْتولاً ويَسلَمُ عامِرُ

.. وقال آخر

فلاَ تدعُني قومي لِيومِ كَرِيهةٍ ... لئنْ لمْ أُعَجِّلْ ضَرْبةً أو أُعجِّلِ

فقدم جواب الشرط في البيتين جميعاً[1] وقد استشهد عليه أيضاً بقوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لَهَمَّت طائفة منهم أن يضلوك) والهم لم يقع لمكان فضل الله ورحمته ومما يشهد لهذا التأويل ان في الكلام شرطاً وهو قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم أن يجعلوا جواب لولا محذوفاً

---

(١) هذا الذي اعتمده يخالف مذهب جمهور البصريين فان جواب الشرط عندهم لا يتقدم فاذا تقدم ما هو جواب في المعنى فهو دال عليه وليس إياه وهو محذوف: وذهب الكوفيون والمبرد وأبو زيد الى جواز تقديمه ولا حذف عندهم في مثل ذلك

مقدراً لأن جعل جوابها موجوداً أولاً : وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز ذلك لجاز قام زيدٌ لولا عمرو وقصدتك لولا بكرٌ وقد بينا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذى ذكروه لايشبه بما أجزناه وقد يجوز أن يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك لولا أن صدنى فلان وان لم يقع قيامٌ ولا قصد وهذا الذي يشبه الآية وليس تقديم جواب لولا بأبعد من حذف جواب لولا جملة من الكلام واذا جاز عندهم الحذف لئلا يلزمهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتي لا يلزم الحذف ٠٠ والجواب الثالث ما اختاره أبو عليّ الجبائي وان كان غيره قد تقدمه الى معناه وهو أن يكون معنى همّ بها اشتهاها ومال طبعه الى مادعته اليه وقد يجوز أن يسمي بالشهوة فى مجاز اللغة همّاً كما يقول القائل فيما لا يشتهيه ليس هذا من همّى وهذا أهمّ الأشياء اليّ ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبيح بتناول المشتهى ٠٠ وقد روى هذا الجواب عن الحسن البصرى قال أما همّها فكان أخبث الهم وأما همّه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) متعلق بمحذوف كأنه قال لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل ٠٠ والجواب الرابع ان من عادة العرب أن يسموا الشئ باسم ما يقع في الأكثر عنده وعلى هذا لاينكر أن يكون المراد بهم بها أى خطر بباله أمرها ووسوس اليه الشيطان بالدعاء اليه من غير أن يكون هناك همٌّ أو عزمٌ فسمي الخطور بالبال همّاً من حيث كان الهم يقع فى الأكثر عنده والعزم في الأغلب يتبعه وانما أنكرنا ما ادعاه جهلة المفسرون وحرفوا القصاص وقذفوا به نبي الله عليه السلام لما ثبت في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لايجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث كان منفراً عنهم وقادحاً في الغرض الجري اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لانه تعالى قال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الاخذ فيه والشروع فى مقدماته وقوله تعالى أيضاً (انه من عبادنا المخلصين) يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة قولهن (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) يدل أيضاً على أنه بريء من القبيح

•• فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفاً لطف الله تعالى له به في تلك الحال أو قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها ويحتمل أيضاً ماذكره أبو عليّ وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك وعلى أن من فعله يستحق العقاب وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنه الجهّال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له والنداء له بالزجر والتخويف لأن ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض بالتكليف ويقتضي أن لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً وهذا سوء ثناء على الأنبياء واقدام على قرفهم بما لم يكن منهم والحمد لله على حسن التوفيق •• روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصولي الملقب بطمّاس قال كنت يوماً عند عمي ابراهيم بن العباس فدخل اليه رجل فقربه حتى جلس الى جانبه أو قريباً منه ثم حادثه الى ان قال له عمي يا أبا تمام ومن بقي ممن يعتصم به ويلجأ اليه فقال أنت لاعدمت وكان ابراهيم طويلا أنت والله كما قيل

يَمُدُّ نِجادَ السَّيفِ حتَّى كأَنهُ ... بأَعلى سَنامَيْ فالِجٍ يَتَطَوَّحُ

ويَدلِجُ في حاجاتِ من هوَ نائمٌ ... ويُوري كَريماتِ النَّدَى حينَ يَقدَحُ

اذَا اعتَمَّ بالبُرْدِ اليَمانيِّ خِلتَهُ ... هِلالاً بَدَا في جانبِ الافقِ يَلمَحُ

يَزيدُ على فَضلِ الرِّجالِ فَضيلةً ... ويَقصُرُ عنهُ مَدحُ مَنْ يتمَدَّحُ

فقال له ابراهيم أنت تحسن قائلا وراوياً ومتمثلا فلما خرج تبعته وقلت له أكتبني الأبيات فقال هي لأبي الجويرية العبدي نخذها من شعره •• وروى عن يحي بن البحتري قال رأيت أبي يذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بعمان من الشعر فر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فأنشدوا الشاذات كثيرة فقال لهم أبي قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال

أَحسِبُ النَّوْمَ حكَاكا ... إذْ رَأَى منكَ جفَاكا

منِّيَ الصبْرُ ومنكَ الـ ... ـهجْرُ فاَبلغْ بي مَدَاكا

بَمُدَّتْ هِمَّةُ عَيْنٍ طَمِعتْ في أَنْ تَرَاكَا
أَوَ مَا حُطَّ لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ رَآكَا
لَيْتَ حَظّي مِنكَ أَنْ تَعلَمَ ما بِي مِنْ هَوَاكَا

قال أبي انه تصرف فى معانٍ من الشعر فى هـذه الأبيات قال فكتبها عنـه جماعة من حضروا والأبيات لابراهيم بن العباس الصولى ** وأخبرنا عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيي الصولى قال لما بايع المأمون لعليّ بن موسى الرّضا عليهما السـلام بالعهد وأمر الناس بلبس الخضرة صار اليه دعبل بن عليّ الخزاعى وابراهيم بن العباس الصولى وكانا صديقين لا يفترقان فأنشده دعبل

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِنْ تِلاَوَةٍ وَمَنزِلُ وَحْيٍ مُقْفِرِ العَرَصَاتِ

وأنشده ابراهيم بن العباس الصولى على مذهبهما قصيدة أولها

أَزَالَتْ عَزَاءَ القَلْبِ بَعدَ التَّجلُّدِ مَصَارِعُ أَوْلاَدَ النَّبِيّ مُحمَّدِ

قال فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التى عليها اسـمه وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت فأما دعبل بن عليّ فصار بالشطر منها الى قم فاشترى أهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة ألف درهم ** وأما ابراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها الى ان مات قال الصولى ولم أقف من قصيدة ابراهيم على أكثر من هذا البيت ** قال وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ماحدثني أبو العباس أحمـد ابن محمد بن الفرات والحسـين بن عليّ الباقطانى قالا كان ابراهيم بن العباس صـديقاً لاسحاق بن ابراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن فأنسخه شـعره في عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام وقد انصرف من خراسان ودفع اليه شيئاً بخطه منه وكانت النسخة عنده الى ان وُلّى المتوكل ووُلّى ابراهيم بن العباس ديوان الضـياع وقد كان تباعد مابينه وبين أخى زيدان فعزله عن ضـياع كانت في يده بحلوان وغيرها وطالبه بمالٍ وألحّ عليه وأساء مطالبته فدعا اسحاق بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض

الى ابراهيم بن العباس فاعلمه ان شعره فى علىّ بن موسى بخطه عندى وبغير خطه والله لئن استمر على ظلمى ولم يُزل عنى المطالبة لأوصان الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل الى ابراهيم بن العباس فأخبره بذلك فاضطرب اضطراباً شديداً وجعل الأمر الى الواسطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به وأخذ الشعر منه وأحلفه انه لم يبق عنده منه شئ فلما حصل عنده أحرقه بحضرته •• وذكر أبو أحمد بن يحيى بن علىّ المنجم ان أباه علىّ بن يحيى كان الواسطة بينهما •• قال الصولى وما عرفت من شعر ابراهيم فى هذا المعنى شيئاً إلاّ أبياتاً وجدتها بخط أبى قال أنشدني أخي لعمه فى علىّ ابن موسى الرضا عليهما السلام من قصيدة

كفى بفَعالِ امرئٍ عالِمٍ ... على أهلِهِ عادِلاً شاهِدَا
أرَى لهمُ طارِفاً مؤْنِقاً ... ولاَ يُشبهُ الطَّارفُ التَّالِدَا
يُمَنُّ عليكم بأموالكم ... ويُعطونَ من مئةٍ واحدَا
فلا حَمِدَ اللهُ مستبصِرًا ... يكونُ لاعداءِكم حَامِدَا
فَضلَت قسيمَكَ في قعدَدٍ ... كما فضَلَ الولدُ الوالِدَا

قال الصولي فنظرت فوجدت علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام والمأمون متساويين فى قعدد النسب وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً •• وروى الصولى ان منشداً أنشد ابراهيم بن العباس وهو في مجلسه فى ديوان الضياع

ربما تكرهُ النفوسُ من الأمـ ... ـرِ له فَرْجةٌ كحلّ العقالِ

قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال

ولربَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتَى ... ذَرعاً وعندَ اللهِ منها مخرجُ
كمَلَتْ فلمَّا استحكمت حلقَاتُها ... فُرِجت وكانَ يظنها لا تُفرَجُ

فعجب من جودة بديهته •• وأخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيي الصولي قال حدثني القاسم بن اسمعيل أبو ذكوان الراوية قال كنت

بالاهواز أيام الواثق وابراهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها فوصفت له بالأدب فأمر باحضاري فلما دخلت عليه قرّب مجلسي وقال تسلف أنس المطاولة فان الاستمتاع لا يتم إلاّ به فانبسطت وتساءلنا عن الأشعار فما رأيت أحداً قط أعلم بالشعر منه فقال لي ما عندك في قول النابغة

ألم تر أنّ الله اعطاكَ سوْرَةً ... ترى كلّ ملْكٍ دونها يتذبذبُ

فانكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... اذا طلَعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ

فقلت أراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خب وهو انه اعتذر الى النعمان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم فقال انما فعلت هذا لجفائك بي فاذا صلحت بي لم أرد غيرك كما ان من أضاءت له الشمس لم يحتج الى ضوء الكواكب فأتى بمعنيين بهذا وبتفضيله قال فاستحسنت ذلك منه ٠٠ وكان ابراهيم بن العباس من أصدق الناس لأحمد بن أبي داود فعتب على ابنه أبي الوليد من شيء قدمه ومدح أباه وأحسن في التخلص كل الاحسان فقال

عفّتْ مساوٍ تبدّتْ منكَ واضحةً ... على محاسنَ بقّاها أبوكَ لكا

لئن تقدّم أبناءُ الكرامِ بهِ ... لقد تقدّمُ أبناءُ اللئامِ بكا

٠٠ ولابراهيم

تمرُّ الصبّا صفحًا بساكنِ ذي الغضا ... ويصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبُها

قريبةُ عهدٍ بالحبيبِ وإنما ... هوَى كلّ نفسٍ حيثُ كانَ حبيبُها

تَطلّعُ من نفسي اليكَ نوازعٌ ... عوارفُ أن اليأسَ منكَ نصيبُها

وأخذ هذا من قول ذي الرمة

اذا هبّتِ الأرواحُ من كلِّ جانبٍ ... به آل ميّ هاجَ شوقي هبوبُها

هوىً تذرفُ العينانِ منه وإنما ... هوى كلِّ نفسٍ حيثُ كانَ حبيبُها

•• ولابراهيم

دَنت باناسٍ عن تَناء زيارَةٌ   وشطَّ بليلَي عن دنوٍ مزارها

وإنَّ مقيماتٍ بمنقطَعِ اللّوى   لأقربُ من ليلَى وهاتيكَ دَارُهَا

وأخذ ذلك من قول النظار الفقعسى

يقولونَ هذِي أم عمرٍو قريبةٌ   دَنَت بكَ أرضٌ نحوها وَسَماء

أَلاَ إنَّمَا بُعْدُ الحَبِيبِ وقُربُهُ   إذَا هُو لم يُوصَلْ اليهِ سوَاء

ووجدت بعض أهل الأدب يظن ان ابراهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى فى قوله

كن كيف شئتَ وأنّي تَشا   وأَبرِقْ يميناً وأرعدْ شمَالاَ

نجابكَ لؤمُكَ منجَي الذُّبابِ   حمتْهُ مقاذيره أن يُنَالاَ

حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى فأحسن غاية الاحسان فقال

أمّاالهجاء فدَقَّ عرضُكَ دُونَه   والمدحُ عنكَ كماعلمتَ جليلُ

فاذهب فأنت طليقُ عرضكَ إنّه   عِرضٌ عَزَزتَ به وأنتَ ذَليلُ

مجلس آخر ٣٧

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام (قال رب السجن أحب اليّ مما يدعونني اليه وإلاّ تصرف عنى كيدهنّ أصب اليهنّ وأكن من الجاهلين) •• فقال اذا كانت المحبة عندكم هي الارادة فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بارادة المعصية لأن حبسه في السجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعى اليه من الزنا وقوله من بعد (وإلاّ تصرف عنى كيدهن) يدل على ان امتناعه من القبيح مشروط بمنعهن وصرفهن عن كيده وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرف اللسوة

عن كيدهن أو لم يصرفن .. الجواب قلنا أما قوله عليه السلام (رب السجن أحب الي) ففيه وجهان من التأويل .. أولهما ان المحبة متعلقة فى ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً لأن السجن انما هو الجسم والأجسام لايجوز أن يريدها وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الأفعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها فادخال القوم يوسف عليه السلام الحبس أو اكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي تناله باستيطانه كان طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالماً لو أكره مؤمناً على ملازمته لبعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكرَه حسناً وان كان فعل المكرِه قبيحاً وهذه الجملة تبيّن أن لاظاهر في الآية يقتضى ماظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم أن يقدروا مايرجع الى الحابس من الأفعال إلاّ ولنا أن نقدر مايرجع الى المحبوس واذا احتمل الكلام الأمرين ودل الدليل على أن النبى لا يجوز أن يريد المعاصى والقبائح اختص المحذوف المقدر بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبه .. فان قيل كيف يجوز أن يقول السجن أحب اليَّ وهو لا يحب مادعوه اليه ومن شأن مثل هذه اللفظة أن تدخل بين ماوقع فيه اشتراك فى معناها وان فضل البعض على البعض .. قلنا قد تستعمل هذه اللفظة فى مثل هذا الموضع وان لم يكن فى معناها اشتراك على الحقيقة ألا ترى ان من خير بين مايحبه وما يكرهه جائز أن يقول هذا أحب اليَّ من هذا وان لم يجز مبتدئاً أن يقول من غير أن يخير هذا أحب اليَّ من هذا اذا كان لا يحب أحدهما جملة وانما سوّغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر من حيث كان المخير بين الشيئين لايخير بينهما إلاّ وهما مرادان له ومما يصح أن يريدهما فموضوع التخيير يقتضي ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب عن هذا متى قال كذا أحب اليَّ من كذا مجيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الأمران على الحقيقة يشتركان فى تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى (قل أذلك خير أم جنّة الخلد) ونحن نعلم أن لاخير فى العقاب وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار

المعاصي على الطاعات وانهم ما ركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلاّ لاعتقادهم أن فيها خيراً ونفعاً فقيل أذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه أم كذا وكذا وقد قال قوم في قوله تعالى (أذلك خيرٌ أم جنة الخلد) انما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى (خير مستقراً وأحسن مقيلا) ومثل هذا قد يأتي في قوله تعالى (رب السجن أحب اليّ) لأن الأمرين يعني المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكلٍّ منهما داعياً وعليه باعثاً وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضاً ما ذكرناه لأن السجن المصدر فيحتمل أن يريد ان سجني لهم نفسي وصبري على حبسهم أحب اليّ من موافقة المعصية ولا يرجع بالسجن الى فعلهم بل الى فعله .. والوجه الثاني أن يكون معنى أحب اليّ أي أهون عندي وأسهل عليّ وهذا كما يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معاً ان فعلت كذا وإلاّ فعل بك كذا وكذا فيقول بل كذا أحب اليّ أي أهون عندي بمعنى أسهل وأخف وان كان لا يريد واحداً منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون انما عنى فعلهم به دون فعله لانه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الارادة وانما وضع أحب موضع أخف والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .. وأما قوله تعالى (وإلاّ تصرف عني كيدهن أصبُ اليهن) فليس المعنى فيه على ماظنه السائل بل المراد متي لم تلطف لي بما يدعوني الي مجانبة المعصية وتثبتني الى تركها ومفارقتها صبوت وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع الي الله تعالى والتسليم لاموره وأنه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهن ولا شبهة في ان النبي انما يكون معصوماً عن القبائح بعصمة الله تعالى ولطفه وتوفيقه .. فان قيل الظاهر خلاف ذلك لأنه قال (وإلاّ تصرف عني كيدهن) فيجب أن يكون المراد مايمنعهن من الكيد ويدفعه والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لايقتضي ارتفاع الكيد والانصراف عنه .. قلنا معني الكلام وإلاّ تصرف عني ضرر كيدهن والغرض به لانهن إنما أجرين بكيدهن الى مساعدته لهن علي المعصية فاذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها فكأن الكيد قد انصرف

عنه ولم يقع به من حيث لم يقع ضرره وما أجرى به اليه ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت شيئاً ولمن فعل مالا تأثير له ما فعلت شيئاً وهـذا بين بحمد الله ومنّه

[تأويل خبر] •• إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذى يرويه عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة طويلة خطبها من يتبع المشمعة يشمع به •• الجواب ان المشمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع الرجل يشمع شموعاً وامرأة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك •• قال أبو ذؤيب يصف الحمير

بقَرَارِ قيعانٍ سَقاها وابِلٌ واهٍ فأَثْجَمَ بُرْهَةً لا يُقْلِـعُ (١)

فَلَبِثْنَ حيناً يَعتَلِجْنَ بِرَوْضَةٍ فيَجِدُّ حيناً في العِلاَجِ وَيَشْمَعُ

أراد أن هذا الحمار الذى وصف حاله مع الأُتن وانه معهن في بعض القيعان يعارك هذه الاتن ومعنى ـ يعتلجن ـ يعاض بعضهن بعضاً ويتراحمن من النشاط فيجد الفحل معهن مرّة وأُخرى يأخـذ معهن فى اللعب فيشمع وفي جد لغتان يَجد ويُجدُ والمفتوح لغة هذيل ويقال فلان جاد مجد على اللغتين معاً •• وقيل ان معنى يشمع في الحمار انه يشم ثم يرفع رأسه فيكشر عن أضراسه فجعل ذلك بمنزلة الضحك •• قال الشماخ

وَلَوْ أَنِّي أَشاءُ كَنَنْتُ نَفْسِي إلىَّ لبَّاتِ بَهْكَنَةٍ شَمُوعِ (٢)

---

(١) ـ القرار ـ جمع قرارة وهو حيث يستقر الماء ـ والقيعان ـ جمع قاع وهو القطعة من الارض الصلبة الطيبة ـ والوابل ـ المطر العظيم القطر •• ويروى سقاها صيف وهو مطر الصيف ـ والواهي ـ كأنه منشق من شدة انصبابه وكثرة مائه ـ واثجم ـ أقام وثبت ـ والبرهة ـ الحين والزمان ـ والروضة ـ البقعة يجتمع فيها الماء ينبت فيها البقل والعشب ولا تسمى روضة الا اذا كان بها شجر وماء

(٢) يروى هيكلة مكان بهكنة والهيكلة من النساء العظيمة وتهيكلها اختيالها ـ والشموع ـ المزاحة ـ والبهكنة ـ التارة الغضة وقيل هي الجارية الخفيفة الطيبة الرائحة المليحة الحلوة

•• وقال المتنخل الهذلي

وَلاَ وَاللّٰهِ نادَي الْحَيِّ ضَيْفِي هُدُوًّا بِالْمَساءَةِ وَالعِلاَطِ
سأَبْدَأُهُمْ بِشَمْعَةٍ وأَثْنِي بِجُهْدِي مِنْ طَعَامٍ أو بِسَاطِ

أرادبقوله ــ نادي الحي ضيفي ــ أي لاينادونه من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بما يؤثر ــ والعلاط ــ من علطه واعتلط به اذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر وأصله من علاط البعير وهو وسم في عنقه •• وقيل ان معنى نادى الحي ضيفى من النادى أي لا يجالسونه بالمكروه والسوء•• ومعنى ــ سأبدأهم بشمعة ــ أي بلعب وضحك لأن ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد الى إيناسه وبسطه••ومنه قول الآخر

وَرُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرى صادَفَ زَاداً وَحَدِيثاً ماأشْتَهي (١)
إِنَّ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ القِرَىٰ

وروى الأصمعي عن خلف الأحمر قال سنة الاعراب انهم اذا حدثوا الرجل الغريب وهشوا اليه ومازحوه أيقن بالقري واذا أعرضوا عنه عرف الحرمان••ومعنى ــ أثنى بجهد من طعام أو بساط ــ أى اتبع ذلك بهذا••ومعنى الخبر على هذا أن من كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم أصاره الله تعالى الى حالة يعبث به فيها ويستهزأ منه••ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر وهو ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من يشمع الناس بعمله يشمع الله به والمعنى من يرائي بأعماله ويظهرها تقرباً الى الناس واتخاذاً للمنازل عندهم يشهره الله بالرياء ويفضحه ويهتكه••ويمكن أيضاً في الخبر الأول وجه آخر لم يذكر فيه وهو ان من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشئ

---

(١) قوله ورب ضيف الخ•• البيتان للشماخ يمدح بهما عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما وقبلهما

انك يابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى

ورب ضيف الخ

باسمه ولذلك لنظائر فى القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر أن يكون المعنى من يتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه فسمى الجزاء على الفعل باسمه وهذا الوجه أيضاً ممكن فى الخبر الثاني .. أخبرنا عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال إني لفى سوق ضرية وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان متزوجاً بالبصرة وكان له ابن فضربه إذ أقبلت عجوز على ناقة لها حسنة البزة فيها باقي جمال فأناخت وعقلت ناقتها وأقبلت تتوكأ على محجن لها فجلست قريباً منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي أيحضرك شئ قال لا فأنشدتها شعراً لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري

وَقصيرَةِ الأَيَّامِ وَدَّ جليسها ... لَوْ باعَ مَجْلِسَهَا بِفَقْدِ حَمِيمِ

مِنْ مُخْذِياتِ أخِي الْهَوى غُصَصَ الْجَوَى ... بِدَلالِ غانِيَةٍ وَمُقْلَةِ رِيمِ

صَفْرَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجِوَاءِ كأَنما ... خَفَرُ الحياء بها وَرَدْعُ سقيمِ

قال فجثت على ركبتها وأقبلت تخرش الأرض بمحجنها وأنشأت تقول

قِفِي ياأُمَيْمُ الْقَلْبَ نقرأْ تحيةً ... وَنَشكوا الْهَوَى ثمَّ افْعَلِي مابدَا لَكِ

فَلَوْ قُلْتِ طأْ فِي النَّارِ اعلَمُ أنَّهُ ... هوىً لَكِ أَوْ مُدْنٍ لَنَامِنْ وِصالِكِ

لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَها فَوَطِئْتُها ... هُدىً مِنْكِ لِي أَوضَلَّةً مِنْ ضَلالِكِ

سَلِي البانةَ الْعَلْيَاءَ بالاجرَعِ الَّذي ... بِهِ الْبَانُ هلْ حَيَّيْتُ أَطْلالَ دارِكِ

وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلالِهِنَّ عَشِيَّةً ... مَقامَ أَخِي الْبَأْساءِ وَاخْتَرْتُ ذَلِكِ

لِيُهْنِئكِ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلِي الْحَشَا ... وَرَقْرَاقُ عَيْنِي خَشْيَةً مِنْ زِيالِكِ

قال الأصمعي فأظلمت والله على الدنيا بحلاوة منطقها وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت أنشدتك الله لما زدتِني من هذا فرأيت الضحك فى عينها وأنشدت

وَمُسْتَخفيَاتٍ لَيْسَ يُخفينَ زُرْنَنَا   يُسَحِّبْنَ أَذْيالَ الصبَّابَةِ وَالشَّكْلِ
جَمَعْنَ الهَوَى حَتَّى اذَا ماملَكْنَهُ   نَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ القَتْلِ
مَرِيضَاتِ رَجْعِ الطَّرْفِ خُرْسٍ عَنِ الخَنَا
تأَلَّفْنَ أَهْوَاءَ القُلُوبِ بِلاَ بَذْلِ
مَوَارِقُ مِنْ خَتْلِ المُحِبِّ عَوَاطِفٌ   بِخَتْلِ ذَوِي الأَلْبَابِ بالجِدِّ والهَزْلِ
يُعَنِّفُنِي العُذَّالُ فِيهِنَّ وَالهَوَى   يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوِي العَذْلِ

[قال المرتضي] رضى الله عنه أما قول الأصاري — وقصيرة الأيام — فأراد بذلك ان السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فتقصر أيام جايسها لأن أيام السرور موصوفة بالقصر .. ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضاً حداثة سنها وقرب عهد مولدها وان كان الأول أشبه بما أتى في آخر البيت .. ومعنى — لو باع مجلسها بفقد حميم — أي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لأنه يستعمل فى البائع والمشتري معاً .. قال الفراء سمعت اعرابياً يقول بع لي تمراً بدرهم أي اشتر لي تمراً .. وقال كثير

فَيَاليتَ عَزَّ النأْيَ إذْ حالَ بيننَا   وَبينَكِ باعَ الوِدَّ لِي منكِ تاجِرُ[1]

أي ابتاع .. وقوله — من محذيات أخي الهوى — أي معطيات يقال أحذيت الرجل من

---

(١) وقبله

بليلى وجارات لليلى كأنها   نعاج الملا تحدى بهن الاباعر
أمنقطع ياعز ماكان بيننا   وشاجرنى ياعز فيك الشواجر
إذا قيل هذا بيت عزة قادنى   اليه الهوى واستعجلتنى البوادر
أصد وبى مثل الجنون لكي يرى   رواة الخنا أنى لبيتك هاجر
ألا ليت حظي منك ياعز انني   إذا بنت باع الصبر لى عنك تاجر

وهذه الرواية فى البيت الأخير أشهر من تلك

الغنيمة أحذيه إحـذاء اذا اعطيته والاسم الحذوة والحذيا والحـذية كل ذلك العطية .. وقوله ـ كأنما خفر الحياء بها رداع سقيم ـ فالرداع هو الوجع فى الجسد فكأنه أراد انها منقبضة منكسرة من الحياء كما يتغير لون السقيم أو يريد تغير لونها وصفرته من الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري مجرى قول ليلى الأخيلية

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ القَمِيصُ تَخَالُهُ   بَيْنَ البُيُوتِ مِنَ الحَيَاء سقيمَا
حَتّى اذَا خَفَقَ اللِّوَاءُ رَأَيته   تَحْتَ اللِّوَاءِ علي الخَمِيسِ زَعِيمَا

أخبرنا المرزبانى قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني ميمون بن هارون الكاتب قال حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه قال لقيت اعرابياً بالبادية فاسترشدته الى مكان فأرشدني وأنشدني

لَيْسَ العَمي طُولَ السُّؤَالِ وَإنمَا
تَمَامُ العَمَى طُولُ السُّكُوتِ علي الجَهْلِ (١)

فرجعت الى البصرة فكنت بها حيناً ثم قدمت البادية فاذا بالاعرابي جالساً بين ظهراني قوم وهو يقضي بينهم فما رأيت قضية أخطأت قضية الصالحين من أقضيته فجلست اليه فقلت يرحمك الله أما من رشوة أما من هدية أما من صلة فقال لا اذا جاء هذا ذهب التوفيق فشكوت اليه ما ألقى من عذل حليلة لي إياي فى طلب المعيشة فقال لست فيها بأوحد وإني لشريكك ولقد قلت فى ذلك شعراً قلت أنشدنيه فأنشدني

باتَتْ تُعَيِّرُنِي الإِقْتَارَ وَالعَدَما   لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا المَالَ والخَدَما
عُنْفٌ لرَأْيِكِ ما الأَرْزَاقُ مِنْ جَلَدٍ   وَلَا مِنَ العَجْزِ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسَما

---

(١) وروي

شفاء العمي حسن السؤال وإنما   يطيل العمي طول السكوت على الجهل
فكن سائلا عما عناك فانما   خلقت أخا عقل لتسأل بالعقل

وهما للرياشي النحوي

يا أمةَ اللهِ إنّي لَمْ أدَعْ طَلَبَاً ... لِلرّزقِ قَدْ تَعلَمِينَ الشّرْقَ وَالشأمَا
فَكُلُّ ذَلِكَ بالإجمَالِ فِي طَلَبٍ ... لَمْ أُرزَ عِرضاً وَلَمْ أسفِكْ لِذَاكَ دَمَا
لَوْ كانَ مِنْ جَلَدٍ ذَا المَالُ أوْ أدَبٍ ... لَكُنْتُ أكثَرَ مِنْ نَمْلِ القُرَى نَعَمَا
إرْضَيْ مِنَ العَيشِ مالَمْ تُحوِجِي مَعَهُ ... أنْ تَفتَحِي لِسُؤالِ الأغنِياءِ فَمَا
وَاستَشعِرِي الصَّبرَ عَلَّ اللهَ خَالِقَنَا ... يَوْماً سَيَكْشِفُ عَنّا الضرَّ وَالعَدَمَا
لاَ تُحْوِجِينِي الي مالَوْ بَذَلْتُ لهُ ... نَفسِي لا عَقّبَكِ التّهمَامَ وَالنّدَمَا
بِاللهِ سَرَّكِ أنْتِ اللهَ خَوّلَنِي ... ما كانَ خَوّلَهُ الاعرَابَ وَالعَجَمَا
ماسرّنى أنّنِي خُوِّلتُ ذَاكَ وَلاَ ... أنْ لاَ أقُولَ لِبَاغِي حَاجَةٍ نَعَمَا
وَأنّني لَمْ أُفِدْ عَقلاً وَلاَ أدَبَاً ... وَلاَ أُرِثْ وَالِدِي مَجْداً وَلاَ كَرَمَا
فَمَسَرّةُ المَرْءِ أحرَى فِي مَعَاشِكِ مِنْ ... أمرٍ يَجُرُّ عَلَيكِ الهَمَّ وَالألَمَا

قال فوالله ما أنشدتها حتى حلفت أن لا تعذلنى أبداً •• أخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال رأيت بقباء شاباً من بني عامر ما رأيت بدوياً أفصح منه ولا أظرف فوالله كأنه شواظ يتلظى فاستنشدته فأنشدنى

فَلَمْ أنسَكُمْ يَوْمَ اللوى إذْ تَعرّضتْ ... لنا أمُّ طِفْلٍ خَاذِلٍ قَدْ تَجَلّتِ
فقالَتْ سأُنسِيكَ العَشيّةَ مامَضَى ... وَأصرِفُ مِنكَ النّفسَ عَمّا أحبّتِ
فما فَعَلَتْ لاَ وَالّذِى أنا عَبْدُهُ ... على ما بَدَا مِنْ حُسْنِها إذْ أدَلّتِ
أبَتْ سابِقاتُ الحُبِّ إلاّ مَقَرّها ... إليكِ وَما يَثْنِى إذَا ما استَقَرّتِ
هَوَاكِ الّذِي فِي النّفسِ أمسَى دَخِيلَها ... عَلَيهِ انطَوَتْ أحشاؤُها وَاستَمَرّتِ

وأنشدني أيضاً

دِيارٌ لِلَّتِي طَرَقَتْكَ وَهْنًا ... بَرِيًّا رَوْضَةٍ وَذَكاء رَنْدِ

تُسَائِلُنِي وَأَصْحَابِي هُجُودٌ ... وَتَثْنِي عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ

فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ ... فَإِنِّي فَوْقَ وَجْدِكَ كانَ وَجْدِي

وَلَكِنْ حالَ دُونَكَ ذُو شَذَاةٍ ... أُسَرُّ بِفَقْدِهِ وَيَهِرُّ فَقْدِي

معنى — يهر — يكره ٠٠ وبهذا الاسناد قال الأصمعي قعدت الى اعرابي يقال له اسمعيل ابن عمار واذا هو يفتل أصابعه ويتلهف فقلت له علام تتلهف فأنشأ يقول

عَيْنَايَ مشؤُمَتَانِ وَيْحَهُمَا ... وَالْقَلْبُ حَرَّانُ مُبْتَلَى بِهِمَا

عَرَّفَتَانِي الْهَوَى بِظُلْمِهِمَا ... يَالَيْتَنِي قَبْلَهُ عَدِمْتُهُمَا

هُمَا إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهُمَا ... دَلَّ عَلَى مَا أُجِنُّ دَمْعُهُمَا

سَأَعْذُرُ الْقَلْبَ فِي هَوَاهُ فَمَا ... سَبَّبَ هذَا الْبَلاءَ غَيْرُهُمَا

وبهذا الاسناد عن الأصمعي قال نزلت ليلة في وادي بني العنبر وهو إذ ذاك غان بأهله أي آهل فاذا فتية يريدون البصرة فأحببت صحبتهم فأقمت ليلتي تلك عليهم وإني لو صب محموم أخاف أن لا أستمسك على راحلتي فلما أقاموا ليرحلوا أيقظوني فلما رأوا حالي رحلوا لي وحملوني وركب أحدهم ورائي يمسكني فلما أمعنوا السير تنادوا الافتي يحدو بنا أو ينشدنا فاذا منشد في سواد الليل بصوت ند حزين ينشد

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أَمُتْ ... خُفَاتًا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورُ

غَدَاةَ الْمُنَقَّى اذْ رُمِيتُ بِنَظْرَةٍ ... وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ

فَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهَوَى ... وَكَادَ مِنَ الْوَجْدِ الْمُبَرِّ يَطِيرُ

فَهذَا وَلَمَّا تَمْضِ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ ... فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْكَ شُهُورُ

وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الْأَحِبَّةِ دُونَهَا مِنَ الْأَرْضِ غَوْلٌ نَازِحٌ وَمَسِيرُ

وَأَصْبَحْتُ نَجْدِيَّ الْهَوَى مُتْهِمَ النَّوَى

أَزِيدُ اشْتِيَاقاً أَنْ يَحِنَّ بَعِيرُ

عَسَى اللهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُسْعِفَ النَّوَى

وَيُجْمَعُ شَمْلٌ بَعْدَهَا وَسُرُورُ

قال فسكنت والله عنّي الحمى حتى ما أحس بها فقلت لرفيقي انزل يرحمك الله الى راحلتك فاني مؤاسك وجزاك الله عن الصحبة خيراً .. أخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي قال كان بالبصرة اعرابي من بني تميم يتطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل إلاّ لتدخل ولا وضع الطعام إلاّ ليؤكل وما قدمت هدية فأتوقع رسولا وما أكره أن أكون ثقلا ثقيلا على من أراه شحيحاً بخيلا أتقحم عليه مستأنساً وأضحك اذا رأيته عابساً فآكل برغمه وأدعه بهمه وما اخترق اللهوات طعام أطيب من طعام لم ينفق فيه درهم ولا يعنى اليه خادم (١) وأنشأ يقول

كُلَّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرْصَةِ الْحَيِّ أَشُمُّ الْقُتَارَ شَمَّ الذُّبَابِ

---

(١) وروى من غير هذا الوجه عن المبرد قال كان بالبصرة طفيلي مشهور وكان ذا أدب وظرف فمر بسكة النخع بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعى فانكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أو صبرت ياهذا قبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لادبك وأعظم لقدرك وأجمل لمروءتك فقال إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة وأطراحها صلة وجاء في الآثار صل من قطعك واعط من منعك وأحسن الي من أساء اليك

فاذا ماَرأَيْتُ آثارَ عرْسٍ أَوْ ختَانٍ أَوْ مَجْمعَ الأَصْحَابِ
لاَ أُوَرّع دُونَ التقحُّم لاَأرْ هَبُ دَفْعاً وَلكَزَةَ البوَّابِ
مُسْتَهِيناً مِما هجمْتُ عَلَيْهِ غيْرَ مُسْتأْذِنٍ وَلاَ هَيَّابِ
فَتَرَانِي أَلُفُّ ماقدَّمَ القَوْ مُ علي رَغْمِهِم كَلَفِّ العُقَابِ
ذَاكَ أَدْني مِنَ التَّكَلُّفِ وَالغُرْ مِ وَغَيْظِ الْبَقَّالِ وَالقَصَّابِ

مجلس آخر ٣٨

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ونادى نوحٌ ربَّه فقال ربِّ إن ابني من أهلي) الى قوله (أن تكون من الجاهلين) .. فقال ظاهر قوله تعالى (إنه ليس من أهلك) يقتضى تكذيب قوله عليه السلام انه من أهلي فالنبي لايجوز عليه الكذب فما الوجه فى ذلك وكيف يصح أن يخبر عن ابنه انه عمل غير صالح وما المراد به .. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه .. أحدها أن نفيه لان يكون من أهلهم يتناول نفى النسب وانما نفى أن يكون من أهله الذين وعد بنجاتهم لانه عزوجل كان وعد نوحاً عليه السلام بان ينجي أهله ألا ترى الى قوله تعالى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلاّ من سبق عليه القول) فاستثنى تعالى من أهله من أراد اهلاكه بالغرق ويدل عليه أيضاً قول نوح عليه السلام (ان ابني من أهلي وان وعدك الحق) وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين .. والجواب الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (ليس من أهلك) اى أنه ليس على دينك وأراد انه كان كافراً مخالفاً لأبيه وكأنّ كفره أخرجه من أن يكون له أحكام أهله ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى على طريق التعليل انه عمل

غير صالح فبيّن تعالى انه انما خرج من أحكام أهله لكفره وسوء عمله وقد روي هذا التأويل أيضاً عن جماعـة من المفسرين وحكى عن ابن جريج انه سـئل عن ابن نوح فسبح طويلا ثم قال لا اله الا الله يقول الله ونادى نوح ابنه ويقول ليس منـه ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن •• وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفاً له في النية والعمل فمن ثم قيل انه ليس من أهلك •• والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام ان ابني على ظاهر الأمر فأعلمه الله تعالى ان الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته وليس في ذلك تكذيب خبره لانه انما خبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي فأخبره الله تعالى بالغيب الذى لا يعلمه غيره وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغـيره •• وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ماهو ابنه فقلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوحٌ ابنه وتقول ليس بابنه قال أفرأيت قوله ليس من أهلك قال قلت معناه انه ليس من أهلك الذين وعدتك ان أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب انه ابنه فقال أهل الكتاب يكذبون •• وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك •• وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن لانه قال تعالى (ونادى نوح ابنه) فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضاً استثناه من جملة أهله بقوله تعالى (وأهلك إلاّ من سـبق عليه القول) ولان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله تعالى أنبيائه عليهم الصلاة والسـلام ما هو دون ذلك تعظيما لهـم وتوقيراً ونفياً لكل ماينفر عن القبول منهـم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احداهما تخبر الناس بانه مجنون والأخرى تدل على الأضياف والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان •• فأما قوله تعالى (انه عملٌ غير صالح) فالقراءة المشهورة بالرفع •• وقد روى عن جماعة من المتقدمين انهم قرؤا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه •• فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وما يستعمل غير صالح فحذف

المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء

مَا أُمُّ سَقْبٍ علي بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ قد ساعدتها علي التحنان أظآرُ

ترتعُ مارتعتْ حتّى إذا ذكرتْ فإنما هيَ إقبالٌ وإدبارُ

أرادت انما هي ذات اقبال وادبار ‥ وقال قوم ان المعنى أصل ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة والذى اخترناه خلاف ذلك ‥ وقال آخرون الهاء في قوله تعالى (انه عمل غير صالح) راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك إياى ماليس لك به علم انه عملٌ غير صالح لانه قد وقع من نوح ذلك السؤال والرغبة في قوله عليه الصلاة والسلام (رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق) ومعنى ذلك نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي لأن الصغيرة جائزة عليهم ومن يمنع أن يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الي السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم ‥ فاذا قيل له لم قال تعالي (لا تسألني ماليس لك به علم) فكيف قال نوح عليه الصلاة والسلام من بعد (رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) ‥ قال لا يمتنع أن يكون نهيه عن سؤال ماليس له به علم وان لم يقع منه لم يكن يعوذ عليه الصلاة والسلام من ذلك وان لم يواقعه ألا تري ان الله تعالى قد نهى نبيه عليه الصلاة والسلام عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك وقع منه فقال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) وكذلك لا يمتنع أن يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع ويكون عليه الصلاة والسلام انما سأل نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء ‥ فأما القراءة بالنصب فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب أن يقال انه عمل عملا غير صالح لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى تقول عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لأن من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسناً بمعنى فعلت فعلا صواباً وقلت قولا حسناً ‥ وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

أيُّها القائل غيرَ الصوابِ　　أخِّرِ النصحَ وَاقلِلَنَّ عِتابي

وقال أيضاً

وكَمْ مِنْ قَتيلٍ مايُباءُ بهِ دَمٌ　　وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنًا إذَا ضَمَّهُ مِنِي

وَمِنْ مالئٍ عَيْنَيْهِ مِنْ شَيْءِ غَيْرِهِ

إذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبِيضُ كالدُّمى[(1)]

وأنشدنا أبو عبيد الله لرجل من بجيلة

كَمْ مِنْ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُنْتَكِثِ الْقُوَى

مَاإِنْ لَهُ نَقْضٌ وَلاَ إبرامُ

مالتْ لَهُ الدُّنيا عليهِ بأسْرِهَا　　فَعلَيْهِ مِنْ رِزْقِ الإِلَهِ رُكامُ

وَمُشَيَّعٍ جَلْدٍ أمِينٍ حازِمٍ　　مَرِسٍ لَهُ فيمَا يَرُومُ مَرَامُ

أعْمِي عَلَيْهِ سَبِيلُهُ فَكَأَنَّهُ　　فيمَا يُحَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن

---

(١) وقبل البيتين

فلم أر كالتجمير منظر ناظر　　ولا كليال الحج أفتنَّ ذا هوى

وبعدهما

يسحبن اذيال المروط بأسؤق　　خدال وأعجاز مآكمها روي

وسبب هذه الابيات ان أم عمرو بنت مروان حجت فلما قضت نسكها أتت عمر ابن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساء فحادثته ثم انصرفت وعادت اليه منصرفها من عرفات وقد أثبتها فقالت له لا تذكرني في شعرك وبعثت اليه بألف دينار فقبلها واشترى بها ثيابا من ثياب اليمن وطيباً فأهداه اليها فردته فقال إذاً والله انهبه الناس فيكون مشهوراً فقبلته

هرون قال حدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل الى الأصمعي ويفضله ويقوم بأمره قال فجئته يوماً بعد موت محمد وعنده عبد كان لمحمد أسود وقد ترك الناس وأقبل عليه وسائله وتحفى به وحادثه فلما خرج لمته على ذلك وقلت من هذا حتى أفنيت عمر يومك به فقال هذا غلام ابن منصور ثم أنشدني

وَقَالُوا يا جَمِيلُ أَتَى أَخُوها ... فَقُلْتُ أَتَى الْحَبِيبَ أَخُو الْحَبِيبِ

أُحِبُّكَ وَالْقَرِيبُ بِنَا بَعِيدٌ ... لِإِنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةَ مِنْ قَرِيبِ

فقلت له وكنت أفعل هذا كثيراً به لاستجر كلامه وعلمه يا أبا سعيد ذلك أخوها وهذا غلامه فضحك وقال أنشد أبو عمرو أو قال غيره

أَرَي كُلَّ أَرْضٍ أَوْطَنَتْهَا وَإِنْ خَلَتْ ... لَهَا حِجَجٌ تَنْدَى بِمِسْكٍ تُرَابُهَا

حَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَى تَبِعاً لَهَا ... ذِئَابَ الْفَضَى حَنَّتْ إِلَيَّ ذِئَابُهَا

قال فجعلت أعجب من قرب لسانه من قلبه واجادة حفظه له متى أراده ٠٠ وبهذا الاسناد عن اسحق الموصلي قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت

أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا ... بِرَوْضِ الشَّرَى عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ

فقال لي أتعرف في هذا البيت خبثاً باطناً غير ظاهر قلت لا فسكت عني فقلت ان كان فيه شيء فافدنيه قال نعم أما يدلك البيت على انه لفظ ملك مستهين ذي قدرة على ما يريد قال اسحق وما رأيت قط مثل الأصمعي في العلم بالشعر ٠٠ وروى عن اسحق أيضاً انه قال قال لي الأصمعي ما يعني امرؤ القيس بقوله

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ

فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ

فقلت تخبرني فقال كان مفركا فيقول ألهيت هؤلاء عن كراهتهن للرجال فكيف انا عند المحبات لهم ٠٠ وروي ان السبب الذي هاج التنافر بين الأصمعي وابن الاعرابي ان

الأصمعي دخل يوماً على سعيد بن سلم وابن الاعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم أنشد أبا سعيد فأنشد الغلام أبياتاً لرجل من بني كلاب روّاه إياها ابن الاعرابي

رَأَتْ نِضوَ أسفَارٍ أُمَيْمَةُ شاحِباً ... على نِضْوِ أُسفَارٍ فَجُنَّ جُنُونُهَا

فَقَالَتْ مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنتَ وَمَنْ تَكُنْ ... فإنَّكَ رَاعِي صِرْمَةٍ لاَ يَزِينُهَا

فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلى الفَتَي ... بِعَارٍ وَلاَ خَيْرُ الرِّجالِ سَمِينُهَا

عَلَيْكِ بِرَاعِي ثَلَّةٍ مُسْلَحِبَّةٍ ... يَرُوحُ علَيْـهِ مَخْضُهَا وَحَقِينُهَا

سَمِينُ الضَّوَاحِي لَمْ تُؤَرِّقْهُ لَيْلَةً ... وَأَنْعَمَ أَبْكَارُ الْهُمُومِ وَعُونُهَا

ورفع ليلة فقال له الأصمعي من روّاك هذا فقال مؤدّبي فأحضره فاستنشده فأنشده ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال انما أراد انه لم تؤرقه ليلة أبكار الهموم وعونها وأنعم أي زاد على هذه الصفة . . وقوله — سمين الضواحي — أي ماظهر منه وبدا سمين ثم قال الأصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس بموضع لتأديب ولد الملوك . . وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا الأصمعي قال ولد بشار بن برد أكمه لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقالت له يوماً من أين لك هذا الذكاء قال من قدم العمي وعدم المناظر يمنع من كثير من الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن وصحة الذكاء وأنشد لنفسه يفخر بالعمى

عَمِيتُ جَنِيناً وَالذَّكاءُ مِنَ الْعَمَى ... فجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلعلْمِ مَوْئِلا

وَغاضَ ضِيَاءُ العَيْنِ لِلعَقْلِ رَافِدًا ... بِقَلْبٍ إِذَا مَاضَيَّعَ النَّاسُ حَصَّلاَ

وَشِعْرٍ كَنَوْرِ الرَّوْضِ لاَ أَمْتُ بِينَهُ ... بِقَوْلٍ إِذَا مَاأَحْزَنَ الشِّعْرُ أَسْهَلاَ

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا

الأصمعي قال أنشد رجل وأنا حاضرٌ بشاراً قول الشاعر

وَقَدْ جَعَلَ الاعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَنَا ... وَتَطْمَعُ فِينَا أَلسنٌ وَعيُونُ

أَلاَ إِنَّمَا لَيْلَي عَصَي خَيْزُرَانَةٍ ... إِذَا غَمَزُوهَا بالأَكُفِّ تَلِينُ

فقال بشار والله لو جعلها عصى مخ أو زبد لما كان إلاّ مخطئاً مع ذكر العصى ألا قال كما قلت

وَخَوْرَاءُ المَدَامِعِ مِنْ مَعَدٍّ ... كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطَعُ الجُمَانِ

إِذَا قَامتْ لِسُبْحَتِهَا تَثَنَّتْ ... كَأَنَّ قَوَامَهَا مِنْ خَيْزُرَانِ

يُنَسِّيكَ المُنَي نَظَرٌ إِلَيْهَا ... وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهُ الزَّمانِ

•• وأخبرنا المرزباني قال حدثنا عليّ بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن شبة قال قال لي أبو عبيدة رحل بشار الى الشطم فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران فقال فيه قصيدة طويلة أوّلها

نَأَتْكَ عَلَى طولِ التَّجَاوُرِ زَيْنَبُ ... وَمَا عَلِمَتْ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ يَشْعَبُ

وكان سليمان بخيلا فاعطاه خمسة آلاف درهم ولم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال

إِنْ امْسِ مُنْقَبِضَ اليَدَيْنِ عَنِ النَّدَى ... وَعَنِ العَدُوِّ مُخَيَّسُ الشَّيْطَانِ

فَلَقَدْ أَرُوحُ عَلَي اللِّئَامِ مُسَلَّطاً ... ثَلِجَ المُقَامِ مُنَعَّمَ النُّدْمَانِ

فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ ... تَنْدَى يَدِي وَيُخَافُ فَرْطُ لِسَانِي

أَزْمَانَ سِرْبَالُ الشَّبَابِ مُذَيَّلٌ ... وَإِذِ الأَمِيرُ عَلَيَّ مِنْ حَرَّانِ

رِئْمٌ بِأَحْوِيَةِ العِرَاقِ إِذَا بَدَا ... بَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكِلَّةُ المَرْجَانِ

فَاكْحَلْ بِعَبْدَةَ مُقْلَتَيْكَ مِنَ القَذَي ... وَبِوَشْكِ رُؤْيَتِهَا مِنَ الهَمَلاَنِ

فَلَقُرْبُ من تَهْوَى وَأَنْتَ مُتَيَّمٌ   اشفى لِدائك من بنى مَرْوَانِ

فلما رجع الى العراق برَّهُ ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدحه قيساً وافتخاره بها فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوى قال قال الأصمعى ماوصف أحدٌ الثغر إلاّ احتاج الى قول بشر بن أبي خازم

يُفَلِّجْنَ الشِّفَاهَ عن اُقحوانٍ   جلاهُ غِبَّ ساريةٍ قِطَارُ

ولا وصف أحدٌ اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة

وَهيَ مكنونةٌ تَحَيَّرَ منها   في أديم الخَدَّيْنِ ماءُ الشَّبابِ

شَفَّ عنها مُحَقَّقٌ جُنْدُبيٌّ   فَهْيَ كالشَّمسِ من خِلالِ السَّحَابِ

ولا وصف أحدٌ عيني امرأة إلاّ احتاج الي قول ابن الرقاع

لولاَ الحياءُ وَأَنَّ رَأسي قد بدَا   فيهِ المَشيبُ لزُرْتُ أُمَّ القاسِمِ

فـكأَنَّها وَسْطَ النِّساءِ اعارَهَا   عَيْنَيْهِ أحْوَرُ من جآذِرِ جاسمِ

وَسْنَانُ اقصدَهُ النُّعاسُ فرَنَّقَتْ   في عَيْنِهِ سِنَةٌ وَليْسَ بِنَائمِ

ولا وصف أحدٌ نجيباً إلاّ احتاج الى قول حميد بن ثور

مُحَلًّى باطْوَاقٍ عِتَاقٍ يُبِينُهَا   على الضُّرِّ رَاعِي الضَّأْنِ لو يَتَقَوَّفُ

ولا وصف أحدٌ ظليما إلاّ احتاج الى قول علقمة بن عبدة

هَيْقٌ كأَنَّ جَناحَيْهِ وَجُؤْجُؤَهُ   بَيْتٌ أطَافَتْ بهِ خَرْقاءُ مهْجُومُ

ولا اعتذر أحد إلاّ احتاج الى قول النابغة

فانَّكَ كالَّليلِ الَّذِي هوَ مُدْرِكي   وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنكَ وَاسِعُ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . أما قول حميد — محلًّى بأطواق عتاق — فانه يريد أن عليه نجار الكرم والعتق فصارت دلالتهما وسماتهما حلية من حيث كان موسوماً

بهما •• ومعنى — يبينها على الضراء — يتبينها ويعرفها هذا الراعى فيعلم انه كريم — والتقوف — من القيافة •• فأما قول علقمة هيق — فالهيق — ذكر النعام •• ومعنى — أطافت به خرقاء — أي عملته وابتنته وقيل ان خرقاء ههنا هي الحاذقة وان هذه اللفظة تستعمل على سبيل الاضداد في الحاذقة وغير الحاذقة •• ومعنى — مهجوم — أي مهدوم •• وقال الأصمعى معنى أطافت به عملته فخرقت فى عمله يقول قد أرسل جناحيه كأنه خباء امرأة خرقاء كلما رفعت ناحية استرخت ناحية أخري والوجه الثاني أشبه وأملح •• فأما قول بشر بن أبي خازم في وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء للمعنى قول النابغة

كالأُقحوَانِ غدَاةَ غبِّ سمَائِهِ — جفَّتْ أعاليهِ وَأسْفلُهُ نَدِ

فانما وصف أعاليه بالجفوف ليكون متفرقاً متنضداً غير متلبد ولا مجتمع فيشبه حينئذ الثغور •• ثم قال وأسفله ندٍ حتى لايكون محلا يابساً بل يكون فيه الغضاضة والصقالة فيشبه غروب الاسنان التى تلمع وتبرق •• وروى الرياشى قال سمعت الأصمعى يقول أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة

وتجْلُو بفَرْعٍ منْ أرَاكٍ كأنَّهُ — منَ العَنبَرِ الهِنديِّ وَالمسْكِ ينْضحُ

ذُرَى أُقحوَانٍ وَاجهَ اللَّيلَ وَارْتَقى — اليهِ النَّدَى منْ رَامةَ المتَرَوِّحُ

هجَانُ الثَّنايا مُغْرِباً لوْ تَبسَّمتْ — لأَخْرَسَ عنهُ كادَ بالقوْلِ يُفْصحُ

مجلس آخر ٣٩

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) •• فقال كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة وأما تأويل قوله تعالى (وهم كافرون) فظاهره يقتضي انه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم في

حال كفرهم لأن القائل اذا قال أريد أن يلقاني فلان وهو لابس أو على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة .. الجواب قلنا أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه .. أولها ماروى عن ابن عباس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يامحمد ولا يعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى ﴿ اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴾ .. وأنشد فى ذلك قول الشاعر

عشيَّةَ أبدَتْ جيدَ أدماءَ مُغْزِلٍ وطرْفاً يُريكَ الإثمِدَ الجَوْنَ أحورا

يريد وطرفاً أحور يريك الإثمد الجون وقد اعتمد على هذا الوجه أيضاً أبو عليّ قطرب وذكره أبو القاسم البلخى والزجاج .. وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبى أولادهم واسترقاقهم وفى ذلك لا محالة إيلامٌ لهم واستخفاف بهم وانما أراد الله تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه وآله والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ولم يبقها فى أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية الي ذلك وانهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب أن يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذ كانت هذه عاجلتهم والعقاب الأليم في النار آجلتهم وهذا جواب أبي عليّ الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال كيف يصح هذا التأويل مع انا نجد كثيراً من الكفار لا تنالهم أيدى المسلمين ولا يقدرون على غنيمة أموالهم ونجد أهل الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشئ لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن أوجب الله تعالى محاربته فأما الذين هم بحيث لاتنالهم الأيدى أو هم من القوة على حد لايتم معه غنيمة أموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم فى هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يسبي ويغنم ويجاهد ويغلب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد .. وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم

بذلك كلما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع انه حيّ من العذاب الدائم الذي قد أعد له واعلامه انه صائر اليه اومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره أبوعليّ الجبائي أيضاً .. ورابعها جواب يحكى عن الحسن واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأن ذلك يؤخذ منهم على كره وهم اذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً .. [قال الشريف المرتضي] رحمه الله وهذا وجه غير صحيح لأن الوجه في تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال أن يكون انما كلف اخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة واللطف في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ماقلناه في الجواب الذي قبل هذا من ان المصائب والغموم تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنها للعقوبة والمحنة جميعاً ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلاّ وجهٌ واحد وهو المصلحة في الدّين فافترق الأمران وليس لهم أن يقولوا ليس التعذيب في ايجاب الفرائض عليهم وانما هو في اخراجهم لأموالهم على سبيل التكره والاستثقال وذلك انه اذا كان الأمر على ما ذكروه وخرج الأمر من أن يكون مراداً لله تعالى لانه جل وعز ماأراد منهم اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة فاذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى .. [قال الشريف] رحمه الله وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الآية إلا جواب التقديم والتأخير مبنية على ان الحياة الدنيا طرف للعذاب فيحمل كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ويطابق ذلك وما يحتاج عندنا الى جميع ما تكلفوه ولا الى التقديم والتأخير اذا لم يجعل الحياة ظرفاً للعذاب بل جعلناها ظرفاً للفعل

الواقع بالأموال والأولاد المتعلق بهما لإنا قد علمنا أولا ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لأن الأموال والأولاد نفسها لا تكون غذاباً والمراد على سائر وجوه التأويل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها والمصيبة بها والغم عليهـا أو اباحة غنيمتها واخراجها عن أيدى مالكيها فكان تقدير الآية انما يريد الله ليعذبهـم بكذا وكذا مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ويتصل بها فاذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله تعالى وتسخطه كانفاقهـم الأموال في وجوه المعاصي وحملهم الأولاد على الكفر وإلزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا وهذا وجه ظاهر يغني عن التقديم والتأخير وسائر ماذكروه من الوجوه .. فأما قوله تعالى (وتزهق أنفسهم) فعناه تبطل وتخرج أى انهم يموتون على الكفر وليس يجب اذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هـذه الحال أن يكون مريداً للحال نفسها على ماظنوه لأن الواحد منّا قد يأمر غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البغى وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريداً لحرب أهل البغي للمؤمنين وان أراد قتلهم على هذه الحالة وكذلك قد يقول لغلامه أريد أن تواظب على المصير الىّ فى السجن وأنا محبوس وللطبيب صر الىّ ولازمنى وأنا مريض وهو لا يريد المـرض ولا الحبس وان كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين .. وقد ذكر في ذلك وجه آخر على أن لا يكون قوله (وهم كافرون) حالا لزهوق أنفسهم بل يكون ذلك كأنه كلام مستأنف والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كافرون صائرون الى النار وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهـم عذاب الآخرة ويكون معنى تزهق أنفسهم على هـذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلاناً حتى مات وتلفت نفسه وأخرجت روحه وما أشبه ذلك

[قال الشريف] رضى الله عنه ذاكرنى قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى مروان بن يحيي بن أبي حفصة فأفرط بعضهم فى وصفه وتقريظه

وتفضيله وآخرون في ذمه وتهجينه والازراء على شعره وطريقته واستخبروا عما اعتقده فيه فقلت لهم كان مروان متساوى الكلام متشابه الألفاظ غير متصرف فى المعانى ولا غواص عليها ولا مدقق فيها فلذلك قلت النظائر فى شعره ومدائحه مكررة الألفاظ والمعانى وهو غزير الشعر قليل المعنى الا انه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق وهو أشعر من كثير من أهل زمانه وأشعر شعراء أهله ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعانى وحسن الألفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برد فى الأبيات النادرة السائرة فكأنه طبقة بينهما وليس بمقصر دونهما شديداً ولا منحط عنهما بعيداً وكان اسحق بن ابراهيم الموصلى يقدمه على بشار ومسلم وكذلك أبو عمرو الشيبانى وكان الأصمعي يقول مروان مولد وليس له علم باللغة واختلاف الناس فى اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبيه على معانيه وبحسب مايستنبطونه من مذاهبه وطرائقه فسئلت عند ذلك أن أذكر مختار ما وقع الىّ من شعره وأنبه على سرقاته ونظائر شعره وان أملى ذلك في خلال المجالس وأثنائها • فمما يختار من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهدى أولها

أَعادَكَ مِنْ ذِكْرِ الأَحِبَّةِ عائِدُ ... أَجَلْ واسْتَخَفَّتْكَ الرُّسُومُ البَوائِدُ

يقول فيها

تَذَكَّرْتَ مَنْ تَهْوَى فأَبْكاكَ ذِكْرُهُ ... فلاَ الذِّكْرُ مَنْسِيٌّ وَلاَ الدَّمْعُ جامِدُ

تَحِنُّ وَيأْبَي أَنْ يُساعِدَكَ الهَوَى ... وَلَلْموْتُ خَيْرٌ مِنْ هوىً لاَ يُساعِدُ

أَلاَ طَالَما أَنْهَبْتَ دَمْعَكَ طائِعاً ... وَجارَتْ عليْكَ الآنِساتُ النَّواهِدُ

تُذَكِّرُنا أَبْصارَها مُقَلُ المَها ... واعناقَها أُدْمُ الظِّباءِ العَواقِدُ

تَساقَطُ مِنْهُنَّ الأَحادِيثُ غَضَّةً ... تَساقُطَ دُرٍّ اسلَمَتْهُ المَعاقِدُ

إليكَ أميرَ المؤمنينَ تجاذَبَتْ ... بنا اللَّيلَ خُوصٌ كالقِسيِّ شَوَارِدُ
يمانيةٌ ينأى القريبُ محلَّهُ ... بهنَّ ويَدنو الشاحطُ المتباعِدُ
تجلّي السُّرى عنها وللعيسِ أعيُنٌ ... سَوَامٍ وأعناقٌ إليكَ قواصِدُ
إلى ملكٍ يندى إذا يبسَ الثرى ... بنائلِ كفّيهِ الأكفُّ الجوامِدُ
لهُ فوقَ مجدِ الناسِ مجدانِ منهما ... طريفٌ وعاديُّ الجراثيمِ تالِدُ
وأحواضُ عزٍّ حومةُ الموتِ دونها ... وأحواضُ عُرْفٍ ليسَ عنهنَّ ذائِدُ
أيادي بني العبّاسِ بيضٌ سوابغٌ ... على كلِّ قومٍ باديات عوائدُ
وهم يعدلونَ السَّمكَ من قبّةِ الهدى ... كما تعدلُ البيتَ الحرامَ القواعدُ
سواعدُ عزِّ المسلمينَ وإنّما ... تنوءُ بصولاتِ الأكفِّ السواعدُ
يكونُ غِرارًا نومُهُ من حذارِهِ ... على قبّةِ الإسلامِ والخلقُ راقِدُ
كأنَّ أميرَ المؤمنينَ محمّدًا ... لرأفتهِ بالناسِ للناسِ والدُ

[قال الشريف] رضى الله عنه .. أما قوله

تساقط منهنّ الأحاديث غضة ... تساقط دُرّ أسلمته المعاقد

فيكثر فى الشعر وأظن ان الأصل فيه أبو حيّة النميري فى قوله

إذا هنّ ساقطنَ الأحاديثَ للفتى ... سقوطَ حصي المَرْجانِ من سلكِ ناظمِ (١)

---

(١) وهو من أبيات أولها

وخبركِ الواشون أن لن أحبكم ... بلى وستور الله ذات المحارم
أصد وما الصد الذي تعلمينه ... عزاء بكم إلّا ابتلاع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع نميمة ... بنا وبكم اف لأهل النمائم
فان دما لو تعلمين جنينه ... على الحي جاني مثله غير سالم
أما إنه لو كان غيرك أرقلت ... إليه القنى بالراعفات اللهاذم

وانما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا يتأول قوله تعالى (يُخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)

•• ومثله قول الآخر

هِيَ الدُّرُّ مَنْثُورًا إِذَا مَاتَكَلَّمَتْ وَكَالدُّرِّ مَجْمُوعًا إِذَا لَمْ تَكَلَّمِ

•• ومثله

مِنْ ثَغْرِهَا الدُّرُّ النَّظِيـ ـمُ وَلَفْظُهَا الدُّرُّ النَّثِيرْ

ونظيره قول البحترى وأحسن غاية الاحسان

وَلَمَّا التَقَيْنَا وَالنَّقَا مَوْعِدٌ لَنَا تَعَجَّبَ رَائِي الدُّرِّ حُسْنًا وَلَاقِطُهْ

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الحَدِيثِ تُسَاقِطُهْ

ومثله قول الأخطل

خَلَوْتُ بِهَا وَسِجْفُ اللَّيْلِ مُلْقَى وَقَدْ اصْغَتْ إِلَى الغَرْبِ النُّجُومُ

كَأَنَّ كَلَامَهَا دُرٌّ نَثِيرٌ وَرَوْنَقُ ثَغْرِهَا دُرٌّ نَظِيمُ

ولغيره

تَبَسَّمَتْ فَرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَظِمًا وَحَدَّثَتْ فَرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَثِرَا

ولآخر

وَتُحْفَظُ لَا مِنْ رِيبَةٍ يَحْذَرُونَهَا وَلَكِنَّهَا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ تُحْفَظُ

وَتَلْفِظُ دُرًّا فِي الحَدِيثِ إِذَا جَرَى وَلَمْ نَرَ دُرًّا قَبْلَ ذَلِكَ يُلْفَظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا

أَظْهَرْنَ وَصْلًا إِذْ رَحِمْنَ مُتَيَّمًا وَأَرَيْنَ هَجْرًا اذْ خَشِينَ مُرَاقِبَا

ولكنه والله ماطل مسلماً كغر الثنايا واضحات الملاغم

اذا هن ساقطن الأحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من سلك ناظم

رمين فأقصدن القلوب ولا ترى دماً مائراً الأجوىّ في الحيازم

فنظمن من دُرِّ المباسمِ جامدًا ... ونثرن من دُرِّ المدامعِ ذائبا

[قال الشريف] رضي الله عنه وليس قول أبي هذيل في صفة الحديث

كتساقطِ الرُّطبِ الجنـ ... ـيِّ من الأقناءِ لا نثرًا ولا نزرا

من هذا الباب فى شئ لأن جميع ماتقدم هو في وصف الثغر وهـذا فى وصف حسن الحديث وانه متوسط في القلة والكثرة لازم للقصد كانتثار الرطب من الاقناء ويشبه أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم انه غض طري غير مكرر ولا معادٍ لقوله الرطب الجنى فيجتمع له أغراض الوصف له بالفصاحة والاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم الغضاضة ٠٠ ونظير قول أبى الهذيل قول ذى الرمة

لها بشرٌ مثلُ الحريرِ ومنطقٌ ... رخيمُ الحواشي لا هُراءٌ ولا نزرُ (١)

فأما قول مروان

إلى ملكٍ تندى اذا يبس الثرى ... بنائلِ كفيهِ الأكفُّ الجوامدُ

فمثل قول أبى حنش النميري في يحي بن خالد البرمكي

لا تراني مصافحا كفَّ يحيى ... إنني إن فعلتُ اتلفتُ مالي

---

(١) وبعده

وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالألباب ماتفعل الخمر

ــ رخيم الحواشي ــ لينها ــ والهراء ــ كغراب المنطق الكثير أو الفاسـد الذي لا نظام له ٠٠ وروى ان الفرزدق حضر مجلس عبد الله بن أبى اسحاق فقال له كيف تنشد هذا البيت وعينان قال الله كونا الخ فأنشده فعولان فقال له عبد الله ما كان عليك لو قلت فعولين فقال له الفرزدق لو شئت ان أسبح لسبحت ونهض فلم يعرفوا مراده فقال عبد الله لو قال فعولين لأخبر ان الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد انهما تفعلان ماتفعل الخمر ام وكان هنا تامة لاخبر لها

لو يَمسُّ البَخيلُ رَاحةَ يَحيَي ... لسخَتْ نفْسهُ ببذَلِ النَّوالِي

ومثله قول ابن الخياط المدنى فى المهدي

لَمَستُ بكَفِّي كَفَّهُ أبْتَغِي الغنى ... وَلمْ أَدرِ أَنَّ الجُودَ من كَفّهِ يُعْدِي

فلاَ أَنا مِنهُ ماأَفادَ ذَوُو الغنَى ... أفدْتُ وَأَعدَانِي فاتلفتُ ما عِنْدِي

وقد قيل ان هذا الشاعر كأنه مصرح بالهجاء لأنه زعم ان الذى لمس كفه لم يفده شيئاً بل أعـداه جوده فأتلف ماله ولم يرد الشاعر إلاّ المدح ولقوله وجه وهو ان ذوى الغنى هم الذين تستقر الأموال فى أيديهم وتلبث تحت أيمانهم ومن أخرج ما يملكه حالا بحال لا يوصف بأنه ذو غنى فأراد الشاعر انى لم أفد منه ما بقى فى يدى واستقر تحت ملكى فلهذا قال لم يفد ماأفاد ذوو الغنى ٠٠ومن هذا المعنى قول مسلم

إلى ملِكٍ لوْ صافحَ النَّاسَ كُلَّهمْ ... لمَا كانَ حيٌّ في البَريَّةِ يبْخَلُ

ومثله قول أبي المكوك

لوْ لَمسَ الناسُ رَاحتَيهِ ... مابَخِلَ الناسُ بالعَطَاءِ

وأحسن من هذا كله وأشبه بالمدح وأدخل فى طريقته قول البحترى

مَنْ شاكِرٌ عنِّي الخَليفةَ بالَّذِي ... أوْلاهُ من طَوْلٍ وَمنْ إحسَانِ

ملأَتْ يدَاهُ يدِي وَشرَّدَ جودُهُ ... بُخْلي فافقرَني كمَا أغنَانِي

حتَّي لقَدْ أفضَلْتُ منْ إفضالِهِ ... وَرَأَيتُ نهجَ الجُودِ حيْثُ أرَانِي

وَوثقتُ بالخلَفِ الجَميلِ مُعجلاً ... مِنهُ فاعطَيتُ الَّذِي أعطَانِي

ومن هذا المعنى قول الآخر

رَأَيتُ الندَى فِي آلِ عوفٍ خليقةً ... إذَا كانَ فِي قوْمٍ سِوَاهمْ تَخَلُّقا

وَلوْ جزْتَ فِي أبياتِهِمْ لتعَلَّمَتْ ... يدَاكَ النَّدَى مِنهُمْ فأَصبحتَ مُمْلقا

ولابن الرومي

يجودُ البخيلُ إذا مارَآ	كَ وَيَسطُو الجبانُ إذا عاينكْ

وأما قوله

وأَخواضِ عزٍّ حَومةُ المَوتِ دُونَها	وَأَحْواضِ عُرْفٍ ليسَ عَنْهُنّ زَائدُ

فيشبه أن يكون ابراهيم بن العباس الصولي أخذه فى قوله

لنَا إبِلٌ كُومٌ يَضيقُ بِها الفَضا	وَتفتَرّ عنها أرضُها وَسماؤها

فمِنْ دُونِها أنْ تُستَباحَ دِماؤنا	وَمنْ دُوننا أنْ تُستَذمّ دِماؤها

حِمىً وَقِرىً فالمَوتُ دُونَ مرَامِها	وَأَيسرُ خَطْبٍ عندَ حقٍّ فناؤها (١)

وقد أحسن ابراهيم في أبياته كل الاحسان فأما قوله

يكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ من حِذَارِهِ	على قُبّةِ الإسلامِ وَالخلقُ رَاقِدُ

فكثير متداول .. ومن أحسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

نِعمَ الخَلِيفَةُ للرّعيّةِ مَن إذَا	رَقدتْ وَطابَ لهَا الكَرى لم يَرْقُدِ

.. ومثله

وَيَظَلُّ يحفَظُنَا ونحنُ بِغفلَةٍ	ويبيتُ يَكلَؤُنا وَنحنُ نِيَامُ

ومثله للبحتري

أَرَبيعةَ الفُرْسِ اشكُرِي يدَ مُنْعِمٍ	وَهَبَ الإساءَةَ للمُسِيْ الجانِى

رَوّعتُمُوا جارَاتِهِ فبعثْتُمُوا	منهُ حَمِيّةَ آنفٍ غَيرَانِ

لَمْ تَكرَعَنْ قاصِي الرّعيّةِ عَينُهُ	فتَنَامَ عنْ وِترِ القَرِيبِ الدّاني

فأما قوله

(١) كان ثعلب يقول كان ابراهيم بن العباس أشعر المحدثين وينشد هذه الأبيات ويقول لو كان هذا لبعض الأوائل لاستجيد له ولم يرو ثعلب قط شعر كاتب غيره

كأن أمير المؤمنين محمداً ... لرأفته بالناس للناس والدُ

فنظير قول بعض الشعراء في يحيي بن خالد

أَحيي لَنا يَحيي فِعالَ خالِدِ ... فاصبَح اليومَ كَثيرَ الحامِدِ

يَسخو بِكلِّ طارِفٍ وَتالِدِ ... على بَعيدٍ غائبٍ وشاهِدِ

الناسُ في إِحسانهِ كَواحِدِ ... وَهوَ لَهُمْ أَجمَعِهِمْ كالوَالِدِ

ومن جيد قول مروان من قصيدة أوّلها

خلَتْ بَعدَنا من آلِ لَيلى المصانِعُ ... وهاجَت لنا الشَّوقَ الدِّيارُ البلاقِعُ

يقول فيها

ومالي إلى المَهدِيّ لو كُنتُ مُذنِباً ... سوَى حِلمِهِ الضَّافي على النَّاسِ شافِعُ

ولا هُوَ عندَ السُّخطِ منهُ ولا الرِّضَى ... بِغَيرِ الَّذي يَرضَى بِهِ اللهُ واقِعُ

تَغُضُّ لهُ الطَّرْفَ العيونُ وطرفهُ ... على غَيرِهِ من خَشيَةِ اللهِ خاشِعُ

أما قوله ــ ولا هو عند السخط منه ولا الرّضى ــ البيت .. فمثل قول أشجع

وَلَستُ بِخائِفٍ لأَبي عليٍّ ... وَمَنْ خافَ الإِلهَ فَلَنْ يُخافا

.. ومثله

أَمَّنَني منهُ وَمنْ خَوفِهِ ... خيفَتُهُ من خَشيَةِ البَارِي

ولأبي نواس

قد كُنتُ خِفتُكَ ثمَّ أَمَّنَني ... منْ أَنْ أَخافَكَ خَوفُكَ اللهَ

ويشبه هذا المعنى ما روى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله انه دعا غلاماً مراراً فلم يجبه فخرج فوجده على باب البيت فقال له ما حملك على ترك اجابتي قال كسلت عن اجابتك وأمنت عقوبتك فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه ..

فأماقوله ـ تغض له الطرف العيون ـ فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق أو من تنسب (١) اليه هذه الأبيات

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إِلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

---

(١) قوله أو من تنسب اليه يشير بهذا الى ان القصيدة المشهورة التى تنسب للفرزدق فى سيدنا زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم التى قالها لما قال هشام حين سأله رجل من أهل الشام من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة وذلك ان هشاما حج في خلافة أبيه فطاف ولم يستطع استلام الحجر لشدة الزحام فلما جاء زين العابدين رضى الله عنه تنحى الناس له فقال هشام للشامي لا أعرفه فقال الفرزدق أنا أعرفه وأنشأ يقول

هذا سليل حسين نجل فاطمة بنت الرسول الذى انجابت به الظلم

فحبسه هشام بين مكة والمدينة فقال الفرزدق أبياته التي منها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعيناً له حولاء باد عيوبها

فذكر ثم بعث اليه زين العابدين رضى الله عنه اثني عشر ألف درهم فردها وقال مدحتك لله تعالى لا للعطاء فقال زين العابدين إنا أهل بيت اذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها ولم يثبت للفرزدق منها غير سبعة أبيات ونسب بعضها الى أبي دهبل الجمحي .. وأما قوله يغضى حياء الخ وقوله

فى كفه خيزران ريحها عبق فى كف أروع في عرنينه شمم

فقيل انهما لداود بن سلم يمدح بهما قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وبعدهما

كم هاتف بك من اوج ورابية يدعوك يا قثم الخيرات يا قثم

وروى من غير هذا الوجه ان عبد الله بن عبد الملك حج فقال له أبوه سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان فإياك أن تحتجب عنه وأرضه وصفته انه أشعر ذو بطن عظيم الأنف فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له إياك أن ترده فلم يأت الحزين حتي قام لينام فقال له الحاجب قد ارتفع فلما ولى ذكر فلحقه فقال ارجع

مجلس آخر ٤٠

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) .. وقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تأوّله قوم من انه يحول بين الكافر والايمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة فى اجابته .. الجواب قلنا أما قوله تعالى (يحول بين المرء وقلبه) ففيه وجوه .. أوّلها أن يزيد بذلك تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حث من الله عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يستوفى به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكأنه تعالى قال بادروا الى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة

فاستأذن له فأدخله فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه وفي يده قضيب خيزران وقف ساكتاً فأمهله عبد الله حتى ظن انه قد أراح ثم قال له السلام عليك رحمك الله أولا فقال عليك السلام وحيّا الله وجهك أيها الأمير انى قد كنت مدحتك بشعر فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك أذهلنى عنه فأنسيت ما كنت قلته وقد قلت فى مقامي هذا بيتين فقال ما هما فقال

في كفه خيزران ريحها عبق   من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته   فما يُكلم إلاّ حين يبتسم

بتقديم الأول على الثانى فى هذه الرواية فأجازه فقال اخدمنى أصلحك الله فانه لا خادم لي فقال اختر أحد هذين الغلامين فأخذ أحدهما فقال له عبد الله أعلمنا ترذل خذ الأكبر والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بها علىّ بن الحسين رضى الله عنهما وهو غلط ممن رواه فيها وليس هذان البيتان مما يمدح به مثله وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد

بقلوبكم ويقوّى ذلك قوله تعالى (وأنه اليه تحشرون) •• وثانيها أن يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وإبطال تمييزه وان كان حياً وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه انه بغير عقل قال الله تعالى (إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) •• قال الشاعر

وَلِيَ أَلْفُ وجهٍ قد عَرَفْتُ مكانَهُ   ولكِنْ بلاَ قلبٍ الى أَيْنَ اذهَبُ

وهذا الوجه يقرب من الأول لانه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على الطاعات قبل فوتها لانه لافرق بين تعذر التوبة بانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بازالة العقل •• وثالثها أن يكون المعنى المبالغة فى الإخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وان الضمائر المكتومة له ظاهرة والخفايا المستورة لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ونحن نعلم انه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه واذا كان عزوجل هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسهو عنه ولضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه معلوم في الشاهد ان كل شئ يحول بين شيئين فهو أقرب اليهما •• ولما أراد الله تعالى المبالغة فى وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف وان كان القرب الذي عناه جلّت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيراً لفظ القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان أقرب الى قلبى من فلان وزيد منى قريب وعمرو منى بعيد ولا يريدون بذلك قرب المسافة •• ورابعها ما أجاب به بعضهم من ان المؤمنين كانوا يفكرون فى كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بانه يبدله بالخوف امناً ويبدل عدوهم بظنهم انهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور •• ويحكي في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين مايدعوه اليه قلبه من القبائح بالأمر والنهي والوعد والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ولا عن مواقعته رادع فكان التكليف حائلا بينه وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقعته وليس يجب في الحائل أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير منّا على غيره في أمر كان قد هم به

وعزم على فعله أن يجتنبه والمنبه على ان الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال منعه منه وحال بينه وبين فعله .. قال عبيد الله بن قيس الرقيات

حالَ دُونَ الهَوَي وَدُو نَ سُرَى اللَّيلِ مُصْعَبُ
وسِياطٌ على أكُـ فِّ رِجالٍ تُقَلَّبُ

ونحن نعلم انه لم يحل إلاّ بالتخويف والترهيب دون غيرهما .. فان قيل كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية .. قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله فيما يدعون اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقبحات فاعلمهم انه بهذا الدعاء والانذار وما يجري مجراهما يحول بين المرء وبين ماتدعوه اليه نفسه من المعاصى ثم ان المآب بعد هذا كله والمنقلب الى ما عنده فيجازي كلاً باستحقاقه .. فأما قوله تعالى (اذا دعاكم لما يحييكم) ففيه وجوه .. أولها أن يريد بذلك الحياة في النعيم والثواب لان تلك هي الحياة الدائمة الطيبة التي يؤمن من تغيرها ولا يخاف انتقالها فكأنه تعالى حث على اجابته التي تكسب هذه الحال .. وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام فيما يأمرهم به من قتال عدوّهم ودفعهم عن حوزة الاسلام وأعلمهم ان ذلك يحييهم من حيث كان فيه قهر للمشركين وتقليل لعددهم وفل لجهدهم وحسم لاطماعهم لانهم متى كثروا وقووا استلانوا جانب المؤمنين وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فمن ههنا كانت الاستجابة له عليه الصلاة والسلام تقتضى الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) .. وثالثها ما قاله قومٌ من ان كل طاعة حياة ويوصف فاعلها بانه حي كما ان المعاصي يوصف فاعلها بانه ميت والوجه في ذلك ان المؤمن الطائع لما كان منتفعاً بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصى لاينتفع بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان فى حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منغص الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما جري مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحياته .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة في الحكم لا في

الفعل لانا قد علمنا انه عليه الصلاة والسلام كان مكلفاً مأموراً بجهاد جميع المشركين المخالفين لملته وقتالهم وان كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شروطها فكأنه تعالى قال فاستجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير أحياء من حيث تعبّد عليه الصلاة والسلام بقتالكم وقتلكم فاذا أطعتم كنتم في الحكم أحياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) وانما أراد تعالى إنما يجب أن يكون آمناً وهذا حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع ٠٠ فأما المجبرة فلا شبهة لهم في الآية ولا متعلق بها لانه تعالي لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان بل ظاهر الآية لا يقتضي أن يحول بينه وبين أفعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان ولا للكفر ذكرٌ ولو كان للآية ظاهرٌ يقتضي ماظنوه وليس لها ذلك ولا يضر قناعته بأدلة العقل الموجبة انه تعالي لايحول بين المرء وبين ماأمر بهوأراده منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منفية ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن عمرو بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني عمرو بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحصن بن حذيفة بن بدر وجعه من طعنة كرز بن عامر إياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال ان الموت أهون مما أجد فأيكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ بأكبرهم فقال قم فخذ سيفي واطعن به حيث آمرك ولا تعجل قال يا أبتاه أيقتل المرء أباه فأتي على القوم كلهم فأجابوه بجواب الأول حتى انتهى الي عيينة فقال يا أبتاه ليس لك فيما تأمرني به راحة ولي بذلك طاعة وهو هواك قال بلى قال فأمرني كيف أصنع قال الق السيف انما أردت ان أعلم أيكم أمضى لما آمُرُ به فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال القوم انه سيقول في ذلك أبياتاً فأحضروه فلما أمسى قال

وَلُّوا عُيَيْنَةَ من بَعْدِي أمورَكُمْ ... واستَيْقِنُوا أنهُ بَعْدِي لكُمْ حامِ

إماهلكتُ فإني قد بنيتُ لكُمْ ... عِزَّ الحَيَاةِ بما قدَّمْتُ قُدّامِي

واستوسقوا للتي فيها مروءتكم ... قود الجياد وضرب القوم في الهام
والقرب من قومكم والقرب ينفعكم ... والبعد إن باعدوا والرمي للرامي
ولي حذيفة إذ ولى وخلفني ... يوم الهباءة يتيماً وسط أيتام
لا أرفع الطرف ذلاً عند مهلكه ... ألقي العدو بوجه خده دامي
حتى اعتقدت لوى قومي فقمت به ... ثم ارتحلت إلى الجفني بالشام
لما قضي ما قضى من حق زائره ... عجت المطي إلى النعمان من عامي
أسمو لما كانت الآباء تطلبه ... عند الملوك فطرفي عندهم سامي
والدهر آخره شبه لأوله ... قوم كقوم وأيام كأيام
فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم ... من بين بانٍ إلى العليا وهدام

قال ثم أصبح ودعا بني بدر فقال لوائي ورياستي لعيينة واسمعوا مني ما أوصيكم به لا يتكل آخركم على أولكم فانما يدرك الآخر ما أدركه الأول وانكحوا الكفء الغريب فانه عز حادث واذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صدراً فان كل مورد معروف واصحبوا قومكم بأجمل أخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يزري بالرئيس المطاع واذا حادثتم فاربعوا ثم قولوا الصدق فانه لا خير في الكذب وصونوا الخيل فانها حصون الرجال وأطيلوا الرماح فانها قرون الخيل وأعزوا الكبير بالكبر فإني بذلك كنت أغلب الناس ولا تغزوا إلاّ بالعيون ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح واعطوا على حسب المال واعجلوا الضيف بالقرى فان خيره أعجله واتقوا فضيحات البغي وفلتات المزاح ولا تجيروا على الملوك فان أيديهم أطول من أيديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات حصن فأخذ عيينة الرياسة .. وقال

أطعت أبا عيينة في هواه ... ولم تخرج ضريبتي الظنون

وَقَدْ عَرَضَ الرَّئِيسَ على بنيهِ ... فقَالَ القَوْمُ هذَا لاَ يكُونُ
ستَحيْلَه أو تموتُ فطَاوَلوهُ ... وقَتْلُ المَرْء والِدَهُ جنُونُ
فلمْ أقتُلْ بحَمْدِ اللهِ حصناً ... وَكُلُّ فتىً سيُدْرِكُهُ المنُونُ
ولمْ أنكلْ عليهِ وَكُلُّ أمرٍ ... اذَا هوَّنتَهُ يوماً يهُونُ
فإنْ يكُ بَدْء هذَا الأَمرِ غثاً ... فآخِرُهُ بَنِي بَدْرٍ سَمِينُ

وحكي عمر بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن حذيفة وانما أصابته اللقوة فجحظت عينه وزال فكه فسمي لذلك عيينة واذا عظمت عين الانسان لقبوه ابا عيينة وأبا العيناء ٠٠وروى قيس بن أبي حازم أن عيينة بن حصن بن حذيفة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا أحمق مطاع ٠٠ وروى أيضاً أنه كان يدلع لسانه للحسين بن علىّ عليهما السلام وهو صبي فيرى لسانه فيهش له فقال له عيينة أراك تضع هذا بهذا فوالله انه ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه ماقبلته قط فقال رسول الله صلى الله وسلم انه لا يرحم من لايرحم ٠٠ ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار من شعره قوله من قصيدة أولها

صحَا بعدَ جهلٍ فاستَرَاحتْ عوَاذلُهْ ... وَأقصَرَ عنْهُ حينَ أقصَرَ باطلُهْ
وَمَنْ مُدَّ فِي أيامِهِ فتأخرَتْ ... منيتُهُ فالشيْبُ لاَ شكَّ شاملهْ
هُوَ المَرْءُ إما دينُهُ فهْوَ مانِعٌ ... صَوُنٌ وَإما مالُهُ فهُوَ باذلُهْ
أمَرُّ وأحلى مابَلاَ النَّاسُ طَعْمَهُ ... عقَابُ أميرِ المؤمنينَ ونائلُهْ
أبيٌّ لمَا يأبي ذَوُو الحزْمِ وَالتُّقي ... فعُولٌ إذَا ماجدّ بالأمرِ فاعلهْ
ترُوكٌ الهوَى لاَ السخْطُ منهُ ولاَ الرِّضَى
لدَى موْطنٍ إلاَّ علي الحَقِّ حاملهْ

يَرَي أَنَّ مُرَّ الحَقِّ أحلي مَغَبَّةً ... وَأَنجا وَلو كانتْ زُعافاً مناهلهْ

فإنَّ طَليقَ اللهِ من هوَ مُطلَقٌ ... وَإنَّ قَتيلَ اللهِ مَنْ هُوَ قاتلهْ

وَإنَّكَ بَعدَ اللهِ للحَكَمُ الذي ... تُصابُ بهِ من كُلِّ حقٍّ مفاصلهْ

••أما قوله—ومن مد فى أيامه فتأخرت* منيته فالشيب لاشك شامله—•• فأخوذ من قول طريح بن اسمعيل الثقفى

وَالشَّيْبُ غايةُ منْ تأَخَّرَ حَيْنُهُ ... لاَ يَستَطِيعُ دِفاعَهُ منْ يجْزَعُ

والأصل فى هذا قول أمية بن أبى الصلت

منْ لمْ يَمُتْ عَبطةً يمُتْ هرَماً ... وَالمَوْتُ كأْسٌ والمَرْءُ ذائقها

ويشبه ذلك قول الآخر

قُلْ لِعرسي ليسَ شَيْبي بِعجَبْ ... منْ يَعِشْ ياأُمَّ عَمارٍ يَشِبْ

ومثله قول أبى العتاهية

مَنْ يَعِشْ يكبَرْ وَمن يكبَرْ يمُتْ ... وَالمَنَايا لاَ تُبَالِى مَنْ أَتَتْ

ويشبه قول البحتري

وَلاَ بُدَّمنْ تَرْكِ إحدَي اثنَتَينِ ... فإمَّا الشَّبابُ وامَّا العُمُرْ

وقوله

وَالشَّيْبُ مَهْرَبُ منْ جارَى مَنِيَّتَهُ ... وَلاَ نَجاءَ لهُ منْ ذَلكَ الهَرَبِ

وقريب منه قول ابن المعتز

قالَتْ كَبِرْتَ وَانتَفَيتَ مَنَ الصِبَّا ... فَقُلْتُ لها ماعشْتُ إلاَّ لأكْبَرَا

ولبعضهم

وَلاَ بُدَّمنْ مَوتٍ فإما شَبِيبَةٌ ... وَإمَّا مَشيبٌ وَالشَّبِيبَةُ أصلَحُ

معنى قوله — والشبيبة أصلح — إن الانسان اذا مات شاباً كان أكثر للحزن عليه

والأسف على مفارقته فاذا أسن برم به أهله وهان عندهم فقده .. فأما قوله

هوَ المرءُ إما دينُهُ فهوَ مانعٌ صوْنٌ وإما مالهُ فهوَ باذِله

فمعناه متكرر في الشعر كثير جدًّا .. وأحسن شعر جمع بين وصف الممدوح بمنع ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد الأنصاري

يذكّرنيكَ الجودُ والبخلُ والنّهى وقولُ الخنا والحلمُ والعلمُ والجهلُ

فالقاكَ عن مذمومِها متنزّهاً والقاكَ في محمودِها ولكَ الفضلُ

وأحمدُ من أخلاقكَ البخلَ إنهُ بعرضكَ لا بالمالِ حاشا لكَ البخلُ

وقد أحسن البحتري في قوله

بلونا ضرائبَ من قد نرى فما إن وجدنا لفتحٍ ضريبا

تنقّلَ في خلقَي سؤددٍ سماحاً مرجّىً وباساً مهيبا

فكالسيفِ إن جئتهُ صارخاً وكالبحرِ إن جئتهُ مستثيبا

فأما قوله — تروك الهوى لا السخط منه ولا الرضى — البيت .. فمعنى متداول مطروق في الشعر وقد ذكره هو في قوله

إذا هنّ القينَ الرّحالَ ببابهِ حططنَ بهِ ثقلاً وأدركنَ مغنما

إلى طاهرِ الأثوابِ ما نالَ في رضىً ولا غضبٍ مالاً حراماً ولا دما

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات

ثبتُ الجنانِ إذا اصطكّت بمظلمةٍ في رحلهِ ألسنُ الأقوامِ والرّكَبُ

لا المنطقُ اللّغوُ يزكو في تبسّمهِ يوماً ولا حجّةُ الملهوفِ تستلبُ

كأنّما هوَ في نادي قبيلتهِ لا القلبُ يهفو ولا الاحشاءُ تضطربُ

وتحتَ ذاكَ قضاءٌ حزُّ شفرتهِ كما يعضُّ بظهرِ الغاربِ القتبُ

لاَ سَوْرَةٌ تُتقَى منهُ وَلاَ بَلَهٌ   وَلاَ يُخَافُ رِضىً منهُ وَلاَ غَضَبُ

ومثله قول البحتري فى ابن الزيات أيضاً

وَجَهَ الحَقّ بينَ أخذٍ وإعطَا   ءوقَصْدٍ في الجَمْعِ والتَّبْديدِ

وَاستوَى النَّاسُ فالقَرِيبُ قَرِيبٌ   عِندَهُ وَالبَعيدُ غيرُ بَعيدِ

لاَ يَميلُ الهَوَى بِهِ حِينَ يُمْضي الا   أَمْرَ بينَ المَقْلِي وَبينَ الوَدُودِ

وَسَوَاءٌ لَدَيهِ أَبنَاءُ إبرَا   هيمَ في حُكمِهِ وَأبنَاءُ هُودِ

مُسْتَرِيحُ الأَحْشَاءِ من كُلِّ ضِغْنٍ   بارِدُ الصَّدرِ من غَليلِ الحُقُودِ

فأما قوله — وان قتيل الله من هو قاتله — فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد لعنهما الله

إنَّ الَّذِي عاشَ خَتَّارًا بِذِمَّتِهِ   وماتَ عبدًا قَتيلُ اللهِ بالزَّابِ

— أما قوله وانك بعد الله للحكم الذي تصاب به من كل حق مفاصله — فيشبه قول أبي تمام فى وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات •• وأجمع العلماء ان هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل فى القلم

لَكَ القَلَمُ الأَعلَى الَّذِي بِشَبَاتِهِ   تُصَابُ مِنَ الأَمْرِ الكُلَى وَالمَفَاصِلُ(١)

لهُ الخَلَوَاتُ اللاَّءِ لولاَ نَجِيُّهَا   لما احتَفَلَتْ للمُلْكِ تلكَ المَحافِلُ(٢)

---

(١) — الشباة — حد القلم وغيره ومثناها الشبا بالفتح والقصر •• وقوله — تُصابُ من الأمر — روى أيضاً ينال من الأمر — والكلي — جمع كلية وكلوة جاء بالياء والواو — والمفاصل — جمع مفصل وهو ملتقى كل عظمين •• أراد ان القلم يطبق المفصل ويصادف الحز وبه ينال مقاصد الأمور فانه ينال بالأقلام مايعجز عنه مجالدة الحسام

(٢) قوله — له الخلوات — يعني ان أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السر يخلي

لُعَابُ الأَفَاعِي القَاتِلَاتِ لُعَابُهُ ... وَأَرْيُ الجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ[1]

هم الملوك المجالس للمشورة وبهم يحصل لظام الملك ــ والنجى ــ المسارر والتناجي المسارة .. وأراد به المشير فان المشورة تكون سراً غالباً ــ والاحتفال ــ حسن القيام بالأمور ــ والمحافل ــ جمع محفل كمجلس ومقعد وهو المجتمع

(١) قوله ــ لعاب الأفاعى ــ الخ اللعاب مايسيل من الفم ــ والقاتلات ــ صفة كاشفة للأفاعى ذكرها تهويلا ــ والأري ــ بفتح الهمزة وسكون الراء مالزق من العسل فى جوف الخلية ــ والجنى ــ بفتح الجيم والقصر العسل والاضافة للتخصيص فان الأرى يأتى أيضاً بمعنى مالزق بأسفل القدر من الطبيخ وان جعلت الأرى بمعنى العسل والجنى بمعنى كل مايجتنى من ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة ــ واشتارته ــ استخرجته يقال شار فلان العسل شوراً وشياراً وشيارة اذا استخرجه وكذلك أشاره واشتاره ــ وأيد ــ جمع يد ــ والعواسل ــ جمع عاسلة أى مستخرجة العسل والعاسل مستخرج العسل من موضعه والمصراع الأول بالنسبة الى الأعداء والثانى بالنسبة الى الأولياء .. يعنى ان لعاب قلمه بالنسبة الي الأعداء سم قاتل وبالنسبة الى الأولياء شفاء عاجل .. فقوله لعاب مبتدأ مؤخر ولعاب الأفاعى خبر مقدم وأرى معطوف على الخبر وجاز هذا مع تعريف الطرفين لأن المعنى دال عليه لان اللعاب القاتل انما هو لعاب الأفاعى فلعاب القلم مشبه به في التأثير وعلم من هذا انه ليس من التشبيه المقلوب فان لعاب القلم قد شبه بشيئين وهو السم والعسل باعتبارين وان جعلته من التشبيه المقلوب كان من عطف الجمل والخبر فى المعطوف محذوف وفيه تكلف اه من شرح الشواهد الكبرى .. فقوله السابق وان جعلت الأرى بمعني العسل والجنى بمعنى كل مايجتنى من ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة .. قلت ان لزم ذلك فلا محذور فيه فان ابن مالك نص في التسهيل على جواز اضافة الصفة الى الموصوف والموصوف الى القائم مقام الوصف وعلى كل حال فهي مسئلة خلافيــة فذهب البصريون الي منع ذلك مطلقاً وتأولوا ماورد منــه وذهب الكوفيون الي الجواز اذا اختلف اللفظان من غير تأويله

لهُ رِيقةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقعَهَا ... بآثَارِهِ فِي الشَّرقِ وَالغَربِ وَابِلُ[1]

فَصِيحٌ إِذَا استَنطَقتَهُ وَهوَ رَاكِبٌ ... وَأَعجَمُ إِنْ خاطَبتَهُ وَهوَ رَاجِلُ

اذَا مَا امتَطى الخَمسَ اللِّطَافَ وَأُفرِغَتْ

عليهِ شِعَابُ الفِكرِ وَهيَ حَوَافِلُ[2]

أَطَاعتهُ اطرَافُ القَنى وَتَقَوَّضَتْ ... لِنَجوَاهُ تَقوِيضَ الخِيامِ الجَحَافِلُ[3]

اذَا استَغزَرَ الذِّهنَ الذَّكِي وَأَقبَلَتْ ... أَعاليهِ فِي القِرطَاسِ وَهيَ أَسَافِلُ[4]

وَقَد رَفَدَتهُ الخِنصَرَانِ وَسَدَّدَتْ ... ثَلاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلاثُ الأَنامِلُ[5]

مختجين بحو قوله تعالي (حق اليقين • ولدار الآخرة • بجانب الغربي) وغير ذلك

(١) قوله ـ له ريقة طل ـ ريقة مبتدا وطل وصفه والظرف قبله خبره والطل المطر الضعيف ـ وابل ـ وكذا الوبل المطر الشديد الضخم القطر •• يقول إن ما يجري من القلم حقير تافه في ظاهر الأمر لكن له أثر خير عم المشارق والمغارب

(٢) قوله ـ اذا ما امتطي الخمس اللطاف ـ الخ •• أراد بالخمس اللطاف الأصابع الخمس ـ والشعاب ـ جمع شعب بكسرهما الطريق في الجبل ـ والحوافل ـ جمع حافلة يقال حفل اللبن وغيره حفلا وحفولا اجتمع واحتفل الوادي امتلأ وسال

(٣) قوله ـ أطاعته أطراف القنى ـ الخ •• هو جواب اذا وروى أطاعته أطراف الرماح ـ وتقوضت ـ يقال تقوضت الصفوف اذا انتقضت وأصله من تقويض البناء وهو نقضه من غير هدم ـ والنجوى ـ السر وتقويض أي كتقويض الخيام ـ والجحافل ـ فاعل قوضت وهو جمع جحفل بتقديم الجيم على المهملة كجعفر الجيش

(٤) قوله ـ اذا استغزر الذهن ـ استغزره وجده غزيرا وفاعله ضمير القلم ـ والذكي ـ المتوقد وروى الخلي بدله والخلي الخالي وانما تكون أعالي القلم أسافل حين الكتابة

(٥) قوله ـ وقد رفدته الخنصران ـ الخ رفدته أعانته ـ وسددت ـ قومت

رَأَيتَ جَلِيلاً شأْنهُ وهوَ مُرْهَفٌ ضَنًي وسَمِيناً خَطْبُهُ وهوَ ناحلُ (١)

(١) قوله ــ رأيت جليلا شأنه ــ الخ ٠٠ رأيت جواب اذا وشأنه فاعل جليلا وجملة ــ وهو مرهف ــ حال وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوه اذا رققت شفرته ويقال أيضاً رهفته رهفاً فهو رهيف ومرهوف ــ وضنى ــ تمييز وهو مصــدر ضنى من باب تعب اذا مرض مرضاً ملازماً ــ وسميناً ــ معطوف على جليلا ــ وناحل ــ من نحل الجسم ينحل بفتحهما نحولا سقم ومن باب تعب

تم ولله الحمد الجزء الثاني من كتاب أمالي السيد المرتضي ٠٠ وقد صُحح هــذا الجزء من أوله الي نهاية الملزمة الخامسة عشر منه بتصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني ومن ثم الى آخره بتصحيح حضرة الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا وقد بذلا غاية جهدهما فيــه تصحيحاً وضبطاً وتفسير ما يحتاج الى إيضاح فامضه أحسن الله اليهما وشكر مسعاهما ٠٠ وقد تم ولله الحمد طبعه في آوائل جمادي الثانية سنة ١٣٢٥ هجريه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم


Bibliotheca Alexandrina
03833289